كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الرابع

القسم ١٣ - ١٦

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٦

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الرابع

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الرابع
من كتاب الأغاني

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فانه أفرد لكثرة الصنعة في تشبيبه بها، وانها اتسعت جداً فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

أبو العَتاهية لقبٌ غلَبَ عليه، وأسمه إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيْسان، مولى عَنَزة؛ وكنيتُه أبو إسحاق . وأمّــه أمّ زيد بنت زِياد المحارِبيّ مولى بني زُهرَة ؛ وفي ذلك يقول أبو قابُوس النَّصرانيّ وقد بلغه أن أبا العتاهية فضَّل عليه العَتّابيّ :

قــلْ للمُكنّي نفسَه مُتخيِّراً بعَتــاهِيهْ
والمرسلِ الكَلِمَ القبيــحَ وَعَتْه أذْنٌ واعيهْ
إن كنتَ سراً سؤتَني أو كان ذاكَ عَلانيهْ
فعليكَ لعنةُ ذي الجلا ل وأمُّ زيــد زانيهْ

ومنشؤه بالكوفة، وكان في أول أمره يتخنَّث ويحمل زاملةَ المخنثين، ثم كان يبيع الفَخَّار بالكوفة، ثم قال الشعر فبَرع فيه وتقدّم. ويقال: أطبعُ الناس بشارٌ والسيِّد[1] وأبو العتاهية. وما قدَر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته.

مناحيه الشعرية:

وكان غزيرَ البحر، لطيفَ المعاني، سهلَ الألفاظ، كثيرَ الافتنان، قليلَ التكلف، إلا أنه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك. وأكثرُ شعره في الزهد والأمثال. وكان قوم من أهل عصره ينسُبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجّون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشور والمعاد. وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدّمه الأوائلُ فيها. وكان أبخلَ الناس مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال.

سبب كنيته:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حَمَّاد قال:

قال المهديّ يوماً لأبي العتاهية: أنت إنسانٌ مُتحذلِقٌ[2] معتَّهٌ[3]، فاستوتْ له من ذلك كنيةٌ غلبتْ عليه دون اسمه وكنيته، وسارت له في الناس. قال: ويقال للرجل المتحذلق: عَتاهيةٌ، كما يقال للرجل الطويل: شَناحِيةٌ. ويقال: أبو عتاهية، بإسقاط الألف واللام.

---

(١) يعني السيد الحميريّ وستأتي ترجمته.

(٢) المتحذلق: المتكيس المتظرف.

(٣) يقال: رجل معته اذا كان مجنوناً مضطرباً فى خلقه، وقد ذكر صاحب اللسان (فى مادة عته) هذا الخبر فقال: «وأبو العتاهية الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، وقيل: لو كان الأمر كذلك لقيل له أبو عتاهية بغير تعريف، إنما هو لقب لا كنية. وكنيته أبو إسحاق، ولقب بذلك لأن المهديّ قال له: أراك متخلطاً متعتهاً، وكان قد تعتّه بجارية للمهديّ ... وقيل: لقب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقيل: لأنه يرمى بالزندقة».

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كُني بأبي العتاهية أن كان يحبّ الشهرةَ والمُجونَ والتعتّه. وبلدُه الكوفةُ وبلد آبائه، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه.

قال محمد بن سَلّام: وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عَنَزة، وأن جدّهم كَيسان كان من أهل عَين التَمر[1]، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كَيسان جَدُّهم هذا يتيماً صغيراً يكفله قَرابةٌ له من عَنَزة، فسباه خالدٌ مع جماعة صبيانٍ من أهلها، فوجّه بهم الى أبي بكر، فوصلوا اليه وبحضرته عَبّادُ بن رِفاعةَ العَنَزيّ بن أَسد بن ربيعة بن نِزار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيانَ عن أنسابهم فيُخبره كل واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كَيسانَ، فذكر له أنه من عَنَزة؛ فلما سمعه عَبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان خالصاً له، فوهبه له، فأعتقه، فتولّى[2] عَنَزة.

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحَسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحجّاج الجَلّانيّ الكوفيّ قال: حدّثني أبو دُؤَيل مُصعَب بن دُؤَيل الجَلّاني.

قال: لم أرَ قطُّ مَندَلَ بن عليّ العَنَزيّ وأخاه حَيّانَ بن عليّ غضبا من شيء قطُّ إلا يوماً واحداً، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضمَّخ بالدماء، فقالا له: وَيحك! ما بالُك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا له: أنتَ أخونا وابنُ عمّنا ومولانا؛ فقال: إن فلانا الجزار قَتَلني وضربني وزعم أنّي نَبَطي[3]، فإن كنتُ نبطياً هربت على وجهي وإلا فقوما فخُذا لي بحقّي؛ فقام معه مَندَل بن عليّ وما تعلّق[4] نعله

(١) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة غزاها خالد بن الوليد في أيام أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) اتخذهم أولياء له.

(٣) النبطيّ: منسوب إلى النبط وهم جيل ينزلون البطائح بين العراقين.

(٤) ما تعلق نعله: ما لبسها.

غضباً؛ وقال له : والله لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذ تُه لك منه؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقّه .

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمرَ بن معاوية عن جُبارة بن المغلِّس الحمانيّ قال : أبو العتاهية مولى عَطاء بن مِحجَن العَنَزيّ .

مولد ابي العتاهية وصنعته :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال قال أبو عون أحمد بن المُنجِّم أخبرني خِيارٌ الكاتب قال :

كان أبو العتاهية وإبراهيمُ الموصليّ من أهل المَذار(١) جميعاً، وكان أبو العتاهية وأهله يعمّلون الجِرارَ الخُضر، فقدما الى بغداد ثم افترقا، فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ . وذكر عن الرِّياشيّ أنه قال مثلَ ذلك، وأن أبا أبي العتاهية نقله الى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولاء أبي العتاهية من قِبل أبيه لعَنَزة، ومن قِبل أمّه لبني زُهرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتبة بن أبي وَقّاص، وكانت أمّه مَولاةً لهم، يقال لها أمّ زيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن مَهرُويَه قال : قال الخليل بن أسد :

كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخَزّاف . وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجة(٢)؛ ولذلك يقول أبو العتاهية :

ألا إنّما التّقوى هو العزّ والكرمْ وحبُّك للدّنيا هو الفقر والعَدمْ

(١) المذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام .

(٢) لعله «ودج» اسم موضع كما في اللسان (مادة ودج) ومعجم ما استعجم (ج ٢ ص ٦٢٢) .

وليس على عبدٍ تقيّ نقيصةٌ   إذا صحّح التقوى وإن حاكَ أو حَجم

مفاخرة :

حدّثني محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال :

جاذب رجل من كِنانةَ أبا العتاهيــة في شيء، ففخَر عليه الكِنانيّ واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهية :

دَعنيَ من ذِكرِ أبٍ وجدِّ   ونسَبٍ يُعليكَ سُورَ المجدِ
ما الفخرُ إلا في التُّقى والزُّهدِ   وطاعةٍ تُعطى جِنانَ الخُلدِ
لا بُدَّ من وِردٍ لأهلِ الوِردِ   إمّا الى ضَحلٍ[١] وإمّا عِــدِّ[٢]

مذهبه :

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا موسى عن أحمد بن حَرْب قال :

كان مذهب أبي العتاهية القولَ بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء، ثم إنه بَنى العالمَ هذه البِنية منهما؛ وأن العالمَ حديثُ العين والصنعة لا مُحدِثَ له إلا اللهُ؛ وكان يزعم أن الله سيردّ كلّ شيء الى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفنى الأعيانُ جميعاً؛ وكان يذهب الى أن المعارف واقعةٌ بقدر الفكر والاستدلال والبحث طِباعاً؛ وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب؛ ويتشيّع

(١) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له .
(٢) العِدّ : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين .

بمذهب الزَّيدية[١] البَتْرية المبتدعة، لا يتنقَّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروجَ على السلطان؛ وكان مُجبِراً[٢]. قال الصُّوليّ: فحدّثني يموتُ بن المُزرّع قال حدّثني الجاحظ قال: قال أبو العتاهية لثُمامةَ بين يَدي المأمون – وكان كثيراً ما يُعارضه بقوله في الإجبار –: أسألك عن مسألة؛ فقال له المأمون: عليك بشعرك؛ فقال: إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمرَه بإجابتي! فقال له: أَجبه اذا سألك؛ فقال: أنا أقول: إنّ كلّ ما فعله العباد من خير وشرّ فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرّك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها؛ فقال له ثُمامة: حرّكها من أمّه زانية؛ فقال: شتمني والله يا أمير المؤمنين؛ فقال ثمامة: ناقض الماصّ بَظْر أمه والله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون وقال له: ألم أقل لك أن تشتغل بشِعرك وتدعَ ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا مَعْن، أما أغناك الجواب عن السّفه! فقلت: إنّ من أتمّ الكلام ما قطع الحجة وعاقبَ على الإساءة وشَفى من الغيظ وانتصر من الجاهل.

قال محمد بن يحيى وحدّثني عَون بن محمد الكِنديّ قال:

سمعتُ العبّاس بن رُستم يقول: كان ابو العتاهية مُذبذَباً في مذهبه: يعتقد شيئاً فإذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره.

مع المخنثين:

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني ابن أبي الدنيا قال حدّثني الحُسين بن عبد ربه قال حدّثني علي بن عُبيدة الرَّيحانيّ قال حدّثني أبو الشَّمَقْمَق:

---

(١) الزيدية: فرقة نسبت الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تجيز الإمامة في غيرهم. والبترية: طائفة منهم أصحاب كثير النوى الأبتر، توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الكلام على هذه الفرقة ببيان واف في كتاب الملل والنحل للشهرستاني.

(٢) أي منسوباً الى الجبر وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب أي يكرههم عليها، يقال: أجبرته اذا نسبته الى الجبر، كما يقال: أكفرته اذا نسبته الى الكفر.

أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخنَّثين ، فقلت له[١] : أمثلك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنِّك وشعرك وقدرك ؟ ! فقال له : أريد أن أتعلم كيادَهم ، وأتحفَّظ كلامهم .

محاورة :

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال :

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشر بن المُعتمِر قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنك لما نسكتَ جلست تحجُم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال : نعم ؛ قال له : فما أردتَ بذلك ؟ قال : أردتُ أن أضعَ من نفسي حسبما رفعتْني الدّنيا ، وأضعَ منها ليَسقُط عنها الكِبْر ، وأكتسب بما فعلتُه الثوابَ ، وكنت أحجِمُ اليتامى والفقراء خاصّة ؛ فقال له بشر : دعني من تذليلك نفسك بالحجامة ، فإنه ليس بحجّة لك أن تؤدّبها وتُصلحها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك ؛ أحبّ أن تُخبرني هل كنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدّم ؟ قال : لا ؛ قال : هل كنت تعرف مقدارَ ما يحتاج كلّ واحد منهم الى أن يُخرجه على قَدْر طبعه ، مما إذا زدتَ فيه أو نقصت منه ضَرّ المحجومَ ؟ قال : لا ؛ قال : فما أُراك إلا أردتَ أن تتعلّم الحجامةَ على أقفاء اليتامى والمساكين ! .

تستره بالحجامة :

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو ذكوان قال حدّثنا العبّاس بن رُستم قال : كان حَمْدُويَهْ صاحبُ الزّنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ، ففزع من ذلك وقعد حجّاماً .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال قال أبو دِعامة عليّ بن يزيد : أخبر يحيي بن خالد أن أبا العتاهية قد نَسك ، وأنه جلس

(١) لعله : « فقال له » .

يحجُم الناس للأجر تَواضعاً بذلك ؛ فقال : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ! . فقيل له : بلى ؛ فقال : أما في بَيْع الجرار من الذل ما يكفيه ويَستغني به عن الحجامة ! .

قوله في القرآن :

أخبرني محمد بن يحيي قال حدّثني شيخ من مشايخنا قال حدّثني أبو شُعَيب صاحب ابن أبي داود قال :

قلتُ لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق ؟ فقال : أسألتني عن الله أم عن غير الله ؟ قلتُ : عن غير الله ، فأمسك ، وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجوابَ ، حتى فعل ذلك مراراً ؛ فقلت له : ما لك لا تُجيبني ؟ قال : قد أجبتُك ولكنّك حِمار .

اوصافه :

أخبرني محمد بن يحيي قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثني محمد بن موسى قال :

كان أبو العتاهية قَضِيفاً[١] ، أبيضَ اللون ، أسودَ الشعر ، له وَفْرة[٢] جعدة ، وهيئة حسنة ولَباقة وحَصافة ، وكان له عَبِيد من السودان ، ولأخيه زيدٍ أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخزَف في أُتُون[٣] لهم ، فإذا اجتمع منه شيء ألقوْه على أجير لهم يقال له أبو عباد اليزيديّ من أهل طاقِ الجرار بالكوفة ، فيبيعه على يديه ويرد

(١) القضيف : الدقيق العظم القليل اللحم .

(٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين أو ما جاوز شحمة الأذن . والجعدة : التي فيها التواء وتقبض .

(٣) الأتون (بتشديد التاء) : الموقد، والعامة تخففه .

فضله اليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيدٌ لا هو ؛ وسُئل عن ذلك فقال :أنا جرّار القوافي ، وأخي جرّار التجارة .

قال محمد بن موسى : وحدّثني عبد الله بن محمد قال حدّثني عبد الحميد بن سريع مولى بَني عِجل قال :

أنا رأيتُ أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداثُ والمتأدّبون فينشدُهم أشعارَه، فيأخذون ما تكسَّر من الخزَف فيكتبونها فيها .

مهاجاة :

حدّثني محمد بن يحيي الصُولِيّ قال حدّثني عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال :

لما هاجى أبو قابوس النَّصرانيّ كلثومَ بن عمرو العَتّابيّ جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس ويضع منه ، ويُفضِّل العَتّابيّ عليه ؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

قل للمُكَنّي نفسَه مُتخيِّراً بعتاهيهْ
والمرسل الكَلِم القبيحَ وَعَتْه أذنٌ واعيهْ
إن كنتَ سرًا سؤتني أو كان ذاكَ علانيهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا ل وأمّ زيد زانيهْ

– يعني أمَّ أبي العتاهية ، وهي أمّ زيد بنت زياد – فقيل له : أتشتم مسلماً ؟ فقال : لم أشتمه وإنما قلتُ :

فعليك لعنةُ ذي الجلا ل ومن عَنَينا زانيهْ

قال : وفيه يقول والِبَةُ بن الحُباب وكان يُهاجيه :

كان فينا يُكنى أبا إسحاقِ وبها الرَّكبُ سارَ في الآفاقِ

فتكنّى مَعتُوهنا[١] بعتـاهٍ يا لهـا كُنية أتت بإتفاقِ
خلق الله لِحيـةً لك لا تنـفكّ معقودةً بداء الحلاقِ[٢]

ابو العتاهية والموز :

أخبرنا محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا النُّوشَجانيّ قال : أتاني البوّاب يوماً فقال لي : أبو إسحاق الخرّاف بالباب ؛ فقلت : ائذَن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل ، فوضعت بين يديه قِنوَ[٣] مَوزٍ ؛ فقال : قد صِرتَ تقتل العلماء بالموز ، قتلتَ أبا عُبيدة بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا والله لا أذوقه . قال : فحدّثني عُروة بن يوسف الثَّقَفي قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجانيّ في شقّ محمل مُسجّى ، إلا أنه حيّ ، وعند رأسه قِنوُ موز وعند رجليه قِنوُ موز آخر ، يُذهب به الى أهله ؛ فقال النُّوشَجانيّ وغيرُه : لما دخلنا عليه نعوده قلنا : ما سبب عِلّتك ؟ قال : هذا النُّوشَجانيّ جاءني بموز كأنه أُيور المساكين ، فأكثرتُ منه ، فكان سببَ علّتي قال : ومات في تلك العلّة .

شهادات في شعره :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال :

سمعتُ مُصعب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس ؛ فقلت له : بأي شيء أستحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

تعلّقتُ بآمـالٍ طِوالٍ أيّ آمالِ

(١) كذا في أكثر النسخ وديوانه طبع بيروت . وفي ب، س : «معتوتها» .
(٢) صفة سوء، وقد ورد هذا البيت في هامش ديوانه (ص ٣٤٣) هكذا :
خلق الله لحية لك لا تنـفك معقودة لدى الحلاق
(٣) القنو : الكباسة، وهي كالعنقود من العنب .

وأقبلتُ على الدّنيا ٭ مُلِحّاً أيَّ إقبالِ
أيا هذا تجهَّزْ لـ ٭ ـفراق الأهل والمالِ
فلا بدّ من الموت ٭ على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هذا كلام سهلٌ حقّ لا حشوَ فيه ولا نُقصان ، يعرفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يستحسن قولَ أبي العتاهية :

أنتَ ما ٱستغنيتَ عن صا ٭ حبك الدهرَ أخوه
فإذا ٱحتجتَ اليه ٭ ساعةً مجّك فُوه

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ إملاء قال حدّثني عمي الفَضْل بن محمد قال حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُوريّ[1] قال :

أتيت سلماً الخاسِرَ فقلت له : أنشِدني لنفسك ، قال : لا ، ولكن أنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبي العتاهية ، ثم أنشدني قوله :

صوت

سَكَنٌ يبقى له سَكَنُ ٭ ما بهذا يُؤْذِن الزّمنُ
نحن في دار يُخبّرنا ٭ بِبِلاها ناطقٌ لَسِنُ
دار سَوء لم يدُم فَرحٌ ٭ لأمرئ فيها ولا حَزَنُ
في سبيل الله أنفسُنا ٭ كلُّنا بالموت مُرتَهنُ
كلُّ نفس عند مِيتَتِها ٭ حظُّها من مالها الكفنُ
إنّ مال المرء ليس له ٭ منه إلا ذِكْرُه الحسنُ

---

[1] الشهرزوريّ : نسبة الى شهرزور ، وهي كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمذان .

فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل البَصرة أُنسِيتُ اسمه ، قال حدّثني حَمدون بن زيد قال حدّثني رجاء ابن مَسلمة قال :

قلت لسَلم الخاسر : من أشعر الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتُك بأشعر الجن والإنس ؛ فقلتُ : إنما أسألك عن الإنس ، فإن زدتني الجنّ فقد أحسنتَ ؛ فقال : أشعرُهم الذي يقول :

سَكَنٌ يبقى له سَكَنُ ما بهذا يُؤذِن الزّمنُ

قال : والشعر لأبي العتاهية .

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمي الفَضل قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا يحيي بن زياد الفرّاء قال :

دخلت على جعفر بن يحيي فقال لي : يا أبا زكريا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقول أصلحك الله ؟ قال : أزعمُ أنّ أبا العتاهيــة أشعرُ أهل هذا العصر ؛ فقلت : هو والله أشعرُهم عندي .

حدّثني محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفر بن النَّضر الواسطيّ الضّرير قال حدّثني محمد بن شِيرَوَيه الأنماطيّ قال :

قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر : من أشعرُ أهل زمانه ؟ قال : أبو نواس ، قلت : فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ .

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال قال الزُّبَـير بن بَكّار : أخبرني إبراهيم بن المُنذِر عن الضحّاك ، قال :

قال عبد الله بن عبد العزيز العُمَريّ : أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضرَّ مَنْ جعل التراب مِهادَه ألّا ينامَ على الحرير إذا قَنِعْ

صدق والله وأحسن .

مهارته الشعرية :

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني محمد بن موسى قال حدَّثني أحمد بن حَرْب قال حدَّثني المعلّى بن عثمان قال :

قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردتُه قطّ إلا مثَل لي ، فأقول ما أريد وأتركُ ما لا أريد .

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني ابن مَهرُويه قال حدَّثني رَوْح بن الفرج الحِرْمازيّ قال :

جلست الى أبي العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئت أن أجعل كلامي كلّه شِعراً لفعلتُ .

حدَّثنا الصُّوليّ قال حدَّثنا العنزيّ قال حدَّثنا أبو عِكرِمة قال :

قال محمد بن أبي العتاهية : سُئل أبي : هل تعرف العَروض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض . وله أوزانٌ لا تدخُل في العَروض .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا العنزيّ قال حدَّثنا أبو عِكرمة قال :

حُمّ الرشيدُ فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الرَّبيع برُقعة فيها :

لو عَلِم الناسُ كيف أنت لهم ماتوا إذا ما أَلِمتَ أجمعُهمْ
خليفةَ الله أنت ترجَحُ بالناس إذا ما وزنتَ أنتَ وهُمْ
قد عَلِم الناسُ أن وجهك يَستغني إذا ما رآه مُعدمهمْ

فأنشدها الفضلُ بن الرّبيع الرشيدَ ، فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يُسامِره ويُحدّثه إلى أن بَرِى(١)، ووَصل اليه بذلك السببِ مالٌ جليلٌ .

ابن الاعرابي يضربه :

قال : وحُدثتُ أنّ ابن الأعرابيّ حدَّث بهذا الحديث ، فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمستحق لما قلتَ ؛ قال : ولم ؟ قال : لانه شعر ضعيف ؛ فقال ابن الأعرابيّ — وكان أحدَّ الناس — : الضعيفُ والله عقلُك لا شعرُ أبي العتاهية ، أَلِأبي العتاهية تقول : إنّه ضعيفُ الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه ، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضَرْباً من السحر ، ثم أنشد له :

قطَعتُ منك حبائلَ الآمالِ ... وحطَطتُ عن ظَهر المطيِّ رِحالي
ووجدتُ بَرْدَ اليأس بين جوانحي ... فأرَحتُ من حِلٍّ ومن تَرحالِ
يأيها البَطِرُ الذي هو من غدٍ ... في قبره متمزّق الأوْصالِ
حذَفَ المُنى عنه المُشمّرُ في الهُدى ... وأرى مُناك طويلةَ الأذيالِ
حِيَلُ ابن آدم في الأمور كثيرةٌ ... والموتُ يقطعُ حيلةَ المحتالِ
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمة ... من كلّ عارفةٍ جرَتْ بسؤالِ
فإذا ابتُليتَ ببَذل وجهك سائلاً ... فابذُله للمتكرّم المِفضالِ
وإذا خشِيتَ تعذُّراً في بلدة ... فاشدُدْ يدَيْك بعاجل التَّرحالِ
واصبِرْ على غِيَر الزّمان فإنما ... فرَجُ الشّدائد مثلُ حلِّ عِقالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسِنُ أن يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءك، إني لم أرْدُدْ عليك ما قلتَ ، ولكن

(١) أهل العالية يقولون : برأت من المرض أبرأ برءاً وبروءاً . وأهل الحجاز يقولون : برأت من المرض برءاً بالفتح وسائر العرب يقولون : برئت من المرض . وبرؤ برءاً من باب قرب لغة (انظر اللسان مادة برأ والمصباح المنير) .

الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزُّهد؛ فقال: أفليس الذي يقول في المديح:

وهارونُ ماءُ المُزْنِ يُشفى به الصَّدى[١] إذا ما الصَّدي بالرِّيق غَصَّتْ حناجرُهْ
وأوسطُ بيتٍ في قريش لَبيتُه وأوَّلُ عِزٍّ في قريش وآخِرُهْ
وزَحْفٍ له تحكي البروقَ سيوفُه وتحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافرُهْ
إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهار تضاحكتْ إلى الشَّمس فيه بَيضُه[٢] ومَغافرُهْ
إذا نُكِبَ الإسلامُ يوماً بنَكْبة فهارونُ من بين البرية ثائرُهْ
ومن ذا يفوت الموتَ والموتُ مُدرِكٌ كذا لم يفُتْ هارونَ ضدٌّ يُنافرُهْ

قال: فتخلَّص الرجل من شرِّ ابن الأعرابيِّ بأن قال له: القولُ كما قلتَ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين وكتبها عنه.

رأي ابي نواس فيه:

حدَّثني محمد قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني ابن الأعرابيِّ المُنجم قال حدَّثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عَبَّاد قال:

حضرت أبا نُواس في مجلس وأنشد شعراً، فقال له من حضر في المجلس: أنت أشعرُ الناس؛ قال: أمّا والشيخُ حيٌّ فلا. (يعني أبا العتاهية).

بخله:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدَّثني عليّ بن مَهديّ قال حدَّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال:

---

(١) الصدى: العطش.

(٢) البيض (بفتح الباء): جمع بيضة وهي الخوذة تصنع من الحديد ليتقى بها في الحرب. والمغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، والجمع مغافر، وقيل فيه غير ذلك.

قال ثُمامة بن أَشرس أَنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعتِق من المـال نفسَه تَملّكه المـالُ الذي هو مالكه
أَلا إنّمـا مالي الذي أنا مُنفِقٌ وليس ليَ المالُ الذي أنا تاركُه
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقّ وإلا آستهلكتْه مَهالِكُـه

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدّقت فأمضيت » . فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم وأنه الحقّ ؟ قال : نعم . قلت : فلِمَ تحبس عندك سبعاً وعشرين بَدْرَةً[1] في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزكّي ولا تُقدّمها ذُخْراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعْن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحـاجةَ الى الناس ؛ فقلت : وبِمَ تَزيد حالُ من آفتقر على حالك وأنت دائمُ الحِرص دائمُ الجمع شحيحٌ على نفسك لا تشتري اللحمَ إلا من عِيد إلى عيد ؟ ! فترك جواب كلامي كلّه ثم قال لي : والله لقد آشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتوابلَه وما يتبعه بخمسة دراهم ؛ فلما قال لي هذا القولَ أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمت أنه ليس ممن شرَح الله صدرَه للإسلام .

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حـدّثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ : حدّثني ثُمامة قال :

دخلت يوماً الى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خُبزاً بلا شيء ؛ فقلتُ : كأنك رأيتَه يأكل خُبزاً وحده ؛ قال : لا ! ولكنّي رأيتُه يتأدّم بـلا شيء ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت قُدّامه خبزاً يابساً من رِقاقٍ فَطير وقَدحاً فيه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها في اللبن ويُخرجها ولم تتعلّق منه

(١) البدرة : عشرة آلاف درهم .

بقليل ولا كثير ؛ فقلت له : كأنك اشتهيتَ أن تتأدّم بلا شيء، وما رأيتُ أحداً قبلك تأدّم بلا شيء .

قال الجاحظ : وزعم لي بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المتنزّهات ، وقد دعا عيّاشاً صاحبَ الجسر وتهيّأ له بطعام ، وقال لغلامه : إذا وضعتَ قدّامهم الغداء فقدّمْ إليّ ثَريدة[1] بخلّ وزيت ؛ فدخلت عليه وإذا هو يأكل منها أكْلَ مُتكمّش[2] غيرَ مُنكر لشيء ، فدعاني فمددت يدي معه ، فإذا بثريدة بخلّ وبزر بَدلا من الزيت ؛ فقلت له : أتدري ما تأكل؟ قال : نعم ثريدة بخل وبزر ؛ فقلت : وما دعاك الى هذا؟ قال : غَلِط الغلام بين دَبّة[3] الزيت ودبّة البزر ، فلما جاءني كرهت التجبُّر وقلت : دُهنٌ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عُبيد الله بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الُخزَيميّ ، وكان جارَ أبي العتاهية ، قال :

كان لأبي العتاهية جارٌ يلتقط النّوى ضعيفٌ سيّء الحال مُتجمّل[4] عليه ثياب ، فكان يمرّ بأبي العتاهية طَرَفَيِ النهار ، فيقول أبو العتاهية : اللهم أغْنِه عمّا هو بسبيله ، شيخٌ ضعيف سيّء الحال عليه ثيابٌ مُتجمّل ، اللهم أعِنْه، أصنعْ له ، باركْ فيه ؛ فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نَحوا من عشرين سنة ، ووالله إن تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ ، وما زاد على الدعاء شيئاً ؛ فقلتُ له يوماً : يا أبا إسحاق إني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير مُقلّ ، فلمَ لا تتصدّق عليه بشيء؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصَّدَقة، والصدقةُ آخر كسب العبد، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً .

---

(١) في بعض النسخ : «ثردة» والثردة (بالضم) : الاسم من ثرد الخبز أي فته .

(٢) تكمش الرجل : أسرع .

(٣) الدبة : الوعاء للبزر والزيت .

(٤) المتجمل : الفقير الذي لم يظهر على نفسه المسكنة والذل .

قال محمد بن عيسى الجُزَمِيّ هذا : وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحراكُ أَتُون ، وكان يُجري عليه في كلّ يوم رغيفين ، فجاءني الخادم يوماً فقال لي : والله ما أشبع ؛ فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأني ما أَفتُر من الكدّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدام ، فإن رأيتَ أن تكلِّمه حتى يزيدَني رغيفاً فتؤجَر ! فوعدتُه بذلك ؛ فلما جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فكرهتُ إعلامَه أنه شكا إليّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق كم تُجري على هذا الخادم في كلّ يوم ؟ قال : رغيفين ؛ فقلت له : لا يَكفيانه ؛ قال : من لم يَكفه القليلُ لم يكفه الكثير ، وكلُّ من أعطى نفسه شهوتَها هلك ، وهذا خادمٌ يدخُل الى حُرَمي وبناتي ، فإن لم أعوّده القناعةَ والاقتصاد أهلكني وأهلك عِيالي ومالي ؛ فمات الخادم بعد ذلك فكفَّنه في إزارٍ وفراشٍ له خَلَقٍ ؛ فقلت له : سبحان الله ! خادمٌ قديمُ الحُرمة طويلُ الخدمة واجبُ الحقّ تُكفِّنه في خَلَق ، وإنّما يكفيك له كفنٌ بدينارٍ ! فقال : إنه يصير إلى البلى ، والحيُّ أولى بالجديد من الميّت ؛ فقلت له : يرحمك الله أبا إسحاق ! فلقد عوّدَته الاقتصادَ حيّاً وميّتاً .

قال محمد بن عيسى هذا : وقَف عليه ذاتَ يوم سائلٌ من العَيّارين[1] الظُّرفاء ، وجماعةٌ من جيرانه حوله ، فسأله مِن بين الجيران ؛ فقال : صنع الله لك ؛ فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانيةً ، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثلَ ذلك ، فغضب وقال له : ألستَ القائلَ :

كلّ حيّ عند مِيتته حظُّه مِن ماله الكفنُ

ثم قال : فبالله عليك أتُريدُ أن تعِدّ مالك كلَّه لثمن كفنك ؟ قال لا ؛ قال : فبالله كم قدّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير ؛ قال : فهي إذاً حظُّك من مالك كلِّه ؛ قال : نعم ؛ قال : فتصدّق عليّ من غير حظِّك بدرهم واحد ؛ قال : لو تصدّقتُ عليك لكان حظي ؛ قال : فأعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير

(١) العيار : الكثير الطواف والذي يتردّد بلا عمل .

وَضِيعة[١] قيراط، وادفع إليّ قيراطاً واحداً، وإلا فواحدة أخرى؛ قال: وما هي؟ قال: القبور تُحفَر بثلاثة دراهم فأعطني درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنّي أحفر لك قبرك به متى مُتّ، وتَربح درهمين لم يكونا في حُسبانك، فإن لم أحتفر رددتُه على وَرَثتك أو ردّه كفيلي عليهم؛ فخجل أبو العتاهية وقال: اعزُب لعنك الله وغضب عليك؛ فضحك جميع من حضر، ومرّ السائلُ يضحك، فالتفت الينا أبو العتاهية فقال: من أجل هذا وأمثاله حُرّمت الصدقةُ؛ فقلنا له: ومن حرّمها ومتى حُرّمت! فما رأينا أحدا ادّعى أنّ الصدقة حُرّمت قبله ولا بعده!.

قال محمد بن عيسى هذا: وقلت لأبي العتاهية: أتُزكي مالك؟ فقال: والله ما أُنفق على عيالي إلا من زكاة مالي؛ فقلت: سبحان الله! إنما ينبغي أن تُخرج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين؛ فقال: لو انقطعتْ عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم.

احكم شعره:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال:

قال سليمان بن أبي شَيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية: أيّ شعر قلتَه أحكم؟ قال قولي:

عَلِمتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسعَدهْ أنّ الشباب والفَراغ والجِدَهْ
مَفسدةٌ للمرء أيُّ مَفسدهْ

عتاب:

أخبرني عيسى قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا أبو غَزيّة قال:

---

(١) الوضيعة: الحطيطة.

كان مُجاشِع بن مَسعدة أخو عمرو بن مَسعدة صَديقاً لأبي العتاهية، فكان يقوم بحوائجه كلّها ويُخلص مودّته، فمات وعرَضتْ لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها؛ فكتب اليه أبو العتاهية:

غَنيتَ عن العهد القديم غَنيتا وضيَّعتَ وُدّاً بيننا ونَسيتا
ومِن عَجب الأيام أن مات مَألَفي ومن كنتَ تَغشاني به وبَقيتا

فقال عمرو: إستطال أبو إسحاق أعمارَنا وتوعّدنا، ما بعد هذا خيرٌ، ثم قضى حاجتَه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غَزيّة قال:

كان أبو العتاهية إذا قدم من[1] المدينة يجلس إليّ؛ فأراد مرّة الخروجَ من المدينة فودّعني ثم قال:

إنْ نَعِشْ نجتمعْ وإلّا فما أشغلَ من مات عن جميع الأنام

معابثته لغلام:

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذْريّ قال:

كان لبعض التُّجار من أهل باب الطّاق[2] على أبي العتاهية ثمنُ ثِياب أخذها منه، فمرّ به يوماً، فقال صاحب الدكّان لغلامٍ ممن يخدمه حسنِ الوجه: أدرِكْ أبا العتاهية فلا تُفارِقه حتى تأخذَ منه ما لنا عنده؛ فأدركه على رأس الجسر، فأخذ

---

(١) كذا والسياق يقتضي حذف «من».

(٢) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقيّ تعرف بطاق أسماء.

بعِنان حماره ووَقفه[١]؛ فقال له: ما حاجتُك يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان بعثني اليك لآخذَ ماله عليك، فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كلُّ مَن مَرّ فرأى الغلامَ مُتعلِّقاً به وقف ينظرُ، حتى رضي أبو العتاهية جمعَ الناس وحفلَهم ثم أنشأ يقول:

والله رَبِّك إنني لأُجِلُّ وجهَك عن فِعالكْ
لو كان فِعلُك مثلَ وجهك كنتُ مُكتفياً بذلكْ

فخجل الغلام وأرسل عِنان الحمار، ورجع الى صاحبه وقال: بعثتني الى شيطان جمع عليَّ الناس وقال في الشعرَ حتى أخجلني فهربتُ منه.

في حاجب:

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزيّ قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التَّيميّ: حدثني إبراهيم بن حَكيم قال:

كان أبو العتاهية يختلف الى عمرو بن مسعدة لوُدٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع، فأستأذن عليه يوماً فحُجب عنه، فلزم منزله، فأستبطأه عمرو؛ فكتب اليه: إنّ الكسل يمنعني من لقائك؛ وكتب في أسفل رقعته:

كسَّلني اليأسُ منك عنك فما أرفع طَرْفي اليك من كسلِ
إني اذا لم يكن أخي ثِقةً قطَّعتُ منه حبائل الأملِ

حدثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النَّحويّ قال:

أستأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحجب عنه؛ فكتب اليه:

---

(١) حكي عن بعضهم أنه قال: ما يمسك باليد يقال فيه: أوقفت (بالألف)، وما لا يمسك باليد يقال فيه: وقفت (بغير ألف). والفصيح وقفت بغير ألف في جميع الباب إلا في قولك: ما أوقفك هاهنا؟ وأنت تريد: أيّ شأن حملك على الوقوف! (أنظر المصباح المنير مادة وقف).

مالكَ قد حُلتَ عن إخائك واسـ ـتبدلتَ يا عمرُو شيمةً كَدِرَه
إنّي إذا البـابُ تاه حاجبُه لم يَكُ عندي في هجره نَظِرَه
لستُم تُرَجّونَ للحِسـاب ولا يومَ تكونُ السماءُ مُنفطِـره
لكنْ لدنيـا كالظلّ بهجتُها سريعةُ الإنقضـاءِ مُنشمِرَه
قد كان وجهي لديك مَعرفـةً فاليوم أضحى حَرفاً من النَّكِره

هجاء مقذع :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثنا أبو عِكرِمة قال :

كان الرّشيد إذا رأى عبدَ الله بن مَعن بن زائدة تمثّل قول أبي العتاهية :

أختُ بني شَيْبان مرّتْ بنا مَمشوطةً كُوراً[1] على بَغلِ

وأوّل هذه الأبيات :

يا صاحِبَيْ رَحْليَ لا تُكثِرا في شَتْم عبد الله من عَذْل
سبحان من خصّ ابنَ معنٍ بما أرى به من قِلّـة العَقْل
قال ابنُ مَعن وجَلا نفسَه عـلى مَن الجلوةُ يا أهلي
أنا فتاةُ الحيّ من وائـلٍ في الشّرف الشّامخ والنُّبـل
ما في بَني شَيبان أهلِ الحِجا جاريةٌ واحدةٌ مثـلي
وَيْلي ويا لَهفي عـلى أمردٍ يُلصِق منّي القُرْطَ بالحِجْل[2]
صافحتُه يوماً عـلى خَلوةٍ فقال دَعْ كفّي وخُذ رِجْلي
أختُ بني شيبان مرّتْ بنا ممشوطةً كُوراً عـلى بَغل
تُكنى أبا الفضل ويا مَن رأى جـاريةً تُكنى أبا الفضل
قد نَقّطتْ في وجهها نُقطةً مَخافةَ العـينِ من الكُحل

(١) الكور : الرحل .

(٢) الحجل (بفتح الحاء وكسرها) : الخلخال .

إن زُرتموها قال حُجّابُها ... نحن عن الزُّوّار في شُغلِ
مولاتُنا مشغولةٌ عندها ... بَعلٌ ولا إذنَ على البَعل
يا بنتَ مَعنِ الخيرِ لا تجهلي ... وأين إقصارٌ عن الجهلِ
أتجلِدُ الناسَ وأنت امرؤ ... تُجلَد في الدُّبر وفي القُبلِ
ما ينبغي للناس أن يَنسُبوا ... من كان ذا جُود الى البُخلِ
يَبذُل ما يمنع أهلُ الندى ... هذا لعَمري منتهى البَذلِ
ما قلتُ هذا فيك إلا وقد ... جَفَّتْ به الأقلامُ من قَبلي

قال : فبعث اليه عبد الله بن مَعن ، فأُتي به ، فدعا بغِلمان له ثم أمرَهم أن يَرتكبوا منه الفاحشةَ ، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له : قد جَزَيتُك على قولك فيَّ ، فهل لك في الصلح ومعه مَركبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب ؟ قال : بل الصلح ؛ قال : فأسمعني ما تقوله في الصلح ؛ فقال :

ما لِعُذّالي ومالي ... أمروني بالضَّلال
عذَلوني في اغتِفاري ... لابن مَعنٍ واحتمالي
إن يكن ما كان منه ... فبِجُرمي وفعالي
أنا منه كنت أسوا ... عِشرةً في كلّ حال
قل لِمن يَعجَب من حُسـ ... ـن رُجوعي ومَقالي
رُبَّ وُدٍّ بعد صَدٍّ ... وهوًى بعد تَقالي[1]
قد رأينا ذا كثيراً ... جارياً بين الرِّجال
إنما كانتْ عيني ... لطَمَتْ منّي شمالي

حبه سعدى :

حدَّثني محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدَّثنا محمد بن موسى اليزيديّ قال حدَّثنا أبو سُوَيد عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية ومحمدُ بن سعد قالا :

(١) التقالي : التباغض .

كان أبو العتاهية يَهوى في حداثته امرأةً نائحةً من أهل الحيرة لها حُسن وجمال يقال لها سُعدى ؛ وكان عبد الله بن مَعن بن زائدة المُكَنَّى بأبي الفضل يَهواها أيضاً ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اتّهمها أبو العتاهية بالنساء ؛ فقال فيها :

ألا يا ذَواتِ السَّحق في الغرب والشَّرق أفِقن فإن النَّيك أشفى من السَّحقِ
أفِقن فإن الخبزَ بالأُدم يُشتهى وليس يَسوغ الخبز بالخبز في الحَلقِ
أراكنَّ تَرقَعن الخُروقَ بمثلها وأيّ لبيب يرقَع الخَرقَ بالخرقِ
وهل يصلُح المِهراسُ[1] إلا بعُوده إذا احتِيج منه ذات يوم الى الدّقّ

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الغَلابيّ قال حدّثني مَهديّ بنُ سابق قال :

تهدّد عبد الله بنِ مَعن أبا العتاهية وخوّفه ونهاه أن يَعرض لمولاته سُعدى ؛ فقال أبو العتاهية :

أَلا قل لابن معنٍ ذا الذي في الوُدّ قد حالا
لقد بُلّغتُ ما قال فما باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسدِ لما صَال ولا هالا
فصُغ ما كنتَ حلّيتَ به سيفَك خَلخالا
وما تصنع بالسيف اذا لم تَك قتّالا
ولو مَدّ إلى أذنيه كفّيه لما نالا
قصيرُ الطُّول والطِّيلةِ[2] لا شَبَّ ولا طالا
أرى قومَك أبطالا وقد أصبحتَ بطّالا

مع آل معن :

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني سُليمان المدائنيّ قال :

(١) المهراس : الهاون .
(٢) الطيلة : العمر .

إحتال عبد الله بن مَعْن على أبي العتاهية حتى أُخِذ في مكان فضربه مائة سَوط ضرباً ليس بالمبرّح غيظاً عليه، وإنما لم يَعنُفْ في ضربه خوفاً من كثرة من يُعنى به ؛ فقال أبو العتاهية يهجوه :

جَلَدتني بكفِّها بنتُ معن بن زائده
جَلدتني فأوجعتْ بأبي تلك جالده
وتَراها مع الخصيّ على الباب قاعده
تَتكنّى كُنى الرجا ل بِعَمدٍ مُكايده
جلدتني وبالغتْ مائةً غيرَ واحده
إجلديني واجلِدي إنما أنتِ والده

وقال أيضاً :

ضرَبتني بكفها بنتُ مَعنٍ أوْجَعتْ كفُّها وما أوْجعتني
ولَعَمري لولا أذى كفِّها إذ ضَرَبتني بالسَّوط ما تَركتني

قال الصُّوليّ : حدّثنا عَون بن محمد ومحمد بن موسى قالا :

لما اتصل هِجاءُ أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكثُر، غضِبَ أخوه يزيدُ بن معن من ذلك وتَوعّد أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدته التي أولها :

بَنى مَعن وَيهدِمُه يزيدُ كذاك اللهُ يفعل ما يُريدُ
فمَعْنٌ كان للحُسّاد غَمّاً وهذا قد يُسَرّ به الحسودُ
يزيدُ يزيدُ في مَنعٍ وبخلٍ ويَنقُص في العطاء ولا يزيدُ

حدّثني الصوليّ قال حدّثني جَبلَةُ بن محمد قال حدّثني أبي قال :

مضى بنو مَعن الى مَندَل وحيّان ابنيْ عليّ العَنَزيّيْن الفقيهين – وهما من بني عمرو بن عامر بطن مِن يَقدُم بن عَنَزة، وكانا من سادات أهل الكوفة – فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ، ولا فرقَ بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو

أتانا من بعيد الوَلاء، لوجبَ أن تَودّعاه؛ فأحضرا أبا العتاهيــة، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابنَي معن، وضمِنا عنه خُلوصَ النيّة، وعنهما ألّا يَتبَعاه بسوء، وكانا ممن لا يُمكن خلافُهما، فرجعت الحالُ الى المودّة والصّفاء، فجعل الناس يَعذلون أبا العتاهية على ما فرّط منه، ولامه آخرون في صُلحه لهما؛ فقال :

ما لِعُذّالي ومالي أَمروني بالضَّلال

وقد كُتِبَتْ مُتقدِّمة .

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال :

كان زائدةُ بن معنٍ صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعِن إخوتَه عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه :

حَزِنتُ لموت زائدة بن مَعنٍ حقيقٌ أن يطولَ عليه حُزني
فتى الفتيان زائـدةُ المُصفَّى أبو العباس كان أخي وخِدْني
فتى قومٍ وأيُّ فتًى توارتْ به الأكفانُ تحت ثرًى ولِبْنِ (١)
ألا يا قبرَ زائدةَ بن معنٍ دعوتُك كي تُجيبَ فلم تُجبني
سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قومي أُصبن بهنّ رُكناً بعد ركنِ

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارىء قال حدّثني أحمد ابن أبي فَنَن قال :

كنّا عند ابن الأعرابيّ، فذكروا قولَ ابن نَوفلَ في عبد الملك بن عُمَير :

إذا ذاتُ دَلٍّ كلّمتْه لحاجةٍ فهمّ بأن يَقضي تَنحنحَ أو سَعَلْ

وأن عبد الملك قال : تركني والله وإنّ السُّعلة لتَعرض لي في الخلاء، فأذكر قولَه

(١) اللبن (بكسر فسكون لغة في اللبن ككتف، ويقال فيه : اللِّبن بكسرتين كإبل) : المضروب من الطين مربعاً للبناء .

فأهاب أن أسعل؛ قال: فقلت لابن الأعرابي: فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله ابن معن بن زائدة:

فضُغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا
وما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

فقال عبد الله بن معن: ما لبست سيفي قط فرأيت إنساناً يلمحني إلا ظننت أنه يحفظ قول أبي العتاهية فيّ فلذلك يتأملني فأخجل؛ فقال ابن الأعرابي: إعجبوا لعبد يهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابي مولى بني شيبان.

مع مسلم بن الوليد:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال:

إجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاري في بعض المجالس، فجرى بينهما كلام؛ فقال له مسلم: والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك:

الحمدُ والنعمةُ لك والملكُ لا شريكَ لك
لبيك إنّ الملك لك

لقلت في اليوم عشرةَ آلاف بيت، ولكني أقول:

مُوفٍ على مُهَج في يوم ذي رَهَجٍ(١) كأنه أجلٌ يسعى الى أمَلِ
ينال بالرفق ما يعيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلاً يأتي على مَهَلِ
يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ

---

(١) في يوم ذي رهج: أي في يوم ذي غبار من الحرب. وفي ديوان مسلم (طبع مدينة ليدن ص ٩):

موف على مهج واليوم ذو رهج

لله من هاشمٍ في أرضه جبـلٌ وأنت وابنك ركنا ذلك الجبلِ

فقال له أبو العتاهية : قلْ مثل قولي :

الحمدُ والنعمة لكْ

أقلْ مثلَ قولكَ :

كأنه أجلٌ يسعى الى أملِ

مع بشار :

حدثني الصوليّ قال حدثنا الغلابيّ قال حدثنا مهديّ بن سابق قال :

قال بشار لأبي العتاهية : أنا والله أستحسنُ اعتذاركَ من دمعـك حيث تقول :

كم من صديقٍ لي أسا رقهُ البكاء من الحياء
فإذا تأمـل لامني فأقول ما بي من بكاء
لكن ذهبتُ لأرتدي فطرفتُ عيني بالرداء

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا معاذ، ما لذتُ إلا بمعناكَ ولا اجتنيتُ إلا من غرسك حيث تقول :

صوت

شكوتُ إلى الغواني ما ألاقي وقلتُ لهنّ ما يومي بعيدُ
فقلن بكيتَ قلتُ لهنّ كلّا وقد يبكي من الشوق الجليدُ
ولكني أصابَ سوادَ عيني عويدُ قذىً له طرفٌ حديدُ
فقلن فما لدمعهما سواء أكلتا مقلتيك أصاب عودُ

لإبراهيم الموصليّ في هذه الأبيات لَحن من الثقيل الاول بالوُسطى مُطلَق .

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثني محمد بن هارون الأزرقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابنٍ لمحمد ابن الفضل الهاشميّ قال :

جاء أبو العتاهية الى أبي فتحدّثنا ساعة، وجعل أبي يشكو اليه تَخلُّف الصّنعة[1] وجفاء السلطان، فقال لي أبو العتاهية : أكتب :

كلٌّ على الدّنيا له حِرْصُ ... والحادثات أناتُها غُفصُ[2]
وكأنّ من واروه في جدَثٍ ... لم يبدُ منه لناظر شَخصُ
تبغي من الدنيا زيادتَها ... وزيادةُ الدنيا هي النّقصُ
لِيَدِ المنيّة في تلطُّفها ... عن ذُخر كلِّ شفيقةٍ فَحصُ

حبسه :

حدّثني عمرو قال حدّثني عليّ بن محمد الهشاميّ عن جدّه ابن حَمدون قال أخبرني مُخارق قال :

لما تنسّك[3] أبو العتاهية ولبس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعراً في الغزل، فامتنع، فضربه الرشيد ستين عصاً، وحلف ألّا يخرُج من حَبسه حتى يقول شعراً في الغزل، فلمّا رُفعت المقارعُ عنه قال أبو العتاهية : كلّ مملوكٍ له حرّ وامرأته طالقٌ إن تكلّم سَنةً إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فكأن الرشيدَ تحزّن مما فعله، فأمر أن يُحبَس في دار ويُوسَّع عليه ولا يُمنَع من دخول

(١) لعلها : « الصنيعة » .
(٢) الغفص : الختل .
(٣) في نسخة : « تقرّأ » ومعناه : تنسك .

من يُريد اليه . قال مُخارق : وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً ، فكان يبعثني اليه في الأيام أتعرّف خبرَه؛ فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهراً[1] ودواةً، فيكتب اليّ ما يريد، وأكلمه، فمكث هكذا سنةً . واتفق أنّ إبراهيم الموصليّ صنع صوتَه :

صوت

أعرَفتَ دار الحيّ بالحِجرِ فشدوريان فقُنَّة[2] الغَمرِ
وهجرتنا وألِفتَ رَسْمَ بِلًى والرسمُ كان أحقَّ بالهجرِ

— لحنُ إبراهيم في هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسطى . وفيه لإسحاق رمل بالوسطى — قال مُخارق : فقال لي إبراهيم : اذهب إلى أبي العتاهية حتى تُغنِّيَه هذا الصوتَ؛ فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه، فغنّيته إياه، فكتب إلي بعد أن غنّيته : هذا اليوم تَنقضي فيه يميني فأحبّ أن تُقيم عندي الى الليل، فأقمتُ عنده نهاري كلّه، حتى اذا أذّن الناسُ المغربَ كلّمني، فقال : يا مُخارق؛ قلت : لبيك؛ قال : قل لصاحبك : يابن الزانية، أما والله لقد أبقيتَ للناس فِتنةً الى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غداً . ! قال مُخارق : فكنت أوّل من أفطر على كلامه، فقلت : دعني من هذا، هل قلت شيئاً للتخلّص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم، قد قلت في امرأتي شعراً؛ قلت : هاتِه؛ فأنشدني :

صوت

مَن لِقلبٍ متيّمٍ مُشتاقِ شفّه شوقُه وطولُ الفراقِ

---

(١) لعله يريد بالظهر هنا الريش الذي يظهر من ريش الطائر وجمعه ظهار كمرق وعراق، ويظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام .

(٢) القنة : ذروة الجبل وأعلاه . والغمر : جبل بحذاء توز، وتوز : من منازل طريق مكة من البصرة معدود في أعمال اليمامة .

طال شوقي الى قعيدة بيتي ليت شعري فهل لنا من تَلاقِي
هي حظِّي قد اقتصرتُ عليها من ذوات العُقود والأطواقِ
جمع اللهُ عاجلاً بِكَ شملي عن قريبٍ وفكَّني من وثاقِ

قال : فكتبتها وصرت بها الى إبراهيم؛ فصنع فيها لَحناً، ودخل بها على الرشيد، فكان أوّل صوت غنّاه إياه في ذلك المجلس؛ وسأله : لمن الشعرُ والغناء؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلي، وأما الشعر فلأسيرِك أبي العتاهية؛ فقال : أوَقد فعل؟ قال: نعم قد كان ذلك، فدعا به، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال: ستين عصاً، فأمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه .

غضب عليه الرشيد وترضاه له الفضل :

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيي : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا الحسين بن أبي السّريّ قال :

قال لي الفضل بن العباس : وَجد الرشيدُ وهو بالرَّقة على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام، فكان أبو العتاهية يرجو أن يَتكلَّم الفضلُ بن الربيع في أمره فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

أجفوتَني فيمن جفاني وجعلتَ شأنَك غيرَ شاني
ولَطالما أَمنتني مما أرى كلّ الأمانِ
حتى اذا انقلب الزّما نُ عليّ صرتَ مع الزمانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيدَ فرضِي عنه، وأرسل اليه الفضلُ يأمره بالشخوص ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه، فشخَص اليه؛ فلما دخل الى الفضل أنشده قولَه فيه :

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نَأيه قريباً سميعاً

فأدخله الى الرشيد، فرجع الى حالته الأولى .

رثاء صديق :

أخبرنا يحيي بن عليّ بن يحيي إجازةً قال حدّثني عليّ بني مَهدِيّ قال حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال :

كان يزيد بن منصور خالُ المهديّ يتعصّب لأبي العتاهية، لأنــه كان يمدح اليمانيةَ أخوالَ المهديّ في شعره، فمن ذلك قوله :

صوت

سُقيتَ الغيثَ يا قصرَ السلام فنِعْم مَحلّةُ الملكِ الهُمامِ
لقد نشرَ الإلٰهُ عليك نُوراً وحفّك بالملائكة الكِرامِ
سأشكُر نعمةَ المهديّ حتّى تــدورَ عليّ دائرةُ الحِمامِ
له بيتــان بيتٌ تُبّعيٌّ وبيت حَلٌ بالبلد الحــرامِ

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنه مولًى لليمن ويَنتفي من عَنَزة، فلما مات يزيد رَجع الى ولائه الاول . فحدّثني الفضل بن العبّاس قال : قلت له : ألم تكن تزعُم أنّ ولاءك لليمن ؟ ! قال : ذلك شيء احتجنا اليــه في ذلك الزمن، وما في واحدٍ ممن انتميتُ إليه خيرٌ، ولكنّ الحقّ أحقّ أن يُتّبع. وكان ادّعى ولاء اللَّخميّين . قــال : وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظِهم لحُرمةٍ، وأرعاهم لعهدٍ، وكان بارّاً بأبي العتاهية، كثيراً فضلُه عليــه؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعة وحِصْن حَصِينٍ مع كثرة ما يدفعُه إليه ويَمنعه من المَكاره . فلمّا مات قال أبو العتاهية يَرثيه :

أنعى يزيد بن منصور الى البَشرِ أَنعى يزيدَ لأهلِ البَدو والحَضَرِ
يا ساكنَ الحُفرة المهجورِ ساكنُها بعد المَقاصر والأبواب والحُجَرِ

وجدتُ فَقدكَ في مالي وفي نَشَبي   وجدتُ فقدكَ في شَعري وفي بَشَري [1]
فلستُ أدري جزاكَ اللهُ صالحةً   أمنظري اليومَ أسوأ فيك أم خبَري

اعجاب بشار بشعره :

حدّثنا ابن عَمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثني أبي قال :

حُدّثتُ أنّ المهديّ جلس للشعراء يوماً فأذِن لهم وفيهم بشار وأشجعُ، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويُعظِّمه، وغيرُ هذين، وكان في القوم أبو العتاهية؛ قال أشجع : فلما سمِع بشار كلامَه قال : يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفيّ المُلقَّب ؟ قلت : نعم ؛ قال : لا جزى الله خيراً من جمَعنا معه . ثم قال له المهديّ : أنشد ؛ فقال : ويحك ! أو يَبدأ فيُستَنشَدَ أيضاً قبلنا؛ فقلتُ : قد تَرى؛ فأنشد :

ألا ما لسيّدتي ما لها   أدَلّا فأحمِلَ إدلالَها
وإلّا ففيمَ تجنّتْ وما   جَنيتُ سَقى اللهُ أطلالَها
ألا إنّ جاريةً للإما   م قد أسكِنَ الحبُّ سِربالَها
مَشتْ بين حُورٍ قِصارِ الخُطا   تُجاذِب في المَشي أكفالَها
وقد أتعب اللهُ نفسي بها   وأتعب باللّوم عُذّالَها

قال أشجع : فقال لي بشار : وَيحك يا أخا سُلَيم ! ما أدري من أيّ أمريه أعجبُ : أمِن ضَعف شِعره، أم من تَشبيبه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله :

أتته الخلافةُ مُنقادةً   إليه تُجرِّرُ أذيالَها
ولم تك تصلح إلّا له   ولم يك يصلح إلّا لها
ولو رامها أحدٌ غيرُه   لَزُلزِلتِ الأرضُ زِلزالَها

---

(١) في ديوانه : « شعري (بكسر الشين) وفي نثري » .

ولولم تُطِعة بناتُ القلوبِ[١] لَما قَبِلَ اللهُ أعمالها
وإنّ الخليفة من بُغض لا إليه ليُبغِض مَن قالها

قال أشجع : فقال لي بشار وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُلَيم ! أترى الخليفة لم يَطِرْ عن فرشه طَرَباً لما يأتي به هذا الكوفيّ ؟ .

اتهامه بالزندقة :

أخبرني يحيي بن عليّ إجازةً قال حدّثني ابن مَهرويَه قال حدّثني العبّاس ابن مَيمون قال حدّثني رَجاء بن سَلَمة قال :

سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأت البارحة (عمّ يَتساءلونَ) ثم قلتُ قصيدة أحسنَ منها؛ قال : وقد قيل : إنّ منصورَ بن عمّار شنّع عليه بهذا .

قال يحيي بن عليّ حدّثنا ابن مَهرُويَه قال حدّثني أبو عُمَر القرشيّ قال :

لما قصّ منصور بن عَمّار على الناس مجلسَ البعوضة[٢] قال أبو العتاهية : إنما سرق منصور هذا الكلامَ من رجل كوفي؛ فبلغ قوله منصوراً فقال : أبو العتاهية زِنديقٌ، أما تَرَونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار . وإنما يذكر الموت فقط ! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه :

يا واعظَ الناس قد أصبحتَ مُتَّهماً إذ عِبتَ منهم أموراً أنت تأتيها
كالمُلبِس الثوب من عُريٍ وعورتُه للناس بادية ما إنْ يُواريها
فأعظمُ الإثم بعد الشِّرك نَعلَمُه في كلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها
عِرفانُها بعيوب الناس تُبصرها منهم ولا تُبصر العيبَ الذي فيها

---

(١) بنات القلوب : النيات .

(٢) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصفتها وما أودعه الله فيها من الاسرار، فأطلق المكان – وهو المجلس – وأراد ما يقع فيه، وهذا المجاز كثير الاستعمال.

فلم تَمض إلا أيامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عَمّار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال: يَغفِرُ الله لك أبا السرِيّ ما كنتَ رميتَني به.

وشاية:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النّسائيّ عن محمد ابن أبي العتاهية قال:

كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشرِف عليه، فرأته ليلةً يَقنُت، فروت عنه أنه يُكلِّم القمرَ، واتصل الخبرُ بحمدُويَه صاحبِ الزنادقة، فصار الى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يُصلّي، ولم يزلْ يرقُبه حتى قَنَت وانصرف الى مَضجَعه، وانصرف حَمدُويه خاسئاً.

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرِّياشيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانِيّ قال:

جاءنا أبو العتاهية الى منزلنا فقال: زَعم الناس أنّي زنديق، والله ما ديني إلا التّوحيد! فقلنا له: فقل شيئاً نتحدّث به عنك؛ فقال:

ألا إنّنا كلّنا بائدُ وأيّ بني آدمٍ خالدُ
وبَدؤهمُ كان من ربّهم وكلٌّ إلى ربّه عائدُ
فيا عجباً كيف يعصى الإلـه أم كيف يَجحدُه الجاحدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلّ على أنه واحدُ

ذات الامثال ارجوزته المشهورة:

أخبرني أبو دُلَف محمد بن هاشم الُخزاعيّ قال:

تذاكروا يوماً شعرَ أبي العتاهية بحضرة الجاحظ الى أن جرى ذكرُ أرُجوزتِه

المزدوجة التي سماها «ذاتَ الأمثال»، فأخذ بعضُ من حضر يُنشدها حتى أتى على قوله:

يا للشَّباب المرِح التَّصابي روائحُ الجنَّة في الشَّبابِ

فقال الجاحظ للمُنشِد: قِف، ثم قال: أنظروا الى قوله:

روائحُ الجنَّة في الشباب

فإن له معنى كمعنى الطَّرَب الذي لا يقدِر على معرفته إلا القلوبُ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنةُ إلا بعد التطويل وإدامةِ التفكير، وخيرُ المعاني ما كان القلبُ الى قبوله أسرعَ من اللسان الى وصفه. وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال: إن له فيها أربعة آلاف مَثَل. منها قوله:

حسبُك مما تبتغيه القوتُ	ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكَفافا	من اتَّقى اللهَ رَجا وخافا
هيَ المقاديرُ فلُمني أو فَذَرْ	إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ
لِكلِّ ما يُؤذِي وإن قلَّ ألَمْ	ما أطولَ اللَّيلَ على من لم يَنَمْ
ما انتفع المرء بمثلِ عقلِهِ	وخيرُ ذُخرِ المرء حُسنُ فِعلِهِ
إنَّ الفساد ضِدُّهُ الصَّلاحُ	ورُبَّ جِدٍّ جرَّه المِزاحُ
مَن جعل النَّمَّامَ عيناً هلَكا	مُبلِغُك الشرَّ كباغيه لكا
إنَّ الشَّبابَ والفَراغ والجِدَهْ	مَفسَدةٌ للمرء أيُّ مَفسدهْ
يغنيك عن كلِّ قبيحٍ تركُهُ	يرتَهِن الرأيَ الأصيلَ شَكُّهُ
ما عيشُ من آفتُه بقاؤُهُ	نَغَّص عيشاً كلَّه (١) فَناؤُهُ
يا رُبَّ من أسخطنا بجهدهِ	قد سرَّنا اللهُ بغيرِ حمدهِ
ما تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ	إلّا لأمرٍ شأنُه عجيبُ
لكلِّ شيءٍ مَعدِنٌ وجوهرُ	وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ

(١) في ديوانه ص ٣٤٨: «طيباً».

مَنْ لكَ بالمحضِ وكلٌّ مُمتزِجْ وساوسٌ في الصدر منه تعتلجْ
وكلُّ شيءٍ لاحقٌ بجوهرهْ أصغرُهُ متَّصلٌ بأكبرهْ
ما زالتِ الدنيا لنا دارَ أذى ممزوجةَ الصَّفْو بألوان القذَى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ لذا نِتاجٌ ولذا نِتاجُ
مَنْ لكَ بالمحض وليس محضُ يخبُثُ بعضٌ ويَطيب بعضُ
لكلِّ إنسانٍ طبيعتانِ خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
إنّك لو تستنشق الشّحيحا وجدتَه أنتنَ شيءٍ ريحا
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جدّا
عجبتُ حتى غمّني السكوتُ صِرْتُ كأنّي حائرٌ مبهوتُ
كذا قضى اللهُ فكيفَ أصنعُ الصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

وهي طويلة جدّاً، وإنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسب ما أستاقَ الكلامُ من صفتها.

برمه بالناس:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرُويه عن رَوْح بن الفَرَح قال:

شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه؛ فقال: انقُش عليه: لعنةُ الله على الناس؛ وأنشد:

بَرِمتُ بالناس وأخلاقهم فصرتُ أستأنِس بالوَحدهْ
ما أكثرَ الناسَ لعَمْري وما أقلَّهم في حاصل العِدّهْ

المدح القاصد:

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضّحاك: أن عمر ابن العلاء مولى عمرو بن حُريث صاحبَ المهديّ كان مُمدَّحاً، فمدحه أبو العتاهية

فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ وأيّ شيء مِقدارُ شعره ! فبلغه ذلك فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم ليدُور على المعنى فلا يُصيبه ويتعاطاه فلا يُحسنه حتى يُشبب بخمسين بيتاً ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن المعاني تُجمع له ، مدحني فقصَّر التشبيبَ ، وقال :

إنّي أمنت من الزمان وريْبه ... لمّا عَلِقتُ من الأميرِ حِبالا
لو يستطيع الناسُ من إجلاله ... لحَذَوا له حُرّ الوُجوه نِعالا

صوت

إنّ المطايا تَشتكيك لأنّها ... قطعتْ اليك سَباسِباً[1] ورِمالا
فإذا وَرَدْنَ بنا وردن مُخِفّةً[2] ... وإذا رجَعْنَ بنا رجعن ثِقالا

أخذ هذا المعنى من قول نُصيب :

فعاجُوا فأثنْوا بالذي أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

تفضيله على ابي نواس :

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن عَوْن قال حدّثني محمد بن النّضر كاتب غَسّان بن عبد الله قال :

أُخرِجتُ رسولاً الى عبد الله بن طاهر وهو يريد مصر، فنزلت على العتّابيّ ، وكان لي صديقاً ، فقال : أنشدني لشاعر العراق – يعني أبا نواس ، وكان قد

---

(١) سباسب : جمع سبسب، وهو الارض القفر البعيدة .

(٢) مخفة : قليلة الحمل، وفي ديوانه (طبع بيروت) : « خفائفا » .

مات – فأنشدته ما كنت أحفظ من مُلَحه ، وقلت له : ظَننتُك تقول هذا لأبي العتاهية ؛ فقال : لو أردت أبا العتاهية لقلت لك : أنشدني لأشعر الناس ولم أقتصر على العراق .

الشعر في عرض الكلام :

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هارون بن سَعدان عن شيخ من أهل بغداد قال :

قال أبو العتاهية : أكثرُ الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفَه كانوا شعراء كلّهم . قال : فبينا نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مِسْح(١) :

يا صاحب المِسح تَبيع المسحا

فقال لنا أبو العتاهية : هذا من ذلك ، ألم تسمعوه يقول :

يا صاحبَ المِسح تَبيع المسحا

قد قال شعراً وهو لا يعلم ؛ ثم قال الرجل :

تعال إن كنتَ تريد الرّبحا

فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المِصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم قال له :

تعالَ إن كنتَ تُريد الرّبحا

حدّثنا الصُولي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بَشير أبو طاهر الحَلَبي قال حدّثنا مَزْيد الهاشمي عن السِدْري قال :

---

(١) المسح : كساء من شعر كثوب الرهبان .

سمعت الأصمعيّ يقول: شعرُ أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخَزَف والنَّوى.

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال.

لما حَبس المهديُّ أبا العتاهية تكلَّم فيه يَزيد بن منصور الحِميريّ حتى أطلقه؛ فقال فيه أبو العتاهية:

ما قلتُ في فَضلـه شيئاً لأمدَحه إلّا وفضلُ يَزيدٍ فوقَ ما قلتُ
ما زِلتُ من رَيب دهري خائفاً وَجِلاً فقد كفاني بعـد الله ما خِفتُ

قوته في الارتجال:

أخبرني يحيى بن علي إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مَهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال:

جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ، فقلتُ: يا أبا إسحـاق، أما يصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائر من يقول الشعر، أو الى ألفاظ مُستكرهة؟ قال: لا؛ فقلت له: إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافيَ السَّهلة؛ قال: فأعرِضْ عليّ ما شئتَ من القوافي الصعبة؛ فقلت: قل أبياتاً على مثل البلاغ؛ فقال من ساعته:

أيُّ عيشٍ يكون أبلغَ من عيـش كفافٍ قُوتٍ بقَدْر البلاغِ[1]
صاحبُ البَغي ليس يسلَمُ منه وعـلى نفسه بَغى كلُّ باغي
رُبَّ ذي نِعمة تَعرَّضَ منها حائلٌ بينه وبـين المَساغِ
أبلَغ الدهرُ في مَواعظِه بـل زاد فيهنّ لي عـلى الإبلاغِ
غَبَنتني الأيامُ عقلي ومالي وشَبـابي وصِحّتي وفَراغي

(١) البلاغ: الكفاية.

أخبرنا يحيي إجازةً قال حدثنا علي بن مَهدي قال حدثني أبو علي اليَقْطيني قال حدثني أبو خارِجةَ بنُ مسلم قال :

اكبار بعد استخفاف :

قال مسلم بن الوليد : كنت مُستخفًّا بشعر أبي العتاهية ، فلقيَني يوماً فسألني أن أصير اليه ، فصرت اليه فجاءني بلونٍ واحد فأكلناه، وأحضرني تمراً فأكلناه ؛ وجلسنا نتحدّث ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل ، وسألته أن يُنشدني ؛ فأنشدني قولَه :

بالله يا قُرّةَ العينَيْن زُوريني ... قبل الممات وإلا فاْستَزِيريني
إني لأَعجَبُ من حُبٍ يُقرّبني ... ممن يُباعدني منه ويُقصِيني
أمّا الكثيرُ فما أرجوه منكِ ولو ... أطمعتني في قليلٍ كان يَكفيني

ثم أنشدني أيضاً :

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضى غيرَ أنّه ... على حَرّه في صدر صاحبه حُلْوُ

صوت

أَخِلّاي بي شَجْوٌ وليس بكم شجوُ ... وكلّ أمرئٍ عن شَجو صاحبه خِلْوُ
وما من مُحبٍ نال ممن يُحبه ... هوًى صادقاً إلّا سيدخُله زَهوُ
بُليتُ وكان المَزْحُ بدْءَ بَليّتي ... فأحببتُ حقًّا والبلاء له بَدْوُ
وعُلِّقتُ من يزهو عليّ تجبُّراً ... وإنّي في كلّ الخصال له كُفْوُ
رأيتُ الهوى جمرَ الغضى غير أنّه ... على كل حال عند صاحبه حُلْوُ

— الغناء لإبراهم ثقيلٌ أوّل مُطلق في مَجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولعمر بن بانة رَمَلٌ بالوسطى

من كتابه . ولعَريب فيه خفيفُ ثقيلٍ من كتاب أبن المُعتز – قال مسلم : ثم أنشدني أبو العتاهية :

صوت

خليليّ مالي لا تَزال مَضرّتي تكون على الأقدار حتماً من الحتمِ
يُصابُ فؤادي حين أرمى ورَميتي تعودُ إلى نحري ويَسلَمُ من أرمي
صبَرتُ ولا والله ما بي جَلادةٌ على الصبر لكنّي صبَرتُ على رَغمي
ألا في سبيل الله جسمي وقُوّتي ألا مُسعِدٌ حتى أنوحَ على جسمي
تُعدّ عظامي واحداً بعد واحد بمَنحَىً منَ العذّالِ عَظماً على عَظمِ
كفاكَ بحقّ الله ما قد ظلمتَني فهذا مَقام المستجير من الظُلمِ

– الغناء لسِياط في هذه الأبيات ، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق – قال مسلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ! فقال : يابن أخي ، لا تقولنّ مثل هذا ، فإن الشعر أيضاً من بعض مَصايد الدنيا .

وفوده على الرشيد :

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني أبن الأعرابيّ قال :

أجتمعت الشعراء على باب الرشيد ، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا ، فأنشد أبو العتاهية :

يا مَنْ تَبغَّى(١) زمناً صالحاً صلاحُ هارون صلاحُ الزمنْ

(١) تبغى : تطلب .

كلُّ لسانٍ هو مُلكه بالشكر في إحسانه مُرتَهَنْ

قال : فاهتزّ له الرشيد ، وقال له : أحسنتَ والله ؛ وما خرج في ذلك اليوم أحدٌ من الشعراء بصلةٍ غيرُه .

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عِمران الضّبيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال :

أجرى هارونُ الرشيد الخيلَ فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقاً ، وكان الرشيد مُعجباً بذلك الفرس ، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ، فبدرهم أبو العتاهية فقال :

جاء المشمِّرُ والأفراس يقدُمها هَوْناً على رِسله(١) منها وما انْبَهرا
وخلَّف الريحَ حَسْرَى(٢) وهي جاهدةٌ ومرَّ يختطف الأبصارَ والنظرا

فأجزل صلته ، وما جَسَر أحد بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

رثاء صديق :

أخبرني يحيى إجازةً قال حدّثني الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال :

كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة ، فتُوفّي عليّ بن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مُؤنِسٌ كان لي هَلَكْ والسبيلُ التي سَلَكْ
يا عليّ بنَ ثابتٍ غفر الله لي ولكْ
كلُّ حيٍّ مُملَّكٍ سوف يَفنى وما مَلَكْ

---

(١) على رسله : على تؤدته وهينته، ومثله الهون (بالفتح) .
(٢) حسرى : كالة معيية .

قال الفَضْل : وحضر أبو العتاهية عليَّ بن ثابت وهو يجود بنفسه فلم يزل مُلتزمه حتى فاض ؛ فلما شُدَّ لَحياه بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول :

يا شَريكي في الخير قرَّبك اللّـــهُ فنعم الشَّريكُ في الخــير كُنتا
قد لَعَمْري حكَيْتَ لي غُصصَ المو ت فحرَّكْتني لهـا وسَكَنْتا

قال : ولما دُفِن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء ، ويردّد هذه الأبيات :

ألا من لي بأُنسِـك يا أُخَيَّا ومن لي أن أبُثَّـك ما لديّا
طوَتْكَ خطوبُ دهرك بعد نَشرٍ كـذاك خطوبه نَشراً وطيّاً
فلو نَشَرتْ قُواك ليَ المنايا شكوتُ اليك ما صنعتْ إليّا
بكيتُك يا عليُّ بدمع عيني فـما أغنى البكاء عليك شيّاً
وكانت في حياتك لي عِظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّاً

قال عليّ بن الحسين مؤلِّف هذا الكتاب : هذه المعاني أخذها كلَّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر ، وقد أُخرج الإسكندر ليُدفن : قال بعضهم : كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليومَ ، وهو اليوم أوعظُ منه أمسِ . وقال آخر : سَكَنتْ حركة الملك في لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار .

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر ابن الحسين المُهلّبيّ قال :

لقِينا أبو العتاهية فقلنا له : يا أبا إسحاق ، من أشعرُ النـاس ؟ قال : الذي يقول :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْلِ[1]

(١) ويروى : « الرجل » .

فقلت : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدني :

يا صاحبَ الروحِ ذي الأنفاسِ في البدنِ ... بين النهار وبين الليل مُرْتَهَنِ
لقلّما يتخطّاك اختلافُهما ... حتى يُفَرِّق بين الرُّوح والبدنِ
لتجذِبني يدُ الدنيا بقوّتها ... إلى المنايا وإن نازعتُها رَسَني
لله دُنيا أناسٍ دائبين لها ... قد ارْتَعوا في رياض الغَيّ والفِتَنِ (١)
كسائماتٍ رِتاعٍ (٢) تبتغي سِمَناً ... وحَتْفُها لو دَرَتْ في ذلك السِّمَنِ

قال : فكتبتها ، ثم قلت له : أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل ، فقال يابن أخي إن الغزل يُسرع إلى مثلك ؛ فقلت له : أرجو عصمةَ الله جلّ وعزّ ؛ فأنشدني :

كأنها من حُسنها دُرّةٌ ... أخرجها اليَمُّ إلى الساحلِ
كأن في فيها وفي طَرْفها ... سواحراً أقبلْنَ من بابلِ
لم يُبق مِنّي حبُّها ما خلا ... حُشاشةً في بَدَنٍ ناحلِ
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى ... من شدّة الوَجْد على القاتلِ

فقلت له : يا أبا إسحاق ، هذا قولُ صاحبنا جَميل :

خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي

فقال : هو ذاك يابن أخي وتبسّم .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو عِكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال :

دخلتُ مسجدَ المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسنةٍ ، فإذا شيخٌ عليه جماعة وهو يُنشد :

---

(١) ورد هذا البيت في الديوان هكذا :

لله درّ أناس عمّرت بهم ... حتى رعوا في رياض الغيّ والفتن

(٢) رتاع : جمع راتعة وفي الديوان : « رواع » جمع راعية وهما بمعنى .

لَهفي على وَرَقِ الشَّبـابِ وغصونِـه الخضرِ الرِّطابِ
ذهب الشبابُ وبان عنّي غـيرَ مُنتظَرِ الإياب
فلأبكِينّ عـلى الشبا ب وطيبِ أيّام التَّصـابي
ولأبكينّ من البِـلى ولأبـكينّ من الخِضـابِ
إنّي لآمُـلُ أن أُخلّد والمنيَّـةُ في طِلابي

قال : فجعل يُنشدها وإنّ دموعه لتسيل على خدّيه ؛ فلما رأيتُ ذلك لم أصبر أن ملتُ فكتبتُها ، وسألت عن الشيخ فقيل لي : هو أبو العتاهية .

ابن الاعرابي يعيبه :

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ قال حدّثني أبو العبّاس محمد بن أحمد قال :

كان ابن الأعرابيّ يَعيب أبا العتاهية ويَثلُبه ، فأنشدته :

كم من سفيهٍ غـاظَني سَفهاً فشَفيتُ نفسي منـه بالحِلمِ
وكفيتُ نفسي ظلمَ عاديتي ومنحتُ صفوَ مودّتي سِلمي (١)
ولقد رُزِقتُ لظالمي غِلَظاً ورحمتُـه إذ لجّ في ظُلمي

احب شعره اليه :

أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العَنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن أحمد الأزْديّ قال :

قال لي أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطّ أحبّ إليّ من هذين البيتـين في معناها :

(١) سلمي : مسالمي، يقال : فلان سلم لفلان، وحرب له اذا كان بينهما سلام أو حرب.

ليت شعري فإنني لستُ أدري أيُّ يوم يكون آخرَ عُمري
وبأيّ البلاد يُقبَض رُوحي وبأيّ البِقاع[1] يُحفَر قبري

رهان وفوز :

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجبّار الفَزاريّ قال :

اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخّار يدور به في الكوفة ويَبيع منه، فمرّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه، فسلّم ووضع القفص عن ظهره، ثم قال : يا فتيانُ أراكم تَتذاكرون الشعرَ، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه، فإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؛ فهزِئوا منه وسَخِروا به وقالوا : نعم؛ قال : لا بدّ أن يُشترى بأحد القِمارين رُطَب يُؤكل فإنه قِمار حاصل، وجعل رَهنَه تحت يد أحدهم، ففعلوا؛ فقال : أجيزوا :

ساكِني الأجداثِ أنتمْ

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ غرِّموا الخطر[2]؛ وجعل يهزأ بهم وتَمّمه :

... ... مثلَنا بالأمس كُنتمْ
ليت شعري ما صنعتم أرَبِحتم أم خَسِرتمْ

وهي قصيدة طويلة في شعره .

(١) ويروى : «البلاد» .
(٢) الخطر : الرهان .

رأي ناقد :

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خيثم العنزي قال :

لما حبس الرشيدُ أبا العتاهية وحلف ألّا يُطلِقه أو يقولَ شعراً، قال لي أبو حبش : أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر ؛ تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم ! ويقول هذا المُخنّث المُفكَّك تلك الأشعارَ بالشفاعة ! ثم أنشدني :

أبا إسحاقَ راجعتَ الجماعهْ ... وعُدتَ الى القوافي والصِناعهْ
وكنتَ كجامحٍ(١) في الغيّ عاصٍ ... وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعهْ
فجُرَّ الخزَّ مما كنتَ تُكسى ... ودَع عنك التقشّفَ والبَشاعهْ
وشَبّب بالتي تهوى وخبّر ... بأنّك ميّت في كلّ ساعهْ
كسَدنا ما نُراد وإن أجدنا ... وأنت تقول شعرَك بالشفاعهْ

مع المهدي في الصيد :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا العنزي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدّثني أبو خيثم العنزي، وكان صديقاً لأبي العتاهية، قال حدّثني أبو العتاهية قال :

أخرجني المهديّ معه الى الصيدِ فوقعنا منه على شيءٍ كثيرٍ، فتفرّق أصحابُه في طلبه وأخذ هو في طريق غيرِ طريقهم فلم يلتقوا، وعرَض لنا وادٍ جرّارٌ وتغيّمت السماء وبدأت تُمطر فتحيّرنا، وأشرفنا على الوادي فاذا فيه ملّاح يُعبِر الناسَ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يُضعِف رأينا ويُعجِّزنا في بَذلنا

(١) في الأصول : « كجامع » .

أنفسَنا في ذلك الغَيم للصيد حتى أبعدَنا؛ ثم أدخلَنا كُوخاً له، وكاد المهديّ يموت برداً؛ فقال له : أُغطّيك بجُبّتي هذه الصوف ؟ فقال : نعم؛ فغطّاه بها، فتماسك قليلاً ونام، فافتقده غِلمانُه وتَبِعوا أثرَه حتى جاءونا، فلما رأى الملّاح كثرتَهم علم أنه الخليفةُ فهرَب، وتبادر الغلمان فنحَّوُا الجبّةَ عنه وألقَوْا عليه الخزّ والوَشْيَ، فلما أنتبه قال لي : ويحك ! ما فعل الملّاح ؟ فقد والله وَجب حقُّه علينا؛ فقلت : هرَب والله خوفاً من قُبح ما خاطبنا به؛ قال : إنّا لله ! والله لقد أردتُ أن أُغنيه، وبأيّ شيء خاطبَنا ! نحن والله مُستحقُّون لأقبحَ مما خاطبنا به! بحياتي عليك إلّا ما هجوتَني؛ فقلت : يا أميرَ المؤمنين، كيف تَطيب نفسي بأن أهجوَك ! قال : والله لتَفعلنّ، فإني ضعيفُ الرأي مُغرَمٌ بالصيد؛ فقلت :

يا لابسَ الوَشْيِ على ثوبه ما أقبحَ الأشيبَ في الرّاحِ

فقال : زِدني بحياتي؛ فقلت :

لو شئتَ أيضاً جُلتَ في خامةٍ[1] وفي وِشاحين وأوضاحِ[2]

فقال : وَيلك ! هذا معنى سَوْء يَروِيه عنك الناسُ، وأنا أستاهل؛ زِدني شيئاً آخر؛ فقلت : أخاف أن تغضَب؛ قال : لا والله؛ فقلت :

كم من عظيمِ القَدرِ في نفسه قد نام في جُبّة مَلّاحِ

فقال : معنى سَوْء عليك لعنةُ الله ! وقمنا وركبنا وانصرفنا .

في عسكر المأمون :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتّاب الحسن بن سهل قالوا :

(١) الخام : ثوب من القطن لم يغسل .

(٢) الأوضاح : حليّ من فضة أو الخلاخيل .

وقعت رقعةٌ فيها بَيْتَا شعرٍ في عسكر المأمون ؛ فجيء بها الى مُجاشِع بن مَسعَدة، فقال : هذا كلام أبي العتاهية وهو صديقي وليست الخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل . فذهبوا بها فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامةَ، فبلغ المأمونَ خبرُها فقال : هذه إليّ وأنا أعرف العلامة . والبيتان :

صوت

ما على ذا كنّا أفترَقنا بِسَندا ... نَ[١] وما هكذا عَهِدْنا الإخاء
تَضرِبُ الناسَ بالمُهَنَّدة البيـ ... ـضِ على غَدرِهم وتَنسى الوفاء

قال : فبعث اليه المأمون بمالٍ .

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكِّل رَمَلٌ من رواية ابن المعتزّ .

استنجاز وعتاب :

قال : وكان عليّ بن يَقطين صديقاً لأبي العتاهية وكان يَبَرّه في كل سنة ببِرّ واسع، فأبطأ عليه بالبِرّ في سنة من السنين، وكان إذا لقيَه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسرّ به ويرفع مجلسه ولا يَزيده على ذلك؛ فلقيه ذاتَ يوم وهو يريد دارَ الخليفة، فأستوقفه فوقف له، فأنشده :

حتى متى ليت شعري يأبنَ يَقطينِ ... أُثني عليك بما لا منك تُولِيني
إنّ السلام وإنّ البِشرَ من رجل ... في مثل ما أنت فيه ليس يَكفيني
هذا زمانٌ ألحّ الناسُ فيه على ... تِيه الملوك وأخلاقِ المساكينِ
أمَا علمتَ جزاكَ الله صالحةً ... وزادك اللهُ فضلاً يأبنَ يَقطينِ
أني أريدك للدنيا وعاجِلها ... ولا أريدك يومَ الدّين للـدينِ

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند .

فقال عليّ بن يَقطين : لستُ واللهِ أبرح ولا تَبرح من موضعنا هـذا إلا راضياً، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحُمِل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تسلّمه .

حبسه :

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهرُ المبرّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال :

بلغني من غير وجه : أنّ الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحبَسه، وَكَّل بـه صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه، فكتب إليه أنه سمعه ينشد :

أمَا واللهِ إنّ الظلمَ لؤمٌ وما زال المُسيء هو الظَّلومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

قال : فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر له بألفَي دينار .

اتهام بالزندقة :

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حُرَيث عن محمد ابن أبي العتاهية قال :

لما قال أبي في عُتبة[١] :

كأنّ عُتَّابـة من حُسنها دُميةُ قَسٍّ فتنتْ قَسَّها
يا رَبّ لو أنسَيتَنيها بمـا في جَنَّة الفِردوس لم أنْسها

شنَّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة وقال : يتهاون بالجنة ويَبتذل ذكرَها في شعره بمثل هذا التهاون ! وشنّع عليه أيضاً بقوله :

(١) هي عتبة جارية المهدي وقد اشتهر بمحبته لها وأكثر من تشبيبه فيها .

إنّ المليك رآك أحسنَ خلقِه ورأى جمالكْ
فحذا بقُدْرةِ نفسه حُورَ الجنان على مثالكْ

وقال: أيُصوِّر الحورَ على مِثال امرأة آدميَّة! واللهُ لا يحتاج الى مثال! وأوقع له هذا على ألسنة العامَّة؛ فلقِي منهم بلاء.

حدّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا خليل بن أسد قال حدّثني أبو سَلَمة الباذِغيسي قال:

قلت لأبي العتاهية: في أي شعر أنت أشعرُ؟ قال: قولي:

النـاس في غَفَلاتِهِمْ ورحا المنيَّةِ تطحَنُ

مع المأمون:

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني يحيى بن عبد الله القُرَشيّ قال حدّثني المُعلَّى بن أيّوب قال:

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبِل على شيخ حَسن اللحيةِ خَضيبٍ شديدِ بياض الثياب على رأسه لاطِئة[1]، فقلت للحسن بن أبي سعيد — قال: وهو ابن خالة المُعلَّى بن أيوب؛ وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة —: من هذا؟ فقال: أمَا تعرفه؟ فقلت: لو عرفتُه ما سألتُك عنه؛ فقال: هذا أبو العتاهية، فسمعت المأمونَ يقول له: أنشدني أحسنَ ما قلتَ في الموت؛ فأنشده:

أنساك مَحياكَ المماتا فطلبْتَ في الدنيا الثَّباتا
أوَثِقتَ بالدنيا وأنت ترى جماعتَها شَتاتا
وعزَمتَ منك على الحيا ةِ وطولِها عَزْماً بَتاتا
يا من رأى أبوَيه فيمن قد رأى كانا فماتا

(١) اللاطئة: قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

هل فيها لـك عِبرة أم خِلتَ أنّ لك انفلاتا
ومن الذي طلب التَفَلُّـتَ من منيّته ففاتا
كلٌّ تُصبّحه المنيّةُ أو تُبيّته بَياتا

قال: فلما نهضَ تبعتُه فقبضت عليه في الصَّحن، أو في الدِّهليز، فكتبتها عنه.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال حدّثني عليّ بن مَهدِيّ قال حدّثني الجاحظ عن ثُمامة قال:

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده:

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها اذا أطاع اللهَ مَنْ نالَها
مَن لم يُواس الناس من فضلها عرَّض للإدبار إقبالَها

فقال له المأمون: ما أجود البيتَ الاوّل، فأمّا الثاني فما صنعت فيه شيئاً، الدنيا تُدبِر عمن واسى منها أو ضنّ بها، وإنما يوجب السماحة بها الأجرُ، والضنّ بها الوِزرُ فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أوْلى بالفضل، وأهلُ النقصِ أولى بالنقص؛ فقال المأمون: أدفع اليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحقّ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده:

كم غافلٍ أوْدَى به الموتُ لم يأخذ الأُهبـةَ للفَوْتِ
من لم تَزُلْ نعمتُه قبلَـه زالَ(١) عن النعمة بالموتِ

فقال له: أحسنتَ! الآن طيَّبتَ المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم.

استنجازه المأمون:

أخبرني أحمد بن العبّاس العَسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني ابنُ سِنان العِجْليّ عن الحسن بن عائذ قال:

(١) كذا في ديوانه، وفي الأصول: «تذعر النعمة بالموت».

كان أبو العتاهية يَحجّ في كل سنة ، فإذا قدِم أهدى الى المأمون بُرداً ومِطرفاً ونعلاً سوداء ومَساويكَ أراكٍ فيبعَث اليه بعشرين ألف درهم وكان يُوَصل الهديّة من جهته مِنجابُ مولى المأمون ويَجيئه بالمال ؛ فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلَّ سنة إذا قدِم ، فلم يُثِبْه ولا بعث اليه بالوظيفة ، فكتب اليه أبو العتاهية :

خَبّروني أنّ من ضَرب السَّنهْ جُدُداً بِيضاً وصُفراً حسَنَهْ
أُحدِثتْ لكنَّني لم أرهــا مِثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سنهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف دِرهم ، وقال : أغفلْناه حتى ذكّرنا .

استعطافه الهادي :

حدّثنا محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمــد المُهلّبيّ قال حدّثنا الزُّبير[١] بن بكّار قال أخبرني عُرْوَة بن يوسف الثّقفيّ قال :

لمّا ولِيَ الهادي الخلافةَ كان واجداً على أبي العتاهية لِملازمته أخــاه هارونَ وانقطاعه اليه وتَركه موسى ، وكان أيضاً قد أمر أن يخرُج معه الى الرّيّ فأبى ذلك ، فخافه وقال يَستعطفه :

ألا شافِعٌ عند الخليفة يشفَع فيدفَع عنّا شرَّ ما يُتوقَّعُ
وإني على عُظم الرجاء لخائفٌ كأنّ على رأسي الأسنّةَ تَشرَعُ
يُروّعني موسى على غير عَثرةٍ ومالي أرى موسى من العفو أوسَعُ
وما آمِنٌ يُمسي ويُصبح عائذاً بعفو أمــير المؤمنين يُرَوَّعُ

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن الصَّبّاح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال :

(١) كذا في جميع النسخ والديوان ولعله : « لدى » .

دخل أبي على الهادي فأنشده :

يا أمينَ الله مـالي لستُ أدري اليومَ مالي
لم أنلْ منك الذي قد نال غـيري من نَوالِ
تَبذُل الحق وتعطي عن يمـينٍ وشِمالِ
وأنا البائسُ لا تَنـظُر في رقّةِ حـالي

قال : فأمر المُعلّى الخازنَ أن يُعطيَه عشرة آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فأتيته فأبى أن يُعطيَها ، وذلك أن الهـادي امتحنني في شيء من الشعر ، وكان مَهيباً ، فكنت أخافه فلم يُطِعني طَبعي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجتُ فلما مَنعنيه المُعلّى صِرت الى أبي الوليد أحمد بن عقال ، وكان يُجالس الهادي ، فقلت له :

أبلغ سَلمتَ أبا الوليدِ سَلامي عنّي أميرَ المؤمنين إمامي
وإذا فرَغتَ من السلام فقل له قد كان ما شاهدتَ من إفحامي
وإذا حَصِرتُ[1] فليس ذاك بمُبطِلٍ ما قد مَضى من حُرمتي وذِمامي
ولطالما وَفدتْ اليك مدائحي مخطوطةً فَلِيأتِ كلَّ ملامِ
أيام لي لَسَنٌ ورِقّةُ جِـدّةٍ والمرء قـد يَبلى مع الأيّامِ

قال : فاستخرج لي الدراهم وأنفذها اليّ :

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عِمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا محمد ابن أحمد بن سليمان قال :

وُلِد للهادي ولدٌ في أوّل يوم ولي الخلافةَ ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده :

أكثرَ موسى غيظَ حُسـّادِهِ وزيّن الأرضَ بأولادِهِ
وجاءنا من صُلبه سيّـدٌ أصيدُ في تقطيـع أجدادِهِ
فاكتستِ الأرضُ به بهجةً واستبشر الملكُ بميـلادِهِ

(١) الحصر : العيّ في المنطق .

وأبتسم المنبرُ عن فَرْحَةٍ علتْ بها ذِرْوَةُ أعوادهِ
كأنني بعد قليلٍ به بين مواليه وقُوّادهِ
في مَحفِلٍ تَخفِق راياتُه قد طَبّق الأرضَ بأجنادهِ

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطيبٍ كثيرٍ ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه .

استشفاعه بمخذول :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني علي ابن يزيد الخزرجيّ الشاعر عن يحيى بن الرّبيع قال :

دخل أبو عُبيد الله على المهديّ ، وكان قد وَجد عليه في أمر بلَغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرُ المجلسَ ، فجعل المهديّ يشتم أبا عُبيد الله ويتغيّظ عليه ، ثم أمر به فجُرّ برجله وحُبس ؛ ثم أطرق المهديّ طويلاً ؛ فلما سكن أنشده أبو العتاهية :

أرى الدنيا لمن هي في يَديْهِ عذاباً كلما كَثُرتْ لديْهِ
تُهين المُكرمين لها بصُغْرٍ (١) وتُكرِم كلَّ من هانتْ عليهِ
إذا استغنيتَ عن شيءٍ فدَعْهُ وخُذ ما أنتَ محتاجٌ اليهِ

فتبسّم المهديّ وقال لأبي العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ أحداً أشدّ إكراماً للدّنيا ولا أصونَ لها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جُرّ برجله الساعةَ ، ولقد دخلتُ الى أمير المؤمنين ودخل وهو أعزّ الناس ، فما برحتُ حتى رأيتُه أذلّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يَكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت ؛ فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عُبيد الله فرضي عنه ؛ فكان أبو عُبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

(١) الصغر : الضيم والذل .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال حدّثني محمد ابن الحسن قال حدثني إسحاق بن حَفْص قال :

أَنشدني هارون بن مُخلَد الرازيّ لأبي العتاهية :

ما إن يَطيب لذي الرّعاية للـــأيّام لا لعبٌ ولا لهــوٌ
إذ كان يَطْرب[1] في مَسرّته فيموت من أجزائه جُزْءٌ

فقلت : ما أحسنها! فقال : أهكذا تقول! والله لهما روحانيّان يطيران بين السماء والأرض .

افضل المحدثين :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عِكرمة عن مسعود ابن بشر المازنيّ قال :

لقِيت ابن مُناذِر بمكة فقلت له : مَن أشعر أهل الإسلام؟ فقال : أترى من إذا شئت هزَل وإذا شئت جدّ؟ قلت : من؟ قال : مثلُ جَرير حين يقول في النَّسيب :

إنّ الذين غدَوا بلبّك غادروا وَشَلًا بعينك ما يَزال مَعيناً
غَيَّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلن لي ما ذا لقِيتَ من الهوى ولقِينا

ثم قال حين جدّ :

إنّ الذي حَرَمَ المكارِم تَغلِباً جعل النُّبوّةَ والخلافةَ فينا
مُضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا آل تَغلبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمي في دِمشق خليفةٌ لو شئتُ ساقكم إليّ قَطينا[2]

(١) في ديوانه (ص ٢٩٨) : «يسرف» .
(٢) القطين : الخدم والأتباع .

ومن المحدثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعرَه من كمه ؛ فقلت : من ؟ قال : أبو العتاهية ؛ قلت : في ماذا ؟ قال : قوله :

اَللهُ بيني وبين مَولاتي أَبدَتْ ليَ الصَّدَّ والملالاتِ
لاتغفرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا تقبَل عذري ولا مُواتاتي
منحتُها مُهجتي وخالصتي فكان هِجرانُها مُكافاتي
أقلقني حبُّها وصيّرني أحدوثة في جميع جاراتي

ثم قال حين جدّ :

ومَهمهٍ[١] قد قطعتُ طامِسَه[٢] قفرٍ على الهَول والمحاماةِ
بحرّةٍ[٣] جسرةٍ عُذافرةٍ خوصاء عيرانةٍ علنداةِ
تُبادر الشمسَ كلما طلعت بالسَّير تَبغي بذاك مَرضاتي
يا ناقُ خُبّي بنا ولا تَعدي نفسَك مما تَرَينَ راحاتِ
حتى تُناخي بنا الى ملك تَوَّجه اللهُ بالمَهاباتِ
عليه تاجان فوق مَفرقه تاجُ جلالٍ وتاجُ إخباتِ[٤]
يقول للريح كلّما عصَفتْ هل لكِ يا ريحُ في مُباراتي
مَنْ مثلُ مَن عمه الرسولُ ومَن أخواله أكرمُ الخؤولاتِ

الحب فوق المال :

أخبرني وكيع قال : قال الزُّبير بن بكار حدّثني أبو غَزيّة ، وكان قاضياً على

---

(١) المهمه : المفازة البعيدة .

(٢) الطامس : البعيد .

(٣) الحرة : الناقة العتيقة الأصيلة . والجسرة : العظيمة من الإبل وغيرها . والعذافرة : العظيمة الشديدة من الإبل . والخوصاء : وصف من الخوص وهو ضيق العين وصغرها وغؤورها . والعيرانة من الإبل : التي تشبه بالعير في سرعتها ونشاطها . والعلنداة : الناقة الضخمة الطويلة .

(٤) الاخبات : الخضوع .

المدينة ، قال : كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبادة جارية المُهَلَّبيّة ، وكانت المهلّبيّة مُنقطعةً الى الخيزُران ، فركب إسحاق يوماً ومعه عبد الله بن مُصعَب يُريدان المهديّ ، فلقينا عَبادة ؛ فقال إسحاق : يا أبا بكر ، هذه عبادة ، وحرّك دابّته حتى سبقها فنظر اليها ، فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجّب من فِعله ؛ ومضيا فدخلا على المهديّ ، فحدّثه عبد الله بن مُصعب بحديث إسحاق وما فعل ؛ فقال : أنا أشتريها لك يا إسحاق؛ ودخل على الخيزُران فدعا بالمهلبيّة فحضرت، فأعطاها بعبادة خمسين ألف درهم ، فقالت له : يا أميرَ المؤمنين ، إن كنتَ تُريدها لنفسك فيها فداك الله ، وهي لك ؛ فقال : إنما أُريدها لإسحاق بن عُزَيز ؛ فبكت وقالت : أتؤثر عليَّ إسحاق بن عُزَيز وهي يَدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وَصلَ اليها ابنُ عُزَيز بما جرى وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانَها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبادة . فقال أبو العتاهية يُعيّره بذلك :

مَن صدَق الحبّ لأحبابِهِ ... فإنّ حُبّ ابن عُزَيزٍ غُرورْ
أنساه عبادةَ ذاتَ الهوى ... وأذهب الحبّ الذي في الضميرْ
خمسون ألفاً كلّها راجح ... حُسناًلها في كل كيسٍ صَريرْ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً :

حُبُّك للمال لا كحبّك عبّادة يا فاضحَ المُحبّينا
لو كنتَ أصفيتَها الوِدادَ كما قُلتَ لما بِعتَها بخمسينا

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني جَبلة بن محمد قال حدّثني أبي قال :

رأيت أبا العتاهية بعد ما تخلّص من حَبس المهديّ وهو يلزم طبيباً على بابنا ليكحَل عينه ، فقيل له : قد طال وَجعُ عينِك ؛ فأنشأ يقول :

صوت

أيا ويحَ نفسي وَيحها ثم وَيحها أما من خَلاصٍ من شِباكِ الحبائلِ
أيا ويحَ عيني قد أضرَّ بها البُكا فلم يُغنِ عنها طِبٌّ ما في المكاحلِ

في هذين البيتين لإبراهيم الموصليّ لحنٌ من الثقيل الأوّل .

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال :

كان الهادي واجداً على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارونَ في خلافة المهديّ ، فلما ولي موسى الخلافة ، قال أبو العتاهية يمدحه :

صوت

يضطرب الخوفُ والرجاء إذا حرّك موسى القضيبَ أو فكَّرْ
ما أبينَ الفضلَ في مُغَيَّبِ ما أوْردَ من رأيه وما أصدَرْ

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحنٌ من الثقيل الأوّل في نهاية الجوْدة وما بان به فضلُه في الصِناعة .

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِن مَعْشَرٍ قومٍ وذلّ من مَعْشَرْ
يُثمر مِن مَسّه القضيبُ ولو يَمسُّه غيرُه لما أثمَرْ
مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والده الـمهديّ أو جدّه أبي جعفرْ

قال : فرضي عنه . فلما دخل عليه أنشده :

لَهفي على الزمن القصيرِ بين الخوَرْنقِ والسّديرِ
إذ نحن في غُرَفِ الجنا نِ نَعومُ في بحر السّرورِ
في فِتيةٍ ملكوا عِنا نَ الدهر أمثالِ الصقورِ

مـا منهمُ إلّا الَجسو ... رُ على الهوى غيرُ الَحصورِ
يتعاوَرُون مُدامـةً ... صهباءَ من حَلَب العَصيرِ
عَذراءَ ربّاها شُعا ... عُ الشمسِ في حرِّ الهجيرِ
لم تُدنَ من نارٍ ولم ... يَعلَق بها وَضَرُ القدورِ
ومُقرطَقٍ يمشي أمـا ... مَ القومِ كالرّشأ الغريرِ
بزجاجـةٍ تَستخرج الـ ... ـسرَّ الدفين من الضميرِ
زهراءَ مثلِ الكوكب الـ ... ـدُّرّيّ في كفّ المُديرِ
تَدعُ الكريمَ وليس يَد ... ري ما قَبيلٌ من دَبيرِ[1]
ومخصَّراتٍ[2] زُرنَنـا ... بعد الهدوّ من الخُدورِ
ريّاً[3] روادفُهـنّ يَلـ ... ـبَسْنَ الخواتمَ في الخُصورِ
غُرِّ الوجـوه محجّبا ... تٍ قاصراتِ الطّرفِ حُورِ
متنعّمات في النعيـ ... ـمِ مُضمَّخات بالعَبيرِ
يَرفُلنَ في حُلَلِ المحا ... سنِ والمجاسدِ[4] والحريرِ
ما إن يَرَين الشمسَ إلا الفَرْطَ[5] من خَلَل الستورِ
وإلى أمينِ الله مَهـ ... ـرَبُنا من الدهر العَثُورِ
وإليه أتعبْنا المطـا ... يا بالرّواح وبالبكورِ
صُعْرَ الخدود كأنما ... جُنِّحْنَ أجنحةَ النسورِ

---

(١) القبيل : ما وليك . والدبير : ما خالفك، يقولون : لا يعرف قبيله من دبيره، ولا يدري قبيلاً من دبير، أي لا يعرف شيئاً .

(٢) مخصرات : دقيقات الخصور .

(٣) ريا : ممتلئة .

(٤) المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن .

(٥) كذا في اكثر الأصول، والفرط : الحين، ويقال : لا ألقاه إلا في الفرط : أي في الايام مرة .

متسربلاتٍ بالظـلا م على السهولة والوُعورِ
حتى وَصلْنَ بنا الى ربّ المدائن والقُصورِ
ما زال قبل فِطامـه في سِنّ مكتهلٍ كبيرِ

قال : قيل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس ، فأجزل صِلته وعاد الى أفضل ما كان له عليه .

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثني الكُراني عن أبي حاتم قال:

قدِم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون ، فصار اليه أصحابُنا فاستنشدوه ، فكان أوّل من أنشدهم :

ألم تَرَ رَيبَ الدّهر في كلّ ساعةٍ له عارضٌ[١] فيــه المنيّة تلمعُ
أيا بانيَ الدنيا لغـيرك تَبتني ويا جامعَ الدنيا لغـيرك تَجمعُ
أرى المرءَ وثّاباً على كل فُرصةٍ وللمرء يوماً لا محالةَ مَصرَعُ
تبارك من لا يَملِكُ المُلكَ غيرُه متى تنقضي حاجاتُ من ليس يَشبَعُ
وأيّ امرئٍ في غايةٍ ليس نفسُه الى غايةٍ أخرى سواهـا تَطَلّعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أن طَبعَ أبي العتاهية بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ الناس .

تمثل الفضل بشعره :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويَه قال حدّثني سليمان بن جعفر الجزَريّ قال حدّثني أحمد بن عبد الله قال :

كانت مَرْتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحـد في دار

---

(١) العارض : الأصل فيه السحاب المعترض في الأفق .

المأمون ؛ فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسَنَ بيتين لك وأصدَقهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولك :

ما الناس إلا للكثيرِ المالِ أو　　لمسلّطٍ ما دام في سُلطـانهِ
فإذا الزمان رماهما ببليّـةٍ　　كان الثِّقاتُ هناك من أعوانهِ

يعني : من أعوان الزمان . قال : وإنما تمثّل الفضلُ بن الربيـع بهذين البيتين لانحطاط مرتبتِه في دار المأمون وتَقدُّمِ غيره؛ وكان المأمون أمر بذلك لتحريره[1] مع أخيه .

تنسكه :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال :

قال لي محمد بن أبي العتاهية : كان أبي لا يُفارق الرشيدَ في سَفر ولا حضَر إلا في طريق الحجّ، وكان يُجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاوِن؛ فلما قدِم الرشيدُ الرقّة لبِس أبي الصوفَ وتزهّد وترك حضورَ المنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه فحُبِس؛ فكتب اليه من وقته :

صوت

أنا اليومَ لي والحمد لله أشهُرُ　　يَرُوحُ عليَّ الهمُّ منكم ويَبكُرُ
تذكّرْ أمينَ الله حقّي وحُرمتي　　وما كنتَ تُوليني لعلك[2] تذكُرُ
لياليَ تُدني منك بالقربِ مجلسي　　ووجهُك من ماء البشاشةِ يَقطُرُ

(١) لعل أصل الكلام « لتحريره نفسه مع أخيه » فسقطت من الناسخ أو حذفها المؤلف للعلم بها .

(٢) كذا في الديوان (ص ٣٢٦) وأشير في هامشه الى رواية أخرى هي : « كذلك يذكر » . وفي جميع النسخ : « لذلك يذكر » .

فمن لِيَ بالعين التي كنتَ مرّةً إليّ بها في سالفِ الدهرِ تنظُرُ

قال : فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك؛ فكتب اليه :

صوت

أرقتُ وطار عن عيني النُّعاسُ ونام السامرون ولم يُواسُوا
أمينَ الله أمنُك خيرُ أمنٍ عليك من التُّقى فيه لِباسُ
تُساس من السماء بكلّ بِرٍّ وأنت به تَسوس كما تُساسُ
كأنّ الخلقَ رُكّبَ فيه رُوحٌ له جَسدٌ وأنت عليه راسُ
أميـنَ الله إنّ الحبس بأسٌ وقد أرسلتَ[1] ليس عليك باسُ

— غنّى في هذه الابيات إبراهيم ولحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى وفيه أيضاً ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ — قال : وكتب اليه أيضاً في الحبس :

وكَلّفتَني ما حُلتَ بيني وبينه وقلتَ سأبغي ما تريد وما تَهوى
فلو كان لي قلبانِ كَلّفتُ واحداً هواك وكَلّفت الخليّ لما يَهوى

قال : فأمر بإطلاقه .

حدّثني عمي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال قال حدّثني ابن أخت أبي خالد الحَرْبيّ قال :

قال لي الرشيد : احبس أبا العتاهية وضيّق عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق في الغزل كما كان يقول ؛ فحبسه في بيت خمسة أشبار في مثلها ؛ فصاح : الموت ،

(١) في الديوان : « وقد وقعت » .

أخرجوني، فأنا أقول كل ما شئتم؛ فقلت: قل، فقال: حتى أتنفس؛ فأخرجته وأعطيته دواة وقرطاساً؛ فقال أبياته التي أوّلها:

صوت

مَنْ لعبدٍ أذلّه مولاه   ما له شافعٌ إليه سِواهُ
يَشتكي ما به إليه ويخشا   ه ويرجوه مثلَ ما يخشاهُ

قال: فدفعتُها الى مَسرور الخادم فأوصلها، وتقدّم الرشيد الى إبراهيم الموصليّ فغنى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر، فلما أُحضر قال له: أنشدني قولك:

صوت

يا عُتبَ سيّدتي أما لكِ دِينُ   حتى متى قلبي لديك رَهينُ
وأنا الذَّلولُ لكلّ ما حمّلتِني   وأنا الشقيّ البائسُ المسكينُ
وأنا الغداةَ لكلّ باكٍ مُسعِدٌ   ولكلّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدينُ
لا بأس إنّ لذاك عندي راحةً   للصَّبّ أن يَلقى الحزينَ حزينُ
يا عُتبَ أين أفِرّ منك أميرتي   وعلي حِصنٌ من هواكِ حصينُ

— لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهشاميّ — فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم.

ولأبي العتاهية في الرشيد لما حبسه أشعارٌ كثيرة، منها قوله:

يا رشيدَ الأمرِ أرشِدْني الى   وجهِ نُجحي لا عدِمتَ الرَّشَدا
لا أراكَ اللهُ سوءاً أبداً   ما رأتْ مثلَكَ عينٌ أحدا
أعِنِ[1] الخائفَ وارحمْ صوتَه   رافعاً نحوَكَ يدعوكَ يَدا

(١) كذا في جميع النسخ والديوان ولعله: «آمن الخائف».

وا بـلائي من دعاوى أملٍ ... كلّما قلتُ تدانى بَعُـدا
كم أُمَنّي بغدٍ بعد غـدٍ ... يَنفَـدُ العمرُ ولم ألقَ غدا

زبيدة تنتصر له :

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيي : حدّثني عليّ بن مَهديّ قـال حدّثني الُحسين بن أبي السريّ قال :

مرّ القاسم بن الرشيد في موكِبٍ عظيم وكان من أتيَهِ الناس، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يزل قائماً حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت اليه؛ فقال أبو العتاهية :

يَتيه ابنُ آدمَ من جهلِهِ ... كأن رَحا الموت لا تَطحَنُهْ

فسمع بعضُ من في موكبه ذلك فأخبر به القاسمَ، فبعث الى أبي العتاهية وضربه مائة مِقرَعةٍ[١]، وقال له : يابْنَ الفاعلة ! أتُعرّض بي في مثل ذلك الموضع! وحبَسه في داره؛ فدسّ أبو العتاهية الى زُبيدة بنت جعفر، وكانت توجِب[٢] له [حقه[٣]]، هذه الأبيات :

حتى متى ذُو التِيـه في تِيهه ... أصلحـه الله وعافـاهُ
يَتيه أهلُ التِيه من جَهلهمْ ... وهم يموتون وإن تاهُوا
مَنْ طلب العزّ ليبقى بـه ... فإن عِـزّ المرء تَقواهُ
لم يعتصم بالله مِن خَلقِـه ... من ليس يَرجُوه ويَخشاهُ

وكتب اليها بحاله وضِيق حبسه، وكانت مائـلة اليه، فرقّت[٤] له وأخبرت الرشيدَ

(١) المقرعة : السوط .

(٢) يقال : أوجب لفلان حقه اذا راعاه .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) في بعض النسخ : «فرثت» .

بأمره وكلمته فيه، فأحضره وكساه ووصله، ولم يَرْضَ عن القاسم حتى بَرّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر اليه .

ونسخت من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال :

بعث الرشيد بالحَرَشيّ (١) الى ناحية المَوصل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع الى بعض جواريه، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به؛ فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شِبهُ الجنون، فقلتُ له : مالك وَيحك ! فقال لي : سبحان الله ! أيُدفع هذا المال الجليل الى امرأة، ولا تتعلق كفي بشيء منه ! . ثم دخل الى الرشيد بعد أيام فأنشده :

اللهُ هوّن عندك الدنيا وبَغَّضها إليكا
فأبيتَ إلّا أن تُصغِر كلّ شيء في يَديْكا
ما هانت الدنيا على أحدٍ كما هانت عَليكا

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين، ما مُدحتِ الخلفاء بأصدقَ من هذا المدح؛ فقال : يا فضل، أعطِه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده :

اذا ما كنتَ مُتَّخذاً خليلاً فمثل الفضلِ فاتّخِذِ الخليلا
يرى الشكرَ القليل له عظيماً ويُعطي من مَواهبه الجزيلا
أراني حيثما يَممتُ طرفي وجدت على مَكارمه دليلا

فقال له الفضل : والله لولا أن أساويَ أميرَ المؤمنين لأُعطيتُك مِثلها، ولكن سأُوصلها اليك في دفعات، ثم أعطاه ما أمر لها به الرشيد، وزاد له خمسةَ آلاف درهم من عنده .

---

(١) لعله سعيد الحرشي الذي كان معاصراً للرشيد والذي كان يقوم له بأعمال مهمة .

سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المبرّد قال حدّثني عبد الصمد بن المعذّل قال :

سمعت الأميرَ عليَّ بنَ عيسى بن جعفر يقول : كنت صبياً في دار الرشيد ، فرأيت شيخاً يُنشد والناس حوله :

ليس للإنسان إلّا ما رُزِقْ   أستعين اللهَ بالله أَثِقْ
عَلِق الهمُّ بقلبي كلِّه   وإذا ما عَلِق الهمّ عَلِقْ
بأبي مَن كان لي من قلبه   مَرّةً وُدٌّ قليلٌ فسُرِقْ
يا بني الإسلام فيكم مَلِكٌ   جامعُ الإسلام عنه يَفترِقْ
لنَدى هارونَ فيكم ولَهُ   فيكمُ صَوْبٌ هَطولٌ وورق
لم يزل هارون خيراً كلّه   قُتِل الشرُّ به يومَ خُلِقْ

فقلت لبعض الهاشميين : أمَا ترى إعجابَ الناس بشعر هذا الرجل ؟ فقال : يا بنيّ ، إن الأعناقَ لتُقطع دون هذا الطبع؛ قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهيـة ، والذي سأله إبراهيمَ بن المهديّ .

استعطاف :

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني عبد القويّ ابن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال :

---

(١) ورد هذا البيت في ديوانه (ص ٣١٤) هكذا :

يا بني العباس فيكم ملك   شعب الاحسان عنه تفترق

لبس أبو العتاهية كساءَ صوفٍ ودُرّاعةَ صوفٍ، وآلى على نفسه ألّا يقول شعراً في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييقِ عليه، فقال:

صوت

يابنَ عمِّ النبيِّ سمعاً وطاعهْ قد خلعْنا الكِساء والدُّرّاعه
ورجعْنا الى الصِناعة لمّا كان سُخْطُ الامام تَرْكَ الصِناعهْ

وقال أيضاً:

أما رَحِمتْني يومَ ولّت فأسرعتْ وقد تركتْني واقفاً أتلفّتُ
أقلّب طَرْفي كي أراها فلا أرى وأحلِب عيني دَرَّها وأُصوِّتُ

فلم يَزل الرشيد مُتوانياً في إخراجه الى أن قال:

أما واللهِ إنّ الظلم لومُ وما زال المُسيءُ هو الظَّلومُ
الى ديّانِ يومِ الدّين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ
لأمرٍ ما تصرّفت الليالي وأمرٍ ما تُوُلّيتِ(١) النُّجومُ
تموت غداً وأنت قريرُ عينٍ من الغفلات في لُججٍ تعومُ
تنام ولم تنمْ عنك المنايا تنبّهْ للمنيّة يا نَؤومُ
سَلِ الأيّامَ عن أممٍ تقضت ستُخْبِرك المَعالمُ والرُّسومُ
تَروم الخُلدَ في دار المنايا وكم قد رام غيرُك ما تَرومُ
ألا يأيّها الملك المُرجّى عليه نَواهضُ الدنيا تحومُ
أقِلْني زلّةً لم أجرِ منها الى لومٍ وما مثلي مَلومُ
وخلّصني تخلّص يومَ بعثٍ اذا للناس بُرّزت الجحيمُ

(١) تُوُلّيَت النجوم (بالبناء للمفعول): أي تولاها الله فتطلُع ثم تغيبُ بتأثير قدرته، ولا يصح بناء الفعل للفاعل الا مع ضرورة قبيحة وهي عدم حذف لام الفعل مع تاء التأنيث وقلبها ياءً.

فرقّ له وأمر بإطلاقه .

راي ابي نواس فيه :

نسخت من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني ابن أبي الأبيض قال :

أتيت أبا العتاهية فقلت له : إنّي رجل أقول الشعرَ في الزُّهد، ولي فيه أشعارٌ كثيرة، وهو مذهبٌ أستحسنه لأني أرجو ألا آثمَ فيه، وسمعت شعرك في هذا المعنى، فأحببتُ أن أستزيدَ منه، فأُحِب أن تُنشدني من جيّد ما قلتَ ؛ فقال : اعلم أنّ ما قلته رديء ؛ قلت : وكيف ! قال : لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشار وابن هَرْمة ، فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جُمهور الناس مثل شعري ، ولاسيا الأشعارُ التي في الزُّهد ، فانّ الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواةِ الشعر ولا طُلاب الغريب ، وهو مذهبٌ أشغفُ الناسِ به الزُّهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء اليهم ما فهموه ؛ فقلت : صدقتَ . ثم أنشدني قصيدتَه :

لِدُوا للموتِ وأبنُوا للخرابِ ... فكلُّكم يَصيرِ الى تَبابِ[1]
ألا يا موتُ لم أر منك بُدّاً ... أتيتَ وما تَحيف وما تُحابي
كأنّك قد هجمتَ على مشيبي ... كما هجم المشيبُ على شَبابي

قال : فصِرتُ الى أبي نواسَ فأعلمته ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر ، فصرت اليه فأخبرته بقول أبي نواس ، فأنشدني قصيدتَه التي يقول فيها :

---

(١) التباب : الهلاك .

طُولُ التَّعاشُرِ بينَ الناسِ مَملولُ ما لابنِ آدم إن فتَّشتَ معقولُ
يا راعيَ الشاءِ[1] لا تُغفِلْ رِعايتها فأنت عن كلّ ما استُرعيتَ مسؤولُ
إني لفي منزلٍ ما زلتُ أعمره على يقينٍ بأني عنه منقولُ
وليس من موضعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ إلّا وللموت سيفٌ فيه مَسلولُ
لم يُشغَلِ الموتُ عنا مذ أُعِدّ لنا وكلّنا عنه باللذات مَشغولُ
ومن يمتْ فهو مَقطوعٌ ومُجتنَبٌ والحيّ ما عاش مَغشِيٌّ ومَوصولُ
كلُّ ما بدا لك فالآكالُ فانيةٌ وكلُّ ذي أُكُلٍ لا بُدّ مأكولُ

قال: ثم أنشدني عدّةَ قصائد ما هي بدون هذه، فصرتُ الى أبي نواس فأخبرته؛ فتغيّر لونُه وقال: لم خبّرته بما قلتُ! قد والله أجاد! ولم يقل فيه سوءاً.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثني علي ابن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سَعدان مولى البَجَليين قال:

كنت مع أبي نواس قريباً من دُور بني نِيبَخت بنهر طابِق[2] وعنده جماعة، فجعل يمرّ به القوّاد والكتّاب وبنو هاشم فيسلّمون عليه وهو متّكىء ممدودُ الرجل لا يتحرّك لأحدٍ منهم، حتى نظرنا اليه قد قبض رِجليه ووثَب وقام الى شيخٍ قد أقبل على حمار له، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يحادثه، فلم يزل واقفاً معه يُراوح بين رجليه يرفع رجلًا ويضع أخرى، ثم مضى الشيخ ورجع الينا أبو نواس وهو يتأوّه؛ فقال له بعضُ من حضر: والله لأنت أشعرُ منه؛ فقال: والله ما رأيته قط إلا ظننت أنه سماء وأنا أرض.

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثني السَّريّ بن الصَّبّاح مولى ثَوْبان بن عليّ قال:

---

(١) في الديوان: «يا راعي النفس».
(٢) نهر طابق: محلة كانت ببغداد من الجانب الغربي.

كنت عند بشّار فقلت له : من أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُخنَّث أهل بغداد (يعني أبا العتاهية) .

تعزيته المهدي :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخَزْرَجيّ الشاعر قال حدّثني عبد الله بن أيوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال :

ماتت بنتُ المهديّ فحزن عليها حُزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب فقلت أبياتاً أعزّيه بها — فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدّ من الصبر على ما لا بدّ منه ، ولئن سَلَوْنا عمن فقدنا ليسلُوَنّ عنّا من يَفقِدنا ، وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلا أبلَياه ؛ فلما سمعتُ هـذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أنشدك ؟ قال : هات ؛ فأنشدته :

ما للجديدَين لا يَبلى اختلافهما　　وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا من سلا عن حبيبٍ بعد مِيتته　　كم بعد موتك أيضاً عنك من سالي
كأنّ كلّ نعيم أنت ذائقُـه　　من لذة العيش يحكي لُمعةَ الآلِ
لا تَلعبَنّ بك الدنيا وأنت ترى　　ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأمثالِ
ما حيلةُ الموت إلا كلّ صالحةٍ　　أوْلا فما حيلةٌ فيه لمحتـالِ

فقال لي : أحسنتَ ويحك ! وأصبتَ ما في نفسي ووعظتَ وأوْجزت ! ثم أمر لي لكلّ بيتٍ بألف درهم .

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني أحمد بن خلّاد قال حدّثني أبي قال :

لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قل شعراً في الغزَل ؛ فقال :

لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه . وأمر إبراهيمَ المَوْصليّ أن يغنّي ؛ فقال : لا أغنّي بعد موسى أبداً ، وكان مُحسناً اليهما ، فحبسه . فلما شخص الى الرَّقّة حفر لهما حَفيرة واسعةً وقطعَ بينهما بحائطٍ ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغنّي هذا ؛ فصبرا على ذلك بُرْهةً . وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفرُ بن يحيي معه ، فغنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طرَباً شديداً ، وكان بيتاً واحدا ؛ فقال الرشيد : ما كان أحوجه الى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغناء فيه فنستمتع مدةً طويلةً به ! فقال له جعفر : قد أصبته ؛ قال : مِن أين ؟ قال : تبعَث الى أبي العتاهية فيُلحِقه به لقدرته على الشعر وسرعته ؛ قال : هو أنكدُ من ذلك ، لا يُجيبنا وهو مَحبوس ونحن في نعيم وطربٍ ؛ قال : بلى ، فاكتب اليه حتى تعلمَ صحة ما قلتُ لك ؛ فكتب اليه بالقصة وقال : أَلحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً ؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

شُغِلَ المسكينُ عن تلك المِحَنْ　　فارقَ الرُّوحَ وأخلى من بَدَنْ
ولقد كُلِّفتُ أمراً عجباً　　أَسألُ التَّفريحَ[1] من بيت الحَزَنْ

فلما وصلتْ قال الرشيد : قد عرّفتك أنه لا يفعل ؛ قال : فتُخرجه حتى يفعل ؛ قال : لا ! حتى يشعر ، فقد حلفت . فأقام أياماً لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : الى كم هذا تُلاحُ الخلفاء ! هلمّ أَقُلْ شعراً وتُغنِّ فيه ؛ فقال أبو العتاهية :

بأبي من كان في قلبي له　　مرّةً حبٌّ قليلٌ فسُرِقْ
يا بني العبّاس فيكم ملِكٌ　　شُعَبُ الإحسان منه تفترِقْ
إنما هارونُ خيرٌ كلُّه　　مات كلّ الشرّ مُذْ يوم خُلِقْ

وغنّى فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد ، فأنشده أبو العتاهية وغنّاه إبراهيم ، فأعطى كلَّ واحد منهما مائةَ ألف درهم ومائةَ ثوب .

---

(١) في بعض النسخ «التفريج» .

حدّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسن بن يحيي عن عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع ، فقال فيه : غضب الرشيد على جاريةٍ له فحلف ألّا يدخُل اليها أياماً ، ثم ندِم فقال :

صَدَّ عنّي إذ رآني مفتتَنْ وأطال الصدَّ لمّا أن فَطِنْ
كان مملوكي فأضحى مالكي إنّ هذا من أعاجيب الزَّمَنْ

وقال لجعفر بن يحيي : اطلب لي مَنْ يَزيدُ على هذين البيتين ؛ فقال له : ليس غيرُ أبي العتاهية ؛ فبعث اليه فأجاب بالجواب المذكور ، فأمر بإطلاقه وصِلَتِه ؛ فقال : الآن طاب القولُ ؛ ثم قال :

عِزّةُ الحبّ أرته ذِلّتي في هواه وله وجهٌ حَسَنْ
ولهذا صِرتُ مملوكاً له ولهذا شاعَ ما بي وعَلَنْ

فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي ، وأضعفَ صِلته .

ذمه الناس :

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيي : قال حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني الهيثم بن عثمان قال حدّثني شَبيب بن منصور قال :

كنتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد ، فاذا رجل بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف ، وجعل الناسُ يُسلِّمون عليه ويسائلونه ويُضاحكونه ، ثم وقف في الموقف ، فأقبل الناس يَشكون أحوالَهم : فواحد يقول : كنت مُنقطعاً الى فلان فلم يصنع بي خيراً ، ويقول آخر : أمّلت فلاناً فخاب أملي وفعل بي ، ويشكو آخرُ مِن حاله ؛ فقال الرجل :

فَتّشتُ ذي الدنيا فليس بها أحدٌ أراه لآخرٍ حامدْ
حتى كأنّ الناسَ كلّهم قد أُفرِغوا في قالَبٍ واحدْ

فسألت عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

بينه وبين سلم الخاسر :

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبن مَهرويَه قال حدّثني أحمد بن خلّاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال :

أنشِد المأمونُ بيتَ أبي العتاهية يخاطب سَلماً الخاسر :

تَعالى الله يا سَلمَ بنَ عمرو أذلّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون : إن الحرص لَمفسِد للدِّين والمروءة ، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطّ حِرصاً ولا شَرَهاً فرأيت فيه مُصطَنَعاً . فبلغ ذلك سَلماً فقال : ويلي على المخنّث الجرّار الزنديق ! جمع الأموالَ وكنزها وعَبّأ البدورَ[1] في بيته ثم تَزهّد مُراءاةً ونفاقاً فاخذ يهتِف بي إذا تصدّيتُ للطلب .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العنزيّ قال حدّثني محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكيّ قال حدّثني العبّاس بن عبيد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مِسمَع قال :

كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد ، فقال قُثَم : يا عبّاس ، أطلب الساعةَ الجمّاز حيث كان ، ولك عندي سَبَق[2] ؛ فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجِبِ الأمير ؛ فقام معي حتى أتى قُثَم ، فجلس في ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية يُنشده ؛ فأنشأ الجمّاز يقول :

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ يُزَهّد الناسَ ولا يَزْهَدُ

---

(١) البدور : جمع بدرة ، والبدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٢) أصل السبق (بالتحريك) الخطر يوضع بين أهل السباق وهو ما يتراهنون عليه .

لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ
يخاف أن تنفَد أرزاقُه والرزقُ عند الله لا ينفَدُ
والرزقُ مقسومٌ على من ترى يناله الأبيضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية اليه فقال : من هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز وهو ابن أخت سَلْم الخاسر اقتصّ لخاله منك ؛ فأقبل عليه وقال : يابن أخي ، إني لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظنّ خالك ، ولا أردتُ أن أهتِف به ؛ وإنما خاطبته كما يخاطب الرجلُ صديقَه ، فالله يغفر لكما ، ثم قام .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْريّ عن أبيه قال :

كنت عند مُخارق فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة ، فقال : لي حاجةٌ وأريد الصلاةَ ؛ فقال مُخارق : لا أبرح حتى تعود ؛ قال : فرجع وطرح ثيابَه ، وهي صوفٌ ، وغسل وجهه ، ثم قال له غنّني :

صوت

قال لي أحمدُ ولم يدر ما بي أتحبّ الغداةَ عُتبةَ حقّاً
فتنفّستُ ثم قلت نعم حُباً جرى في العروق عِرقاً فعِرقا

فجذَب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غنّاه ، فاستعاده ثلاثَ مرّات فأعاده عليه ، ثم قام وهو يقول : لا يَسمع والله هذا الغناء أحدٌ فيُفلح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مُهرويه عنه .

وحدّثنا به أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيي عن ابن مَهرويه عن ابن عمّار قال حدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حسّان الضّبّيّ قال حدّثنا مخارق قال :

لقيني أبو العتاهية فقال : بلغني أنك خرّجت قولي :

قال لي أحمدُ ولم يدرِ ما بي   أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حقاً

فقلت : نعم ؛ فقال : غنِّه ، فملتُ معه إلى خرابٍ ، فيه قوم فقراء سكّان، فغنّيته إياه ، فقال : أحسنتَ والله ! منذ ابتدأتَ حتى سكتَّ ؛ ثم قال لي : أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب !.

تبخيله الناس :

أخبرني جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال :

قال مُخارق : لقيتُ أبا العتاهية على الجسر، فقلتُ له : يا أبا إسحاق، أتنشدني قولك في تبخيلك الناسَ كلّهم ؟ فضحك وقال لي : ها هنا ؟ قلت : نعم ؛ فأنشدني :

إن كنتَ مُتَّخذاً خليلا   فتنَقَّ وانتقِدِ الخليلا
من لم يكن لك مُنصِفاً   في الودّ فابغِ به بديلا
ولربّما سُئِلَ البخيلُ   الشيءَ لا يَسوى فَتيلا
فيقول لا أجدُ السبيلَ   اليه يَكره أن يُنيلا
فلذاك لا جعَلَ الإلهُ   له إلى خيرٍ سبيلا
فاَضربْ بطَرفك حيث شئتَ   فلن ترى إلا بخيلا

فقلتُ له : أفرطتَ يا أبا إسحاق ؛ فقال : فديتُك ، فأكذبني بجوادٍ واحد ؛ فأحببتُ موافقته ، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد ؛ فقبّل بين عينيّ وقال : فديتُك يا بنيّ ، لقد رُفقتَ حتى كِدتَ تُسرف .

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني هارون بن مُخارق قال :

كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي : يا بنيّ ، حدّثني فإن ألفاظك تُطرِب كما يُطرب غِناؤك .

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ قال حدّثني أبو هفّان قال حدّثني موسى بن عبد الملك قال :

كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلما خدَم المأمونَ وخُصّ به رأى منه أبو العتاهية جفوة ، فكتب اليه :

أبا جعفر إنّ الشريفَ يَشينه تَتايُهُه على الأخلّاء بالوَفْرِ
ألم تر أن الفقر يُرجى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقرِ
فإن نِلتَ تِيهاً بالذي نلتَ من غنًى فإن غِنايَ في التجمّل والصبرِ

قال : فبعث اليه بألفي درهم، وكتب اليه يعتذر مما أنكره .

طرائفه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثني إبراهيم بن أحمد ابن إبراهيم الكوفيّ قال حدّثني أبو جعفر المَعبَديّ قال :

قلت لأبي العتاهية : أجِز لي قولَ الشاعر :

وكان المال يأتينا فكنا نُبذّره وليس لنا عقولُ
فلمّا أن تولّى المـالُ عنّا عَقَلنا حين ليس لنا فُضولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان :

فقصِّر ما ترى بالصّبر حقّاً فكلٌّ إن صبرتَ له مُزيلُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويَه قال حدّثني الحسن بن الفضل الزّعفَرانيّ قال : حدّثني من سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضِب عليه : اذهبْ فإنك ثقيل الظلّ جامد الهواء .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبن مَهرويه قال حدثني يحيى بن خليفة الرّازي قال حدّثنا حَبيب بن الجَهْم النُّميريّ قال :

حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتنجّزاً جائزتي وفَرضي، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي، فإذا عَونٌ حاجبُهُ قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يُسلِّم عليك وقد قدِم من مكة؛ فقال : أَعفِني منه الساعةَ يشغَلُني عن ركوبي ؛ فخرج اليه عَونٌ فقال : إنه على الرّكوب الى أمير المؤمنين ؛ فأخرج من كُمِّه نعلاً عليه شراكٌ فقال : قل له إن أبا العتاهية أهداها اليك جُعِلت فداءك . قال : فدخلت بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقلت : نعل وعلى شِراكها مكتوبٌ كتاب ؛ فقال : يا حَبيب، أقرأ ما عليها ؛ فقرأته فإذا هو :

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسها قَرْمٌ[١] بها يمشي الى المجد
لو كان يَصلح أن أُشرِّكها[٢] خدّي جعلتُ شِراكها خدّي

فقال لحاجبه عَون : أحملها معنا فحملها ، فلما دخل على الأمين قال له : يا عبّاسيّ، ما هذه النّعل ؟ فقال : أهداها اليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أَولى بلبسها لما وُصف به لابسُها ؛ فقال : وما هما ؟ فقرأهما ؛ فقال : أجاد والله ! وما سبقه الى هذا المعنى أحد ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأُخرجتْ والله في بَدْرة وهو راكب على حماره ، فقبضها وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدثنا عمروس صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية قال :

كان أبو العتاهية من أقلّ الناسِ معرفةً ، سمعتُ بِشراً المَرِيسيّ يقول له :

---

(١) القرم (بالفتح) : السيد أو العظيم، سمي بذلك لتشبيه بالفحل من الإبل . ويروى «لتلبسها قدم بها تمشي» .

(٢) أشركها : أجعل لها شراكاً، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

يا أبا إسحاق، لا تُصلِّ خلفَ فلانٍ جارِكَ وإمامِ مسجدِكم فإنه مُشَبِّه[1]؛ قال: كلا! إنه قرأ بنا البارحةَ في الصلاة: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ»؛ واذا هو يظنّ أن المشبِّه لا يقرأ «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ».

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال حدثني أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال:

كتب بَكر بن المُعتمِر الى أبي العتاهية يشكو اليه ضِيقَ القَيد وغمّ الحبس، فكتب اليه أبو العتاهية:

هي الأيّام والعِبَرُ وأمرُ الله يُنتظَرُ
أتيأس أن ترى فرجاً فأين اللهُ والقَدَرُ

ذمه الخيلاء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثنا أحمد بن عُبيد بن ناصح قال:

كنت أمشي مع أبي العتاهية يدُه في يدي وهو متكئ عليّ ينظر الى الناس يذهبون ويجيئون، فقال: أما تَراهم هذا يَتيه فلا يتكلّم، وهذا يتكلّم بصَلَفٍ؟! ثم قال لي: مَرّ بعض أولاد المهلّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ فقال: يا بنيّ، لو خَفّضتَ بعضَ هذه الخُيَلاء ألم يكن أحسن بك من هذه الشُّهرة التي قد شهرت بها نفسك؟! فقال له الفتى: أو ما تعرف مَن أنا! فقال له: بلى! والله

(١) المشبه: الذي يرى رأي المشبهة وهم فرقة من الشيعة يقولون: إن معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية وإما جسمانية، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن؛ وقد حكي أن جماعة منهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا والآخرة اذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد الى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض.

أعرفك معرفة جيدة، أولك نطفة مَذِرة[1]، وآخرك جيفة قذِرة، وأنت بين ذينك حامل عَذِرة؛ قال: فأرخى الفتى أذنيه وكفّ عما كان يفعل وطأطأ رأسه ومشى مُسترسِلاً. ثم أنشدني أبو العتاهية:

أيا واهاً لذِكر الله يا واهاً له واها
لقد طَيَّب ذِكرُ الله بالتسبيح أفواها
فيا أنتنَ من حشٍّ[2] على حشٍّ إذا تاها
أرى قوماً يتيهون حُشوشاً[3] رُزِقوا جاها

حدّثني اليزيديّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال:

قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا: يا أبا إسحاق، شعرُك كلُّه حسنٌ عجيب، ولقد مرّت بي منذُ أيام أبياتٌ لك استحسنتها جداً، وذلك أنها مقلوبةٌ أيضاً، فأواخِرُها كأنها رأسُها، لو كتبها الانسان الى صديق له كتاباً والله لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعراً. قال: وما هي؟ قلت:

المرءُ في تأخيرِ مُدّتِهِ كالثوب يَخلَق بعد جِدّتِهِ
وحياتُه نَفَسٌ يُعَدّ له ووفاتُه استكمالُ عِدّته
ومصيرُه من بعد مُدّته لِبِلًى[4] وذا من بعد وَحْدته
من مات مالَ ذوو مودّته عنه وحالوا عن مودّته
أزِفَ الرحيلُ ونحنُ في لَعِبٍ ما نستعِدّ له بعُدّته
ولقلّما تُبقي الخطوبُ على أشرِ الشبابِ وحرّ وَقْدته

---

(١) مذرة: قذرة.

(٢) الحش (بتثليث أوّله): النخل المجتمع، ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عادتهم التغوّط في البساتين، والجمع: حشوش. وفي ديوان أبي العتاهية: «... من زبل على زبل ...».

(٣) في الديوان: «بهاما».

(٤) في ديوانه ص ٥٦ طبع بيروت هكذا: «بَلِيا».

عَجَباً لمنتبهٍ يُضيِّع ما يحتاج فيه ليوم رَقْدته

قال اليزيديّ: قال عمي وحدّثني الحسين بن الضحّاك قال:

كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يا بني النقص والغِيَرْ وبني الضعف والخَوَرْ

فلما فرَغ منها قال لي: يا أبا عليّ، والله لكأنها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية).

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني حُذَيْفَة بن محمد الطائيّ قال حدّثني أبو دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ قال:

حَجَجت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابيّ في ظل مِيلٍ(١) وعليه شَمْلة(٢) اذا غطى بها رأسه بدت رِجلاه، وإذا غطّى رجليه بدا رأسه؛ فقال له أبو العتاهية: كيف آخترت هذا البلدَ القفر على البلدان المخصبة؟ فقال له: يا هذا، لولا أنّ الله أقنع بعضَ العباد بشرّ البلاد، ما وَسع خيرُ البلاد جميعَ العباد؛ فقال له: فمن أين مَعاشُكم؟ فقال: منكم معشرَ الحاجّ: تمرّون بنا فننال من فُضولكم، وتنصرفون فيكون ذلك؛ فقال له: إنما نمرّ ونَنصرف في وقت من السنة، فمن أين معاشُكم؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال: لا والله لا أدري ما أقول إلا أنّا نُرزق من حيث لا نَحتسب أكثرَ مما نُرزق من حيث نَحتسب؛ فولى أبو العتاهية وهو يقول:

ألا يا طالبَ الدنيا دعِ الدنيا لشانيكا
وما تصنعُ بالدنيا وظلُّ المِيل يَكفيكا

---

(١) الميل: منار يبنى للمسافر في أنشاز الارض وأشرافها.

(٢) الشملة: كساء يحمل دون القطيفة.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال :

لما قال أبو العتاهية :

تعالى اللهُ يا سَلْمُ بنَ عَمرو أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال سَلْم : ويلي على ابن الفاعلة ! كنزَ البدور ويزعمُ أني حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين .

أخبرني محمد بن مَزْيد والحرميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمرو بن أذْجع قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العُمَريّ وسمعته يتمثّل كثيراً من شعر أبي العتاهية : أشهدُ أني سمعته يُنشد لنفسه :

موتَ اليومَ شاطِرهْ بَضّةَ الجسم ساحِرهْ
إنّ دُنيا هي التي موتَ اليومَ سافرهْ
سرقوا نصفَ إسمها فهي دنيا وآخرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكله اللهُ الى آخرتها . قال : وما سُمع بعد ذلك بيت يتمثّل به من شعره .

قال عليّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عُيَيْنة المُهلّبي ، وكان يُشبّب بدنيا في شعره ، فإما أن يكون الخبرُ غلطاً وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمَريّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنها ليست له .

مقارنة :

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال :

قال الحِرْمازيّ : شهدتُ أبا العتاهية وأبا نُواس في مجلس ، وكان أبو العتاهية

أسرعَ الرجلين جواباً عند البديهة ، وكان أبو نواس أسرَعهما في قول الشعر ؛ فإذا تعاطَيا جميعا السرعةَ فضَله أبو العتاهية ، وإذا توقفا وتمهّلا فضله أبو نواس .

أخبرني أحمد بن العبّاس بن عُليل العنَزيّ قال حدّثنا أبو أنس كُثيرُ بن محمد الِحزاميّ قال حدثني الزُّبير بن مَعروف العامِليّ قال :

قال أبو العتاهية: كنتُ مُنقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابنُ أبي جعفر المنصور ، فأصبتُ في ناحيته مائةَ ألف درهم ، وكان لي وَدوداً وصديقاً ، فجئته يوماً ، وكان لي في مجلسه مَرتبةٌ لا يجلس فيها غيري ، فنظرتُ اليه قد قصّر بي عنها ، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك ، ورأيت نظرَه إليّ ثقيلاً ، فنهضت وقلت :

أراني صالحٌ بُغضاً فأظهرتُ له بُغضا
ولا والله لا ينقُض إلا زدتُه نَقضا
وإلا زدتُه مَقتاً وإلا زدته رَفضا
ألا يا مُفسِدَ الودّ وقد كان له مَحضا
تغضّبتَ من الريح فما أطلُب أن تَرضى
لئن كان لك المالُ المُصفّى إنّ لي عِرْضا

قال أبو العتاهية : فنُمِي الكلامُ الى صالح فنادى بالعَداوة؛ فقلت فيه :

مَدَدتُ لمُعرِضٍ حبلا طويلا كأطولِ ما يكون من الِحبالِ
حبالٌ بالصَّريمة ليس تَفنى مُوَصّلةٌ على عَدد الرمالِ
فلا تنظُر إليّ ولا تُردني ولا تُقرِب حبالَك من حبالي
فليت الرَّدْمَ(١) من يأجوجَ بيني وبينَك مُثبتاً أخرى الليالي

(١) الردم : سدّ يأجوج ومأجوج .

فكَرِّشْ[١] إن أردتَ لنا كلاماً ونقطع قِحْفَ[٢] رأسِك بالقَذال[٣]

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدّثنا عليُّ بن سليمان النّوفَليّ قال: قال مُساوِر السبَّاق . وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير عن مُساوِر السبَّاق قال :

شَهِدتُ جنازةً في أيام الحاجّ وقت خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفَخّ[٤]، فرأيت رجلًا قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر: هذا الرجل الذي صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية ! فالتفتُّ اليه فقلت له : أنت أبو العتاهية ؟ فقال : لا، أنا أبو إسحاق؛ فقلت له ؛ أنشدْني شيئاً من شعرك، فقال لي: ما أحمقك ! نحن على سَفرٍ وعلى شَفِير قَبْر، وفي أيام العشر، وبلدكم هذا تَستنشدني الشعر ! ثم أدْبر عنّي ثم عاد إليّ فقال : وأخرى أزيدُكها، لا والله مـا رأيتُ في بني آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً ! .

قال النوفليّ في خبره : وصدق أبو العتاهية، كان مُساوِر هـذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنه ينظر في سيف.

عتاب حاجب :

أخبرني عمي الحسن بن محمد وَجَحظَة قالا حدّثنا مَيمونُ بن هارونَ قال :

قدِم أبو العتاهية يوماً منزلَ يحيى بن خاقان، فلما قام بادر له الحاجبُ فانصرف،

---

(١) كرّش الرجل : قطب وجهه .

(٢) القحف : العظم فوق الدماغ، انفلق من الجمجمة فبان .

(٣) القذال : جماع مؤخر الرأس ما بين نقرة القفا الى الأذن، ويروى : «بالقتال» .

(٤) فخ : واد بمكة . وهو فيما قيل : وادي الزاهر .

وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل فسلّم عليه ودخل الى منزله ولم يأذن له، فأخذ قِرطاساً وكتب إليه :

أراكَ تُراعُ حين ترى خيالي   فما هذا يَروعك من خيالي
لعلّك خائفٌ مني سؤالي   ألا فلكَ الأمانُ مِن السؤالِ
كفَيتُك إنّ حالَك لم تَمِل بي   لأطلبَ مثلَها بَدَلا بحالي
وإنّ اليُسرَ مثلُ العسر عندي   بأيّهما مُنيتُ فلا أبالي

فلما قرأ الرُّقعةَ أمرَ الحاجبَ بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه ولم يَلتقيا بعد ذلك .

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال :

اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أذَين، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشمقمق شرٌ فخبّئوه من أبي العتاهية في بيت، ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه[1] تأنيثٌ فظنّ أنّه جارية ، فقال لابن أذَين : متى استظرفتَ هذه الجاريةَ ؟ فقال : قريباً يا أبا إسحاق، فقال : قل فيها ما حضَر، فمدّ أبو العتاهية يدَه اليه وقال :

مددتُ كفّي نحوكم سائلاً   ماذا تردّون على السائلِ

فلم يَلبَث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت :

نردُّ في كفّك ذا فيشَةٍ   تَشفي جوًى في اسْتِك من داخلِ

فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ! وقام مُغضَباً .

---

(١) فيه تأنيث : لِينٌ وتخنّثٌ .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمار قال حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال حدّثني سليمانُ بن عَبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال :

كنّا عند جعفر بن يحيي وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر : جعلني الله فداكَ، معكم شاعرٌ يُعرَف بابن أبي أميّة أحبّ أن أسمعه يُنشِد؛ فقال له جعفر : هو أقربُ الناس منك؛ فأقبل أبو العتاهية على محمد، وكان الى جانبه، وسأله أن يُنشِدَه فكأنّه حَصِر ثم أنشده :

صوت

رُبّ وعدٍ منك لا أنساه لي أوجبَ الشكرَ وإن لم تفعلِ
أقطعُ الدهرَ بوعدٍ حسنٍ وأجلّي غمرةً ما تنجلي
كلّما أمّلتُ وعداً صالحاً عرض المكروهُ دونَ الامل
وأرى الأيّامَ لا تُدنِي الذي أرتجي منك وتُدنى اجلي

— في هذه الأبيات لأبي حَبَشة رَمَلٌ — قال : فأقبل أبو العتاهية يُردّد البيت الأخير ويُقبّل رأسَ ابن أبي أميّة ويَبكي، وقال : وَدِدتُ والله أنه لي بكثير من شِعري .

أخبرني حبيبُ بن نَصر قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال :

كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما « لله »، والأخرى « بالله » ؛ فخطب منصورُ بن المهديّ « لله » فلم يُزوّجه، وقال : إنما طلبها لأنها بنتُ أبي العتاهية، وكأنّي بها قد مَلّها فلم يكن لي الى الانتصافِ منه سبيلٌ، وما كنت لأزوّجها إلا بائعَ خزَفٍ وجِرارٍ، ولكني أختاره لها مُوسِراً .

ابنه شاعر :

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقالُ له محمد وكان شاعراً، وهو القائل :

قد أفلح السالمُ الصَّموتُ كلامُ راعِي الكلامِ قُوتُ
ما كلّ نُطقٍ له جوابٌ جواب ما يُكره السكوتُ
يا عجباً لأمرئٍ ظلومٍ مستيقنٍ أنه يموت

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدّثنا زكريا بن الحسين[1] عن عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال :

قلت لأبي العتاهية : أنشِدني من شعرك ما تستحسن فأنشدني :

ما أسرعَ الأيّام في الشّهرِ وأسرعَ الأشهُرَ في العُمر

صوت

ليس لمن ليستْ له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصَّبرِ
فاخطُ مع الدهر إذا ما خطا وأجرِ مع الدهر كما يجري
من سابَق الدهرَ كبا كبْوةً لم يَستقِلها آخرَ الدهر

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ وثقيلٌ أوّل .

قال عبد الله بن الحسن : وسمعت أبا العتاهية يُحدّث قال : ما زال الفضل بن الربيع من أميلِ الناس إليّ ، فلما رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت اليه ، فأستنشدني فأنشدتُه :

أفنيتَ عمرَك إدباراً وإقبالا تبغي البنين وتبغي الأهلَ والمالا

(١) في حـ : « الحسن » .

الموتُ هولٌ فكن ما شئتَ ملتمِساً   من هولِه حيلةً إن كنتَ محتالا
ألم ترَ الملكَ الأمسيَّ حين مضى   هل نالَ حيٌّ من الدنيا كما نالا
أفناه من لم يزل يُفني القرونَ فقدْ   أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا
كم من ملوكٍ مضى ريبُ الزمان بهم   فأصبحوا عِبَراً فينا وأمثالا

فاستحسنها وقال: أنت تعرف شُغلي، فَعُدْ إليّ في وقت فراغي أقعدْ معك وآنسْ بك؛ فلم أزلْ أراقِب أيّامه حتى كان يومُ فراغه فصِرتُ إليه، فبينما هو مُقبِلٌ عليّ يستنشدني ويسألني فأحدّثه إذ أنشدته:

ولّى الشبابُ فما له من حيلةٍ   وكسا ذُؤابَتيَ المشيبُ خِمارا
أينَ البرامكةُ الذين عهدتُهم   بالأمس أعظمَ أهلِها أخطارا

فلما سمع ذكرى البرامكة تغيّر لونُه ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه فما رأيت منه خيراً بعد ذلك.

قال: وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديثَ ابنَ الحسن بن سهل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضرّك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا، فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم، فلم يزل يَقبلها دارّةً الى أن مات.

قال عبد الله بن الحسن بن سهل، وسمعت عمرو بن مسعدة يقول: قال لي أخي مُجاشع: بينا أنا في بيتي إذ جاءتني رُقعةٌ من أبي العتاهية فيها:

خليلٌ لي أكاتِمه   أراني لا ألائمُهْ
خليلٌ لا تهبّ الريـح إلا هبّ لائمُهْ
كذا من نال سلطاناً   ومن كثُرت دراهمُهْ

قال: فبعثتُ إليه فأتاني فقلت له: أما رعيتَ حقّاً ولا ذِماماً ولا مودّةً! فقال لي: ما قلت سوءاً؛ قلت: فما حملك على هذا؟ قال: أغيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسألُ عني ولا تبعثُ إليّ رسولاً فقلت: يا أبا إسحاق، أنسيتَ قولك:

يأبى المُعلَّق بالمُنى ... إلّا رَواحاً وادّلاجا
أرْفِقْ فعُمركَ عودُ ذي ... أوَدٍ رأيتُ به اعوجاجا
مَنْ عاج من شيء الى ... شيء أصاب له مَعاجا

فقال: حسبُكَ! حسبُكَ! أوسَعتَني عذرا.

بينه وبين ابن مناذر:

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ الزّرّاع قال قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن عبد الصَّمد الزّرّاع قال حدّثنا ابن عائشة قال:

قال ابو العتاهية لابن مُناذر[1]: شعرك مُهجَّن لا يَلحَق بالفحول وأنت خارجٌ عن طبقة المُحدَثين، فان كنت تَشبَّهت بالعَجّاج ورُؤبة فما لحِقتَهما ولا أنت في طريقهما، وإن كنتَ تذهب مَذهبَ المُحدثين فما صنعتَ شيئاً؛ أخبِرْني عن قولك: ومن عاداك لاقى المرمريسا[2]

أخبِرْني عن المرمريس ما هو؟ قال: فخجل ابن مناذر وما راجعه حَرْفاً. قال: وكان بينهما تَناغُر[3].

---

(١) في شرح القاموس مادة «نذر» ما نصه: «وابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف ويضم فيصرف قال الجوهريّ: هو محمد بن مناذر شاعر بصري فمن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع منذر لانه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه» اهـ. وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة ليدن) ما يؤكد أنه بالضم لا غير قال: «ذكر المبرد أن محمد ابن مناذر الشاعر كان اذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب ويقول: أمناذر الكبرى أم مناذر الصغرى وهما كورتان من كور الأهواز، انما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب» وقد ورد في المشتبه في أسماء الرجال للذهبيّ (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضاً.

(٢) المرمريس: الداهية.

(٣) التناغر: التناكر.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيي قال حدّثني الحسين بن إسماعيل المهديّ قال حدّثني رَجاء بن سَلَمة قال :

وَجد المأمونُ عليّ في شيء ، فاستأذنته في الحجّ فأذِن لي ، فقدِمتُ البصرةَ وعُبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ عليها واليه أمرُ الحجّ، فزاملتُه إلى مكة، فبينا نحن في الطواف رأيت أبا العتاهية ؛ فقلت لعبيد الله : جُعِلتُ فِداك ! أتُحب أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إني لأُحبّ أن أراه وأُعاشره ؛ قلت : فأفرُغ من طوافك وأخرج ، ففعل . فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف ، قال : وكيف لي ذلك ! فأخذت بيده فجئت به الى عُبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك في بيتين تُجيزهما ؟ فقال له عُبيد الله : إنه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ في الحجّ ؛ فقال له : لا نرفُث ولا نفسُق ولا نجادل ؛ فقال : هاتِ إذاً ؛ فقال أبو العتاهية :

إنّ المَنون غدوَّها ورَواحها   في الناس دائبة تُجيل قِداحها
يا ساكنَ الدنيا لقد أوطنتَها   ولتَنْزِحنّ وإن كرِهتَ نِزاحها

فأطرَق عُبيد الله ينظُر الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال :

خُذْ لا أبا لك للمنيّة عُدّةً   وأحتَلْ لنفسك إن أردتَ صلاحَها
لا تغترِرْ فكأنّني بعُقاب رَيْبِ الموت قد نشرَتْ عليك جناحَها

قال : ثم سمعت الناس يَنحلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلّها ، وليس له إلا البيتان الأوّلان .

قصته في السجن مع داعية عيسى بن زيد :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا مَيمون بن هارون قال حدّثني إبراهيم ابن رَباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله . وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا

هارون بن مُخارِق قال حدّثني إبراهيم بن دَسكَرة . وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن سُليمان بن أبي شَيخ قال :

قال أبو العتاهية : حبسني[١] الرشيدُ لما تركتُ قولَ الشعر ، فأُدخلتُ السجنَ وأُغلِق البابُ عليّ ، فدهِشت كما يدهَش مثلي لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مُقيّد ، فجعلت أنظر اليه ساعةً ، ثم تمثّل :

صوت

تَعوّدتُ مُرَّ الصبر حتى أَلِفتُـهُ   وأسلمني حسنُ العَزاء إلى الصبرِ
وصيّرني يأسي من النـاس راجياً   لُحسن صنيع الله من حيثُ لا أدري

فقلت له : أَعِدْ ، يرحمك اللهُ ، هذين البيتين ؛ فقال لي : ويلك أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبَك وأقلَّ عقلَك ! دخلتَ عليّ الحبسَ فما سلّمتَ تسليمَ المُسلم على المُسلم ، ولا سألت مسئلةَ الحرّ للحرّ ، ولا توجّعت توجّع المُبتلى للمبتلى ، حتى اذا سمعت بيتين من الشعر – الذي لا فضلَ فيكَ غيرُه – لم تصبر عن استعادتها . ولم تُقدّم قبلَ مسألتك عنهما عُذراً لنفسك في طلبهما ! فقلتُ : يا أخي إنّي دَهِشتُ لهذه الحال ، فلا تَعذِلني واعذِرني مُتفضِّلًا بذلك ؛ فقال : أنا والله أولى بالدَّهش والحيرة منك ، لأنك حُبِست في أن تقول شعراً به ارتفعتَ وبلَغت ، فإذا قلتَ أَمِنت ، وأنا مأخوذٌ بأن أدُلَّ على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُقتل أو أُقتلَ دونه ، ووالله لا أدُلّ عليه أبداً ، والساعةَ يُدعى بي فأُقتل ، فأيّنا أحقُّ بالدَّهش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سلّمك الله وكفاك ، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتك ؛ قال : فلا نبخل عليك إذاً ، ثم أعاد البيتين حتى حفِظتهما . قال : فسألته من هو ؟ فقال : أنا خاصّ[٢] داعيةُ عيسى بن زيد وابنه أحمد ؛ ولم

(١) في وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ١٠٢) : «أمر المهدي بحبسي ...» .
(٢) في وفيات الاعيان : «حاضر» .

نَلبَثْ أن سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جَرّة ، ولبس ثوباً نظيفاً كان عنده ، ودخل الحَرَسُ والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقُدِّم قبلي الى الرشيد ، فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال : لا تسألني عنه واصنَعْ ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفتُه عنه ؛ وأمر بضَرْب عنقه فضُرِب ؛ ثم قال لي : أظنُّك قد ارتعتَ يا إسماعيل ؛ فقلت : دون ما رأيته تَسيل منه النفوس ؛ فقال : رُدّوه الى مَحبسه فرُدِدْتُ ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما :

إذا أنا لم أقبل من الدهرِ كلَّ ما تكرّهتُ منه طال عَتبي على الدهرِ

لِزُرْزُور غلامِ المارِقيّ في هذين البيتين المذكورين خفيفُ رَمَل . وفيهما لعَريبَ خفيفُ ثقيل .

كان خلفا في شعره له منه الجيد والرديء :

نسخت من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني ناجِيَةُ بن عبد الواحد قال :

قال لي أبو العبّاس الخُزَيميّ :

كان أبو العتاهية خِلفاً في الشعر ، بينما هو يقول في موسى الهادي :

لَهفي على الزمنِ القصيرِ بين الخَوَرْنقِ والسَّديرِ

إذ قال :

أيا ذوي الوَخامَهْ أكثرتمُ المَلامَهْ
فليس لي على ذا صبرٌ ولا قُلامَهْ
نعم عَشِقتُ مُوقاً هل قامتِ القيامَهْ
لأَرْكَبَنّ فيمن هَويتُه الصَّرامَهْ

ونسختُ من كتابه[١] : حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجمّاز قال :

قال سَلْمٌ الخاسر : صار إليّ أبو العتاهية فقال : جئتك زائراً ؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ أنتَ عليه ، فأقِم ؛ فقال : إنّ هذا مما يَشتدّ عليّ ؛ قلت : ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهل الأدب ! فقال : لمعرفتي بضيق صدرك ؛ فقلت له وانا أضحك وأعجب من مُكابرته : « رَمَتني بدائها[٢] وانسلّت » ؛ فقال : دَعْني من هذا واسمعْ مني أبياتاً ؛ فقلت : هاتِ ، فأنشدَني :

نغّص الموتُ كلَّ لذّة عيشٍ   يا لقومي للموت ما أوحاه[٣]
عجباً أنه إذا مات مَيتٌ   صدّ عنه حبيبُه وجفاهُ
حيثما وُجّه امرؤٌ ليفوتَ السموتَ فالموتُ واقفٌ بحذاهُ
إنّما الشيبُ لابن آدمَ ناعٍ   قام في عارضَيه ثم نعاهُ
مَن تمنّى المنى فأغرق فيها   مات من قبل أن ينالَ مُناهُ
ما أذلّ المُقِلّ في أعيُنِ النا   س لإقلاله وما أقماه[٤]
إنما تنظر العيونُ من النا   س الى مَن ترجوه أو تخشاهُ

ثم قال لي : كيف رأيتَها ؟ فقلت له : لقد جوّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيّةً ؛ فقال : والله ما يُرَغّبني فيها إلّا الذي زهّدك فيها :

في متكبر :

ونسخت من كتابه عن عليّ بن مَهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة عن محمد ابن عيسى الحربيّ قال :

(١) يريد كتاب هارون بن علي .

(٢) هذا مثل يضرب لمن يعيّر آخر بعيب هو فيه .

(٣) ما أوحاه : ما أسرعه .

(٤) ما أقماه : ما أذله .

كنت جالساً مع أبي العتاهية ، إذ مرّ بنا حُميدُ الطُوسيّ في موكبه وبين يديه الفُرسان والرَّجّالةُ ، وكان بقُرب أبي العتاهية سَواديّ[١] على أتان ، فضربوا وجه الأتان ونَحّوْه عن الطريق ، وحُميد واضعٌ طَرْفه على مَعرفة فرسه والناس ينظرون اليه يعجبون منه وهو لا يلتفت تِيهاً ؛ فقال أبو العتاهية :

للموت أبناءٌ بهم ما شئتَ من صَلَفٍ وتيهِ
وكأنني بالموت قد دارَتْ رَحاه على بَنيهِ

قال : فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية :

ما أذلّ المُقِلّ في أعين النا س لإقلاله وما أقْفاهُ
إنما تنظر العيونُ من النا س الى من تَرجوه أو تَخشاهُ

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال .

قيل لأبي العتاهية : ما لك تَبخل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بخِلتُ بما رزقني الله قطّ . قيل له : وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يُحصى ! قال : ليس ذلك رِزقي ، ولو كان رِزقي لأنفقتُه .

عتاب واسترضاء :

قال عليّ بن مهديّ وحدثني محمد بن جعفر الشَهرَزُوريّ قال حدّثني رَجاء مولى صالح الشَهرَزُوريّ قال :

كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوريّ وآنسَ الناسِ بـه ، فسأله أن يُكلِم الفضلَ بن يحيي في حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أُكلّمه في أشباه هذا ، ولكن حَمّلني ما شئت في مالي ، فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أياماً لا يأتيه ؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

---

(١) السواديّ : القرويّ ، من سواد البلدة وهو ما حولها من القرى ، أو هو الرجل من عامة الناس .

أَقلِلْ زِيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ   إتيانَه فتَلِجَ في هِجرانِه
إنّ الصديقَ يلجّ في غِشيانِه   لصديقه فيمَلّ من غِشيانِه
حتى تراه بعد طول مَسرّةٍ   بمكانه مُتبرِّماً بمكانِه
وأقلّ ما يُلفى الفتى ثِقلاً على   إخوانه ما كفّ عن إخوانه
وإذا توانى عن صِيانة نفسه   رجلٌ تُنُقِّص وٱستُخِفّ بشانِه

فلما قرأ الأبياتَ قال: سبحان الله! أتهجرُني لمنعي إيّاك شيئاً تعلم أني ما ٱبتذلت نفسي له قطّ، وتنسى مودّتي وأُخوّتي، ومن دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تَعذِرني؟! فكتب اليه:

أَهلَ التَخلُّقِ لو يَدوم تَخلُّقُ   لسَكنتُ ظِلَّ جَناح من يَتخلَّقُ
ما الناس في الإمساك إلا واحدٌ   فبأيّهم إن حَصِّلوا[1] أتعلَّقُ
هذا زمانٌ قد تعوّد أهله   تِيهَ الملوك وفِعلَ من يَتصدّقُ

فلما أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيي وحدّثه بالحديث؛ فقال له: لا والله ما على الأرض أبغضُ إليّ من إسداء عارفةٍ الى أبي العتاهية، لأنه ممن ليس يظهر عليه أثرُ صنيعةٍ، وقد قضيتُ حاجتَه لك، فرَجع وأرسلني اليه بقضاء حاجته؛ فقال أبو العتاهية:

جزى اللهُ عنّي صالحاً بوفائِه   وأَضعفَ أَضعافاً له في جَزائِه
بلوتُ رجالاً بعده في إخائهم   فما ٱزددتُ إلّا رَغبةً في إخائِه
صديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً   رَجعتُ بما أبغي ووجهي بمائِه

أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حَرْب قال:

أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يُعاتب صالحاً هذا في تأخيره قضاء حاجته:

(١) حصلوا: خبروا وميّزوا.

صوت

أعينيَّ جُودا وابكِيا وُدَّ صالحٍ   وهيجا عليه مُعْوِلاتِ النَّوائحِ
فما زال سلطاناً أخٌ لي أودّه   فيقطعُني جُرْماً[1] قطيعةَ صالحِ

الغناء في هذين البيتين لإبراهيمَ ثقيلٌ أولٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

التأديب بشعره:

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال:

كان الرشيد مُعجَباً بشعر أبي العتاهية، فخرج الينا يوماً وفي يده رُقعتان على نسخة واحدة، فبعث بإحداهما الى مُؤدِّبٍ لولده وقال: لِيُرَوِّهم ما فيها، ودفع الأخرى إليَّ وقال: غَنِّ في هذه الأبيات؛ ففتحتها فإذا فيها:

صوت

قُل لمن ضَنَّ بوُدِّهْ   وكوى القلبَ بصَدِّهْ
ما ابتلى اللهُ فؤادي   بك إلا شُؤْمَ جَدِّهْ
أيها السارق عقلي   لا تَضَنَّنْ بَرَدِّهْ
ما أرى حُبَّكَ إلّا   بالغاً بي فوق حدِّهْ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأمويّ العُتْبي قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات:

(١) في نسخة: «جزماً». وفي سائرها: «حزماً». ويظهر أن كليهما محرف عما أثبتناه.

لما أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذهب والله أبوك يا هارون ! لله درّ أبي العتاهية حيث يقول :

المَوتُ بين الخلق مُشتَرَكُ   لا سُوقةٌ يبقى ولا ملكُ
ما ضرّ أصحابَ القليل وما   أغنى عن الأملاكِ ماملَكوا

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي وعمي الحسن والكوكبيّ قالوا حدّثنا عبد الله ابن أبي سعد قال :

قال لي أبو تمّام الطائيّ : لأبي العتاهية خمسةُ أبيات ما شركه فيها أحدٌ، ولا قدرَ على مثلها مُتقدّم ولا متأخّر ، وهو قوله :

الناس في غَفَلاتهم   ورَحى المنيّةِ تَطحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف :

ألم ترَ أنّ الفقر يُرجى له الغنى   وأنّ الغنى يُخشى عليه من الفقرِ

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلّوا بأثقالهم   وقد أزمعوا للذي أزمعوا
قرَنتُ التفاتي بآثارهم   وأتبعتُهم مُقلةً تدمعُ

وقوله :

هَبِ الدنيا تصير إليك عفواً   أليس مصيرُ ذاك الى زوالِ

عزاؤه صديقا :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثني محمد ابن سعيد المهديّ عن يحيي بن سعيد الأنصاريّ قال :

مات شيخ لنا ببغداد، فلما دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعزّونه، فجاء أبو العتاهية اليه وبه جَزَعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده:

لا تأمنِ الدّهرَ والبَسْ لكلّ حينٍ لِباسا
لَيَدْفِنَنّا أناسٌ كما دفنّا أناسا

قال: فانصرف الناس، وما حفِظوا غيرَ قول أبي العتاهية.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني حَبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه:

قال: كنت في مجلس خُزَيمة[١]، فجرى حديثُ ما يُسفَكُ من الدماء، فقال: والله ما لنا عند الله عذرٌ ولا حجةٌ إلا رجاء عفوه ومغفرته؛ ولولا عزّ السلطان وكراهةُ الذلّة، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً، ما كان في الأرض أزهدُ ولا أعبدُ منّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ:

أراك امرأً ترجو من الله عَفوَه وأنت على ما لا يُحبّ مُقيمُ
تَدُلّ على التقوى وأنت مُقصّرٌ أيا من يُداوي الناسَ وهو سَقيمُ
وإنّ امرأً لم يُلهِه اليومُ عن غدٍ تَخوُّفَ ما يأتي به لحكيمُ
وإن امرأً لم يجعلِ البرَّ كنزَه وإن كانت الدنيا له لعَديمُ

فغضب خُزَيمة، وقال: والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلحف من كنوز البرّ فيرغبَ فيه حرٌّ؛ فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لأنه من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يُنفقونها في سبيل الله.

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحُسين بن أبي السَّريّ قال قال لي الفضلُ بن العبّاس قال:

---

(١) هو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد.

قال لي أبو العتاهية : دخلت على يزيدَ بن مَزيَد ، فأنشدتــه قصيدتي التي أقول فيها :

وما ذاك إلا أنني واثِقٌ بما لديك وأني عــالمٌ بوفائكا
كأنك في صدري اذا جئتُ زائراً تُقدِّر فيه حاجتي بابتدائكا
وإنَّ أميرَ المؤمنين وغــيرَه ليَعلمُ في الهيجاء فضلَ غنائكا
كأنك عند الكَرِّ في الحرب إنما تَفرّ من السِّلم الذي من ورائكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوغى ولا آفةُ الأموال غيرُ حِبائكا

قال : فأعطاني عشرةَ آلاف درهم ، ودابّةً بسرْجها ولِجامها .

الوعظ بشعره :

وأخبرني عيسى بن الحسين الورّاق وعمي الحسن بن محمد وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا : حدّثنا عُمر بن شبَّة قال :

مرّ عابدٌ براهبٍ في صَومعة ؛ فقال له : عِظْني ؛ فقال : أَعِظُك وعليكم نزل القرآن ، ونبيُّكم محمد صلى الله عليه وسلّم قريبُ العهد بكم ! قلت نعم ؛ قال ؛ فاتّعظ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول :

تَجرَّدْ من الدنيا فإنك إنّمــا وقعتَ إلى الدنيا وأنت مُجرَّدُ

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثني جعفر بن جَميل قال :

قدِم العَتّابي الشاعر على المأمون ، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم ، فأنزله عــلى كاتبه ثُوابَةَ بن يونس ، وكنّا نختلف اليه نكتب عنه ، فجرى ذاتَ يوم ذِكْرُ الشعراء ؛ فقال : لكم يأهلَ العراق شاعر منوّه الكُنْية، ما فعل ؟ فذكر القوم أبا نواس ؛ فانتهرهم ونفض يده وقال : ليس ذلك ، حتى طــال الكلامُ ؛ فقلت : لعلّك تريد أبا العتاهية ؛ فقال : نعم ، ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين في وقته .

أخبرني محمد بن عِمران قال حدَّثني العنزيّ قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنديّ قال :

جلس أبو العتاهية يوماً يعذُلُ أبا نواس ويلومه في استماع الغناء ومجالسته لأصحابه ؛ فقال له أبو نواس :

أَتُراني يا عَتاهي تاركاً تلك الملاهي
أَتُراني مُفسِداً بالنُّسْكِ عند القوم جاهي

قال : فوثبَ أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك ! وجعل أبو نواس يضحك .

أخبرني جَحظة قال حدَّثني بَقيَّة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال :

بلَغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ، فبعث اليه يعاتبه على لسان إسحاق الموصليّ ، فأدّى اليه إسحاق الرسالة، فكتب اليه أبي :

إنّ المنيَّة أَمهلتْـك عَتاهي والموتُ لا يَسهو وقلبُك ساهي
يا وَيحَ ذي السنّ الضعيفِ أما لَهُ عن غَيِّه قبل الممات تَناهي
وُكِلْتَ بالدنيا تُبَكِّيها وتَنْـدُبها وأنت عن القيامة لاهي
والعيشُ حلوٌ والمَنون مَريرةٌ والدار دارُ تَفاخُر وتباهي
فأخْتَرْ[1] لنفسك دونها سُبُلًا ولا تَتحامَقَنَّ لها فإنك لاهي
لا يُعْجِبنَّكَ أن يُقالَ مُفَوَّهٌ حَسَنُ البلاغة أو عريضُ الجاهِ
أَصلح جَهولًا من سريرتك التي تخلو بها وأرهَبْ مَقامَ اللهِ
إنّي رأيتُـك مُظهِراً لزَهادةٍ تحتاجُ منك لها إلى أشباهِ

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدَّثني الحُسين بن يحيى الصوليّ قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال :

(١) ويروى : « فاحتل » .

رآني الرشيد مشغوفاً بالغناء في شعر أبي العتاهية :

صوت

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي أَتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حقّاً
فتنفّستُ ثم قلت نعم حُبّاً جرى في العروق عِرقاً فعرقا
لو تَجُسّينَ يا عتيبةُ قلبي لوجدتِ الفؤادَ قَرْحاً تَفَقّا
قد لعمري ملّ الطبيب وملّ الأهلُ منّي مما أقاسي وألقى
ليتني مُتُّ فاسترحتُ فإني أبداً ما حَييتُ منها مُلَقًّى[١]

ولاسيما من مُخارِق ، وكان يُغنّي فيه رَملا لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لَفَرِيدَةَ رَمَلٌ . هكذا قال الصوليّ : « فريدة » بالياء ، وغيره يقول : « فِرِنْدة » بالنون .

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَوِيّ قال أخبرني أبو العتاهية قال :

كان الرشيد مما يُعجبه غِناءُ المَلّاحين في الزّلّالات[٢] إذا ركبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنّون فيه؛ فقيل له : ليس أحد أقدرَ على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس . قال : فوجّه إليّ الرشيدُ : قل شعراً حتى أسمَعه منهم، ولم يأمر بإطلاقي، فغاظني ذلك، فقلت: والله لأقولن شعراً يُحزنه ولا يُسرّ به، فعملتُ شعراً ودفعته الى من حفّظه الملّاحين. فلما ركِب الحَرّاقة[٣] سمعه، وهو :

(١) الملقى : الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه .

(٢) لم يوجد هذا الاسم في كتب اللغة التي بين أيدينا بالمعنى المراد منه هنا . وظاهر أن المراد به نوع من السفن .

(٣) الحرّاقة : ضرب من السفن الحربية الكبيرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدوّ في البحر . وكان منها أنواع تستعمل للنزهة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والأمراء في أوّل العصر العباسي (مثل الذهبية عندنا) وهي المرادة هنا .

خانك الطَّرْفُ الطَّموحُ أيُّها القلبُ الجَموحُ
لدَواعي الخيرِ والشرِّ دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هل لمطلوبٍ بذنبٍ توبةٌ منه نَصُوحُ
كيف إصلاحُ قلوبٍ إنَّما هنَّ قُروحُ
أحسَنَ اللهُ بنا أن الخطايا لا تَفوحُ
فإذا المَسْتُور مِنَّا بين ثَوْبَيه فُضوحُ(١)
كم رأينا من عَزيزٍ طُويتْ عنه الكُشُوحُ
صاحَ منه بِرَحيلٍ صائحُ الدهرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناس في الأرْض على قَومٍ فُتُوحُ
سيصيرُ المرءُ يوماً جَسَداً ما فيه رُوحُ
بين عَينَيْ كلِّ حيٍّ علَمُ الموتِ يَلوحُ
كلّنا في غفلةٍ والموتُ يغدو ويَرُوحُ
لِبَني الدنيا من الدنيا غَبُوقٌ(٢) وصَبُوحُ
رُحنَ في الوَشْي وأصبحْنَ عليهنَّ المُسوحُ
كلُّ نَطَّاحٍ من الدهرِ له يومٌ نَطوحُ
نُحْ على نفسك يا مِسكينُ إن كنتَ تَنوحُ
لَتموتَنَّ وإن عُمِّرتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

قال : فلما سمع ذلك الرشيد جعل يَبكي ويَنتحِب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة، وأشدّهم عَسفاً في وقت الغضب والغلظة. فلما رأى الفضلُ بن الربيع كثرةَ بكائه، أومأ الى الملّاحين أن يسكتوا.

هجاء سجان :

حدثني الصوليّ قال حدّثني الحسن بن جابر كاتِب الحسين بن رَجاء قال :

---

(١) هذه رواية الديوان. وفي الأصول : نضوح «بالنون».

(٢) الغبوق : ما شرب أو أكل آخر النهار، ويقابله الصبوح وهو ما أكل أو شرب أول النهار.

لما حبَس الرشيد أبا العتاهية دفعه الى مِنجاب، فكان يَعنُف به ؛ فقال أبو العتاهية :

مِنجابُ مات بِدائِهِ   فأعْجَلْ له بدوائِهِ
إنّ الإمام أعلّه   ظُلماً بجدّ شقائِهِ
لا تُعنِفَنّ سِياقَه   ما كلُّ ذاك برائِهِ [1]
ما شِمتُ هذا في مخا   يِلِ بارقاتِ سَمائِهِ

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني أحمد بن معاوية القُرَشيّ قال :

لمّا عقَد الرشيدُ ولايةَ العهد لبَنيه الثلاثة : الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال أبو العتاهية :

رَحلتُ عن الرَّبع المُحيل قَعُودي   إلى ذي زُحوفٍ [2] جَمّةٍ وجُنودِ
وراعٍ يُراعي الليلَ في حِفظ أُمّة   يُدافع عنها الشرَّ غيرِ رَقُودِ
بألويةٍ جبريلُ يقدُم أهلَها   ورايات نصرٍ حولَه وبُنودِ
تَجافى عن الدنيا وأيقَن أنّها   مفارقةٌ ليست بدارِ خُلودِ
وشدّ عُرى الإسلام منه بفتيةٍ   ثلاثةِ أملاكٍ وُلاةِ عُهودِ
هُمُ خيرُ أولادٍ لهمْ خيرُ والدٍ   له خيرُ آباء مَضَت وجُدودِ
بنو المصطفى هارونَ حول سريره   فخيرُ قيامٍ حولَه وقُعودِ
تُقلِّب ألحاظَ المَهابةِ بينهم   عيونُ ظباءٍ في قُلوب أُسودِ
جُدودُهم [3] شمسٌ أتتْ في أهِلّةٍ   تَبدّتْ لراءٍ في نجوم سعود

قال : فوَصله الرشيدُ بصلة ما وصل مثلَها شاعراً قطّ .

---

(١) يريد : «برأيه» .

(٢) الزحوف : جمع زحف وهو الجيش .

(٣) كذا في الديوان . وفي الأصول : «خدودهم» بالخاء .

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ إجازةً قال حدّثني الرّياشيّ قال:

قدِم رسولٌ لملك الروم الى الرشيد، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره، وكان يُحسن العربيةَ، فمضى الى ملك الروم وذكره له، فكتب ملك الروم اليه، وردّ رسولَه يسأل الرشيدَ أن يُوجّه بأبي العتاهية ويأخذَ فيه رهائنَ من أراد، وألحّ في ذلك؛ فكلّم الرشيدُ أبا العتاهية في ذلك فاستعفى منه وأباه. واتصل بالرشيد أنّ ملك الروم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وبابِ مدينته، وهما:

صوت

ما اختلف الليلُ والنهار ولا   دارتْ نجومُ السماء في الفلكِ
إلا لنقل السُّلطان عن ملِكٍ   قدِ انقضى ملكُه الى ملِكِ

أخبرني عمي قال حدّثنا عُبيد الله بن أبي سعد قال حدّثنا الرّبيع بن محمد الخُتّليّ الورّاق قال أخبرني ابنُ أبي العتاهية:

أنّ الرشيد لما أطلق أباه من الحبس، لزِم بيتَه وقطع الناس؛ فذكره الرشيد فعُرّف خبرَه، فقال: قولوا له: صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلسَ[1] بيت؛ فكتب اليه أبو العتاهية:

بَرِمتُ بالنّاسِ وأخلاقِهم   فصِرْتُ أستأنِسُ بالوحدهْ
ما أكثرَ الناسَ لَعمرِي وما   أقلَّهم في مُنتهى العِدّهْ

ثم قال: لا ينبغي أن يَمضيَ شعرٌ الى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له، فقرَن هذين البيتين بأربعة أبيات مدَحه فيها وهي:

(١) حلس بيت: ملازمه لا يبرحه، وهو مما يذم به الرجل.

صوت

عادَ لي من ذِكرها نَصَبُ فدموع العين تنسكِبُ
وكذاك الحبُّ صاحبُه يَعتريه الهمُّ والوَصَبُ
خيرُ من يُرجى ومن يَهَبُ مَلِكٌ دانت له العربُ
وحقيقٌ أن يُدانَ له من أبوه للنبيِّ أبُ

يعظ الرشيد :

حدّثنا الصوليّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال :

قال الرشيد لأبي : عِظني؛ فقال له : أخافك ! فقال له: أنت آمن؛ فأنشده:

لا تأمنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ اذا تَستَّرتَ بالأبواب والحرَسِ
واعلم بأنّ سِهام الموت قاصدةٌ لكلّ مُدرَّعٍ منّا ومُترِّسِ
ترجو النجاةَ ولم تَسلُك طريقتها إنّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

قال : فبكى الرشيد حتى بَلّ كُمّه .

مناظرة :

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال :

قال لي أحمد بن أبي فَنَن : تناظرت أنا والفَتح بن خاقانَ في منزله : أيّما [الرجلين] أشعر : أبو نُواس أم أبو العتاهية ؟ فقال الفَتح : أبو نواس، وقلت: أبو العتاهية، ثم قلت: لو وُضعتْ أشعار العرب كلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضَلَها، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كل قصيدة جيّداً ووَسطاً وضَعيفاً، فاذا جُمع جيّده

كان أكثرَ من جيِّد كل مُجوِّد، [ثم] قلت له : بمن ترضى ؟ قال : بالحسين بن الضحاك؛ فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحاك ؛ فقلت: ما تقول في رجلين تشاجرا، فضَّل أحدهما أبا نواس وفضَّل الآخرُ أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أمُّ مَن فضَّل أبا نواس على أبي العتاهية زانية؛ فخجل الفتح حتى تبيّن ذلك فيه، ثم لم يعاودني في شيء من ذكرهما حتى افترقنا .

من مجلس شراب الى الزهد :

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيا تقدّم، فقال : حدّثني هارونُ بن مُخارِق قال حدّثني أبي قال :

جاءني أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أن أتزوّد منك يوماً تهبه لي، فمتى تنشط ؟ فقلتُ : متى شئتَ؛ فقال : أخاف أن تقطع بي؛ فقلت : والله لا فعلتُ وإن طلبني الخليفة؛ فقال : يكون ذلك في غدٍ؛ فقلت : أفعلُ . فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرش نظيف، ثم دعا بمائدة عليها خبز سَميذ[1] وخلّ وبَقْل[2] وملح وجَدْيٌ مَشويّ فأكلنا منه، ثم دعا بسمك مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحَلْواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، وجاءونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة؛ فقال : اخترْ ما يصلُح لك منها، فاخترتُ وشربت؛ وصبّ قدحاً ثم قال : غنِّني في قولي :

أحمدٌ قال لي ولم يَدرِ ما بي   أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حقّاً

فغنَّيته، فشرب قدحاً وهو يبكي أحرّ بكاء؛ ثم قال : غنِّني في قولي :

ليس لمن ليستْ له حيلةٌ   موجودةٌ خيرٌ من الصَّبرِ

---

(١) السميذ : الدقيق الابيض وهو لباب الدقيق .

(٢) كذا بالأصول، ولعل صوابه « نقل » .

فغنّيته وهو يبكي ويَنشِج(١)، ثم شرب قدحاً آخر ثم قال: غنِّني، فديتُك، في قولي:

خليليّ ما لي لا تزالُ مَضرَّتي تكون مع الأقدار حتماً من الحتم

فغنّيته إياه، وما زال يقترح عليّ كلّ صوت غُنّيَ به في شعره فأغنّيه ويشرب ويبكي حتى صار العتَمة؛ فقال: أحبّ أن تصبر حتى ترى ما أصنعُ فجلست، فأمر أبنه وغلامَه فكسّرا كلّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والملاهي، ثم أمر بإخراج كلّ ما في بيته من النبيذ وآلته، فأُخرج جميعه، فما زال يكسره ويصبّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يَبق من ذلك شيء، ثم نزَع ثيابَه وأغتسل، ثم لبِس ثياباً بيضاً من صوف، ثم عانقني وبكى، ثم قال: السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلِّهم سلامَ الفِراق الذي لا لِقاء بعدَه؛ وجعل يَبكي، وقال: هذا آخرُ عهدي بك في حال تعاشُرِ أهل الدنيا، فظننتُ أنها بعضُ حماقاته، فأنصرفتُ وما لقيته زماناً، ثم تشوّقته(٢) فأتيته فأستأذنتُ عليه فأذِن لي فدخلت، فإذا هو قد أخذ قَوصَرتين(٣) وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقامَ القميص، وثقبَ الأُخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل، فلما رأيتُه نسيت كلّ ما كان عندي من الغمّ عليه والوحشة لعِشرته، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكت مثله قطّ؛ فقال: من أيّ شيء تضحك؟ فقلت: أسخنَ(٤) اللهُ عينَك! هذا أيّ شيء هو؟ مَنْ بلَغك عنه أنه فعل مثلَ هذا من الأنبياء والزُهّاد والصحابة والمجانين، أنزِعْ عنك هذا يا سَخينَ العين! فكأنه أستحيا منّي؛ ثم بلغني أنه جلس حجّاما، فجهدتُ أن أراه بتلك الحال فلم أره، ثم مرِض، فبلغني أنه أشتهى أن أغنّيه، فأتيته عائداً، فخرج إليّ رسوله يقول: إن دخلتَ إليّ جدّدتَ لي حُزناً وتاقت نفسي من سماعك الى ما قد

---

(١) نشج الباكي: غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

(٢) في معاجم اللغة التي بين أيدينا أن «تشوّق» يتعدّى بالحرف، فلعل ما ها هنا من باب الحذف والإيصال، والاصل: «وتشوّقت اليه».

(٣) القوصرة (بتشديد الراء وتخفيفها): وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

(٤) أسخن الله عينه: أبكاه وأحزنه.

غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر اليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدي به .

امنية محتضر :

حدثني جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن يجيء مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغنيني :

سيُعرَض عن ذكري وتُنسى مودّتي ... ويَحدُثُ بعدي للخليل خليلُ
اذا ما انقضت عنّي من الدهر مُدّتي[1] ... فإن غَناءَ الباكيات قليلُ

وأخبرني به أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال :

قال بِشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فذكر مثلَ الأول .

وأخبرني به ابن عمار أبو العباس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح : أنّ بِشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت ، فأجابه بهذا الجواب .

نسخت من كتاب هارون بن عليّ : حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني عبد الله بن عطيّة قال حدثني محمد بن أبي العتاهية قال : آخِرُ شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه :

إلهيّ[2] لا تُعذِّبني فإنّي ... مُقِرٌّ بالذي قد كان مِنّي
فما لي حيلةٌ إلا رجائي ... لعفوك إن عفوتَ وحسنُ ظنّي

---

(١) كذا في وفيات الأعيان لابن خلكان وديوانه طبع بيروت (ص ٢٢١) ، ومدته : أجله . وفي الأصول : « ليلة » .

(٢) ورد هذا الشعر في ديوانه ص ٢٦٣ باختلاف يسير في الرواية عما هنا .

وكم من زَلّة لي في الخطـايا وأنت عليّ ذو فَضل ومَنِ
إذا فكرت في نَدمي عليها عضِضتُ أناملي وقَرَعتُ سِنّي
أَجنُّ بزهرة الدنيـا جُنوناً وأقطع طولَ عُمري بالتمنّي
ولو أنّي صدقت الزهد عنهـا قلبتُ لأهلهـا ظَهرَ المِجَنّ
يظنّ الناسُ بي خيراً وإنّي لشَرُّ الخلق إن لم تعفُ عنّي

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَيرفيّ قال حدّثنا الحَسنُ بن عُليل قال حدّثني أحمد ابن حمزة الضُّبعيّ قال أخبرني أبو محمد المُؤدِّب قال :

قال أبو العتاهية لابنته رُقيّة في علّته التي مات فيها : قومي يا بُنية فاندُبي أباك بهذه الأبيات ؛ فقامت فندبته بقوله :

لعِبَ البِلى بمعـالِمي ورُسومي وقُبرت حيّاً تحت رَدْمِ همومي
لزِمَ البلى جسمي فأوهن قوّتي إنّ البِـلى لمُوَكَّلٌ بلُزومي

وفاته ومدفنه :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مُخارِق المغنّي قال :

تُوفي أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وأبو عمرو الشَّيباني عبد السَّلام[1] في يوم واحد في خلافة المأمون ، وذلك في سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين .

---

(١) كذا في اكثر الاصول، وظاهر الكلام أن عبد السلام اسم لأبي عمرو الشيباني وهو غير صحيح . فان أبا عمرو الشيباني الذي توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو العتاهية اسمه اسحاق بن مرار (وزان كتاب) وهو من رمادة الكوفة ونزل الى بغداد وجاور شيبان للتأدب فيها فنسب اليها، وكان من الأئمة الأعلام في اللغة والشعر . وفي « وعبد السلام » بزيادة واو العطف وهو ما يفيد أنه اسم لشخص آخر ذكر في وفيات هذه السنة، وقد بحثنا في كتب التاريخ والتراجم عمن توفوا في سنة ٢١٣ فلم نعثر فيهم على من تسمى بعبد السلام . وفي نسخة ا « ابو عمر الشيباني ... السلام » . والظاهر أن البياض في « ا » وكلمة « عبد » في باقي الاصول أصله « بمدينة »، ومدينة السلام هي بغداد، ويؤيد هذا ما ورد في وفيات الأعيان في ترجمة أبي عمرو الشيباني من قوله : « ... مات اسحاق ابن مرار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وابراهيم النديم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد » .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد ابن الخليل عن إسماعيل بن أبي قُتَيبة قال :

مات أبو العتاهية ، وراشد الخَنّاق ، وهشيمة الخَمّارة في يوم واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أن أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خلَونْ من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ، ودُفن حِيالَ قنطرة الزَّيّاتين في الجانب الغربيّ ببغداد .

أخبرني الصوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشَّيباني عن محمد بن أبي العتاهية : أن أباه توفي سنة عَشر ومائتين .

أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجُنَيد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيب قال :

أمر أبو العتاهية أن يُكتبَ على قبره :

أذنَ حيٍّ تسمَّعي　　اسمعي ثم عِي وعِي
أنا رهنٌ بمَضجعي　　فاحذَري مثلَ مَصرعي
عشتُ(١) تسعين حِجّةً　　في ديار التَّزَعْزُعِ
ليس زادٌ سوى التقى　　فخذي منه أو دعِي

ابنه يرثيه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة قال :

---

(١) كذا في الديوان . وفي الأصول :

عشت تسعين حجة　　أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحي ثابتاً　　في ديار التزعزع

ولعل صوابه : كم يرى الحيّ ثابتاً الخ .

لما مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال:

يا أبي ضمّك الثرى وطوى الموتُ أجمعَكْ
ليتني يومَ مُتَّ صِر تُ إلى حفرةٍ معكْ
رحِم الله مصرعكْ بَرَّد الله مضجعكْ

أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زُهَير قال:

قال محمد بن أبي العتاهية: لقيَني محمد بن أبي محمد اليَزيديّ فقال: أنشِدني الأبياتَ التي أوصى أبوك أن تُكتب على قبره؛ فأنشأت أقول له:

كذَبتَ على أخٍ لك في مماتِه وكم كذِبٍ فشا لك في حياتِهْ
وأكذبُ ما تكون على صديقٍ كذبتَ عليه حيًّا في مماتِهْ

فخجل وانصرف. قال: والناس يقولون: إنه أوصى أن يُكتب على قبره شعر له، وكان ابنه يُنكِر ذلك.

وذكر هارون بن عليّ بن مَهديّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنه قرأ الأبيات العَينيَّة التي أوّلها:

أُذنَ حيٍّ تسمَّعي

على حجرٍ عند قبر أبي العتاهية.

ولم أذكر ها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخبارَه مع عُتبة، وهي من أعظم أخباره لأنها طويلة، وفيها أغانٍ كثيرة، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتها.

اخبار فريدة

قال مؤلف هذا الكتاب : هما أثنتان مُحسِنتان لها صَنعة تُسمَّيان بفريدة .

فريدة الكبرى :

فأمّا إحداهما ، وهي الكبرى ، فكانت مُولَّدة نشأت بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الرَّبيع ، فعُلِّمت الغناء في دورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، فلما قُتِل جعفر أبن يحيي ونُكِبوا هربت وطلبها الرشيدُ فلم يجدها ، ثم صارت الى الأمين ، فلما قُتل خرجتْ ، فتزوّجها الهيثم بن مُسلِم فولدت له أبنَه عبدَ الله ، ثم مات عنها فتزوّجها السِنديّ بن الحَرَشي[١] وماتت عنده . ولها صَنعة جيّدة ، منها في شعر الوليد بن يزيد :

صوت

وَيحَ سَلمى لو تراني　　　لعناها ما عَناني
واقفاً في الدار أبكي　　　عاشقاً حُورَ الغَواني

ولحنها فيه خفيف رَمَل .

ومن صنعتها :

(١) كذا في الطبري (ص ٦٨٠ و ٧٣٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ من القسم الثالث) وهو أحد رجالات الرشيد والمأمون . وفي الأصول : « الجرشي » بالجيم .

صوت

ألا أيّها الرَّكبُ النِّيامُ ألا هُبُّوا ... نُسائلكُمُ هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ (١)
ألا رُبَّ رَكبٍ قد وَقفتُ مطيَّهم ... عليكِ ولولا أنتِ لم يقِفِ الرَّكبُ

لحنها فيه ثاني ثقيل. وفيه لأبن جامع خفيفُ رَمَل بالسبّابة في مجرى الوُسطى.

فحدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثني العُمَريّ قال حدّثني الهيثم بن عديّ قال:

قال لي صالح بن حسّان يوماً: ما نِصفُ بيتٍ كأنه أعرابيّ في شَملة، والنصف الآخر كأنه مُخنَّثٌ مُفكَّك؟ قلت: لا أدري؛ فقال: قد أجّلتُك حولاً؛ فقلت: لو أجّلتني عشرةَ أحوال ما عرفتُه؛ فقال: أوّه! أفّ لك! قد كنت أحسبك أجودَ ذِهناً مما أرى؛ فقلت: فما هو الآن؟ قال: قول جميل:

ألا أيّها الرَّكب النِّيام ألا هُبُّوا

هذا كلام أعرابي، ثم قال:

أُسائلكُمُ هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ

كأنه والله من مُخنَّثي العَقيق.

فريدة المحسنة:

وأما فريدة الأخرى فهي التي أرى بل لا أشك في أنّ اللحن المختار لها،

(١) الرواية المشهورة لهذين البيتين:

ألا أيها النوّام ويحكمُ هبّوا ... نسائلكم هل يقتل الرجل الحبُّ
ألا رب ركب قد دفعت وجيفهم ... اليك ولولا أنت لم يوجف الركبُ

لأنَّ إسحاق أختار هذه المائة الصوت للواثق ، فاختـــار فيها لمُتيَّم لحناً ، ولأبي دُلَفَ لحناً ، ولسُلَيم بن سَلَّام لحناً ، ولرِياضَ جاريةِ أبي حمّاد لحناً ؛ وكانت فريدةُ أثيرةً عند الواثق وحظِيَّة لديه جداً ، فأختار لها هذا الصوتَ ، لمكانها من الواثق ولأنها ليست دون من أختار له من نُظرائها .

أخبرني الصُوليّ قال حدثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّق : أنهـا أجتمعت هي وخشف الواضِحيَّة يوماً فتذاكرتا أحسنَ ما سمعتاه من المغنيات ؛ فقالت رَيِّق : شارِيَةُ أحسنهنّ غناء ومُتيَّم ، وقالت خِشف : عَريبُ وفريدة ؛ ثم أجتمعتا على تساويهنّ وتقديم مُتيَّمَ في الصنعة ، وعَريبَ في الغَزارة والكثرة ، وشاريَة وفريدة في الطِيب وإحكام الغناء .

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال :

كانت فريدة جاريةُ الواثق لعمرو بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسنات ، ورُبِّيت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها أسمها « خِلّ » ، وكانت حسنةَ الوجه ، حسنةَ الغناء ، حادّةَ الفِطنة والفَهم .

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانة قال : غنّيتُ الواثقَ :

قلتُ حِلًّا فاقبَلي معـــذِرتي ما كذا يجزي مُحبٌّ من أحبّ

فقال لي : تقدّم إلى الستارة فألقِه على فريدة ، فألقيتُه عليها ، فقالت : هو حِلّ أو خِلّ كيف هو ؟ فعلمت أنها سألتني عن صاحبتها في خفاء من الواثق .

تزوجها المتوكل :

ولمّا تزوّجها المتوكل أرادها على الغناء ، فأبت أن تغنّيَ وفاء للواثق ، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تُغنّي ؛ فأندفعتْ وغنّت :

فلا تَبْعَدْ[١] فكلُّ فتًى سيأتي عليه الموتُ يَطرُقُ أو يُغادي

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليُّ بن يحيى المُنجِّم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

كانت لي نَوْبة في خدمة الواثق في كل جمعة ، إذا حَضرتْ رَكِبتُ إلى الدار ، فإن نَشِط إلى الشرب أقمتُ عنده ، وإن لم ينشط انصرفت ، وكان رسمنا ألّا يحضُر أحد منّا إلّا في يوم نَوْبته ؛ فإني لفي منزلي في غير يوم نَوْبتي إذا رسلُ الخليفة قد هجموا عليَّ وقالوا لي : احضُر ؛ فقلتُ : ألخيرٍ ؟ قالوا : خير ؛ فقلت : إن هذا يوم لم يُحضرني فيه أميرُ المؤمنين قطّ ولعلّكم غَلِطتم ؛ فقالوا : الله المُستعان لا تُطِل وبادِر فقد أمرَنا ألّا ندعك تستقرّ على الأرض ؛ فداخلني فَزَعٌ شديد وخفت أن يكون ساعٍ قد سعى بي ، أو بَليّةٌ قد حدَثتْ في رأي الخليفة عليّ ؛ فتقدّمتُ بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ، فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل ، فمُنِعت ، وأخذ بيدي الخدمُ فأدخلوني وعدَلوا بي إلى ممرّات لا أعرفها ، فزاد ذلك في جزعي وغمّي ، ثم لم يزل الخدم يُسلمونني من خدمٍ إلى خدم حتى أفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن ، مُلبَسة الحيطان بالوَشْي المنسوج بالذهب ، ثم أفضيتُ الى رِواقٍ أرضُه وحيطانه مُلبسة بمثل ذلك ، وإذا الواثق في صدره على سريرٍ مُرصَّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة جاريته ، عليها مثلُ ثيابه وفي حِجرها عُودٌ ، فلما رآني قال : جَوَّدتَ[٢] والله يا محمد إلينا ؛ فقبّلت الأرضَ ثم قلت : يا أمير المؤمنين خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يُؤنسنا فلم أرَ أحقّ بذلك منك ، فبحياتي بادِرْ فكل شيئاً وبادر إلينا ؛ فقلت : قد والله يا سيّدي أكلت وشربت أيضاً ؛ قال : فاجلس فجلست ، وقال : هاتوا لمحمد رَطْلاً في قدح فأُحضِرْتُ ذلك ، واندفعتْ فريدة تُغنّي :

(١) تبعد : تهلك .

(٢) جوّدت : أسرعت ، قال في اللسان : « يقال : جوّد في عدوه تجويدا » .

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قدرةٌ عليَّ ولكن ملء عينٍ حبيبُها
وما هجرتكِ النفسُ يا ليلَ أنها قَلَتْكِ ولا أن قلَّ منكِ نَصيبها [1]

فجاءتْ والله بالسّحر ، وجعل الواثق يُجاذبها ، وفي خلال ذلك تُغنّي الصوتَ بعد الصوتِ ، وأُغنّي أنا في خلال غنائها ، فمرَّ لنا أحسنُ ما مرَّ لأحد ؛ فإنّا لكذلك إذ رَفع رِجله فضرب بها صدرَ فريدة ضربةً تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتَّتْ عودُها ومرّتْ تعدو وتَصيح ، وبقيتُ أنا كالمنزُوع الروح ؛ ولم أشكَّ في أنّ عينَه وقعت عليَّ [2] وقد نظرتُ اليها ونظرتْ إليَّ ، فأطرق ساعةً إلى الأرض متحيّراً وأطرقتُ أتوقّـع ضربَ العُنق ؛ فإني لكذلك إذ قال لي : يا محمد ، فوثبتُ ؛ فقال : ويحك ! أرأيت أغربَ مما تهيّأ علينا ! فقلت : يا سيّدي ، الساعةَ والله تخرج روحي ، فعلى من أصابنا بالعين لعنةُ الله ! فـما كان السبب ؟ ألِذَنبٍ ؟ قال : لا والله ، ولكن فكّرت أنّ جعفراً يقعُد هذا المقعدَ ويقعد معها كما هي قاعدةٌ معي ، فلم أُطق الصبرَ وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت ؛ فسُرّيَ عنّي وقلت : بل يقتل الله جعفراً ، ويحيا أميرُ المؤمنين أبداً ، وقبّلت الأرضَ ، وقلتُ : يا سيّدي اللهَ اللهَ ! ارحمها ومُرْ بردّها ؛ فقال لبعض الخدم الوقوفِ : من يجيء بها ؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجتْ وفي يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التي كانت عليها ، فلما رآها جذبها وعانقها ، فبكتْ وجعل هو يبكي ، واندفعت أنا في البكاء ، فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي ! وبأي شيء استوجبتُ هذا ! فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي ؛ فقالت : سألتُكَ بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عنقي الساعةَ وأرحْتَني من الفكر في هذا وأرحتَ قلبك من الهمّ بي ؛ وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسحا أعينَهما ورجعتْ إلى مكانها ؛ وأومأ إلى خدم وقوفٍ بشيء لا أعرفه ، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ [3] ووَرِقٌ ،

---

(١) ورد هذا البيت في شرح ديوان حماسة أبي تمام (ص ٥٩٨ طبع أوربا) هكذا :
وما هجرتك النفس أنك عندها قليل ولكن قـلّ منك نصيبها

(٢) في الأصول : « وقعت الي » .

(٣) العين : الذهب المضروب وهو الدنانير . والورق : الدراهم المضروبة من الفضة .

ورُزَماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادم بدُرْج ففتحه وأخرج منه عِقْداً ما رأيت قطّ مثلَ جوهرٍ كان فيه ، فألبسها إيّاه ، وأُحضرت بَدْرة فيها عشرةُ آلافِ درهم فجعلت بين يديّ وخمسة تُخوتٍ فيها ثياب ، وعُدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنّا ، فلم نزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا .

قصتها مع المتوكل :

وضرَب الدهرُ ضربَه(١) وتقلّد المتوكلُ ، فوالله إني لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هجم عليّ رُسُلُ الخليفة فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدار ، فأُدخلت والله الحجرةَ بعينها ، وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة ؛ فلما رآني قال : ويحك ! أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذُ غدوةٍ أطالبها بأن تغنّيَني فتأبى ذلك ! . فقلت لها : يا سبحان الله ، أتخالفين سيّدَك وسيّدَنا وسيّدَ البشر ؟ بحياته غنّي ؛ فعرفت والله ثم اندفعت تغنّي :

مُقيمٌ بالمجازة(٢) من قَنَوْنا(٣) وأهلُك بالأُجيفر(٤) فالثِّمادِ(٥)
فلا تبعَدْ فكلّ فتى سيأتي عليه الموت يَطرُقُ أو يُغادي

ثم ضربت بالعود الأرضَ ، ثم رمتْ بنفسها عن السرير ومرّت تعدو وهي تصيح: واسيّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلتُ : لا أدري والله يا سيّدي ؛ فقال : فما ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضُر هذه ومعها غيرُها ، فإنّ الأمرَ

---

(١) يقال : ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه وضرب الدهر من ضربه أي مرّ من مروره وذهب بعضه .

(٢) المجازة : منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وينبوعة .

(٣) قنونا : واد من أودية السراة يصب الى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

(٤) الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس .

(٥) الثماد : موضع في ديار بني تميم قرب المروّت .

يؤول الى ما يُريد أميرُ المؤمنين ؛ قال : فأنصرفْ في حفظ الله ! فأنصرفتُ ولم أدرِ ما كانت القصّة .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال :

سمعتُ فريدةَ تغنّي :

أخِلّايَ بي شَجْوٌ وليس بكم شَجْوُ   وكلّ امرئٍ مما بصاحبه خِلْوُ
أذاب الهوى لحمي وجسمي ومَفْصِلي   فلم يَبقَ إلّا الروحُ والجسدُ النِّضْوُ

فما سمعتُ قبلَه ولا بعده غناء أحسن منه .

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوُسطى عن الهشامي، وله أيضاً فيه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والبِنصر عن ابن المكّيّ. وفيه لعمرو بن بانة رَمَلٌ بالوُسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ آخر صحيحٌ في غنائها من جمع ابنِ المُعتزّ وعليّ بن يحيى . وتمام هذه الأبيات :

وما من مُحِبّ نال ممن يُحِبُّه   هوًى صادقاً إلا سيَدخُله زَهْوُ

وفيها كلِّها غناء مفترِقُ الألحان في أبياته .

بُليت وكان المَزْح بَدء بليّتي   فأحببتُ جهلًا والبلايا لها بَدْوُ
وعُلّقتُ من يَزْهو عليّ تجبُّرًا   وإنّيَ في كلّ الخصال له كُفْوُ

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه :

باتت هُمومي تَسري طوارقُها   أكُفُّ عيني والدمعُ سابقُها

لِما أتاها منَ اليقـين ولم تَكُنْ تَراه يُلِمُّ طارقُها

الشعر لأُميّة بن أبي الصَّلت، والغِناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى.
وفيه لاَبن مُحرِزٍ لحنان: هَزَجٌ وثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الِهشاميّ وحَبَش.
وذكر يونس: أنّ فيه لاَبن مُحرِز لحناً واحداً مُجنَّساً.

ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره

وأسم أَبِي الصَّلت عبدُ الله بن أَبي رَبيعة بن عَوف بن عُقدة بن عَنزة[١] بن قَسي[٢]، وهو[٣] ثَقِيف بن مُنَبِّه بن بَكر بن هَوازِن، هكذا يقول من نَسَبهم الى قَيس[٣]، وقد شُرِح ذلك في خبرِ طُرَيح . وأمّ أمَيَّة بن أَبِي الصَّلت رُقَيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف . وكان أبو الصَّلت شاعراً، وهو الذي يقول في مدح سَيف بن ذي يَزَن :

لِيَطلُبِ الثأرَ أمثالُ ٱبنِ ذي يَزَنٍ   إذ صار في البحر للأعداء أحوالا[٤]

وقد كُتِبَ خبرُ ذلك في موضعه .

اولاد أمية :

وكان له أربعةُ بنين : عمرو ورَبيعة ووَهب والقاسم؛ وكان القاسم شاعراً؛ وهو الذي يقول – أَنشَدنيه الأخفشُ وغيرُه عن ثعلب، وذكر الزُّبير أنها لأُميَّة – :

---

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « غيرة » . وغيرة (وزان عنبة) : اسم قبيلة أيضاً .

(٢) يعني قسياً .

(٣) يريد قيس عيلان وهو الجد الأعلى لهوازن لأن هوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

(٤) في الشعر والشعراء :

لن يطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن   لجج في البحر للأعداء أحوالا

وفي شعراء النصرانية :   في البحر خيم للاعداء أحوالا

وفي سيرة ابن هشام :   في البحر ريّم للأعداء أحوالا

صوت

قومٌ إذا نَزَلَ الغريبُ[1] بدارِهم ... رَدُّوه ربَّ صَواهِلٍ وقِيانِ
لا يَنكُتونَ الأرضَ عند سؤالهم ... لِتَلمُّسِ العِلَّاتِ بالعيدانِ

يمدح عبدَ الله بنَ جُدعانَ بها؛ وأوّلها:

قومي ثَقيفٌ إن سألتَ وأُسرتي ... وبهمْ أُدافِع رُكْنَ من عاداني

غنّاه الغريض، ولحنُه ثقيلٌ أولُ بالبِنصر. ولابن مُحرز فيه خفيفُ ثقيل أول بالوسطى، عن الهشاميّ جميعاً.

وكان ربيعة ابنُه شاعراً، وهو الذي يقول:

وإن تكُ[2] حيّاً من إيادٍ فإنّنا ... وقيساً سواءٌ ما بَقِينا وما بَقُوا
ونحن خيارُ الناس طُرّاً بِطانةً ... لقَيس وهم خيرٌ لنا إن هُمُ بَقُوا[3]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسلم قال:

كان أُميّة بن أبي الصَّلت قد قرأ كتابَ الله عزّ وجلّ الأول، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب؛ فمنها قوله:

قمرٌ وساهورٌ يُسَلّ ويُغمَدُ[4]

وكان يُسمّي الله عزّ وجلّ في شعره السِّلْطيط فقال:

---

(١) في الشعر والشعراء: «الحريب» بالحاء المهملة وهو الذي سلب ماله.

(٢) في الأصول وشعراء النصرانية: «وان يك ...» بالياء المثناة من تحت.

(٣) كذا في الأصول، وفيه الإيطاء وهو تكرار القافية لفظاً ومعنى، وهو عيب.

(٤) هذا عجز بيت وصدره:

لا نقص فيه غير أن خبيئه

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب: غلاف القمر يدخل فيه اذا كسف.

والسِّلطيط[1] فوق الأرض مُقتَدِر

وسمّاه في موضع آخر التغرور[2] فقال: وأيّده التغرور. وقال ابن قتيبة: وعلماؤنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلّة.

اشعر ثقيف:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

قال أبو عُبيدة: اتّفقت العربُ على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القَيس ثم ثَقيف، وأن أشعر ثَقيف أميّة بن أبي الصَّلت.

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال:

قال يحيى بن محمد قال الكُميت: أميّة أشعر الناس، قال كما قلنا ولم نقل كما قال.

طمعه بالنبوة:

قال الزبير وحدّثني عمي مُصعَب عن مُصعَب بن عثمان قال:

---

(١) هكذا بالأصول وهذه الصيغة لا يتزن بها البيت. وقد ورد البيت كاملاً في اللسان (مادة سلط) هكذا:

إن الأنام رعايا الله كلهم هو السَّلِيطط فوق الارض مستطر

قال ابن جنى: هو القاهر، من السلاطة. قال: ويروى السليطط (بكسر السين) وكلاهما شاذ. قال صاحب التهذيب: سليطط جاء في شعر أمية بمعنى المسلط. قال: ولا أدري ما حقيقته. ورواه في الشعر والشعراء: «السلطليط». وفي القاموس: والسلطيط بالكسر: المسلّط» ثم قال شارحه: «هكذا في سائر أصول القاموس والصواب السلطليط كما في العباب».

(٢) عبارة ابن قتيبة في الشعر والشعراء: «وأبدت التغرورا، يريد التغر؛ وهذه أشياء منكرة، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة في اللغة» اهـ.

كان أُميَّة بن أبي الصَّلت قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المُسوح تعبُّداً، وكان ممن ذكر إبراهيمَ وإسماعيلَ والحنيفيَّة، وحرّم الخمر، وشكّ في الأوثان، وكان مُحققاً، والتمس الدِّين وطمع في النبوّة؛ لأنه قرأ في الكتب أن نبيّاً يُبعَث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. قال: فلما بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم قيل له: هذا الذي كنت تَستَريث[1] وتقول فيه؛ فحسده عدوُّ الله وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ (واْتلُ عليهم نَبأ الَّذي أتيناهُ آياتِنا فَانْسلَخَ منها). قال: وهو الذي يقول:

كلّ دين يومَ القيامة عند الله إلا دينَ الحنيفة زُورُ

قال الزبير وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أميَّة يُحرّض قريشاً بعد وَقعة بدر، وكان يَرثي من قُتِل من قريش في وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله:

ماذا ببَـدْرٍ والعَقَنْـقَلِ[2] من مَرازبةٍ[3] جَحاجِحْ[4]

وقال: وهي قصيدة نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن روايتها. ويقال: إن أميَّة قَدِم على أهل مكة: باسمك اللهم، فجعلوها في أوّل كتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم).

قال الزبير وحدّثني عليُّ بن محمد المدائنيّ قال:

قال الحجّاج على المنبر: ذهب قوم يعرفون شعرَ أمية، وكذلك اندراسُ الكلام.

---

(١) تستريث: تستبطىء.

(٢) العقنقل: كثيب رمل ببدر.

(٣) مرازبة: جمع مرزبان، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، وهو معرّب وأصله فارسي.

(٤) جحاجح: جمع جحجح وهو السيد المسارع في المكارم.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير عن عمرَ بنِ أبي بكر المُؤمّلي[١] وغيرِه قال :

كان أميّةُ بن أبي الصّلت يلتمس الدين ويطمح في النبوّة ، فخرج الى الشام فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أميّة : إن لي حاجةً في هذه الكنيسة فأنتظروني ، فدخل الكنيسةَ وأبطأ ، ثم خرج اليهم كاسفاً مُتغيّرَ اللون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرّيَ عنه ، ثم مضَوْا فقضَوْا حوائجهم ثم رَجعوا ، فلما صاروا الى الكنيسة قال لهم : أنتظروني ، ودخل الى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج اليهم أسوأ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سُفيان بن حرب : قد شَققتَ على رفقائك ؛ فقال : خلّوني فإني أرتاد لنفسي لمعادي ، إن ها هنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ست رجعات ، وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة ، وأنا أطمع في النبوّة وأخاف أن تُخطئني ، فأصابني ما رأيت ؛ فلما رَجعتُ ثانيةً أتيته فقال : قد كانت الرجعةُ وقد بُعث نبيٌّ من العرب ؛ فيئست من النبوّة ، فأصابني ما رأيت ، إذ فاتني ما كنت أطمع فيه .

قال : وقال الزّهريّ : خرج أميّة في سفر فنزلوا منزلا ، فأمّ أميّة وجهاً وصعد في كثيب ، فرُفعت له كنيسة فأنتهى اليها ، فإذا شيخٌ جالسٌ ؛ فقال لأميّة حين رآه : إنك لَمتبوعٌ ، فمن أين يأتيك رَئيُك[٢] ؟ قال : من شِقّي الأيسر ؛ قال : فأيُّ الثياب أحبّ اليك أن يلقاك فيها ؟ قال : السّواد ؛ قال : كِدتَ تكون نبيّ العرب ولست به ، هذا خاطر من الجنّ وليس بملك ، وإن نبيّ العرب صاحبَ هذا الأمر يأتيه من شِقّه الأيمن ، وأحبّ الثياب اليه أن يلقاه فيها البياض .

قال الزّهريّ : وأتى أميّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِيَ الخبرُ فهل أحسست شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدته يَخرُج العامَ .

---

(١) كذا ورد هذا الاسم هنا في أكثر الأصول وهو الموافق لما في الطبري (ص ١١١٦ قسم أوّل طبعة أوربا) .

(٢) رئيّ (بفتح الراء وقد تكسر) : جنيّ يرى مصاحبه كهانة وطبا ويلقى على لسانه شعراً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

سمعت خالد بن يزيد يقول : إنّ أميّة وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام ؛ ثم ذكر نحوه ؛ وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل ؛ فقال له أبو سفيان : إنّ بك لشرًّا ، فما قصّتك ؟ قال : خيرٌ ، أخبرني عن عُتبة بن ربيعة كم سنّه ؟ فذكر سنًّا ؛ وقال : أخبرني عن ماله فذكر مالًا ؛ فقال له : وضعته ؛ فقال أبو سفيان : بل رفعتُه ؛ فقال له : إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مال . قال : وكان الراهب أشيبَ ، وأخبره أن الأمر لرجل من قريش .

لغة الشياه :

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثني الزّبير قال حُدّثت عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد المِنقَريّ قال :

كان أميّة جالساً معه قومٌ ، فمرّتْ بهم غنمٌ فثغَتْ(١) منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا ؛ قال : إنها قالت لسَخلَتها : مُرّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عامَ أوّلَ في هذا الموضع ؛ فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له : أخبرني عن هذه الشاة التي ثَغَتْ ألها سَخلة : نعم ، هذه سَخلتها ؛ قال : أكانت لها عام أوّل سَخلة ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب في هذا الموضع .

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد عن الأصمعيّ قال : ذهب أميّة في شعره بعامّة ذكر الآخرة ، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب .

رؤى حالم :

قال الزّبير حدّثني عمرو بن أبي بكر الموصليّ قال حدّثني رجل من أهل الكوفة قال :

---

(١) ثغت الشاة : صاحت وصوّتت .

كان أميّة نائماً فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخرُ فشقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر، فقال له الطائر الآخر: أوَعى؟ قال: نعم؛ قال: زكا؟ قال: أبَى[١].

أخبرني عمي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأب قال:

خرج ركبٌ من ثَقيفٍ إلى الشام، وفيهم أميّةُ بن أبي الصَّلت، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلًا ليتعشَّوْا بعشاء، إذ أقبلت عَظايةٌ[٢] حتى دنتْ منهم، فحصبها بعضُهم بشيء في وجهها فرجعت؛ وكفتوا[٣] سُفرتهم ثم قاموا يرحَلون مُمسين، فطلعتْ عليهم عجوزٌ من وراء كثيب مقابلٍ لهم تتوكّأ على عصا، فقالت: ما منعكم أن تُطعِموا رَجيمةَ الجارية اليتيمة التي جاءتكم عَشيّةً! قالوا: ومن أنت؟ قالت: أنا أمُّ العوّام إمْتُ[٤] منذ أعوام؛ أما وربِّ العباد، لتفترِقُنّ في البلاد؛ وضربتْ بعصاها الأرضَ ثم قالت: بَطِّئي إيابَهم، ونفِّري رِكابهم؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِروة كلّ بعيرٍ منها شيطانا ما يُملك منها شيء، حتى افترقت في الوادي، فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكَد؛ فلما أنخناها لنُرحلَها طلعت علينا العجوزُ فضربت الأرضَ بعصاها ثم قالت كقولها الأول، ففعلت الإبل كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلّا الغدَ عشيّةً؛ فلما أنخناها لنُرحلَها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل؛ فقلنا لأميّة: أين ما

---

(١) ورد هذا الخبر في طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ص ٦٧ طبع أوربا) مع زيادة في العبارة واختلاف في بعض الكلمات.

(٢) العظاية: دويبة ملساء تشبه سامّ أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل، وهي أنواع كثيرة وكلها منقطة بالسواد، ومن طبعها أنها تمشي مشياً سريعاً ثم تقف.

(٣) كفت الشيء: ضم بعضه الى بعض. وفي بعض النسخ: «وكفئوا». والسفرة: ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره.

(٤) يقال: آمت المرأة (من باب ضرب) اذا فقدت زوجها.

(٥) في الأصول: «إلى».

كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : أذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني، فتوجّه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى وادٍ فإذا فيه كنيسةٌ وقناديلُ ، وإذا رجل مُضطجع مُعترض على بابها ، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية؛ فلما رأى أميّةَ قال : إنك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من أذني اليسرى ؛ قال فبأي الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد ؛ قال : هذا خطيب الجنّ؛ كدتَ والله أن تكونه ولم تفعل؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قِبل أذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ؛ فما حاجتك ؟ فحدّثه حديثَ العجوز ؛ فقال : صدقتْ ، وليست بصادقة !! هي أمرأة يهودية من الجنّ هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تُهلككم إن أستطاعت؛ فقال أميّة : وما الحيلة ؟ فقال : جمّعوا ظهركم(١) فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سبعٌ من فوق وسبع من أسفل ، بأسمك اللّهم ؛ فلن تضرّكم ؛ فرجع أميّة اليهم وقد جمّعوا الظهر ؛ فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ ، فلم تضرّهم ؛ فلما رأت الإبلَ لم تتحرك قالت : قد عرفت صاحبكم ، وليَبْيَضَّنّ أعلاه وليَسْوَدَّنّ أسفله ، فأصبح أميّة وقد برِص في عِذارَيه وأسودّ أسفله ؛ فلما قدِموا مكة ذكروا لهم هذا الحديثَ ؛ فكان ذلك أوّلَ ما كتب أهل مكة « بأسمك اللهم » في كتبهم .

حوار طائرين :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد أبن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عِمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مَسعود عن الزُّهريّ قال :

دخل يوماً أمية بن أبي الصَّلت على أخته وهي تهيّئ أدَماً لها، فأدركه النومُ

(١) الظهر : الركاب التي تحمل عليها الأثقال في السفر لحملها إياها على ظهورها ، يقال : عند فلان ظهر أي إبل .

فنام على سرير في ناحية البيت. قالت: فانشقّ جانب من السقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانَه، فشقّ الواقعُ صدرَه فأخرج قلبه فشقَّه؛ فقال الطائرُ الواقفُ للطائر الذي على صدره: أوَعى؟ قال: وَعى؛ قال: أقَبِل؟ قال: أبى، قال: فردّ قلبه في موضعه، فنهض فأتبعهما أميّةُ طرَفه فقال:

لَبَّيكما لَبَّيكما هأنـذا لديكما

لا بريءٌ فأعتذر، ولا ذو عشيرة فأنتصر. فرَجع الطائر فوقع على صدره فشقَّه ثم أخرج قلبه فشقَّه؛ فقال الطائر الأعلى: أوَعى؟ قال: وَعى؛ قال: أقبِل؟ قال: أبى، ونهض فأتبعها بصرَه وقال:

لبيكما لبيكما هأنـذا لديكما

لا مالٌ يُغنيني، ولا عشيرة تَحميني. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقَّه، ثم أخرج قلبه فشقه؛ فقال الطائر الأعلى: أوَعى؟ قال: وعى؛ قال: أقبِل؟ قال: أبى، ونهض فأتبعها بصرَه وقال:

لبيكما لبيكما هأنـذا لديكما

محفوف بالنعم، مَحوطٌ من الرَّيب. قال: فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه وأخرج قلبه فشقه؛ فقال الأعلى: أوَعى؟ فقال: وَعى: فقال: أقبِل؟ قال: أَبى، قال: ونهض فأتبعها بصرَه وقال:

لبيكما لبيكما هأنـذا لديكما

إنْ تَغفرِ اللّهم تَغفرْ جَمّاً وأيُّ عبدٍ لـك لا أَلَمّا[1]

قالت أخته: ثم انطبق السقف وجلس أميّة يمسَح صدرَه؛ فقلتُ: يا أخي، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، ولكني أجد حرّاً في صدري؛ ثم أنشأ يقول:

---

(١) ألم: ارتكب اللمم وهو صغار الذنوب.

ليتني كنتُ قبل ما قـد بدا لي ... في قِنانِ[1] الجبال أرعى الوُعولا
اجعَلِ الموتَ نُصبَ عينك واحذرْ ... غَولة الدّهرِ إنّ للدّهرِ غُولا

النبي وشعره :

حدّثني محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثني سَلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة عن عِكرمة عن ابن عبّاس :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم صدّق أميّةَ في قوله :

رجلٌ وثورٌ تحت رجل يَمينه ... والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرصَدُ[2]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق » .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّـة قال حدّثني حَمّاد بن عبد الرحمن بن الفَضْل الحَرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف — وليس بالقاضي — عن الزُّهريّ عن عُرْوة عن عائشة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بمثل هذا .

أَخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين اللّهبي قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكرمة قال : أَنشِد النبيُّ صلى الله عليه وسلم قولَ أميّة :

الحمدُ لله مُمسانا ومُصْبَحَنـا ... بالخير صبّحَنـا ربّي ومَسّانا
ربُّ الحنيفة لم تَنفَدْ خزائنُها ... مملوءة طبَّق الآفـاقَ سُلطانا
ألا نَبيٌّ لنـا منّا فيُخبرَنا ... ما بعدَ غايتنا من رأس مَحيانا

---

(١) القنان : أعالي الجبال ، واحدها قنة .

(٢) قال الجاحظ في كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٦٨) طبع مصر : « وقد جاء في الخبر أن من الملائكة من هو في صورة الرجال، ومنهم من هو في صورة الثيران، ومنهم من هو في صورة النسور، ويدل على ذلك تصديق النبيّ صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبي الصلت ... » وذكر هذا البيت .

بينا يُرَبِّينا آباؤنا هلكوا   وبينما نَقْتَني الأولادَ أفنانا
وقد علمنا لَوَ انَّ العلمَ ينفعنا   أنْ سوف يَلحَقُ أُخرانا بأُولانا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إن كاد أُميَّةُ لَيُسلِمُ » .

عقوق وعتاب :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية قال حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر ، وحدَّثنا خالدُ بن عُمارة :

أنّ أميَّة عتَب على ابن له فأنشأ يقول :

غَذوتُك مولوداً ومُنْتُكَ(١) يافعاً   تُعَلُّ بما أَجني(٢) عليك وتُنْهَلُ
إذا ليلةٌ آبتْكَ بالشَّجْو(٣) لم أَبِتْ   لشكواكَ إلّا ساهراً أَتَمَلْمَلُ
كأنّي أنا المطروق دونَك بالذي   طُرِقتَ به دوني فَعيني تَهْمُلُ
تخاف الرَّدى نفسي عليك وإنني   لأَعلمُ أنّ الموتَ حتمٌ مؤجَّلُ
فلمّا بلغتَ السنَّ والغايةَ التي   اليها مَدى ما كنتُ فيك أُؤَمِّلُ
جعلتَ جزائي غِلْظةً وفظاظةً   كأنّك أنت المُنعِم المُتفضِّلُ

محاورة في شعره :

قال الزبير قال أبو عمرو الشَّيباني قال أبو بكر الهُذليّ قال : قلت لعِكرمة : ما رأيتُ من يُبلِّغنا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لأميَّة : « آمن

---

(١) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي (ص ٣٥٤) طبع أوربا : « وعُلتك » .

(٢) أجني عليك : أكسب ، ويجوز أن يكون من جنيت الثمرة جنياً وجنـــاية . (عن شرح الحماسة للتبريزي) . وفيه رواية أخرى : « بما أدني إليك » .

(٣) في شرح ديوان الحماسة : « نابتك بالشكو » .

شعرُه وكفَر قلبُه » ، فقال : هو حقّ ، وما الذي أنكرتم من ذلك ! فقلت له : أنكرنا قولَه :

والشمس تطلعُ كلّ آخر ليلةٍ حمراءَ مَطلَعُ لونِها مُتورِّدُ
تأبى فلا تبدو لنا في رِسلِها[1] إلّا معذَّبةً وإلّا تُجلَدُ

فما شأن الشمس تُجلَدُ ! قال : والذي نفسي بيده ما طلعت قطّ حتى يَنخُسَها سبعون ألفَ ملكٍ يقول لها : اطلُعي ؛ فتقول : أأطلع على قوم يعبدونني من دون الله ! قال : فيأتيها شيطانٌ حين تستقبلُ الضياء يريد أن يصُدّها عن الطلوع فتطلُع على قَرْنيه ، فيُحرقه الله تحتها ، وما غرَبت قطُّ إلا خرّت لله ساجدةً ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن السجود ، فتغرُب على قَرْنَيه فيُحْرِقه الله تحتها ، وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : « تطلُع بين قَرْنَيْ شيطان وتغرُب بين قرنَيْ شيطان » .

حدّثني أحمد بن محمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا سُفيان ابن عُيَينة عن زِياد بن سَعد أنه سمع ابنَ حاضر[2] يقول :

اختلف ابنُ عبّاس وعمرو بن العاصي عند معاوية ، فقال ابنُ عبّاس : ألا أغنيك ؟ قال : بلى ! فأنشده :

والشمسُ تغرُب كلّ آخرِ ليلةٍ في عين ذي خُلُبٍ[3] وثَأْطٍ حُرمُدِ

(١) الرسل : الرفق والتؤدة .

(٢) اسمه عثمان بن حاضر الحميري ويقال : الأزدي أبو حاضر القاصّ ، وقال عبد الرزاق : عثمان ابن ابي حاضر (انظر تهذيب التهذيب في آسم عثمان) .

(٣) الخلب : الطين بلغة حمير ، والثأط : الطين الحمأة (أي الأسود) وقيل : الطين حمأة كان أو غير حمأة . والحرمد : الأسود من الطين . ورواية هذا الشعر في اللسان مادة (ثأط) .

بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمرٍ عن حكيم مرشد
فأتى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد

وقد رواه صاحب اللسان لأمية ثم قال : وأورد الأزهري هذا البيت مستشهداً به على الثأطة الحمأة ، وكذلك أورده ابن برّي وقال : إنه لتبّع يصف ذا القرنين .

في مرض موته :

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا عمي عن مُصعَب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال :

لما مرِض أمية مرَضه الذي مات فيه جعل يقول : قد دنا أجلي وهذه المَرْضَةُ مَنيّتي ، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّةَ حقٌّ ، ولكن الشك يُداخلُني في محمد . قال: ولمّا دنتْ وفاتُه أُغمي عليه قليلًا ثم أفاق وهو يقول :

لَبَّيكما لَبَّيكما   هأنذا لديكما

لا مالٌ يَفْديني ، ولا عشيرةٌ تُنجيني . ثم أغمي عليه ايضاً ساعة حتى ظنّ من حضره من أهله أنه قد قضى ، ثم أفاق يقول :

لَبَّيكما لَبَّيكما   هأنذا لديكما

لا بريء فأعتذر ، ولا قويٌّ فأنتصر . ثم إنه بقي يحدِّث من حضره ساعةً ثم أُغمي عليه مثلَ المرّتين الأوليَيْن حتى يئسوا من حياته ؛ وأفاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما   هأنذا لديكما

محفوف بالنعم ،

إن تغفرِ اللهمّ تغفرْ جمّاً   وأيّ عبدٍ لك لا ألمّا

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في اهبتي ؛ وحدّثهم قليلًا حتى يئس القوم من مرضه ، وأنشأ يقول :

كلُّ عيشٍ وإنْ تطاول دهراً   مُنتهى أمرِهِ إلى أنْ يَزولا
ليتني كنتُ قبل ما قد بَدا لي   في رؤوس الجبال أرعى الوُعولا

اجعل الموتَ نُصبَ عينيك[١] واحذرْ غَوْلةَ الدّهرِ إنّ للدّهرِ غُولا

ثم قضى نَحْبَهُ، ولم يؤمن بالنبيّ صلى الله عليه وسلم. وقد قيل في وفاة أميّة غيرُ هذا.

لغة الغربان :

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيي ثعاب قال :

سمعت في خبر أمية بن أبي الصّلت، حين بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلّم، أنه أخذ بِنتَيْه وهرَب بهما الى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف؛ فبينا هو يشرب مع إخوانٍ له في قصر غَيْلان[٢] بالطائف، وقد أودع أبنتيه اليمنَ ورَجع إلى بلاد الطائف، إذ سقط غرابٌ على شُرفة في القصر فنعَب نَعْبةً؛ فقال أمية : بفيك الكَثكثُ! – وهو التراب – فقال أصحابه : ما يقول؟ قال : يقول إنك إذا شربت الكأسَ التي بيدك متّ، فقلت: بفيك الكثكث. ثم نعب نعبةً أخرى، فقال أمية نحوَ ذلك؛ فقال أصحابه : ما يقول؟ قال : زعم أنه يقَع على هذه المَزْبلة أسفلَ القصر، فيستثير عظماً فيَبْتلعه فيَشجى به فيموت؛ فقلت نحو ذلك فوقع الغراب على المَزْبلة، فأثار العظمَ فشَجِيَ به فمات؛ فأنكسر أمية، ووضع الكأس من يده، وتغيّر لونُه؛ فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلًا! فألحّوا عليه حتى شرب الكأس، فمال في شِقّ وأغميَ عليه ثم أفاق، ثم قال : لا بريء فأعتذر، ولا قويّ فأنتصر، ثم خرجتْ نفسُه.

---

(١) ويروى : «عينك».

(٢) هو غيلان بن سلمة بن معتّب، وكان وفد على كسرى وحاوره فأعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف، فكان أول قصر بني بها.

صوت

من المائة المختارة

تَبَلَتْ(١) فؤادك في المنام خَريدةٌ تَشْفِي(٢) الضَّجيعَ ببـاردٍ بسَّامِ
كالمِسْك تَخْلِطُه بمـاء سحابةٍ أو عاتقٍ(٣) كدَمِ الذَّبيح مُدامِ

عروضُه من الكامل. الشعر لحسّان بن ثابت والغناء لموسى بن خارجة الكوفيّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر حمّاد عن أبيه أن فيه لحناً لعَزّة المَيْلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممن خدم الخلفاء.

---

(١) تبلت فؤادك: أسقمته. والخريدة: الحيّية.

(٢) في ديوان حسان: «تسقي» وعلى هذه الرواية تكون الباء في «ببادر» زائدة.

(٣) العاتق: الخمر القديمة التي حبست زماناً حتى عتقت وجادت، وقيل: هي التي لم يفض أحد ختامها كالجارية العاتق التي قد أدركت ولما تتزوّج.

أخبار حسان بن ثابت ونسبه

هو حسّان[١] بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زَيد مَناة بن عَديّ ابن عمرو بن مالك بن النجّار، واسمه[٢] تَيْمُ الله بن ثَعلبة بن عمرو بن الخَزْرج ابن حارثة بن ثعلبة، وهو العَنْقاء بن عمرو، وإنما سميّ العَنْقاء لطول عنقه، وعمرو هو مُزَيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرئ القيس البِطْريق ابن ثَعلبة البُهلولُ بن مازن بن الأزْد، وهو ذِرى[٣] — وقيل: ذراء ممدود — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحْطان.

قال مُصعَب الزُّبيريّ فيما أخبرنا بـه الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير عمه، قال: بنو عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار يُسمَّوْن بني مَعالة؛ ومَعالة أُمه، وهي امرأة من القَيْن واليها كانوا يُنسَبون. وأم حسّان بن ثابت بن المُنذِر، الفُرَيعة ابنة خالد بن قيس[٤] بن لَوْذانَ بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرَج

(١) هذا الاسم ان جعلته فعّالا من الحسن أجريته وان جعلته فعلان من الحسّ (بالفتح) وهو القتل أو الحِسّ بالشيء لم تجره. قال ابن سيده: وقد ذكرنا أنه من الحَسّ أو الحِسّ، وقال: ذكر بعض النحويين أنه فعال من الحسن وليس بشيء.

(٢) كذا في أسد الغابة في ترجمة حسان. وفي سائر الأصول: «وهم تيم الله» وبنو النجار هم تيم الله بن ثعلبة.

(٣) نقل صاحب شرح القاموس مادة أزد عن الشيخ عبد القادر البغدادي أن اسمه «دره» بكسر الدال فسكون وآخره همزة وعن أبي القاسم الوزير أنه دراء ككتاب.

(٤) في تهذيب التهذيب طبع الهند: «الفريعة بنت خالد بن حبيش». وفي أسد الغابة طبع بولاق: «الفريعة بنت خالد بن خنيس». وفي خزانة الأدب للبغدادي (ج ١ ص ١١١ طبع بولاق): «الفريعة بنت خنس».

ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج. وقيل: أن اسم النجار تيم اللات؛ وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

أما لابن تيم الله ماذا أضلت وأم ضرار تنشد الناس والها

يعني ضرار بن عبد المطلب، وكان ضل فنشدته أمه. وإنما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم تيم الله، لأن الأنصار كانت تنسب اليه، فكره أن يكون في أنسابها ذكر اللات.

ويكنى[1] حسان بن ثابت أبا الوليد، وهو فحل من فحول الشعراء؛ وقد قيل: إنه أشعر أهل المدر[2]. وكان أحد المعمرين من المخضرمين، عمر مائة وعشرين سنة: ستين في الجاهلية وستين في الإسلام.

من المعمرين:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: عاش ثابت بن المنذر مائة وخمسين[3] سنة، وعاش حسان مائة وعشرين سنة. ومما يحقق ذلك ما أخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسان بن ثابت قال: إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان إذا بيهودي بيثرب يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود؛

---

(١) ويكنى أيضاً أبا الحسام، كما في خزانة الأدب للبغدادي وأسد الغابة، لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقطيعه أعراض المشركين، ويكنى أيضاً أبا عبد الرحمن، ويلقب بذي الأكلة (بالضم) كما في القاموس مادة أكل.

(٢) المدر (بالتحريك): المدن والحضر.

(٣) في أسد الغابة وتهذيب التهذيب والنجوم الزاهرة: أن عمر حسان مائة وعشرون سنة وكذلك عاش أبوه ثابت وجده المنذر وأبو جده حرام، ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم.

فلما أجتمعوا اليه قالوا : وَيلَك ! ما لك ؟ قال : طلع نجمُ أحمدَ الذي يُولد به في هذه الليلة ؛ قال : ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤمن به . فهذا يَدُلّ على مدّة عمره في الجاهلية ، لأنه ذكر أنه أدرك ليلةَ وُلد النبيُّ صلى الله عليه وسلّم ، وله يومئذٍ ثمانُ سنين ، والنبيّ صلى الله عليه وسلّم بُعِث وله أربعون سنة ، وأقام بمكة ثلاثَ عشرةَ سنة، فقدِم المدينةَ وحسّان يومئذٍ، على ما ذكره ، ستون سنة أو إحدى وستون سنة ، وحينئذ أسلم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابنُ أبي الزّناد قال :

عُمِّرَ حسّانُ بن ثابت عشرين ومائة سنة : ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام .

قال أخبرني الحسين قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدّث سليمان بن حَرْب عن حمّاد بن زيد عن يَزيد بن حازم عن سليمان بن يَسار قال :

رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلها بين عينيه .

كان يخضب :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني علي بن محمد النّوفلي عن أبيه قال :

كان حسّان بن ثابت يَخضب شاربَه وعَنفقَتَه[١] بالحِنّاء ، ولا يَخضب سائر لحيته ؛ فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبتِ ، لِمَ تفعلُ هذا ؟ قال : لأكون كأني أسدٌ والغٌ في دَمٍ .

---

(١) العنفقة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

تفوقه :

أخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال :

فضَل حسّان الشعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار في الجاهلية ، وشاعرَ النبيّ صلى الله عليه وسلّم في النبوّة ، وشاعرَ اليمن كلّها في الإسلام .

قال أبو عُبيدة : وأجمعت العرب على ان حسّانَ أشعرُ أهل المَدَر. أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن أبي عُبيدة قال :

اتّفقت العربُ على أن أشعرَ أهل المَدَر أهلُ يَثرب ، ثم عبدُ القيس ثم ثَقيفُ ، وعلى أنّ أشعر أهلِ يثربَ حسّان بن ثابت .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا عفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهريّ عن سعيد بن المُسيَّب قال :

جاء حسّان إلى نفرٍ فيهم أبو هُريرة، فقال : أنشدُكَ اللهَ ، أسمعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم يقول : « أَجِبْ عنّي » ثم قال : « اللهم أيّده بروح القدس » ؟ قال أبو هريرة : اللهم نعم .

الشعر في خدمة العقيدة :

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا وَهْب بن جَرير قال حدّثنا أبي قال سمعت محمد بن سِيرِين ، قال أبو زيد وحدّثناه هَوْذَةُ بن خَليفة قال حدّثنا عوف عن محمد بن سيرين، قال :

كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة[1] رهطٍ من قريش : عبدُ الله

(١) زاد في أسد الغابة رابعاً هو ضرار بن الخطاب .

ابن الزِّبَعْرَى ، وأبو سُفيانَ بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وعمرو بن العاصي ؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه : أُهجُ عنّا القومَ الذين قد هَجَوْنا ؛ فقال عليّ رضي الله عنه : إن أذِن لي رسول الله صلى الله عليه وسلّم فعلتُ ؛ فقال رجل : يا رسول الله ، ائذن لعليّ كي يهجوَ عنّا هؤلاء القومَ الذين قد هجوْنا ؛ قال : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » ؛ ثم قال للأنصار : « ما يَمنع القومَ الذين نَصروا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ » ؛ فقال حسّان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرَف لسانه ، وقال : والله ما يَسُرّني به مِقْوَلٌ[1] بين بُصرى وصَنعاء ؛ فقال : « كيف تهجوهم وأنا منهم » ؟ فقال : إنّي أُسلّك منهم كما تُسلّ الشَّعرةُ من العجين . قال : فكان يهجوهم ثلاثةٌ من الأنصار : حسّانُ بن ثابت ، وكعبُ بن مالك ، وعبدُ الله بن رَواحة . فكان حسّانُ وكعبٌ يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعيّرانهم بالمثالب ، وكان عبدُ الله بن رَواحة يُعيّرهم بالكفر . قال : فكان في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسّان وكعب ، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة . فلما أسلموا وفَقِهوا الإسلامَ ، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رَواحة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّةَ قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْميّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيريّ وهو حاتم[2] بن أبي صَغيرة قال حدّثنا سِماكُ بن حَرب قال :

قام حسّان أبو الحُسام ، فقال : يا رسول الله ، أْئذَن لي فيه ، وأخرج لسانًا له أسودَ ، فقال : يا رسولَ الله ، لو شئتَ لفرَيتُ به المَزادَ[3] ، أئذن لي فيه ؛ فقال :

---

(١) المقول : اللسان .

(٢) كذا في طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ٢ ص ٣١ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ١٣٠ طبع الهند) والخلاصة طبع مصر ؛ وهو مولى بني قشير واسم أبيه مسلم ، وأبو صغيرة أبو أمه وهو يروي عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب (أنظر الأنساب للسمعاني) . وقد ورد هذا الاسم مضطرباً في جميع الأصول .

(٣) المزاد جمع مزادة والمزادة هي التي يحمل فيها الماء ، وهي ما فئم بجلد ثالث بين الجلدين ليتسع ، سميت بذلك لمكان الزيادة .

« اذهب إلى أبي بكر فليُحدِّثك حديثَ القوم وأيامِهم وأحسابِهم ثم اهجهم وجبريلُ معك » . قال أبو زيد قال ابنُ وَهْب وحدّثنا بهذا الحديث حاتمٌ عن السُّدّيّ عن البَراء بن عازِب وعن سِماك بن حَرْب – فأنا أشكّ : أهو عن احدهما أم عنهما جميعاً – قال أبو زيد : وحدَّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صَغيرة عن سِماك بن حَرْب بنَحْوه ، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسودَ ، فوَضعه على طَرَف أرْنَبَتِه ، وقال : يا رسول الله ، لو شئتُ لفريتُ بـه المَزاد ؛ فقال : « يا حسّان وكيف وهو منّي وأنا منه » ؛ قال : والله لأَسُلَّنّه منك كما يُسَلُّ الشعرُ من العجين ! ، قال : « يا حسّان فَأْتِ أبا بكر فإنه أعلمُ بأنساب القوم منك » . فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فقال : كُفَّ عن فلانةَ واذْكر فلانةَ ؛ فقال :

هجوتَ(١) محمداً فأجبتُ عنه ... وعنـد الله في ذاك الجَزاء
فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي ... لعِرض محمد منكم وِقاء
أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ ... فشرُّكما لخيرِكما الفِـداء

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال :

لما أُنْشِدت قريشٌ شعر حسّان قالت : إن هذا الشَّتْم ما غاب عنه ابنُ(٢) أبي قُحافة .

---

(١) وردت هذه الأبيات في السيرة لابن هشام (ص ٨٣٠ طبع أوروبا) ضمن قصيدة مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجِواء ... الى عـذراء منزلها خلاء

على غير ترتيب الأغاني بذكر البيت الثالث بعد الأول وبزيادة بيتين بعده هما :

هجوت مبـاركاً براً حنيفاً ... أمين الله شيمتـه الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سـواء

ويليها البيت « فان أبي الخ » . وانظر هذا الشعر أيضاً في صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٦٠ – ٢٦١ طبع بولاق) .

(٢) هو أبو بكر الصديق .

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن يحيي عن يعقوب[١] بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجل من بني العَجْلان قال :

لما بلغ أهلَ مكة شعرُ حسّانَ ولم يكونوا علموا أنه قوله ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشعرَ بعدنا .

تناشد الهجاء :

قال الزُّبير : وحدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن فَضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فَضالة عن أبيه عن خالد[٢] بن محمد بن ثابت بن قَيس بن شَمّاس قال :

نهى عمرُ بن الخطاب الناسَ أن يُنشدوا شيئاً من مُناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شَتْمُ الحيّ بالميت وتجديدُ الضغائن ، وقد هدمَ الله أمرَ الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقَدِمَ المدينةَ عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ وضِرار ابن الخطّاب الفِهري ثم المُحاربيّ ، فنزلا على أبي أحمد بن جَحش ، وقالا له : نُحبّ أن تُرسل إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيك ، فننشده ويُنشدنا مما قلنا له وقال لنا ؛ فأرسل اليه فجاءه ، فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك ابن الزِّبَعْرى وضِرارٌ قد جاءا أن يُسمعاك وتُسمعَهما ما قالا لك وقلتَ لهما ؛ فقال ابن الزِّبَعْرى وضِرارٌ : نعم يا أبا الوليد ، إن شعرَك كان يُحتمل في الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا ، وقد أحببنا أن نُسمعك وتُسمعنا ؛ فقال حسان : أفتَبْدأان أم أبدأ ؟ قالا : نَبدأ نحن ؛ قال : ابتَدِئا ؛ فأنشداه حتى فار فصار كالمِرْجَل غضباً ثم استَويا على راحلتيهما

---

(١) ليس واضحاً من هو المعني بهذا الاسم ففي كتب التراجم التي بين أيدينا والذي بهـــا هو : « يعقوب بن مجمع » أو « يعقوب بن اسحاق بن زيد » كما في تهذيب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال. وفي لسان الميزان (ج ٦ ص ٣٠٢) : « يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم بن مجمع » ولعله هذا .

(١) ليس في ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالدا وقد أحصاهم ابن سعد في الطبقات (ج ٥ ص ٥٨ — ٥٩ طبع أوربا) . على أن السند كله مضطرب .

يُريدان مكة؛ فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقصّ عليه قِصّتها وقصَّته؛ فقال له عمر: لن يذهبا عنك بشيء إن شاء الله، وأرسل من يَرُدّهما، وقال له عمر: لو لم تُدرِكهما إلا بمكة فارْدُدهما عليّ؛ وخرجا فلما كانا بالرَّوْحاء[1] رجع ضِرارٌ إلى صاحبه بكُرْهٍ، فقال له يأبن الزِّبَعْرَى: أنا أعرف عمرَ وذَبّه عن الإسلام وأهله، وأعرف حسَّان وقلّةَ صبره على ما فعلنا به، وكأني به قد جاء وشكا اليه ما فعلنا، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله: إن لم تَلحقْهما إلا بمكة فارْدُدهما عليّ، فاربح بنا تَركَ العناء وأقِمْ بنا مكانَنا، فإن كان الذي ظننتُ فالرجوع من الرَّوْحاء أسهلُ منه من أبعدَ منها، وإن أخطأ ظنّي فذلك الذي نُحبّ ونحن من وراء المُضيّ؛ فقال ابنُ الزِّبَعْرَى: نِعمَ ما رأيتَ. قال: فأقاما بالرَّوحاء، فما كان إلا كمَرّ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردّهما اليه، فدعا لهما بحسَّان، وعمرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لحسَّان: أنشدهما ما قلتَ لهما؛ فأنشدهما حتى فرَغ مما قال لهما فوقف؛ فقال له عمر: أفرغتَ؟ قال: نعم؛ فقال له: أنشداكَ في الخلاء، وأنشدتهما في الملإ. وقال لهما عمر: إن شئتما فأقيما وإن شئتما فانصرفا؛ وقال لمن حضره: إني قد كنتُ نَهيتُكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفعاً للتَّضاغُن عنكم وبثِّ القبيح فيما بينكم، فأما إذ أبَوْا فاكتبوه واحتفظوا به؛ فدوّنوا ذلك عندهم. قال خَلَّاد بن محمد: فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لتُجدِّده عندها إذا خافت بِلاه.

أخبرنا أحمدُ[2] بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا عَفّان بن مُسلم قال حدّثنا عِمرانُ بن زيد قال: سمعت أبا إسحاق قال في قصّة حسَّان وأبي سفيان ابن الحارس نحو ما ذكره مما قدّمنا ذكرَه، وزاد فيه: فقال حسَّان فيه:

---

(١) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلاً من المدينة.

(٢) في الأصول: «محمد بن عبد العزيز» وظاهر جداً أنه أحمد بن عبد العزيز الجوهري الذي يروي عن عمر بن شبة، ويروي عنه كثيراً أبو الفرج.

وإنّ سَنام المجـد من آل هاشم بنو بنتِ[1] مَخزومٍ، ووالدُكَ العَبدُ

ومن ولَدتْ أبناءُ زُهرَةَ[2] منكمُ كِرامٌ ولم يَلحَق عجائزَكَ المجدُ

وإنّ أمرأً كانت سُميّـةُ[3] أمّه وسمراءُ[4] مغلوبٌ إذا بلَـغ الجهدُ

وأنت هَجينٌ[5] نِيطَ في آل هاشمٍ كما نِيطَ خلفَ الراكبِ القدحُ الفَردُ

فقال العبّاس: وما لي وما لحسّان! يعني في ذكره نُتيلة[6]، فقال فيها:

واستَ كعبّاسٍ ولا كابنِ[7] أمّهِ ولكن هجينٌ ليس يُورَى له زَندُ

جبريل يقول شعرا :

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القَعْنبيّ قال حدّثنا مروان بن معاوية قال حدّثنا إياس السُّلَميّ عن ابن بُرَيدة قال :

---

(١) بنت مخزوم : يريد بها فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم عبد الله (أبي النبي) والزبير وأبي طالب أبناء عبد المطلب. ووالدك العبد : يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو أبو أبي سفيان المهجوّ وكانت أمه أمّ ولد .

(٢) يريد في هذا البيت مدح آمنة أم النبي وهالة أم حمزة وصفية، وكلتاهما زهرية اذ هما ابنتا وهب ابن عبد مناف بن زهرة . وقوله : «ولم يلحق عجائزك المجد» يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار اذ كانت أم أبي سفيان نفسه أم ولد وأم أبيه كذلك أم ولد . وورواية الديوان في هذا البيت (ص ٩١ طبع ليدن) .

وما ولدت أفناء زهرة منكم كريماً ولم يقرب عجائزك المجد

(٣) كذا في الديوان وسمية : هي أم الحارث بن عبد المطلب، وأبوها موهب غلام لبني عبد مناف. وفي الاصول : «نثيلة» بالثاء المثلثة وهو تحريف (انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٠٠ طبع بولاق) .

(٤) سمراء : هي أم أبي سفيان المهجوّ .

(٥) الهجين : من أبوه عربيّ وأمه ليست بعربية . ونيط في آل هاشم : نسب اليهم وليس منهم، يريد أنه ليس من خالصهم .

(٦) كذا في المعارف لابن قتيبة وشرح القاموس (مادة نتل)، وهي نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب أم العباس وضرار ابني عبد المطلب، وهي احـدى نساء بني النمر بن قاسط . وفي الأصول «نثيلة» بالثاء المثلثة وهو تحريف .

(٧) هو ضرار بن عبد المطلب .

أعان جبريلُ عليه السلام حسّانَ بن ثابت في مديح النبيّ صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتاً .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيدُ بن عامر قال حدّثني جُوَيرِيةُ بنُ أسماء قال :

بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرتُ عبدَ الله بن رَواحة فقال وأحسن وأمرتُ كعبَ بن مالـك فقال وأحسن وأمرت حسّانَ بن ثابت فشفى واشتفى » .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابنُ وَهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويَعلى بن شَدّاد بن أوْس عن عائشة قالت :

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول لحسّان بن ثابت الشاعر : « إن رُوحَ القدس لا يزال يؤيّدك ما كافحتَ عن الله عزّ وجلّ وعن رسول الله » صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هَوْذة بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد قال :

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلةً وهو في سفر : « أين حسّانُ بن ثابت » ؛ فقال حسّان : لبّيْكَ يا رسول الله وسَعْدَيْك ؛ قـال : « احْدُ » ، فجعل يُنشد ويُصغي اليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ويَستمع ، فما زال يَستمع اليه وهو سائق راحِلتَه حتى كان رأسُ الراحلة يَمسُّ الوَرِكَ حتى فرَغ من نَشيده ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لهذا أشدُّ عليهم من وَقع النَّبل » .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النَّبيل قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرنا زياد بن أبي سَهل قال حدّثني سعيد بن المسيَّب :

انشاد في المسجد :

ان عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانْتهرَه عمر؛ فقال حسّان : قد أنشدتُ فيه مَنْ هو خيرٌ منك، فانطلق عمر.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطَّيالِسيّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهري عن سعيد بن المسيّب :

أن عمر مرّ على حسّان وهو يُنشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر مثله وزاد فيه : وعلمتُ أنه يريد النبيّ صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقيّ عن مُسلِم بن يَسار :

أن عمر مرّ بحسّان وهو ينشد الشعرَ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بأذُنه وقال : أرُغاءٌ كرُغاء البعير! فقال حسّان : دعنا عنك يا عمر، فوالله لَتعلمُ أني كنتُ أنشِد في هذا المسجد مَن هو خيرٌ منك فلا يُغيّر عليّ؛ فصدّقه عمر.

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحَرَميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مُصعَب عن هشام بن عُروة عن فاطمة بنت المُنذر عن جَدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت :

مرّ الزُّبيرُ بن العوّام بمجلسٍ من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسّان بن ثابت يُنشدهم من شعره وهم غير نِشاطٍ لِما يَسمعون منه، فجلس

(١) رواية صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٥٩ طبع بولاق) : «قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك».

معهم الزبير فقال: مالي أراكم غيرَ آذِنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة! فلقد كان يَعرِض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحسن استماعه ويُجزِل عليه ثوابه ولا يَشتغل عنه بشيء. فقال حسان:

أقامَ على عهد النبيّ وهَدْيِه ... حواريُّه[1] والقولُ بالفعل يُعدَلُ
أقام على مِنهاجه وطريقِه ... يوالي وليَّ الحقّ والحقُّ أعدلُ
هو الفارس المشهور والبطلُ الذي ... يَصول إذا ما كان يومٌ مُحجَّلُ
إذا كشَفَتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها[2] ... بأبيضَ سبَّاقٍ إلى الموت يُرقِلُ[3]
وإن امرأً كانت صفيَّةُ أمَّه ... ومن أسد في بيتها لمُرَفَّلُ[4]
له من رسول الله قُربى قريبةٌ ... ومن نُصرة الإسلام مجدٌ مؤثَّلُ
فكم كُربةٍ ذبَّ الزُّبيرُ بسيفه ... عن المصطفى والله يُعطي فيُجزِلُ
فما مثلُه فيهم ولا كان قبلَه ... وليس يكون الدهرَ ما دام يَذبُلُ[5]
ثناؤك خيرٌ من فِعال مَعاشرٍ ... وفعلك يا ابنَ الهاشميّة أفضلُ

أخبرني أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابنُ فُضَيل عن مُجالد عن الشَّعْبيّ قال:

لما كان عامُ الأحزاب[6] وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال النبيّ صلى الله عليه وسلّم: «من يَحمي أعراضَ المسلمين»؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله،

---

(١) حواريّ النبيّ صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوّام، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن لكل نبيّ حوارياً وإن حواريّ الزبير». وفي رواية: «الزبير بن عمتي وحواريّ من أمتي» أي خاصتي من أصحابي وناصري.

(٢) حش الحرب: أسعرها وهيجها.

(٣) أرقل: أسرع، والإرقال ضرب من السير السريع، قال النابغة:

إذا استنزلوا للطعن عنهنّ أرقلوا ... إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

(٤) المرفل: المعظم المسوّد.

(٥) يذبل: اسم جبل في بلاد نجد.

(٦) الأحزاب: قريش وغطفان وبنو قريظة تألبوا على حرب النبيّ.

وقال عبد الله بن رَواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حسّان بن ثابت : أنا يا رسول الله ؛ فقال : « نعم اُهجُهم أنتَ فإنه سيُعِينُك عليهم رُوحُ القُدُس » .

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمرو بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حُدَيج بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبَير قال :

كنّا عند ابن عباس فجاء حسّان ، فقالوا : قد جاء اللَّعين ؛ فقال ابنُ عباس : ما هو بلعين ، لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

حدّثنيه أحمد بن الجعْد قال حدّثنا محمد بن بَكّار قال حدّثنا حُدَيج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سَعيد بن جُبَير قال :

جاء رجلٌ إلى ابن عباس فقال : قد جاء اللعين حسّان من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين، لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه .

منافحة :

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمرو وشُرَيح بن النُّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُروةَ عن أبيـه عن عائشة قالت :

لما قدِم وفدُ بني تميم وَضع النبيّ صلى الله عليه وسلم لحسّان مِنبراً وأجلسه عليه ، وقال : « إن الله ليؤيّد حسّانَ بروح القدس ما كافَحَ[١] عن نبيّه » صلى الله عليه وسلم . هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مُختصراً ، وأتينا به على تمامه ها هنا لأنّ ذلك حسن فيه .

أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زَهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

---

(١) ويروى : « ما نافح » بالحاء المهملة، وهما بمعنى واحد .

قدِم على النبيّ صلى الله عليه وسلم وفدُ بني تَميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً، فيهم الأقرعُ بن حابِس، والزِّبرِقان بن بَدر، وعُطارِدُ بن حاجب، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عُيَيْنــة بن حِصْن، فقدِموا المدينةَ، فدخلوا المسجدَ، فوقفوا عند الحُجُرات، فنادَوْا بصوت عالٍ جافٍ: اُخرج الينا يا محمد، فقد جئنا لنُفاخِرك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا، فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، فقام الأقرعُ بن حابِس فقال: والله إن مدحي لزَيْنٌ، وإنّ ذَمّي لشَيْن؛ فقال النبيّ صلى الله عليــه وسلم: «ذلكَ اللهُ». فقالوا: إنّا أكرمُ العرب؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرمُ منكم يوسفُ بنُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام». فقالوا: أتأذَنُ لشاعرنا وخطيبنا؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معــه الناس. فقام عُطارِدُ بن حاجِب فقال:

الحمد لله الذي له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعزّ أهل المَشرق[1]، وآتانا أموالًا عِظاماً نفعل فيها المعروف، ليس في الناس مثلُنا، ألَسنا برؤوس الناس وذوي فضلهم! فمن فاخرنا فليَعْدُدْ مثل ما عدّدْنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنا نَستحي من الإكثار فيما خوّلنا اللهُ وأعطانا، أقول هذا فأتوا بقولٍ أفضل من قولنا أو أمرٍ أبيَنَ من أمرنا، ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شَمّاس فقال: الحمد لله الذي السمواتُ والأرضُ خَلْقُه، قضى فيهنّ أمره ووسع كرسيه وعلمه[2]، ولم يَقضِ شيئاً إلا من فضله وقدرته، فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولًا أكرمَهم حسباً وأصدَقهم حديثاً وأحسنَهم رأياً، فأنزل عليه كتاباً وائتمنه على خلقه، وكان خِيرَةَ الله من

(١) في الطبري (ص ١٧١١ من القسم الاول طبع أوربا): «وجعلنا أعز أهــل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدّة ... الخ».

(٢) في سيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبري: «ووسع كرسيه علمه» من غير واو العطف، وقد وردت هاتان الخطبتان في السيرة والطبريّ باختلاف يسير عما هنا.

العالمين ، ثم دعا[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الايمان ، فأجابه من قومه وذوي رَحمه المهاجرون أكرمُ الناس أنساباً ، وأصبحُ الناس وجوهاً ، وأفضلُ الناس فِعالا ؛ ثم كان أوّل من آتبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من العرب وآستجاب له نحن مَعْشرَ الأنصار ، فنحن أنصارُ الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناسَ حتى يؤمنوا ويقولوا : لا إله إلا الله ، فمن آمن بالله ورسوله مَنع منّا ماله ودَمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهَدْناه في الله ، وكان جهادُه علينا يسيراً ، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزِّبرِقان فقال :

نحنُ[2] الملوكُ فلا حيٌّ يُقارِبنا ... منّا الملوكُ وفينا يؤخذُ الرُّبعُ[3]

تلك المكارمُ حُزْناها مُقارَعةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا

كم قد نُشدْنا من الأحياء كلّهم ... عند النِّهاب وفضلُ العزّ يُتّبعُ

وننحر الكُومَ[4] عُبْطاً[5] في منازلنا ... للنازلين إذا ما آستطْعموا شَبِعوا

ونحن نُطعم عند المَحل ما أكلوا ... من العَبيط إذا لم يظهر القَزَعُ[6]

وننصرُ الناسَ تأتينا سَراتُهمُ ... من كل أوْب فتَمْضي ثم نَتَّبعُ

---

(١) في سيرة ابن هشام والطبري : « ثم دعا الناس الى ... الخ » .

(٢) ورد هذا الشعر في ديوانه وسيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبري (قسم ١ ص ١٧١٢ طبع أوربا) باختلاف عما هنا .

(٣) كان من عادة العرب في الجاهلية اذا غزا بعضهم بعضاً وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه، وذلك الربع يسمى المرباع، ورواية البيت في السيرة والطبري :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

(٤) الكوم : جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام والأنثى كوماء .

(٥) عبط الذبيحة عبطاً : نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتية، ويقال للناقة : عبيطة والجمع : عبط (بضمتين) وقد تسكن عينه .

(٦) ورد هذا البيت في نهاية ابن الاثير واللسان (مادة سدف) هكذا :

وتطعم الناس عند القحط كلهم ... من السديف اذا لم يؤنس القزع

والسديف : شحم السنام . والقزع : السحاب . أي تطعم الشحم في المحل .

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فجاء، فأمره أن يجيبه؛ فقال حسّان:

إنّ الذوائبَ[١] من فِهرٍ وإخوتَهم ... قد بيّنوا سُنّةً للناس تُتّبعُ
يَرضى بها كلُّ من كانت سريرتُه ... تقوى الإله وبالأمر الذي شَرَعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهمُ ... أو حاولوا النّفعَ في أشياعهم نَفَعوا
سجيّةٌ تلك منهم غيرُ مُحدَثةٍ ... إنّ الخلائقَ فاعلم شرُّها البِدَعُ
لا يَرقَعُ[٢] الناسُ ما أوهتْ أكفُّهم ... عند الدّفاع ولا يُوهون ما رَقعوا
إن كان في الناس سبّاقون بعدهمُ ... فكلُّ سَبقٍ لأدنى سَبقِهم تَبَعُ
أعِفّةٌ ذُكرتْ في الوَحي عِفّتُهم ... لا يَطبَعون[٣] ولا يُرديهم الطمعُ
ولا يَضَنّون عن جارٍ بفضلهمِ ... ولا يَمسّهمُ من مطمعٍ طَبَعُ
يَسمُون للحرب تبدو وهي كالحةٌ ... إذا الزّعانفُ[٤] من أظفارها خَشَعوا
لا يفرحون إذا نالوا عدوّهمُ ... وإن أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
كأنهم في الوغى والموت مُكتَنِعٌ[٥] ... أسودُ بِيشةَ[٦] في أرساغها فَدَعُ[٧]
خُذ منهمُ ما أتى[٨] عفواً وإن مَنعوا ... فلا يكن همَّك الأمرَ الذي مَنَعوا
فإنّ في حربهم فاترُكْ عداوتهم ... سُمّاً يُخاض[٩] عليه الصابُ والسَّلَعُ

---

(١) ورد هذا الشعر أيضاً في السيرة (ص ٩٣٦ طبع أوربا) والطبري (قسم ١ ص ١٧١٤ طبع أوربا) والديوان باختلاف يسير عما هنا.

(٢) ويروى: «يرفع».

(٣) كذا في الديوان. وفي الأصول: «لا يطمعون ولا يزري بهم طمع».

(٤) الزعانف: أرذال الناس.

(٥) المكتنع: الداني القريب.

(٦) بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، على خمس مراحل من مكة، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد. وفي السيرة: «أسد بحلية ... الخ» وحلية: مأسدة بناحية اليمن.

(٧) الفدع: اعوجاج في الرسغ.

(٨) كذا في ديوانه والسيرة. وفي الأصول: «... ما أتوا عفوا ... الخ».

(٩) يخاض: يخلط. والصاب والسلع: ضربان من الشجر مرّان.

أَكرِمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهم ... إذا تفرّقت الأهواء والشِّيَعُ
أهدَى لهم مِدَحي قلبٌ يؤازره ... فيما أراد لسانٌ حائكٌ صَنَعُ
فإنهم أفضـل الأحياء كلّهمِ ... إن جدّ بالناس جِدُّ القول أو شَمَعُوا[1]

فقام عُطارِدُ[2][3] بن حاجب فقال:

أتيناك كيما يعلمَ الناسُ فضلَنـا ... اذا اجتمعوا وقت احتضارِ المواسمِ
بأنّا فروعُ الناس في كلِّ موطنٍ ... وأن ليس في أرض الحجاز كَدارِمِ[3]

فقام حسان بن ثابت فقال:

منعنا[4] رسولَ الله من غَضَبٍ له ... على رَغم أنفٍ من مَعدٍّ وراغم
هل المجدُ إلا السُّودَدُ العَوْدُ[5] والنّدى ... وجـاهُ الملوك واحتمالُ العظائمِ

قال: فقال الأقرعُ بن حابس: والله إن هذا الرجل لَمُؤتّى[6] له! والله لشاعره

---

(١) كذا في ديوانه طبع أوربا وسيرة ابن هشام والطبري، ومعناه: مزحوا، وهو أنسب للمقام، لمقابلته لقوله: إن جدّ بالناسِ الخ، قال أبو ذؤيب يصف حمرا:

فلبثن حيناً يعتلجن بروضة ... فيجدّ حيناً في العلاج ويشمع

وفي الأصول وديوانه طبع مصر: «سمعوا» بالسين المهملة.

(٢) الذي في سيرة ابن هشام (ص ٩٣٧ طبع أوربا) أن هذا الشعر من قول الزبرقان بن بدر.

(٣) دارم: أبو حيّ من تميم.

(٤) رواية الديوان وسيرة ابن هشام:

نصرنا وآوينا النبيّ محمـدا ... على أنف راضٍ من معدٍّ وراغم

ورواية الطبري:

منعنا رسول الله اذ حل وسطنا ... على كل باغ من معـدّ وراغم

(٥) العود: القديم.

(٦) كذا في الطـبري وسيرة ابن هشام. ومؤتّى له: مسهّل وميسّر له. وفي الأصول: «لمؤثر له».

أشعرُ من شاعرنا، ولخطيبُه أخطبُ من خطيبنا[١]، ولأصواتهم أرفعُ من أصواتنا! أعطِني يا محمد، فأعطاه؛ فقال: زِدْني فزاده؛ فقال: اللهم إنه سيِّد العرب؛ فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: ثم إن القوم أسلموا، وأقاموا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن، ويتفقَّهون في الدّين؛ ثم أرادوا الخروجَ الى قومهم، فأعطاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم وكساهم، وقال: «أما بَقِي منكم أحدٌ؟» وكان عمرو بن الأهتم في رِكابهم، فقال قيس بن عاصم، وهو من رَهطِه وكان مُشاحِناً له: لم يَبق منا أحدٌ إلا غلامٌ حديثُ السنّ في رِكابنا؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِثلَ ما أعطاهم. فبلغ عَمراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس:

ظَلِلْتَ مُفترِشَ الهَلباء[٢] تَشتُمُني عند الرسول فلم تَصدُق ولم تُصِبِ
إن تُبغِضونا فإن الرومَ أصلُكمُ والرومُ لا تَملِكُ البغضاءَ للعربِ
فإنْ[٣] سُؤدُدَنا عَوْدٌ وسؤدُدُكم مؤخَّرٌ عند أصل العَجْب والذّنبِ

فقال له قَيس:

لولا دفاعي كنتمُ أعبُداً داركُم الحيرةُ والسَّيلَحون[٤]

إعانه بالرسل:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نصر قالا حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقدَّم عن يحيي بن سَعيد عن أبي حيَّان التَّيمي عن حَبيب

---

(١) التكملة عن سيرة آبن هشام والطبري.

(٢) الهلباء: الاست.

(٣) رواية هذا البيت في سيرة آبن هشام:

سدنا كم سؤدداً رَهْواً وسؤددكم بادٍ نواجذه مُقْعٍ على الذنب

والعجب من كل دابة: ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز.

(٤) السيلحون: موضع قرب الحيرة، وقيل: هو بين الكوفة والقادسية.

ابن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسعَر عن سعد بن إبراهيم، قالوا :

قال حسّان[١] بن ثابت للنبيّ صلى الله عليه وسلم :

صوت

شَهِدتُ بإذْنِ الله أنّ محمداً رسولُ الذي فوقَ السموات مِن عَلُ
وأنّ أخا[٢] الأحقاف إذ يَعذِلونه يقوم بدين الله فيهم فَيعدِلُ
وأنّ أبا يحيى[٣] ويحيى كلاهما له عَمَلٌ في دينه مُتَقَبَّلُ
وأنّ الذي عادى اليهود ابنَ مَريم رسولٌ أتى من عندذي العرش مُرسَلُ
وأنّ الذي بالجِزْع[٤] من بطن نَخلةٍ ومَنْ دونَها فِلٌّ[٥] من الخير مَعزِلُ

— غنّى في هذه الأبيات معبدٌ خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره — فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « أنا أشهد معك ».

---

(١) نسب هذا الشعر في اللسان (مادة فلل) الى عبد الله بن رواحة يصف العُزّى ، وهي شجرة كانت تعبد، وذكر بيتين من هذا الشعر نذكرهما لاختلافهما في بعض الألفاظ عما هنا وهما :

شهدت ولم أكذب بأن محمداً رسول الذي فوق السموات من عل
وأن التي بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل من الخير معزل

ثم أعقبها بالجملة التفسيرية الآتية : « أي خال من الخير ، ويروى : ومن دونها ، أي الصنم المنصوب حول العزى » .

(٢) هو هود عليه السلام وهو المشار اليه في قوله تعالى : (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف) والأحقاف : جمع حقف ، وهو جبل مستطيل مرتفع فيه انحناء .

(٣) يعني بأبي يحيى زكريا عليه السلام .

(٤) الجزع : قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله . ورواية الديوان في هذا البيت :

وأن التي بالسدّ من بطن نخلة ومن دانها فل من الخير معزل

(٥) الفل : الذي لا خير عنده كالأرض الفل وهي التي لا نبت فيها ولا خير . (انظر التعليقات التي على ديوان حسان المطبوع بأوربا الذي أشرف على طبعه المستشرق الانجليزي جيب) . وبطن نخلة : موضع بين مكة والطائف .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زُهير بن حَرب قال حدّثني جَرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا سُفيان بن وَكيع قال حدّثنا جَرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مَسروق قال:

دخلتُ على عائشة وعندها حسّان وهو يرثي بنتاً[١] له وهو يقول:

رَزانٌ[٢] حَصانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصبح غَرْثَى[٣] من لحوم الغوافِلِ

فقالت عائشة: لكن أنت لستَ كذلك؛ فقلت لها: أيدخُل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ: (والّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنهم لَهُ عَذابٌ عظيمٌ)! فقالت: أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره!.

الفاختة تنبىء:

أخبرنا محمد بن خَلف وَكيع قال حدّثنا إسماعيلُ بن إسحاق القاضي قال حدّثنا ابنُ أبي أُوَيس قال حدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرّبيع ابن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال:

بينا نحن جلوسٌ عند حَسّان بن ثابت، وحسّان مضطجعٌ مُسنِد رجليه الى فارِعٍ[٤] قد رفعها عليه، إذ قال: مَهْ! أما رأيتم ما مرّ بكم الساعةَ! قال مالك:

---

(١) القصيدة في ديوانه ليس فيها شيء من الرثاء بل هي في مدح عائشة والاعتذار عما رماها به هو وغيره من الإفك (راجع صفحة ١٦٢ من هذا الجزء) وهي غير القصيدة التي رثى بها ابنته وان كانت على قافيتها.

(٢) رواية الديوان: «حصان رزان الخ». وامرأة رزان اذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف وكانت رزينة في مجلسها، وامرأة حصان بفتح الحاء: عفيفة بينة الحصانة.

(٣) الغرثى: الجائعة، أي أنها تصبح جائعة من لحوم الناس والمراد أنها لا تغتابهم.

(٤) فارع: اسم أطم، وهو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت.

قلنا : لا والله، وما هو ؟ فقال حسان : فاخِتَةٌ[١] مرّت الساعةَ بيني وبين فارع فصدمتني ! أو قال: فزحمتني؛ قال : قلنا : وما هي ؟ قال :

ستأتيكمُ غدواً أحاديثُ جمّةٌ فأصغُوا لها آذانَكم وتسمّعوا

قال مالك بن أبي عمرو : فصبّحنا من الغد حديثُ صِفّين .

أخبرنا وَكيع قال حدّثنا الليثُ بن محمد عن الحنظليّ عن أبي عَبدة عن العَلاء ابن جَزْء العنبريّ قال :

بَيناً حسّانُ بن ثابت بالخَيْف وهو مكفوف، إذ زفَر زفرةً ثم قال :

وكأنّ حافرَها بكلّ خَميلةٍ[٢] صاعٌ يَكيل به شحيحٌ مُعدِمُ
عارِي الأشاجِع[٣] من ثَقيفٍ أصلُه عبدٌ ويَزعمُ أنه مِن يَقدُمِ[٤]

قال: والمُغيرة بن شُعبة جالس قريباً منه يسمع ما يقول، فبعث اليه بخمسة آلاف درهم؛ فقال : من بعث بهذا ؟ قال[٥]: المغيرة بن شعبة سمع ما قلتَ؛ قال: وا سوءتاه! وقَبِلها .

الاستجارة من شعره :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال :

---

(١) الفاختة : واحدة الفواخت ، وهي ذوات الأطواق من الحمام ، قيل لها ذلك للونها لأنه يشبه الفخت الذي هو ضوء القمر .

(٢) الخميلة : الأرض السهلة التي تنبت ، شبه نبتها بخمل القطيفة .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل : هي عروق ظاهر الكف ، واحدها : أشجع .

(٤) يقدم : أبو قبيلة وهو يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، والبيت فيه إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ .

(٥) كذا في جميع الأصول ، وكان الأولى أن يكون «قيل» أو «قالوا» .

جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة الى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: أجِرْني من شعر حسّان، فلو مُزج البحرُ بشعره لمَزَجه. قال: وكان السببُ في ذلك – فيم أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمي مُصعَب – أن الحارث بن عوف أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: ابعث معي من يدعو الى دِينك وأنا له جارٌ؛ فأرسل معه رجلًا من الأنصار، فغدرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريّ، فقدِم الحارثُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحداً في وجهه، فقال: «ادعوا لي حسّان»؛ فدُعِي له، فلما رأى الحارثَ أنشده:

يا حارِ مَنْ يَغدُرْ بذمّة جارِه منكم فإنّ محمداً لم يَغدُرِ
إن تغدُروا فالغدرُ منكم شيمةٌ والغدر ينبُت في أصول السَّخبَرِ [١]

فقال الحارث: اكفُفْه عنّي يا محمد، وأؤدّي إليك دِيَةَ الُخفارة [٢]؛ فأدّى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَراء [٣] وكذلك دِيَةُ الخفارة، وقال: يا محمد، أنا عائذٌ بك من شرّه، فلو مُزِج البحر بشعره مَزَجه.

حظه من المهاجرين:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إبراهيم بن المُنذِر قال حدّثنا عبد الله بن وَهب قال أخبرنا العَطّاف بن خالد قال:

كان حسّان بن ثابت يجلس الى أُطِمه فارع، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع

---

(١) السخبر: شجر إذا طال تدلت رؤوسه وانحنت، وقيل: شجر من شجر الثام له قضب مجتمعة وجرثومة. وفي اللسان يقال: ركب فلان السخبر إذا عذر، وذكر البيت.

(٢) الخفارة: الذمام.

(٣) العشراء من النوق: التي مضى على حملها عشرة أشهر، وقيل: ثمانية.

لهم بِساطاً يجلسون عليه، فقال يوماً، وهو يرى كثرةَ من يأتي الى النبيّ صلى الله عليه وسلم من العرب فيُسلمون:

أرى الجلابيبَ[١] قد عزّوا وقد كثُروا وابنُ الفُرَيعة أمسى بيضةَ[٢] البلدِ

فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مَن لي بأصحاب البساطِ بفارع؟»؛ فقال صفوانُ بن المعطَّل: أنا لك يا رسول الله منهم؛ فخرج اليهم فأخترط سيفَه، فلما رأوْه عرَفوا الشرّ في وجهه ففرّوا وتبدّدوا، وأدرك حسّانَ داخلًا بيتَه، فضربه وفلَق أليتَه. قال: فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عوّضه وأعطاه حائطاً[٣]، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير، فبناه معاويةُ قصراً، وهو الذي يقال له: «قصرُ الدّارين». وقد قيل: إن صفوانَ بنَ المعطَّل إنما ضرَب حسّانَ لما قاله فيه وفي عائشة زوجِ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الإفك[٤]، لأنّ صفوانَ هو الذي رمى أهلُ الافك عائشةَ به.

(١) كذا في أكثر الأصول وهو الموافق لما في الطبري (ص ١٥٢٦ من القسم الأوّل) واللسان مادة «بيض» والتنبيه (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) والأضداد في (اللغة ص ١١٨ طبع بيروت). وقال البكري في التنبيه: «وكان المنافقون يسمون المهاجرين رضي الله عنهم الجلابيب». وفي اللسان: «أراد بالجلابيب سفلة الناس وغثراءهم». وفي تاج العروس شرح القاموس (ج ٥ ص ١٢) والديوان: «الخلابيس» وقال في الشرح «الخلابيس: الأخلاط من كل وجه» (انظر ديوانه المطبوع في لندن سنة ١٩١٠ ص ٩١).

(٢) العرب تقول للرجل: هو بيضة البلد، يمدحونه بذلك، وتقول للآخر هو بيضة البلد، يذمونه بذلك. والممدوح يراد به البيضة التي يحضنها الظليم ويقيها، لأن فيها فرخه. والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التي لا حافظ لها ولا يدرى لها أب وهي تريكة الظليم. قال الرمّاني: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة والبصرة فبيضة البلد مدح، وإذا نسب الى البلاد التي أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم.

(٣) الحائط: البستان. وفي كتاب التنبيه للبكري: «فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً: بيرحاء، وهي قصر بني حُديلة اليوم بالمدينة، وسيرين (أمة قبطية وهي أم عبد الرحمن بن حسان رضي الله عنها)».

(٤) يعني أبو الفرج بالإفك هنا الحديث الذي تخرّصه قوم على عائشة رضي الله عنها، وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم كان يصطحب فيها عائشة؛ فحدث أنه أمر بالرحيل؛ وكانت عائشة منطلقة لبعض شأنها؛ فأمر بهودجها فحمل على بعيره، وظن القوم أنها فيه ولم تكن هناك، فلما رجعت عائشة الى الهودج ألفت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد ارتحلوا؛ فكثت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل؛ فأرجعها الى المدينة؛ فأرجف بها أناس ورموها بالإفك، وكان منهم حسان بن ثابت رضي الله عنه.

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة قال:

اعترض صفوانُ بن المعطَّل حسانَ بن ثابت بالسيف لما قَذَفه به من الإفك حين بلغه ما قاله. وقد كان حسّانُ قال شعراً يُعرّض بابن المعطَّل وبمن أسلم من العرب من مُضَرَ فقال:

أمسى الجلابيبُ قد عَزّوا وقد كثُروا وابنُ الفُرَيعة أمسى بيضةَ البَلدِ
قد ثَكِلتْ أُمه من كنتُ صاحبَه أو كان مُنتشِباً في بُرثُنِ الأسدِ
ما للقتيلِ الذي أعدو فآخُذُه من دِيَةٍ فيه أُعطيها ولا قَوَدِ[1]
ما البحرُ حين تَهُبّ الريحُ شامية[2] فيَغطئل[3] ويَرْمي العِبْرَ بالزَّبدِ
يوماً بأغلبَ منّي حين تُبصرني بالسيف أفري كفَرْي العارِض[4] البَرِدِ

فاعترضه صفوانُ بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال:

تلقَّ ذُبابَ السيفِ عنّي فإنني غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعر

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي:

أن ثابت بن قيس بن الشمّاس أخا بَلْحارث بن الخَزْرج وثَب على صفوان بن المعطَّل في ضَربه حسّان فجمع يديه على عُنقه، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخَزْرج، فلَقِيه عبدُ الله بن رَواحة، فقال: ما هذا؟ فقال: ألا أُعجِبُك[5]!

---

(١) القود: القصاص.

(٢) في ديوانه ص ٦٢: «شاملة».

(٣) كذا في ديوانه، واغطأل الشيء: ركب بعضه بعضاً. وفي ح: «فيغضئل» بالغين والضاد المعجمتين. وفي باقي الأصول: «فيعضئل» بالعين المهملة والضاد المعجمة، وكلاهما تحريف. والعبر: جانب النهر، وعبر الوادي: شاطئه وناحيته.

(٤) العارض: السحاب المعترض في الأفق. وسحاب برد (بكسر الراء): فيه قرّ وبرد.

(٥) يقال: عجّبه بالشيء اذا نبّهه على التعجب منه.

ضَرَبَ حسّان بالسيف! والله ما أُراه إلا قد قتله؛ فقال له عبد الله بن رَواحة: هل علِم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من هذا؟ قال: لا والله؛ قال: لقد آجترأتَ! أطلقِ الرجلَ، فأطلقه. ثم أتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُكر ذلك له، فدعا حسّان وصفوانَ بنَ المعطَّل، فقال آبنُ المعطل: يا رسول الله، آذاني وهجاني فضربتُه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان: «يا حسّان أتعيبُ على قومي أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام!»؛ ثم قال: «أحسِن يا حسان في الذي أصابك»؛ قال: هي لك يا رسول الله.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني المدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاقَ بن يَسار عن بعض رجال بني النّجار بمثل ذلك، وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادةً، ووافقه عليها مُصعب الزُّبيريّ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ، قال قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني عمي مصعب في القصّة، فذكر أنّ فِتْيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولَهم، فغضِب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر.

وذكر الزُّهريّ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعْد، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المسيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبة عن آبن شِهاب الزُّهريّ أن هذا الخبر كان بعد غزوة النبيّ صلى الله عليه وسلم بني المُصْطَلِق[1]. قال:

وكان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له: سِنان[2]،

---

(١) بنو المصطلق: بطن من خزاعة، والمصطلق: لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة، وسمي بالمصطلق لحسن صوته، وهو أوّل من غنى من خزاعة.

(٢) كذا في سيرة آبن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا) والطبري (ص ١٥١١ من القسم الاول طبع أوربا). وفي الأصول: «جعان». وقد ساق آبن هشام والطبري هذه القصة هكذا. فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوض بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين؛ فغضب عبد الله بن أبي الخ.

ورجل من بني غِفار يقال له: جَهْجاه[1]، فخرج جهجاه بفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وفرسٍ له يومئذٍ يسقيها، فأوْردها الماء، فوجد على الماء فِتيةً من الأنصار، فتنازعوا فاقتتلوا، فقال عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول: هذا ما جزَونا به، آويناهم ثم هم يقاتلوننا! وبلغ حسَّانَ بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفِتْيَة الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، وهذا الشعر من رواية مُصعب دون الزُّهريّ:

أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا ... وابنُ الفُرَيعةِ أمسى بَيضةَ البَلَدِ
يمشون بالقَول سِرّاً في مُهادَنةٍ ... تَهدُّداً لي كأني لستُ من أحدِ
قد ثَكِلتْ أمه من كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنتشِباً في بُرثُن الأسدِ
ما للقتيل الذي أسمو فأقتله ... من دِيَة فيه أُعطيها ولا قَوَدِ
ما البحرُ حين تهبّ الريح شاميةً ... فيَغطئلُّ ويَرمي العِبرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلبَ منّي حين تُبصرني ... أَفري من الغيظ فَرْيَ العارض البَرِدِ
أمّا قريشٌ فإني لست تاركَهم ... حتى يُنيبوا من الغَيّات بالرَّشَدِ
ويتركوا اللاتَ والعُزّى بمَعزِلةٍ ... ويسجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمدِ
ويشهدوا أن ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ ويُوفوا بعهد الله في سَدَدِ[2]
أبلغ بَنيَّ بأني قد تركتُ لهم ... من خير ما تَركَ الآباء للوَلَدِ
الدارُ واسطةٌ والنخلُ شارعةٌ ... والبِيضُ يَرْفُلن في القَسِّيِّ[3] كالبَرَدِ

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حسانُ نَفِسْتَ[4] عليَّ إسلامَ قومي»

---

(١) هو جهجاه بن سعيد الغفاري كما في الطبري والمعارف لابن قتيبة (ص ١٦٥). وفي سيرة ابن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا): «جهجاه بن مسعود». وفي أسد الغابة: «هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري من أهل المدينة».

(٢) السدد: القصد.

(٣) القسّيّ: ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر، نسبت الى قرية على ساحل البحر قريباً من تنيس يقال لها القس (بفتح القاف وكسرها).

(٤) نفس عليه الشيء: حسده عليه ولم يره أهلا له.

وأغضبه كلامُه؛ فغدا صَفوان بن المعطَّل السُّلميّ على حسَّان فضربه بالسيف. وقال صفوان:

تَلَقَّ ذُبابَ السيف عنّي فإنني غلامٌ اذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثَب قومُه على صفوان فحبسوه، ثم جاءوا سعدَ بنَ عُبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي حَزِيمة[1] بن ثَعلبة بن طَريف[2] بن الخَزْرج بن ساعدة بن كعب بن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر، وهو مقبلٌ على ناضِحه بين القِرْبَتين، فذكروا له ما فعل حسان وما فعلوا؛ فقال: أشاوَرتم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلَّم؟ قالوا: لا، فقعد الى الأرض، وقال: وانقطاعَ ظَهْراه! أتأخذون بأيديكم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين ظَهرانَيكم! ودعا بصفوان فأُتي به، فكساه وخَلَّاه، فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كساك كساه الله». وقال حسان لأصحابه: احملوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضَّاه، ففعلوا؛ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فردّوه؛ ثم سألهم فحملوه اليه الثانيةَ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانصرفوا به؛ ثم قال لهم: عُودوا بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا له: قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يُعرِض فلا نُبْرِمُه[3] بك؛ فقال: احملوني اليه هذه المرّة وحدَها، ففعلوا؛ فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، احفظ قولي:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
فإنّ أبي ووالدَه وعِرضي لعِرْض محمدٍ منكم وِقاءُ

---

(١) يوافق ما في القاموس (مادة حزم) وطبقات ابن سعد (ج ٥ قسم ٢ ص ١١٥). وفي سائر الاصول: «خزيمة» بالخاء المعجمة وهو تحريف.

(٢) كذا في الطبقات. وفي الاصول: «ظريف» بالظاء المعجمة.

(٣) أبرمه: أضجره وأمله.

فرضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهب له سِيرِينَ(١) أختَ ماريةَ أمِّ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم . هذه رواية مُصعب . وأما الزُّهري فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ضربُ السُّلَمي حسَّانَ قال لهم : « خذوه فإن هلك حسَّان فاقتلوه » ؛ فأخذوه فأسروه وأوثقوه ؛ فبلغ ذلك سعدَ بن عُبادة ، فخرج في قومه اليهم ، فقال : أرسِلوا الرجلَ ، فأبوْا عليه ، فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنكم نصرتموهم ! أرسِلوا الرجل ؛ فأبوْا عليه حتى كاد يكون قتال ؛ ثم أرسلوه ؛ فخرج به سعدٌ الى أهله فكساه حُلَّةً ، ثم أرسله سعد إلى أهله ؛ فبلغنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ليُصلي فيه ، فقال : « من كساك كساه الله من ثياب الجنة » ؛ فقال : كساني سعدُ ابن عُبادة . وذكر باقيَ الخبر نحوَه .

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدَّثني ابن حُميد قال حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عِوَضاً منها بيرحاء(٢)، وهي قصر بني حُدَيلة(٣) اليومَ بالمدينة، كانت مالًا لأبي طَلحة(٤) بن سهل تصدّق بها إلى رسول

(١) كذا في الأصول وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوربا) والطبري (ص ١٥٢٨، ١٥٩١، ١٧٨١ قسم أوّل) والاصابة لابن حجر العسقلاني (ج ٨ ص ١١٨) والتنبيه للبكري (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية)، وضبطها الزرقاني أيضاً في شرحه على المواهب (ج ٣ ص ٣٢٥ طبع بولاق) بقوله : « سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء » . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢) ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤) : « شيرين » بالشين المعجمة .

(٢) في اللسان مادة برح نقلا عن ابن الأثير : « هذه اللفظة كثيراً ما تختلف ألفاظ المحدّثين فيها فيقولون : بيرحاء بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمدّ فيهما وبفتحهما والقصر ، وهو اسم مال وموضع بالمدينة » .

(٣) كذا في اللسان : مادة حدل، ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوربا) وتاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوربا) . وقد جاء في اللسان : « حديلة بضم الحاء وفتح الدال هي محلة بالمدينة نسبت الى بني حديلة بطن من الأنصار » . وفي الأصول وكتاب التنبيه للبكري (ص ٧٦) : « جديلة » بالجيم المعجمة وهو تحريف .

(٤) كذا في اللسان : مادة برح، ومعجم البلدان (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام . وفي الأصول « طلحة » بدون « أبي » وهو تحريف .

الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسّانَ في ضربته ، وأعطاه سِيرِينَ (أمة قبطية) فولدت له عبدَ الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن صَفوان ابن المعطَّل ، فإذا هو حَصور (لا يأتي النساء) ؛ قتل بعد ذلك شهيداً .

مدح واعتذار :

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عُتبة : فقال حسان يعتذر من الذي قال في عائشة :

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصبح غَرْثَى من لُحوم الغوافلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتم ... فلا رفعتْ سَوْطي إليّ أناملي
وكيف ووُدّي من قديمٍ ونُصرتي ... لآل رسول الله زَينِ المحافلِ
فإن الذي قد قِيل ليس بلائطٍ[١] ... ولكنّه[٢] قولُ امرىءٍ بيَ ماحِلِ[٣]

قال الزُّبير وحدّثني محمد بن الضحّاك : أن رجلاً هجا حسّانَ بنَ ثابت بما فعل به ابنُ المعطَّل ، فقال :

وإنّ ابنَ المعطَّل من سُلَيمٍ ... أذلَّ قِيادَ رأسِك بالخطامِ[٤]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمّه : أنها طافت مع عائشة ومعها أم حكيم وعاتكة : (امرأتان من بني مخزوم) . قالت : فابتدَرْنا حسانَ نشتمه وهو يطوف ، فقالت : ابنَ الفُرَيعة تَسْبُبْنَ ! قُلْنَ : قد قال فيكِ فبرّأكِ الله ؛ قالت : فأين قوله :

---

(١) يقال : ما يليط به النعيم ولا يليق به، معناه واحد .

(٢) رواية الديوان : بك الدهر بل سعي امرىء بك عاجل .

(٣) محل به الى السلطان محلا ومحالا : كاده بسعاية اليه .

(٤) الخطام : الحبل الذي يقاد به البعير .

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي لعرض محمد منكم وِقاءُ

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا أحمدُ بن زُهير قال حدّثني إبراهيم بنُ المُنذر عن سُفيان بن عُيَيْنة عن محمد بن السائب بن بَرَكة عن أُمه بنحو ذلك، وزاد فيه: إنّي لأرْجو أن يُدخِلَه اللهُ الجنة بقوله.

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عِمران عن سفيان بن عيينة وَسلم بن خالد عن يوسف بن ماهَك عن أُمه قالت:

كنتُ أطوف مع عائشةَ بالبيت، فذكرتُ حسّان فسَبَبْتُه، فقالت: بِئس ما قلتِ أتسبّينه وهو الذي يقول:

فإنّ أبي ووالدَه وعِرضي لعرض محمد منكم وِقاءُ

فقلت أليس ممن لَعَن اللهُ في الدنيا والآخرة بما قال فيكِ؟ قالت: لم يقُل شيئاً، ولكنه الذي يقول:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ وتُصبح غَرْثَى من لحوم الغَوافلِ
فإن كان ما قد جاء عنّيَ قلتُه فلا رفعتْ سَوْطي إليّ أناملي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مُصعب عمي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عُروة عن أبيه قال:

كنت قاعداً عند عائشة، فمُرّ بجنازة حسّان بن ثابت فنِلتُ منه؛ فقالت: مهلاً! فقلت: أليس الذي يقول! قالت: فكيف بقوله:

فإنّ أبي ووالدَه وعرضي لِعرضِ محمد منكم وِقاءُ

افتخاره بلسانه :

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سلمان عن سليمان بن حرب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيوب[١] عن محمد بن سيرين :

أن حسّان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال : يا رسول الله ، ما يسرني أنّ لي به مِقْوَلاً[٢] بين صنعاء وبُصرى[٣] ، ثم قال :

لسانيَ مِقوَلٌ لا عيبَ فيه وبَحري ما تُكدّره الدِّلاء

جبنه :

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُميد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن يحيي بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه قال :

كانت صفيّةُ بنت عبد المطلب في فارعٍ (حصنِ حسّان بن ثابت) يعني يوم الخندق . قالت : وكان حسّان معنا فيه والنساء والصبيان . قالت : فمرّ بنا رجل من يهودَ فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قُرَيظة وقطعتْ ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا، ورسولُ الله والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم ، إذ أتانا آتٍ ؛ قالت : فقلت : يا حسّان ، إن هذا اليهوديّ كما ترى يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يَدُلّ على عَوْراتنا مَنْ وراءنا مِن يَهود ، وقد شُغِل عنا رسولُ

(١) يريد أيوب بن أبي تميمة السختياني كما في الخلاصة للخزرجي .

(٢) ويروى : «مغول» بالغين المعجمة . والمغول : سيف دقيق له حد ماض . وفي الديوان ص ٢ : «لساني صارم ... الخ» .

(٣) بصرى : اسم لموضعين : بصرى الشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران، وبصرى بغداد وهي إحدى قراها قرب عكبراء .

الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه ، فأنزِل اليه فاقتله ؛ فقال : يغفر الله لكِ يابنة عبد المطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزتُ[1] ثم أخذت عموداً ثم نزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغتُ منه رجعت الى الحصن ؛ فقلت : يا حسان ، انزل اليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ؛ قال : ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطَّلب .

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مُصعب عن أبيه قال :

كان ابن الزّبير يُحدِّث أنه كان في فارعِ (أُطم حسّانَ بن ثابت) مع النساء يومَ الخندق ومعهم عمرو بن أبي سَلَمة . قال ابن الزّبير : ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وتداً في آخر الأُطم ، فإذا حمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين حمل على الوَتِد فضربه بالسيف ؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتى كأنه يقاتل قِرْناً ، يتشبّه بهم كأنه يُرى أنه مُجاهدٌ حين جَبن ، وإني لأظلم ابنَ أبي سلمة وهو أكبر منّي بسنتين فأقول له : تحملني على عنقك حتى أنظرَ فإني أحملك إذا نزلتُ ؛ قال : فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلت له : هذه المرّة أيضاً . قال : وإني لأنظر إلى أبي مُعْلماً بصُفرة ، فأخبرتُها أبي بعدُ ، فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت: على عُنق ابن أبي سلمة يحملني ؛ فقال : أما والذي نفسي بيده إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليَجمعُ لي أبويْه[2] .

قال ابن الزبير : وجاء يهوديّ يرتقي الى الحصن ، فقالت صفيّة له : أعطني السيفَ ، فأعطاها . فلما ارتقى اليهوديّ ضربته حتى قتلتــه ، ثم احتزّتْ رأسه

(١) يقال : احتجز بردائه اذا شدّه على وسطه .

(٢) يعني أن النبيّ صلوات الله عليه كان يقول له : فداك ابي وأمي .

فأعطته حسَّانَ وقالت : طَوِّحْ به ، فإن الرجل أقوى وأشدّ رَميةً من المرأة . تريد أن تُرعِب به أصحابه .

قال الزُّبير : وحدّثني عمي عن الواقدي قال : كان أكحلُ[1] حسّان قد قُطِع فلم يكن يضرب بيده .

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنه سمع أن حسّان بن ثابت أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم :

لقد غدوتُ أمامَ القوم مُنتطقاً بصارمٍ مثلِ لون الملح قَطّاعِ
يَحفِزُ[2] عنّي نجادَ السيف سابغةٌ[3] فَضْفاضةٌ[4] مثل لون النِّهي بالقاعِ

قال : فضَحِك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفسَه مع جُبْنه .

قول النابغة فيه :

قال الزُّبير وحدّثني محمد بن الحسن قال :

قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابغةَ بني ذُبيان ، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامتْ من عنده ، فأنشدتُه ؛ فقال : إنك لشاعرٌ وإن أخت بني سُلَيم لبكّاءة .

(١) الأكحل : عرق في وسط الذراع ، قال ابن سيده : يقال له عرق النسا في الفخذ وفي الظهر الأبهر ، ويسمى : عرق الحياة ونهر البدن .

(٢) يحفز : يدفع .

(٣) يقال : درع سابغة اذا كانت طويلة تامة .

(٤) فضفاضة : واسعة . والنهي : الغدير . وفي الديوان (ص ٦٦ طبع أوربا) ورد هذا الشطر هكذا : تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع

وفسره في (ص ٩٥) بقوله : « شبه الدرع في بياضها وآطرادها بالغدير » .

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق قال أخبرني غيرُ واحدٍ من مشايخه :

أن الحُطيئة وقف على حسَّان بن ثابت وحسَّان يُنشد من شعره ؛ فقال له حسَّان وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعرَ يا أعرابيّ ؟ قال الحُطيئة : لا أرى به بأساً ؛ فغضِب حسَّان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابيّ ؟ ما كُنيتك ؟ قال : أبو مُلَيكة ؛ قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ عليّ منك حين كُنيتَ بامرأة ؛ فما اسمُك ؟ قال : الحُطيئة فقال حسَّان : امضِ بسلام .

اتهامه بالبخل :

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ[١] قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثني الزُّبير ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني بعض القُرَشيين ، قال :

دخل حسَّان بن ثابت في الجاهلية بيتَ خمّار بالشام ومعه أعشى بكر بن وائل ، فاشتريا خمراً وشربا ، فنام حسان ثم انتبه ، فسمع الأعشى يقول للخمّار : كرِه الشيخُ الغُرْمَ ؛ فتركه حسَّانُ حتى نام ثم اشترى خمرَ الخمّار كلَّها ، ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ، فعلِم أنه سمع كلامَه فاعتذر اليه ؛ فقال حسَّان :

ولَسنا بشَرْبٍ فوقَهم ظِلُّ بُرْدةٍ   يُعِدُّون للخمّار تَيساً ومِفصَدا[٢]

---

(١) الزرقيّ : نسبة الى بني زريق ، بطن من الأنصار وهم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضَب بن جُشَم الخزرجي (راجع أنساب السمعاني) .

(٢) المفصد : آلة الفصد . يريد أنهم ملوك لا يفصدون التيس ويأكلون دمه . وفي أكثر نسخ الديوان : « للحانوت » بدل « للخمار » .

ولكننا شَرْبٌ كرامٌ إذا انتشَوْا أهانوا الصَّريحَ[١] والسَّديفَ المُسَرْهَدا
كأنهمو ماتوا زمانَ[٢] حَليمـةٍ فإن تأتِهم تَحمَدْ نِدامَتَهم[٣] عدا
وإن جئتَهم ألفيتَ حولَ بيوتهم من المسكِ والجادي[٤] فَتيتاً مُبَدَّدا
ترى حول أثناء الزَّرابي[٥] ساقطاً نِعالاً وقَسْوباً[٦] ورَيطاً[٧] مُنضَّدا
وذا نُمرُقٍ[٨] يَسعى ومُلصِقَ خدِّهِ بديباجة تَكفافُها قد تقدَّدا

وهذه القصيدة يقولها حسَّان بن ثابت في وقعة بَدر يفخر بها ويعيِّر الحارث ابن هشام بِفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام . وفيها يقول :

---

(١) رواية الديوان :

ملوك وأبناء المـلوك اذا انتشوا أهانوا الصبوح والسديف المسرهدا

والصريح : اللبن ذهبت رغوته . والسديف : لحم السنام، وقيل شحمه، والمسرهـد : السمين من الأسنمة .

(٢) في ديوانه : وتحسبهم ماتوا زمين حليمة يقول : تراهم من سكرهم كأنهم موتى .
وزمان حليمة يشير به الى أحد أيام العرب المعروفة وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغساني، والعرب تضرب به المثل في كل أمر متعالم مشهور وللشريف النابه الذكر، فتقول : «ما يوم حليمة بسرّ» . وحليمة هذه هي بنت الحارث بن أبي شمر، وسبب إضافة اليوم اليها أنها أخرجت طيباً في مِرْكن فطيبت به جيش أبيها الذي وجه به الى المنذر . قال النابغة يصف سيوفاً :

تورّثن من أزمان يوم حليمة الى اليوم قد جربن كل التجارب

(٣) ندامتهم : منادمتهم ومجالستهم .

(٤) الجادي : الزعفران .

(٥) الزرابي : الطنافس . وفي الصحاح : النمارق، الواحد من كل ذلك زربيـة (بفتح الزاي وسكون الراء) وقد ورد هذا البيت في اللسان مادّة قسب وبعض نسخ الديوان هكذا :

ترى فوق أذناب الروابي سواقطاً نعـالا وقسوباً وريطاً معضدا

(٦) كذا في ديوانه ولسان العرب؛ والقسوب : خفاف لا واحد له، وفي الأصول : «قسياً» .

(٧) الريط : جمع ريطة . وهي الملاءة اذا كانت قطعة واحـدة ولم تكن لِفقَين . أو هي كل ثوب لين رقيق .

(٨) النمرق والنمرقة : وسادة صغيرة يتكأ عليها، وما يفترشه الراكب فوق الرحل وهو المراد هنا . وفي بعض نسخ الديوان : وذو تطـفٍ يسعى ملصّق خده والتَّطـفُ : القرط . والتكفاف : لعله يريد به الخياطة الثانية بعد الأولى التي هي الشلّ . وتقدد : تقطـّع وبلي .

صوت

إن كنتِ كاذِبةَ الذي حدّثتِني فنجوتِ مَنجى الحارث بن هشامِ
تَرَكَ الأحبّةَ أن يقاتِلَ دونَهم ونجا برأس طِمِرّةٍ[١] ولِجامِ

— غنّاه يحيى المكيّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى . ولعَزّةَ المَيلاء فيه خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر . وفيه خفيف ثقيل بالبِنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ — فأجاب لحارث بن هشام، وهو مشركٌ يومئذٍ، فقال :

صوت

الله يعلم مـا تركتُ قتالَهم حتى رَمَوْا فرسي بأشقرَ[٢] مُزبِدِ
وعلمتُ أنّي إن أقاتِـلْ واحداً أُقتَلْ ولا يَضرُرْ عدوّي مَشهدي
ففرَرْتُ منهم والأحبّةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقاب يوم مُرصَدِ

غنّى فيه إبراهيمُ المَوْصليّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبِنصر، وقيل : بـل هو لفُلَيح .

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني سُلَيمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سَلّام عن يونس قال :

لما صار ابنُ الأشعث الى رُتبيل[٣]، تمثّـل رُتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام :

(١) الطمرة : الأنثى من الجياد . وهي المستفزة للوثب والعدو، وقيل : الطويلة القوائم الخفيفة .

(٢) الأشقر من الدم : الذي صار علقاً ولم يعله غبار، وزبده : البياض الذي يعلوه .

(٣) رتبيل (ويقال فيه زنبيل كما في الطبري وابن الأثير) : صاحب الـترك، كان بنواحي سجستان وقد غزاه في سنة ٧٩ هـ عبيد الله بن أبي بكرة، وكان والياً بسجستان ، وتوغل في بلاده وأصاب منه غنائم وأموالا وهدم قلاعاً وحصوناً . وغزاه في سنة ٨٠ هجرية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج فدخل بلاده وأخذ منها الغنائم واستولى على الحصون . وكتب الى الحجاج بذلك يشير عليه ألا يتوغـل في البلاد، فأبى الحجاج ذلك وكتب له ثلاث كتب يأمره فيها بمحاربته والتوغل في بلاده ؛ وكان من جرّاء ذلك ان خرج عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج وبايعه الناس وكان من امرهما ما كان مما تراه مفصلاً في كتب التاريخ .

ترَكَ الأحبَّةَ أن يقاتلَ دونهم ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولجامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ما سمعت ما ردّ عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وما هو ؟ فقال قال :

الله يعلم ما تركتُ قتالَهم حتى رمَوْا فرسي بأشقرَ مُزبدِ
وعلمتُ أني إن أقاتِلْ واحداً أقتَلْ ولا يَضرُرْ عدوّي مَشهدي
فصددتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقاب يومٍ مُرصَدِ

فقال رُتبيل : يا معشرَ العرب، حسَّنتُم كلّ شيء، حتى حسّنتم الفِرار .

ذكر الخبر عن غزاة بدر

حدّثني بخبرها محمد بن جَرير الطبري في المَغازي قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن مُسلِم الزُّهريّ وعاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن غزوةِ بدر وغيرُهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس، كلّ قد حدّثني بعضَ هذا الحديث، فأجتمع حديثُهم فيما سمعتُ من حديث بدر، قالوا:

لمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مُقبِلًا من الشام ندَب المسلمين اليهم، وقال: «هذه عِيرُ قريش فيها أموالُهم فاُخرجوا اليها فلعلّ الله أن يُنَفِلَكُموها[1]» فانتدَب الناسُ، خفّ بعضهم وثقُل بعضُهم، وذلك أنهم لم يظنّوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يَلقى حرباً. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسّس[2] الأخبارَ، ويسأل من لَقِيَ من الركبان، تخوّفاً على أموال الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لكَ ولعِيرك، فحَذِر[3] عند ذلك فاستأجر ضَمضَمَ بن عَمرو الغِفاريّ فبعثَه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً يَستنفرهم إلى أموالهم ويُخبرَهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه؛ فخرج ضَمضَمُ بن عمرو سريعاً إلى مكة.

---

(١) نفّله النفل ونفّله (بالتضعيف) وأنفله: أعطاه الغنيمة أو الهبة.

(٢) ويروى: «يتحسس» (بالحاء المهملة). والتجسس والتحسس كلاهما بمعنى واحد وهو تطلب الأخبار والبحث عنها.

(٣) هذه رواية السيرة (ص ٤٢٨ طبع أوربا)، وفي الأصول: «فجدّ».

رؤيا عاتكة :

قال ابنُ إسحاق : وحدثني من لا أتّهم عن عِكرمة عن ابن[١] عباس ويزيدَ ابن رُومان عن عُروَة بنِ الزُّبير قالا[٢] : وقد رأت عاتكةُ بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضَمضم مكة[٣] بثلاثِ ليالٍ رؤيا أفزعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب ، فقالت : يا أخي ، والله لقد رأيتُ الليلةَ رُؤيا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرٌّ أو مُصيبة ، فاكتمْ عنّي[٤] ما أحدّثك ؛ قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقفَ بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : أن انفروا يا آل غُدَرَ[٥] لمصارعكم في ثلاث ، فأرى[٦] الناسَ قد اجتمعوا اليه ، ثم دخل المسجدَ والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثَلَ به بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : انفروا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث، ثم مثَلَ به بعيره على رأس أبي قُبَيس فصرَخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تَهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضّت[٧] ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فِلقة . قال العباس : إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحدٍ . ثم خرج العبّاس فلقي الوليدَ بن عُتبة بن

(١) كذا في السيرة . وفي الأصول : «عن عكرمة مولى ابن عباس». وعكرمة هذا هو عكرمة ابو عبد الله البربري مولى ابن عباس وروى عنه .

(٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : «قال» بالإفراد .

(٣) الزيادة عن سيرة ابن هشام .

(٤) كذا في السيرة . وفي الأصول : «عليّ» .

(٥) غدر : كصرد ، وأكثر ما يستعمل في النداء في الشتم ، فيقال للمفرد يا غدر ، وللجمع يا آل عدر . وقال ابن الأثير : غدر معدول عن غادر للمبالغة . ويقال للذكر : غــدر ، والأنثى غدار (كقطام) ، وهما مختصان بالنداء في الغالب .

(٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : «وأرى» .

(٧) ارفضّت : تفرّقت .

رَبيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها[1] له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة ، ففشا الحديثُ بمكة حتى تحدّثت به قريش . قال العباس : فغدوتُ أطوف بالبيت ، وأبو جهل بنُ هشام ورهطٌ من قريش قُعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة . فلما رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرَغت من طوافك فأقبِل الينا ، فلما فرغتُ أقبلتُ اليه حتى جلست معهم ؛ فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب[2] ، متى حدَثتْ فيكم هذه النبيّة ! قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عاتكةُ ؛ قلت : وما رأتْ ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمتْ عاتكة في رؤياها أنها[3] قالت : انفروا في ثلاثٍ ؛ فستربّص بكم هذه الثلاثَ ، فإن يكن ما قالتْ حقًّا فسيكون ، وإن تمضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء ، نكتبْ كتاباً عليكم أنكم أكذبُ أهل بيتٍ في العرب . قال العبّاس : فوالله ما كان اليه مني كبيرٌ إلا أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً ؛ قال : ثم تفرّقنا ؛ فلما أمسيتُ[4] لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ويتناولَ النساء وأنتَ تسمع ، ولم يكن عندك غيرٌ[5] لشيء مما سمعتَ ؟ ! قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان مني اليه من كبيرٍ ، وأيمُ الله لأتعرضنّ له ، فإن عاد لأكفينّكَنّه[6] . قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضَب أرى أني[7] قد فاتني منه أمرٌ أحِبّ أن أدركه

(١) الزيادة عن سيرة ابن هشام .

(٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : «يا بني عبد مناف» . ولا يخفى ان عبد مناف جد عبد المطلب .

(٣) في سيرة ابن هشام : «أنه قال انفروا الخ» ويكون المراد بضمير المذكر الهاتف الذي رأته .

(٤) كذا في السيرة . وفي الأصول : «أمسينا» .

(٥) مصدر قولك غار الرجل على امرأته غَيْرةً وغَيْراً بدون تاء .

(٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : «لأكفينكموه» وهو تحريف اذ الخطاب لجماعة الإناث .

(٧) زيادة عن السيرة .

منه . قال : فدخلتُ المسجدَ فرأيته ، فوالله إني لأَمشي نحوه العِرَضْنَة[١] ليعودَ لبعض ما كان ؛ فأُوقِعَ به ، وكان رجلاً خفيفاً حديدَ الوجه حديدَ اللسان حديدَ النظر ، إذ خرج نحوَ باب المسجد يَشتدّ[٢] ؛ قال : قلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكلُّ هذا فَرَقاً أن أشاتِمَه ! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوتَ ضمضم بن عمرو الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدّع بعيرَه وحوّل رحله وشقّ قيصه وهو يقول : يا معشر قريش اللَّطيمةَ اللَّطيمةَ[٣] ! أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرَض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ! الغوثَ الغوثَ ! قال : فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر . قال : فتجهّز الناس سِراعاً ، وقالوا : لا يظنّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كعيرِ ابن الحضرمي[٤] ! كلا والله ليعلمنّ غيرَ ذلك ! فكانوا بين رجلين : إمّا خارج وإما باعث مكانه رجلاً .

خروج قريش :

وأوعبتْ قريشٌ فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلّف فبعث مكانه العاصيَ بن هشام بن المغيرة ، وكان لَطّ[٥] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس[٦] بها ، فاستأجره بها على أن يُجزِئَ عنه بَعثَه ، فخرج عنه

(١) يقال : فلانٌ يمشي العرضنة والعرضى أي في مشيته بغي من نشاطه . وفي السيرة لابن هشام : «إني لأمشي نحوه أتعرّضه» .

(٢) يشتدّ : يعدو .

(٣) كذا في ابن هشام ، واللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار . وفي الأصول : «اللطيمة» بدون تكرار .

(٤) هو عمرو بن الحضرمي . وقد روى ابن هشام في السيرة (ص ٤٣٠) خبر هذه العير .

(٥) كذا في هامش تاريخ الطبري (ص ١٢٩٥ من القسم الأوّل) . ولط الغريم بالحق : ماطل فيه ومنعه . ولط حقه : جحده . وفي حديث طهفة : «لا تلطط في الزكاة» أي لا تمنعها . وفي الأصول : «لاط» وهو تحريف .

(٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : «فأفلس» .

وتخلّف أبو لهب. هكذا في الحديث. فذكر أبو عُبيدة وابنُ الكلبيّ: أن أبا لَهب قامر العاصيَ بن هشام في مائة من الإبل، فقمَرَه[١] أبو لهب، ثم عاد فقمره أيضاً، ثم عاد فقمره أيضاً الثالثةَ، فذهب بكلّ ما كان يملكه؛ فقال له العاصي: أرى القداحَ قد حالفتك يابنَ عبد المطلب، هلمّ نجعلها على أيّنا يكون عبداً لصاحبه؛ قال: ذلك لك، فدحاها[٢] فقمره أبو لهب، فأسلمه قَيْناً، وكان يأخذ منه ضريبةً، فلما كان يومُ بدر وأخذتْ قريش كلّ من لم يخرج بإخراج رجل مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشرَط له العِتقَ، فخرج فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

رجع الحديث الى وقعة بدر

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيح:

أنّ أمية بن خَلف كان قد أجمع القُعودَ، وكان شيخاً جليلًا جسيماً[٣] ثقيلًا، فجاءه عُقبة بن أبي مُعَيط وهو جالس في المسجد بين ظهرانَيْ قومه بمِجْمَرة يحملها، فيها نارٌ ومجمَرٌ[٤]، حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، استجمِرْ، فإنما أنت من النساء! قال: قبّحك الله وقبّح ما جئتَ به! ثم تجهّز وخرج مع الناس. فلما فرَغوا من جَهازهم وأجمعوا السيرَ ذكروا ما كانْ[٥] بينهم وبين بني بكر بن عبد مَناة بن كنانة من الحرب[٦]، فقالوا: إنا نخشى أن يأتوا من خلفنا.

---

(١) قمره: غلبه في المقامرة.

(٢) دحاها: رماها. والدحو: رمي اللاعب بالحجر أو الجوز وغيره. وذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الحجر الذي يريدون رميه، ثم يتنحون عنها قليلًا ويرمون بالأحجار اليها، فأن وقعت الأحجار في الحفرة غلَب صاحبها وإن لم تقع فيها غُلب. وتسمى تلك الأحجار المداحي، واحدها: مِدحاة.

(٣) الزيادة عن السيرة.

(٤) المجمر: العود يُتبخّر به.

(٥) الزيادة عن السيرة.

(٦) كذا في السيرة. وفي الأصول: «كنانة بن الحارث» وهو تحريف.

قال محمد بن إسحاق : فحدثني يزيد بن رُومانَ عن عُروة بن الزُّبير قال : لما أجمعتْ قريشٌ المسيرَ ذكرت الذي بينها وبين بني[1] بكر بن عبد مَناة ، فكاد ذلك أن يُثبِّطهم ، فتبدّى لهم إبليسُ في صورة سُراقة بن جُعشم المُدلجيّ ، وكان من أشراف بني كِنانة ، فقال : إني جارٌ لكم مِن أن تأتيكم كنانةُ من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سِراعاً .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني عن غير ابن إسحاق — لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظّم في ثلثمائة وبضعةَ عشر رجلاً من أصحابه ؛ فاُختُلِف في مبلغ الزيادة على العشرة ، فقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وكان المهاجرون يومَ بدر سبعةً وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلاً ، وكان صاحبُ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان صاحبُ راية الأنصار سَعدَ بن عُبادة .

حدثني محمد قال حدثنا هارون بن إسحاق قال حدثنا مُصعب بن المِقدام ، قال أبو جعفر وحدثني محمد بن إسحاق الأهوازيّ قال حدثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال حدثنا إسرائيلُ قال حدثنا أبو إسحاق عن البَراء قال[2] :

كنا نتحدث أن عِدّة أصحاب بَدْر على عِدّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهرَ — ولم يَجُزْ معه إلا مؤمن — ثلثمائة وبضعةَ عشرَ .

قال ابن إسحاق في حديثه عمن روى عنه : وخرج رسول الله صلى الله عليه

---

(١) كانت الحرب التي بين قريش وبين بني بكر في ابن الحفص بن الأخيف أحد بني معيص بن عامر ابن لؤي ، قتله بنو بكر بضجنان ، وكان خرج يبتغي بها ضالةً له ، بإيعاز من سيدهم عامر ابن يزيد بن عامر بن الملوح ، فثأر للغلام أخوه مكرز من عامر بن يزيد بأن قتله وخاض بطنه بسيفه ، ثم أتى به الكعبة ليلاً فعلقه بأستارها ، فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقاً بأستار الكعبة فعرفوه ، فقالوا إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٤٣١ طبع أوربا) .

(٢) كذا في الأصول ولعله : «قالا» .

وسلم في أصحابه ، وجعل على الساقة[1] قيسَ بن أبي صَعْصَعة أخا بني مازِن بن النجّار ، في ليالٍ مضت من رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعَث بَسبَسَ بنَ عمرو الجُهَنيّ حليف بني ساعِدة وعديّ بن أبي الزَّغباء حليفَ بني النّجار إلى بدر يتجسّسان له الخبرَ عن أبي سفيان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدّمها ، فلما استقبل الصَّفراء ، وهي قرية بين جبلين ، سأل عن جبلَيْها ما أسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسلح ، وللآخر هذا مُخْرِئ ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار ، وبنو حُراق (بطنان من غِفار) ؛ فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرورَ بينهما ، وتفاءل[2] بأسميهما وأسماء أهاليهما ، فتركها والصفراء يساراً وسلَك ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له ذَفِران فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبرُ عن قُرَيش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم فاستشار النبيّ صلى الله عليه وسلم الناسَ وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المِقدادُ بن عمرو فقال : يا رسولَ الله ، امضِ لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهبْ أنتَ وربك فقاتِلا إنّا ها هُنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون مُعلَمون[3] ، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرتَ بنا الى بَرْك[4] الغِماد —

---

(١) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٢) تفاءل هنا بمعنى تطير . والفأل يكون فيما يحسن ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء . وفي الحديث عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا عدوى ولا طيرة يعجبني الفأل الصالح» والفأل الصالح : الكلمة الحسنة . وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحاً ومنه ما يكون غير صالح .

(٣) أعلم نفسه : وسمها بسيما الحرب كعلمها .

(٤) برك الغماد (بفتح الباء وكسرها ، وبكسر الغين وضمها وقيل مثلث الغين) : اختلف فيه فقيل موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : موضع في أقصى أرض هجر ، وقيل غير ذلك . وورد في تاريخ الطبري (ص١٣٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) ما يؤيد التفسير الذي ذكره أبو الفرج . وورد أيضاً في معجم ما استعجم للبكريّ (ص ١٤٧) ما نصه : «وفي حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً الى الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة . . .الخ»

يعني مدينة الحبشة — لجالدنا معك حتى تبلغه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير .

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عُبيد المُحاربيّ قال حدّثني إسماعيلُ بن إبراهيم أبو يحيي قال حدثنا المُخارِق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال :

شهدتُ من المِقداد مَشهداً لأنْ أكون صاحبَه أحبُّ إليَّ مما في الأرض من كلّ شيء ، كان رجلًا فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمارّتْ وَجنتاه ، فأتاه المِقداد على تلك الحال، فقال : أبْشِرْ يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهَب أنتَ وربُّكَ فقاتِلا إنا هاهُنا قاعِدون، ولكن والذي بعثك بالحقّ لنكوننّ بين يديك ومن خَلفك وعن يمينك وشِمالك أو يَفتحَ الله تبارك وتعالى .

رجع الحديث الى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا عليَّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصارَ ، وذلك أنهم كانوا عددَ الناس وأنهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا : يا رسول الله ، إنا بُرَآء من ذِمامك حتى تصيرَ إلى دارنا ، فإذا وصلتَ فأنتَ في ذِمامنا، نمنعُك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألا تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرَته إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ في غير بلادهم ؛ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن مُعاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : « أجلْ » ؛ قال : فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا رسول الله لِما أردتَ فنحن معك(١)، فوالذي بعَثك بالحق لو استعرضتَ(٢) بنا

(١) زيادة عن السيرة .
(٢) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً .

هذا البحرَ وخُضتَه لخضناه معك ما يتخلّف منّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوّاً غداً، إنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ[١] عند اللقاء، لعلّ الله تعالى أن يُرِيَكَ منّا ما تَقرّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله؛ فسُرّ[٢] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشّطه ذلك؛ ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشِروا فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين[٣] والله لكأني أنظرُ إلى مَصارع القوم». ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِران[٤]، وسلَك على ثنايا يُقال لها الأصافِر[٥]، ثم انحطّ منها على بلد يقال له الدَّبَّة[٦]، ثم ترك الحَنّان[٧] بيمين، وهو كثيب عظيم كالجبل، ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه — قال الطبري[٨] قال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن يحيي بن حَبّان — حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تُخبراني ممن أنتما؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

(١) يقال: رجل صَدق اللقاء وقوم صُدق (بالضم) ومثاله فرس وَرْد وأفراس وُرْد.

(٢) في الأصول: «فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه ذلك» وما أثبتناه عن السيرة والكشاف للزمخشري في تفسير سورة الأنفال.

(٣) يشير الى قوله تعالى في سورة الأنفال: (وإذ يعِدُكمُ اللهُ إحدى الطّائفتَين أنها لكُم وتَودّون أنّ غير ذات الشّوكة تَكون لكُم ويُريدُ الله أن يُحِقّ الحقّ بكلماته ويقطَعَ دابرَ الكافِرِينَ) والطائفتان هما العير وهم ركب أبي سفيان، والنفير وهم أهل مكة الذين نفروا لمساعدته.

(٤) ذفران: وادٍ قرب وادي الصفراء.

(٥) الأصافر: جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة الى مكة، سميت بذلك لانها هضبات صفر.

(٦) الدبة: موضع قرب بدر.

(٧) كذا في السيرة ومعجم البلدان لياقوت. وفي جميع الأصول: «ثم نزل الحيان» وهو تحريف.

(٨) كذا في الطبري والسيرة. وفي جميع الأصول وردت هذه العبارة هكذا: «قال الطبري: قال محمد بن إسحاق حدّثني محمد بن إسحاق حدّثني محمد بن يحيى بن حبان ... الخ». ومحمد بن إسحاق المكرر هنا شخص واحد. وهو محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة الذي ينقل عنه الطبري والذي يروي عن محمد بن يحيى بن حبان.

« إذا أخبرتَنا أخبرناك » ؛ فقال : أوَ ذاك بذاك ؟ فقال : « نعم » ؛ قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدقني الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي حدّثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) . فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ثم انصرف الشيخ عنه ، قال يقول الشيخ : ما من ماء ! أمن ماء العراق ؟ . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه . فلما أمسى بعث عليّ بنَ أبي طالب ، رضي الله عنه ، والزُّبيرَ بن العوّام ، وسعدَ بن أبي وقّاص في نفرٍ من أصحابه إلى بَدْر يلتمسون له الخبرَ عليه – قال محمد بن إسحاق : حدّثني يزيد بن رومانَ عن عُرْوَةَ بن الزُّبير : – فأصابوا راويةً[1] لقريش فيها أَسْلَمُ غلام بني الحَجّاج ، وعَريض[2] أبو يَسار غلام بني العاص بن سَعيد ، فأتَوْا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ؛ فسألوهما ، فقالا : نحن سُقاة لقريش بعثونا نَسقيهم من الماء ؛ فكره القومُ خبرَهما ورَجوْا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما[3] قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم ، ثم قال : « إذا صدَقاكم ضربتُموهما فإذا كذَباكم تركتُموهما صَدَقا والله إنهما لقريش أخبراني أينَ قريش » ؟ قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصْوى[4] – والكثيب: العَقَنْقَل – فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم القومُ » ؟ قالا : لا ندري ؛ قال : « كم يَنحرون كلّ يوم » ؟ قالا : يوماً تِسعاً ويوماً عَشراً ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القومُ ما بين التسعمائة والألف » ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فمن فيهم

(١) يراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .

(٢) كذا في السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٦) والطبري (ص ١٣٠٣ من القسم الاول) . وفي الأصول : « غريض بن يسار » بالغين المعجمة .

(٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه . وفي حديث عائشة أنها كانت تصوم في السفر حتى أذلقها الصوم أي أجهدها وأذابها وأقلقها .

(٤) التكملة عن الطبري والسيرة .

من أَشراف قريش »؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِيّ ابن هشام ، وحَكيم بن حِزام ، ونَوْفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر بن نَوْفل ، وطُعَيمة بن عَدي ، والنَّضْر بن الحارث ، وزَمْعة[1] بن الأَسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميّة بن خلف ونُبَيه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج ، وسُهيل بن عمرو ، وعمرو بن وُدّ ؛ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد رَمَتْ اليكم أفلاذَ كبِدها ».

قال ابن إسحاق[2] : وقد كان بَسْبَس بن عمرو وعديّ بن أبي الزَّغباء مضَيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شَنّاً[3] يستقيان فيه ، ومَجديّ بن عمرو الجُهَنيّ على الماء ، فسمع عَدِيٌّ وبَسْبَس جاريتين من جواري الحاضر وهما تَتلازمان[4] على الماء ، والمَلزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتي العِيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعمل لهم ثم أقضيكِ الذي لكِ ؛ قال مَجديٌّ : صدقتِ ، ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عديٌّ وبَسْبَس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا . وأقبل أبو سفيانَ قدْ تقدّم العِيرَ حَذِراً حتى ورَد

(١) ضبطه صاحب المغنى في أسماء رجال الحديث المطبوع بهامش تقريب التهذيب (ص ١٠١ طبع الهند) بالعبارة هكذا : « زمعة بزاي وميم مفتوحتين وعين مهملة وأكثر الفقهاء والمحدّثين يسكنون الميم والد سودة ... الخ » . وضبط في السيرة بالقلم بفتح الميم وفي الطبري كذلك أحياناً بسكون الميم وأحياناً بفتحها وفي الاشتقاق أيضاً بسكون الميم وفتحها . وقال صاحب القاموس : « وزمعة بالفتح ويحرّك » . وضبطه الفيوميّ في المصباح بفتح الميم ، ثم قال : « والمحدّثون يقولون : زمعة بالسكون ، ولم أظفر به في كتب اللغة » . وفي شعر أمية بن أبي الصلت يبكي زمعة بن الأسود وقتلى بني أسد ما يؤيد فتح الميم وهو قوله : عين بكّى بالمسبلات أبا الحا رث لا تدخري على زمَعه . وفي شرح المواهب اللدنية (ج ٣ ص ٢٧١) قال : « زمعة بزاي فميم فعين مهملة مفتوحات » . وقال ابن الأثير : « وأكثر ما سمعنا أهل الحديث والفقهاء يقولونه بسكون الميم ، وقول المصباح : لم أظفر بالسكون في كتب اللغة قصور فقد قدّمه القاموس ثم حكى الفتح ، فظاهره أن السكون أكثر لغة » .

(٢) في الأصل : « قالوا وقد كان بسبس الخ » ، والتصويب عن السيرة .

(٣) الشنّ : القربة الخَلَق الصغيرة .

(٤) يقال : لزم فلان غريمه اذا تعلّق به .

(٥) كذا في صلب الطبري (ص ١٣٠٥ قسم أول طبع أوربا) . وفي الاصول : « حين » . وفي سيرة ابن هشام : « حتى » وكلتا الروايتين أشير اليها في هامش الطبري .

الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيتُ أحداً أنكره ، إلا أني رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شنّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخهما فأخذ من أبعار بَعيريهما ففتّه فإذا فيه النّوى ، فقال : هذه والله علائفُ يَثرب ! فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرف[1] وجهَ عِيرِه عن الطريق فساحل[2] بها وترك بدراً يَساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحْفة[3] رأى جُهَيم بن أبي الصّلت بن مَخرَمة بن عبد المطلب بن عبد مُناف رؤيا ، فقال : إني رأيتُ فيما يرى النائم ، وإني لبَيْن النائم واليَقْظان إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس ومعه بَعير له ثم قال : قُتِل عُتبة بن رَبيعة ، وشَيبة بن رَبيعة ، وأبو الحكم بن هِشام ، وأُميّة بن خَلَف ، وفلان وفلان — فعدّد رجالاً ممن قُتل يومئذ من أشراف قريش — ورأيته ضرب في لَبّة[4] بعيره ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه . قال : فبلغتْ أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخرُ من بني عبد المطلب ! سيَعلَم غداً من المقتولُ إن نحن التقينا . ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عِيركم ورِحالكم[5] وأموالكم فقد نجّاها الله فارجعوا .

الاصرار على النزال :

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً — وكان بدرٌ مَوْسِماً من

(١) في الطبري والسيرة : « فضرب » .

(٢) زيادة عن السيرة ، وساحل بها : اتجه بها نحو الساحل .

(٣) الجحفة (بالضم) : ميقات أهل الشام ، وكانت قرية جامعة ، على اثنين وثمانين ميلاً من مكة ، وكانت تسمى مَهيعة فنزل بها بنو عبيل وهم إخوة عاد ، وكان أخرجهم العماليق من يثرب ، فجاءهم سيل الجُحاف فأجحفهم ، فسميت الجحفة .

(٤) اللبة : المنحر وموضع القلادة من الصدر كاللبب .

(٥) في السيرة لابن هشام : « رجالكم » بالجيم المعجمة .

مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوقٌ كلَّ عام – فنقيمَ عليه ثلاثاً ، وننحرَ الجُزُرَ ونُطعمَ الطعامَ ونسقيَ الخمورَ ، وتعزفَ علينا القِيانُ ، وتسمع بنا العربُ بمسيرنا وجَمْعِنا[١] ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا . فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وَهب الثَّقَفيّ ، وكان حليفاً لبني زُهرة ، وهم بالجُحْفة : يا بني زُهرة قد نجّى الله لكم عِيرَكم وخلّص لكم صاحبَكم مَخرمةَ بن نَوْفل ، وإنما نَفرتم لتمنعوه ومالَه ، فاجعلوا لي جُبنها[٢] وارجعوا ، فإنه لا حاجة بكم في أن تخرُجوا في غير ضَيعةٍ لما يقول هذا (يعني أبا جهل) فلم يَشهدها زُهريّ ، وكان فيهم مُطاعاً . ولم يكن بقي من قريش بطنٌ إلا نفر منهم ناسٌ ، إلا بني عديّ بن كعب لم يخرُج منهم رجل واحد ؛ فرجعت بنو زُهرةَ مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحدٌ ؛ ومضى القوم . وقد كان بين طالب بن أبي طالب – وكان في القوم – وبين بعض قريش محاورة؛ فقالوا : والله لقد عرَفنا يا بني هاشم وإن خرَجتم معنا أنّ هواكم لمع[٣] محمد ؛ فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع . وأما ابنُ الكلبيّ فإنه قال فيما حُدّثت عنه : شخص طالبُ بن أبي طالبُ إلى بدر مع المشركين – أُخرجَ كَرْهاً – فلم يُوجد في الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :

يا ربّ إما يَغزُوَنّ طالِبْ في مِقْنَب[٤] من هذه المَقانِبْ
فليكن المسلوبَ غيرَ السالِبْ وليكن المغلوبَ غيرَ الغالِبْ

رجع الحديث إلى ابن إسحاق

قال : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوى من الوادي خَلف العَقَنْقَل .

---

(١) زيادة عن السيرة .

(٢) كذا في السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨) وتاريخ الطبري (ص ١٣٠٧ من القسم الاول) . وفي الأصول : «فاجعلوني جنبها» وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨ طبع أوربا) .

(٤) المقنب بالكسر : جماعة الخيل والفرسان . وقيل : هي دون المائة .

وبطن الوادي، وهو يَلْيَل[1]، بين بدر وبين العَقَنْقَل: الكثيب الذي خلفه قريش. والقَليب ببدر من العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة. وبعث الله عزّ وجلّ السماء، وكان الوادي دَهْساً[2]، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها[3] ما لبّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماء من مياه بدر فنزل به.

قال ابن إسحاق: فحُدِّثتُ عن[4] رجالٍ من بني سَلِمَة أنهم ذكروا أن الحُباب ابن المُنذر بن الجَموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزلَ، أمنزلٌ أنزلَكَه الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّرَ عنه، أم هو الرأي والحربُ والمَكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»؛ فقال: يا رسولَ الله، إن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتيَ أدنى ماء من مياه القوم فننزله، ثم تُعوِّر[5] ما سواه من القُلُب ثم تبنيَ عليه حوضاً فتملأه ماء، ثم نقاتلَ القومَ فنشربَ ولا يشربوا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أشرتَ بالرأي». فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمرَ بالقُلُب فعوِّرت[6] وبنَوْا حوضاً على القليب الذي نزل عليه فمُلئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

---

(١) يليل (بتكرير الياء المفتوحة): اسم وادٍ يدفع في بدر. وفي معجم ما استعجم (في الكلام على رضوى): «ووادي يَنْبُع يليل يصب في غيقة». وفي الأصول: «تليل» بالتاء المثناة من فوق في أوّله، وهو تحريف.

(٢) الدهس: هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بتراب ولا طين كالدّهاس، وقيل أيضاً: الارض السهلة يثقل فيها المشي.

(٣) التكملة عن السيرة لابن هشام.

(٤) كذا في السيرة. والذي في الاصول: «قال ابن إسحاق: فحدّثني عشرة رجال من بني سلمة ذكروا الخ».

(٥) كذا في الطبري والسيرة. وعوّر العين أو القليب: طمّه وردمه. وفي الاصول: «تغوّر» بالغين المعجمة، وهو تحريف.

(٦) كذا في السيرة والطبري. وفي الاصول: «فغوّرت» بالغين المعجمة، وهو تحريف.

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن مُعاذ قال : يا رسول الله، نَبني لك عَريشاً من جَريد فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك، ثم نلقى عدوّنا، فإن نحن أعزّنا الله وأظهرَنا على عدوّنا كان ذلك[1] ما أحبَبنا، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدّ حباً لك منهم، ولو ظنوا[2] أنك تلقى حَربا ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك؛ فأثنى عليه[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ وأقبلتْ . فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصوّبَ[4] من العَقَنقَل – وهو الكثيب الذي منه جاءوا – الى الوادي قال : « اللّهمّ هذي قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تُحادُّك وتكذّب رسولَك اللّهم فنَصرَك الذي وعدتَني اللّهمّ فأحِنهمْ[5] الغداةَ » . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى عُتبةَ بنَ ربيعة في القوم على جمل له أحمر : « إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَرشُدوا » . وقد كان خُفاف بن إيماء[6] بن رَحَضة الغِفاريّ، أو أبوه[7] أيما بن رَحَضة بعَث الى قريش حين مرّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إن أحببتم أن نُمِدّكم[8] بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وَصَلَتْكَ رَحِمٌ ! فقد قضيتَ الذي عليك، فلَعَمري لئن كنّا إنما نقاتل الناسَ فما بنا ضَعف عنهم، ولئن كنا نقاتل الله

(١) كذا في السيرة . وفي الاصول : « مما » .

(٢) هذه الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبري .

(٣) الزيادة عن السيرة (ج ١ ص ٤٤٠ طبع أوربا) .

(٤) التصوّب : الانحدار من عُلو .

(٥) الحين بالفتح : الهلاك . وحان الرجل : هلك . وأحانه الله : أهلكه .

(٦) هذه الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبري .

(٧) في الاصول : « أخوه » . والتصويب عن السيرة وتاريخ الطبري . وإيماء بكسر الهمزة مع المدّ أو بفتحها مع القصر . ورحضة بالتحريك أو بالفتح، أو بالضم أقوال فيه .

(٨) كذا في السيرة . وفي الاصول والطبري : « أمدّكم » .

كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة. فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوضَ حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم». فما شرب منهم رجل إلا قتل يومئذٍ إلا ما كان من حَكيم بن حِزام فإنه لم يُقتل، نجا على فرس له يقال له الوَجيه، وأسلم بعد ذلك فحَسُن إسلامُه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجّاني من يوم بدر.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار وغيرُه من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا:

لما اطمأنَّ القوم بعثوا عُمَير بن وَهب الجُمَحِيّ فقالوا: احزُرْ(١) لنا أصحابَ محمد؛ فاستجال بفرسه حولَ العسكر ثم رَجَع اليهم، فقال: ثلثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر: أللقوم كَمِين أو مَدَدٌ. قال: فضرب في الوادي حتى أمعَن، فلم يرَ شيئاً، فرجع فقال: لم أرَ شيئاً، ولكن قد رأيتُ يا معشر قريش الوَلايا(٢) تحمل المَنايا! نَواضِحُ(٣) يَثرِب تحمل الموتَ الناقع! قوم ليس لهم مَنَعَةٌ ولا ملجأٌ إلا سيوفُهم، والله ما أرى أن يُقتَل رجل منهم حتى يَقتُل رجلاً منكم! فإذا أصابوا منكم أعدادَهم، فما خيرُ العيشِ بعد ذلك! فرَوْا رأيكم. فلما سمع حَكيم بن حِزام ذلك مشى في الناس فأتى عُتبة بن ربيعة وقال: يا أبا الوليد، إنك كبيرُ قريش الليلةَ وسيِّدُها والمطاعُ فيها، هل لك الى أمرٍ لا تزال تُذكَر منه بخيرٍ الى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمِل دمَ حليفِك عمرو بن الحَضرمي؛ قال: قد فعلت، أنت على ذلك شهيد، إنما هو حليفي فعليّ عَقلُه(٤) وما أُصيب من ماله، فأتِ ابنَ الحَنظليّة(٥) فإني لا أخشى أن يسحَر الناسَ غيرُه (يعني أبا جهل بن هشام).

(١) الحزر: التخمين والتقدير.

(٢) الولايا: جمع ولية وهي البرذعة أو ما تحتها.

(٣) النواضح: جمع ناضح، والناضح: البعير يستقى عليه، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء.

(٤) العقل: الدية.

(٥) قال ابن هشام: الحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مخرّبة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا غمامة[1] بن عمرو السَّهمِيّ قال حدّثنا مُسوَّر بن عبد الملك اليَرْبُوعيّ عن أبيه عن سعيد بن المُسيّب قال :

بينا نحن عند مروانَ بنِ الحَكَم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالد حَكيم بن حِزام؛ قال : ائذَنْ له؛ فلما دخل حَكيم بن حِزام، قال : مرحباً بك يا أبا خالد، ادْنُ؛ فحال له مَروانُ عن صَدرِ المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم استقبله مروان فقال : حدِّثنا حديثَ بدر؛ قال : خرَجْنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهَد أحد من مُشركيهم بدراً ؛ ثم خرَجْنا حتى نزلنا العُدوةَ التي قال الله عزّ وجل، فجئتُ عُتبةَ بن ربيعة، فقلت : يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرَف هذا اليوم ما بقيتَ؟ قال : أفعلُ ماذا؟ قال : قلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ واحدٍ : — وهو حليفُك، فتحمّلْ دِيَته فيرجعَ الناسُ؛ قال : أنت وذاك، وأنا أتحمل دِيَتَه، فاذهبْ الى ابن الحنظلية (يعني أبا جهل) فقل له : هل لك أن ترجع اليومَ بمن معك عن ابن عمك؟ فجئتُه فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، فإذا ابن الحضرميّ واقف على رأسه وهو يقول : قد فسختُ عَقدي من بني عبد شمس، وعَقدي الى بني مخزوم؛ فقلت له : يقول لك عُتبة بن رَبيعة : هل لك أن ترجع اليومَ عن ابن عمك بمن معك؟ قال : أما وجد رسولًا غيرَك؟ قلتُ : لا، ولم أكن لأكونَ رسولًا لغيره. قال حكيم : فخرج مُبادراً الى عتبة وخرجتُ معه لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعُتبة يتّكئ على إيماء بن رَحَضة الغِفاريّ، وقد أهدى الى المشركين عشرَ جزائرَ، فطلَع أبو جهل والشرّ في وجهه، فقال لعُتبة : انتفخ سَحرُكَ[2]؛ فقال عُتبة : فستعلم؛

(١) كذا في الاصول بالغين المعجمة . وقد ذكر الطبري (قسم أول ص ١٣١٣) هذه القصة بهذا الاسناد وفيه : « عِمامة بن عمرو السهمي » بالعين المهملة . وفي هامشه في الصفحة نفسها نقلًا عن نسخة أخرى : « غمامة » بالغين المعجمة كما في الاصول . وفي القسم الثالث من الطبري (ص ٢٦٨) : « عثامة بن عمرو السهمي » . وفي هامشه في الصفحة نفسها نقلًا عن نسختين أخريين : « غمامة » بالغين و « عتّامة » بالعين والتاء، ولم نعثر على هذا الاسم في كتب التراجم حتى نستطيع ترجيح إحدى هذه الروايات .

(٢) يكنى بانتفاخ السحر عن الجبن، وذلك أن الجبان يملأ الخوف جوفه فينتفخ سحره . والسحر: الرئة وما حولها مما يعلق به الحلقوم فوق السرة .

فسَلّ أبو جهل سيفَه فضرب به متنَ فرسه؛ فقال إيماء بن رَحَضة : بئس المُقام هذا! فعند ذلك قامت الحرب .

رجع الحديث الى ابن إسحاق

ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً، فقال : يا معشر قريش، والله ما تصنعون بأن تلقَوْا محمداً وأصحابَه شيئاً! والله لئن أصبتُموه، لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجل يكره النظرَ اليه، رجلٍ قتل ابنَ عمه أو ابنَ خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدَموا منه ما تريدون . قال حَكيم : فانطلقتُ حتى جئتُ أبا جهل فوجدته قد نثَل[١] دِرعاً له من جِرابها وهو يُهيّئها؛ فقلت له : يا أبا الحَكَم ، إنّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال)؛ فقال : انتفخ والله سَحرُه حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله! لا مرجعَ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه؛ وما بعُتبة ما قال، ولكنه قد رأى أنّ محمداً وأصحابه أَكَلَة[٢] جَزُور، وفيهم ابنُه قد تخوّفكم عليه! ثم بعَث الى عامر بن الحَضرميّ فقال له : هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيتَ ثأرَك بعينك، فقم فانشُد خُفرتَك[٣] ومقتلَ أخيك . فقام عامر بن الحَضرميّ فاكتشف ثم صرَخ : واعمراه! واعمراه! فحميَتِ الحربُ، وحَقِب[٤] أمرُ الناس، واستوسَقوا[٥] على ما هم عليه من الشرّ، وأفسِد على الناس الرأيُ الذي دعاهم اليه عُتبة بن ربيعة . ولما بلغ عُتبة قولُ أبي جهل : « انتفخ سَحرُه » قال : سيعلم مُصفِّر الأستِ من انتفخ سحرُه : أنا أم هو! ثم التمس عُتبةُ بيضةً ليُدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تَسَعُه من عِظَم

---

(١) نثل : أخرج .

(٢) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم .

(٣) كذا في السيرة وتاريخ الطبري . والخفرة . الذمة والعهد . وفي الاصول : « حقوقك » .

(٤) حقب أمر الناس : فسد .

(٥) استوسقوا : اجتمعوا .

هامته، فلما رأى ذلك اعتجر[1] على رأسه ببُرْد له. وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان رجلاً شرساً سيِّئ الخُلق، فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه؛ فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدَمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخُب رجله دماً نحوَ أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبرّ يمينَه، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله في الحوض. ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة، حتى إذا نصل[2] من الصفّ دعا الى المبارزة، فخرج اليه فِتيةٌ من الأنصار ثلاثةُ نفر، وهم: عوف ومُعوّذ ابنا الحارث، وأمهما عَفراء، ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رَواحة؛ فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رَهْطٌ من الأنصار؛ قالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم نادى مُناديهم: يا محمد، أخرج الينا أكفاءنا من قومنا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُمْ يا حَمْزة بنَ عبد المطَّلب قم يا عُبيدة بن الحارث قُمْ يا عليّ بن أبي طالب». فلما قاموا ودَنَوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عُبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزةُ، وقال عليّ: عليّ؛ قالوا: نعم أكفاء كِرام، فبارز عُبيدة بن الحارث، وكان اسنّ القوم، عتبةَ بن ربيعة؛ وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة؛ وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتبة. فأما حمزة فلم يُمهل شيبةَ أن قتله. وأمّا عليّ فلم يُمهل الوليدَ بنَ عتبة أن قتله. واختلف عُبيدة وعُتبةُ بينهما بضربتين كلاهما أثبت[3] صاحبه، فكرّ حمزةُ وعليّ على عُتبة بأسيافهما فذفّفا[4] عليه فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدةَ فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطعتْ رجله ومخه يَسيل. فلما أتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: «بلى»؛ فقال عُبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أني بما قال أحقّ منه حيث يقول:

---

(١) الاعتجار: لف العمامة على الرأس.

(٢) كذا في سيرة ابن هشام، ونصل: خرج. وفي الاصول والطبري: «فصل» بالفاء.

(٣) أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح.

(٤) ذفف على الجريح: أجهز عليه.

وَنُسْلِمُهُ[١] حتى نُصَرَّعَ حولَهُ ... وَنَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائلِ

قال محمد بن إسحاق : وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ عُتبة بن ربيعة قال للفِتْيَة من الأنصار حين انتسبوا له : أكفاء كرام ، إنَّما نريد قومَنا . ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض . وقد أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه[٢] ألّا يحملوا حتى يأمرَهم ، وقال : « إن اكتنفكم القومُ فانضحوهم بالنَّبْل » ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر .

وكانت وَقعة بدر يومَ الجمعة صبيحةَ سبعَ عشرةَ من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : كما[٣] حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين .

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حُمَيد[٤] قال حدّثنا سَلَمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدّثني حَبَّان[٥] بن واسع بن حَبَّان عن أشياخٍ من قومه :

---

(١) هذا البيت من قصيدة أبي طالب التي مطلعها :

خليليّ ما أذني لاوّل عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل

وقبل هذا البيت :

كذبتم وبيت الله نُبزي محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونبزي : نغلب ونقهر ، وهو على تقدير النفي ، ومحمد نصب على نزع الخافض ، أي لا نغلب عليه . ونسلمه (بالرفع) معطوف على نبزي أي لا نسلمه . وقد ورد هذا البيت في اللسان مادة (بزا) هكذا :

كذبتم وحق الله يُبزي محمد ... ... الخ

ومعناه ، كما في اللسان ، يقهر ويستذل . وهو على تقدير النفي أيضاً .

(٢) زيادة عن السيرة والطبري .

(٣) كذا في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري . وفي الاصول : « قال ابن إسحاق فحدّثني الخ » وهو خطأ .

(٤) كذا في الطبري وتهذيب التهذيب وهو محمد بن حميد بن حيان التميمي أبو عبد الله الرازي أحد شيوخ ابن جرير الطبري وممن رووا عن سلمة بن الفضل . وفي الاصول : « أبو أحمد » وهو خطأ .

(٥) كذا في السيرة (ص ٤٤٤ طبع أوربا) ، وهو حبان بن واسع بن حبان بن منقذ أحد شيوخ محمد بن إسحاق (راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٧٠ ، وكتاب من روى عنهم محمد بن إسحاق ص ٩ طبع ليدن) . وفي الطبري : « حبان بن واسع بن حبان بن واسع » . وفي جميع الاصول : « واسم حيان بن واسع » .

انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوفَ أصحابه يومَ بدر ، وفي يده قِدحٌ[1] يُعَدِّل به القومَ ، فمرّ بسَوادِ[2] بن غَزِيّة حليف بني عديّ بن النجّار وهو مُستَنتِل[3] من الصفّ ، فطعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقِدح ، ثم قال : « أستوِ يا سواد بن غزية » ؛ فقال : يا رسول الله ، أوجعتني ! وقد بعثك الله بالحقّ ، فأقِدْني . قال : فكشف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : « أستَقِدْ » ؛ فاعتنقه وقبّل بطنَه ؛ فقال : « ما حملك على هذا يا سوادُ » ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمن الموتَ ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدَك ؛ فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً . ثم عدّل رسول الله صلى الله عليه وسلّم الصفوفَ ، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيرُه ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلم يناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : « اللهمّ إن تَهلكْ هذه العصابة اليومَ – يعني المسلمين – لا تُعبَدْ بعد اليوم » ، وأبو بكر يقول : يا نبيّ الله خلّ بعض مُناشدتك ربّك ، فإن الله مُنجِزٌ لك ما وعدك .

دعاء النبي يوم بدر :

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن عُبيد المحاربيّ قال حدّثنا عبد الله بن المُبارَك عن عِكرمة بن عمّار قال حدّثني سِماكٌ الحنفيّ قال سمعت ابن عباس يقول : حدّثني عمر بن الخطاب قال :

لمّا كان يوم بدر ونظر رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدّتهم

(١) القدح (بالكسر) : السهم قبل أن ينصل ويراش .

(٢) ذكر هذا الاسم في تاريخ الطبري (ص ١٣١٩ قسم أول) وأسد الغابة (ج ٢ ص ٣٧٤) وطبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٧٢ من القسم الثاني) . وفي سيرة ابن هشام (ص ٤٤٤ ، ٥٠٤ طبع أوروبا) قال ابن هشام في الموضعين : « ويقال سَوّاد بن غزية » . وفي الإصابة (ج ٣ ص ١٤٨ طبع مصر) في الكلام على سواد بن غزية : « المشهور أنه بتخفيف الواو وحكى السهيلي تشديدها » .

(٣) مستنتل : متقدم ويروى : مستنثل .

وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثلثمائة، استقبل الكعبةَ وجعل يدعو ويقول: «اللهمّ أنجزْ لي ما وعدتني اللهم إن تَهلِكْ هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض» فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاكَ يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأُمي، مناشدتُك لربك، سيُنجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ[1]).

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ وكيع قال حدّثنا الثَّقَفيّ (يعني عبدَ الوهاب) عن خالد عن عِكرمة عن ابنِ عبّاس:

أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال وهو في قُبّته[2] يومَ بدر «اللهمّ أسألك عهدَك ووعدَك اللهمّ إن شئتَ لم تُعبد بعد اليوم». قال: فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبُكَ يا نبيّ الله، فقد ألححتَ على ربك — وهو في الدِّرع — فخرج وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ).

رجع الحديث الى حديث ابن إسحاق

قال: وقد خفق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم خَفقةً وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نصرُ الله هذا جبريلُ آخذٌ بعنانِ فرسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْع[3]». قال: وقد رُمي مِهجَعٌ مولى عمر بن الخطّاب بسهم فقُتل، فكان أولَ قتيلٍ من المسلمين؛ ثم رُمي حارثةُ بن سُراقة أحد بني عديّ بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحرَه[4] فقتل. ثم خرج رسولُ الله

(١) مردفين: متتابعين بعضهم في إثر بعض.

(٢) كذا في تاريخ الطبري، والمراد بالقبة العريش الذي نصب له. وفي الاصول: «في فتية» وهو تحريف.

(٣) النقع: الغبار.

(٤) زيادة عن السيرة.

صلّى الله عليه وسلم إلى الناس فحرّضهم ونفّل كلّ امرئ ما أصاب، وقال: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتَل صابراً محتسباً مُقبلاً غيرَ مُدْبِر إلّا أدخله الله الجنّة»؛ فقال عُمير بن الحُمام أخو بني سَلِمة وفي يده تمرات يأكلها: بَخٍ بَخٍ! أما بيني وبين أن أدخل الجنةَ إلا أن يقتلني هؤلاء! قال: ثم قذف التمراتِ من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل، وهو يقول:

رَكْضاً إلى الله بغيرِ زادِ إلا التُّقى وعَمَلَ المَعادِ
والصبرَ في الله على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرضَةُ النَّفادِ
غيرَ التقى والبِرِّ والرَّشادِ

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة قال حدّثنا محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتادة:

أن عَوْف بنَ الحارث، وهو ابنُ عفراء، قال: يا رسول الله، ما يُضحِكُ الربَّ من عبده؟ قال: «غَمْسُه يدَه في العدوّ حاسراً»؛ فنزع دِرعاً كانت عليه فقذَفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القومَ حتى قُتل.

الهزيمة:

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلمة عن ابن إسحاق قال وحدّثني محمد بن مُسلِم الزُّهريّ عن عبد الله بن ثَعلبةَ بن صُعَيْر العُذْري حليف بني زُهرة قال:

لما التقى الناسُ ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جَهل: اللهمّ أقطَعُنا للرَّحِم وآتانا بما لا يُعرَف فأحِنه الغداة؛ فكان هو المُستَفتِح على نفسه. ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أخذ حَفنة من الحَصْباء واستقبل بها قريشاً، ثم قال: «شاهتِ الوجوهُ» ثم نفحهم(١) بها؛ وقال لأصحابه: «شُدّوا» فكانت الهزيمةُ.

(١) نفحهم: ضربهم.

فقتل الله مَنْ قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر منهم. فلما وضع القومُ أيديَهم يأسرون — ورسول الله صلّى الله عليه وسلم في العريش، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلم مُتوشّحاً بالسيف في نفر من الأنصار، يحرُسون رسول الله صلّى الله عليه وسلم، يخافون عليه كَرّة العدوّ — رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلم — فيما ذُكِرَ لي — في وجه سعد بن مُعاذ الكراهةَ فيما يصنع الناس؛ فقال له: «كأنك كرهتَ ما يصنَع الناس»: قال: أجلْ والله يا رسول الله! كانت أوّلَ وَقعة أوقعها الله عزّ وجل بأهل الشرك فكان الإثخانُ في القتل أعجبَ إليّ من استبقاء الرجال.

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ حُميد قال حدّثنا سَلمة عن محمد بن إسحاق قال وحدّثني العباس بن عبد الله بن مَعبَد(١) عن بعض أهله عن ابن عباس:

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفتُ أن رجالًا من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كَرْهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُله، ومن لقي أبا البَختَريّ بن هشام بن الحارث فلا يقتُله، ومن لقي العبّاس بنَ عبد المطلب — عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم — فلا يقتُله، فإنما خرج مُستكرهاً». قال: فقال أبو حُذَيفه بنُ عُتبة ابن ربيعة: أيُقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخوتنا(٢) وعشيرتُنا ونَترك العبّاسَ! والله لئن لقيتُه لأُلجِمنَّه السيفَ! فبلغتْ رسول الله صلّى الله عليه وسلم؛ فجعل يقول لعمر ابن الخطاب: «يا أبا حفص أما تسمع إلى قول أبي حُذَيفة يقول أضربُ وجهَ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالسيف». فقال عمر: يا رسول الله، دَعني فلأضربنّ عُنُقه بالسيف، فوالله لقد نافق. قال عمر: والله إنه لأوّل يوم كنّاني

---

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٣٢٣ من القسم الاول طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٤٦ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ١٢٠ طبع الهند). وفي الاصول: «مصعب» وهو تحريف.

(٢) كذا في السيرة. وفي جميع الاصول والطبري: «إخواننا».

فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلم بأبي حفص. قال: فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفّرها عنّي الشهادةُ؛ فقُتل يومَ اليمامة شهيداً. قال:

مقتل ابي البختري:

وإنما نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البَخْتري، لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو بمكة، كان لا يؤذيه ولا يَبْلُغه عنه بمكة شيءٌ يكرَهُه، وكان ممن قام في نَقْض الصحيفة التي كتبتْ قريشٌ على بني هاشم وبني المطّلب. فلقيَه المُجذَّر بن ذِياد(١) البَلَويّ حليفُ الأنصار من بني عَديّ، فقال المُجذَّر بن ذِياد لأبي البَختريّ: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك، ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكة، وهو جُنادَةُ بنُ مُلَيْحَةَ بن زُهَير بن الحارث بن أسد - وجُنادة رجل من بني لَيْث، واسم أبي البختريّ العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد - قال: وزميلي؟ فقال المجذَّر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك؛ ما أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلا بك وحدَك؛ قال: والله إذاً لأموتنّ أنا وهو جميعاً! لا تتحدّث عنّي نساء قريش بين أهل مكة أني تركتُ زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البختريّ حين نازله المجذَّر وأبى إلا القتالَ وهو يَرتَجز:

لن يُسلم ابنُ حُرَّةٍ أكيلَه(٢) حتى يموتَ أو يرى سبيلَه

فاقتتلا، فقتله المجذَّر بن ذِياد. ثم أتى المجذَّرُ بن ذِياد رسول الله صلّى الله عليه

(١) كذا في الطبري وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٩٨ من القسم الثاني طبع أوربا) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٣٠٢) والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي (ص ٤٦٤) وشرح القاموس مادة ذود. وورد فيه: «والمجذر بن ذياد بالكسر ويقال ذياد ككتان والاول اكثر». وفي الاصول: «زياد» بالزاي. وفي سيرة ابن هشام (ص ٤٤٧): «ويقال المجذر بن ذئاب».

(٢) في سيرة ابن هشام: «زميله».

وسلم فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهدتُ عليه أن يستأسر فآتيكَ به، فأبى إلا القتالَ، فقاتلته فقتلته.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني يحيي بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه، قال: وحدّثنيه أيضاً عبد الله بن بكر وغيرُهما عن عبد الرحمن بن عَوف قال:

كان أميّة بن خلف لي صديقاً بمكة؛ قال: وكان اسمي عبدَ عمرو، فسُمّيتُ حين أسلمتُ عبد الرحمن ونحن بمكة؛ قال: وكان يلقاني بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرَغِبتَ عن اسم سمّاك به أبواك؟ فأقول: نعم؛ فيقول: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أمّا أنت فلا تجيبني باسمك الأوّل، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه، فقلت: اجعلْ بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئتَ؛ قال: فأنت عبدُ الإله؛ فقلت: نعم. قال: فكنت إذا مررتُ به قال: يا عبد الإله فأجيبه فأتحدّث معه؛ حتى إذا كان يومُ بدر، مررت به وهو واقف مع عليّ ابنه آخذاً بيده، ومعي أدراع قد سلبتها وأنا أحملها؛ فلما رآني قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه؛ فقال: يا عبد الإله، قلت: نعم؛ قال: هل لك فيّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع؟ قال قلت: نعم، هلمّ إذاً؛ فطرحتُ الأدراعَ من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه عليّ، وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطّ، أما لكم حاجةٌ في اللبن[1]؟ ثم خرجت أمشي بينهما.

مقتل امية بن خلف وابنه:

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الواحد بن أبي عَون عن[2] سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عَوف قال:

(١) قال ابن هشام: «يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن».

(٢) كذا في الطبري. وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني أن عبد الواحد بن أبي عون يروي عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. وقد ورد في الاصول: «... أبي عون بن سعيد بن إبراهيم الخ» وهو خطأ.

قال لي أمية بن خَلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل المُعْلَم منكم بريش نعامةٍ في صدره؟ قال قلت: ذلك حمزة بن عبد المطلب؛ قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيلَ. قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بِلالٌ معي – وكان هو الذي يُعذّب بلالًا بمكة على أن يترك الإسلام، فيُخرجه إلى رَمضاء مكة إذا حميتْ فيُضْجِعُه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تَزال هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد؛ فيقول بلال: أحدٌ أحدٌ – فقال بلال حين رآه: رأسُ الكفر أميةُ بن خَلف، لا نجوتُ إن نَجوْا! قال: قلتُ: أي بلالُ، أبأسيرَيّ؟ قال: لا نجوتُ إن نجوا! قلت: أيْ بلال، أبأسيري تُسَمِّعُ[١] يابْنَ السوداء؟ قال: لا نجوتُ إن نجوا! ثم صرَخ بأعلى صوته: يا أنصارَ الله، رأسُ الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجوا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكَة[٢]! وأنا أذُبّ عنه. قال: فأخلف رجلٌ السيفَ فضرب رِجلَ ابنهِ[٣] فوقع، وصاح أمية صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطّ؛ قال قلت: انجُ بنفسك ولا نَجاء[٤]! فوالله ما أُغني عنك شيئاً. قال: فهبَرُوهما[٥] بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالًا، ذهب بأدراعي وفجعني بأسيريّ.

قال ابن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث عن ابن عبّاس قال حدّثني رجل من بني غِفار قال:

أقبلتُ أنا وابنُ عمّ لي حتى أصعَدْنا في جبلٍ يُشرِف بنا على بدر، ونحن

(١) التسميع: التشهير، يقال: سمع الرجل: أذاع عنه عيباً وندد به وشهره وفضحه.

(٢) المسكة (بالتحريك): السوار.

(٣) كذا في السيرة. وفي الأصول: «قال: فضرب رجل أمية فوقع الخ».

(٤) رواية السيرة: «انج بنفسك ولا نجاء به».

(٥) هبروهما: قطّعوهما.

مشركان ننتظر الوَقعةَ على من تكون الدَّبرة[١]، فننهب مع من ينهب، فبينا نحن في الجبل إذ دنت منّا سحابة، فسمِعنا فيها حَمْحَمَةَ الخيل، وسمعتُ قائلًا يقول: أقدِمْ[٢] حَيْزُومُ. قال: فأما ابنُ عمي فانكشف قِناعُ[٣] قلبه فمات مكانه! وأما أنا فكدتُ أهلِك، ثم تماسكتُ.

قال محمد بن إسحاق وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسار عن رجال من بني مازِن ابن النجّار عن أبي داود المازنيّ، وكان شهد بدراً، قال:

إني لأتبع رجلًا من المشركين يومَ بدر لأضرِبَه، إذ وقع رأسُه قبل أن يصل اليه سيفي، فعلمت أنه قد قتله غيري.

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكم المِصري قال حدّثنا يحيى بن بُكَير قال حدّثني محمد بن إسحاق عن العَلاء بن كثير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخرمة عن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنَيف قال:

قال لي أبي: يا بُنيَّ، لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدَنا لَيُشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصلَ اليه السيفُ.

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ حُمَيد قال حدّثنا سَلمةُ عن محمد قال وحدّثني الحسن ابن عمارة قال أخبرنا سَلَمة عن الحكم بن عُتَيبة[٤] عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال:

---

(١) الدبرة (بالفتح): العاقبة، يقال: لمن الدبرة أي الدولة والنصر والظفر، وعلى من الدبرة أي الهزيمة.

(٢) أقدم حيزوم: هو أمر بالإقدام، وهو التقدم في الحرب، والإقدام: الشجاعة. وقد تكسر همزة «اقدم» ويكون أمراً بالتقدم لا غير، والصحيح الفتح من أقدم. وحيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.

(٣) قناع القلب: غشاؤه، تشبيهاً بقناع المرأة.

(٤) كذا في المشتبه في أسماء الرجال للذهبي وتهذيب التهذيب. وفي الاصول: «عيينة» وهو تحريف.

كانت سيما الملائكة يومَ بدر عمائمَ بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويومَ حُنين عمائمَ حُمراً ، ولم تقاتل الملائكةُ في يوم من الأيام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مَدَداً وعدداً ولا يضربون .

مقتل ابي جهل :

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ حُميد قال حدّثنا سَلَمةُ قال : قال محمد وحدّثني ثور بن زيد[١] مولى بني الدِّيل عن عِكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ، قال وحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، قالا : كان مُعاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سَلِمة يقول :

لما فرَغ رسول الله صلّى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلتمس في القتلى ، وقال : « اللهمّ لا يُعجزنّك » ؛ وكان أوّل من لقي أبا جهل مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القومَ ، وأبو جهل في مثل الحَرَجة[٢] ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلَص اليه ؛ فلما سمعتُها جعلتها من شأني ، فعمدت نحوَه ، فلما أمكنني حملت عليه ، فضربتُه ضربة أطَنَّت[٣] قدَمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبّهتُها حين طاحتْ إلا كالنواة تَطيح من تحت مِرْضخة[٤] النوى حين يُضرب بها ، قال : وضربني ابنُه عِكرمة على عاتقي فطرَح يدي ، فتعلّقتْ بجلدةٍ من جَنبي ، وأَجهضني القتالُ عنها ، فلقد قاتلتُ عامّةَ يومي وإني لأسحبُها خَلفي ، فلما آذتني جعلتُ عليها رجلي ثم تمطّيتُ بها حتى طرحتُها . قال : ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى كان

(١) في الاصول : « يزيد » والتصويب عن تهذيب التهذيب والطبري .

(٢) الحرجة بالتحريك : مجتمع شجر ملتفّ كالغيضة ، والجمع : حرج وحراج .

(٣) أطنت : قطعت .

(٤) كذا في الطبري . ورواية النهاية لابن الأثير : « شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ » جمع مرضخة ، وهي حجر يرضخ بـه النوى ، والرضخ : الكسر . وفي الاصول : « مرضة النوى » ورضّ الشيء : دقه وجرشه .

في زمن عثمان بن عفّان . قال : ثم مرّ بأبي جهل ، وهو عَقيرٌ(١) ، مُعوِّذُ بن عَفراء ، فضربه حتى أثبته(٢) ، فتركه وبه رَمَق ، وقاتل مُعوِّذُ حتى قُتل . فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أن يُلتمس في القتلى ، وقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، : « أنظروا إن خَفيَ عليكم في القتلى إلى أثرِ جُرحٍ برُكبته فإني أزدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبة لعبد الله ابن جُدعان ونحن غلامان وكنتُ أَشبَّ – أو أَشفَّ – منه بيسير فدفعتُه فوقع على ركبتيه فخدش في إحداهما خَدشاً لم يَزَل أثرُه فيها بعدُ » . فقال عبد الله بن مسعود : فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلي على عنقه ؛ قال : وقد كان ضَبَثَ(٣) بي مرّةً بمكة فآذاني ولكزني ، ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ! أعمدُ(٤) من رجل قتلتموه ! لمن الدَّبرةُ اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلم .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابنُ حُميد قال حدّثنا سَلَمة عن محمد قال :

زعم رجلٌ من بني مخزومٍ أن ابن مسعود كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيعِيَ الغنم مُرتَقًى صعباً ؛ ثم احتززتُ رأسه ، ثم جئت به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدوّ الله أبي جهل ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « آلله الذي لا إله غيره » ! – وكانت يمينَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم – قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ قال فحمد الله .

(١) العقير : المجروح .

(٢) أي جرحه جراحةً لا يتحرّك معها ولا يقوم .

(٣) ضبث بالشيء ضبثاً : قبض عليه بكفه .

(٤) أعمد : أي أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتله قومه ! هل كان الا هذا ! أي أن هذا ليس بعار ، يريد أن يهوّن على نفسه ما حلّ به من الهلاك وأنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه . وقال شمر : هذا استفهام أي أأعجب من رجل قتله قومه ! قال الأزهري : كأن الاصل أأعمد الخ فخففت إحدى الهمزتين . والمراد بالدبرة : الدولة والظفر .

قال محمد بن إسحاق وحدّثني يزيدُ بن رُومان عن عُروة بن الزُّبير عن عائشة قالت :

لما أمرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالقتلى أن يُطرَحوا في القليب طُرحوا فيها إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فملأها ؛ فذهبوا به ليُخرجوه ، فتزايلَ فأقرّوه[1] وألقَوْا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة . فلما ألقَوْهم في القَليب ، وقف رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال : « يأهلَ القَليب هل وجدُتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا فإني وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا » ؛ فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتُكلّم قوماً موتى ؟ قال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربُّهم حقّ » .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلتُ لهم ، وإنما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « لقد علموا » .

قال ابن إسحاق وحدّثني حُميدٌ الطويل عن أنس بن مالك قال :

لما سمع أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو يقول من جوف الليل : « يأهلَ القَليب يا عُتبة بنَ ربيعة ويا شَيبة ابنَ ربيعة ويا أبا جهل بن هشام — فعدّد من كان منهم في القَليب — هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا فإني قد وجدت ما وعدني ربّي حقًّا » قال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جَيَّفوا ! فقال : « ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني » .

قال محمد بن إسحاق وحدّثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومَ قال هذه المقالةَ قال : « يأهلَ القَليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم كذّبتموني وصدّقني الناسُ وأخرجتموني وآواني الناسُ وقاتلتُموني ونصرني الناس » ؛ ثم قال : « هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا » للمقالة التي قالها . ولما أمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلقَوْا في القَليب ، أُخِذ عُتبة فسُحِب إلى القليب ،

(١) كذا في السيرة . وفي الأصول : « فأقروه » بالفاء، وهو تحريف .

فنظر رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، إلى وجه أبي حُذَيفة بن عُتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « يا أبا حُذَيفة لعلّك قد دَخلك من شأن أبيك شيء » أو كما قال ؛ قال فقال : لا والله يا رسول الله ما شككتُ في أبي ولا في مَصرَعه ، ولكنني كنت أعرِف من أبي رأياً وفضلاً وحلماً ، فكنتُ أرجو أن يَهدَيه الله إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزنني[1] ذلك .
قال : فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلم له بخير وقال له خيراً .

اختلاف على الفيء :

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجُمِع ، واختلف المسلمون فيه : فقال من جمعه : هو لنا ، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم نَفَل كلّ امرىءٍ ما أصاب . فقال الذين كانوا يقاتلون العدوّ ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لَنَحن شَغَلْنا القومَ عنكم حتى ما أصبتم أصبتم. وقال الذين كانوا يحرُسون رسول الله صلّى الله عليه وسلم مخافة أن يُخالفَ[2] اليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقّ به منّا ، ولقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ ولّانا الله ومَنحنا أكتافَهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه مَن يمنعه ، ولكنْ خِفنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم كَرّةَ العدوّ ، فقُمنا دونَه ، فما أنتم بأحق به منّا .

مقتل النضر بن الحارث :

قال ابن إسحاق وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة ويزيد بن رُومان : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم جمع الأسارَى من المشركين ، وكانوا أربعةً

(١) كذا في السيرة . وفي الأصول : « فلما رأيت ما أصابه ذكرت ... ... فحزنني ذلك » .

(٢) أي مخافة أن يأتيه العدوّ في غيبة أصحابه .

وأربعين أسيراً ، وكان من القتلى مثلُ ذلك ، وفي الأسارى عُقبة بن أبي مُعيط ، والنَّضر بن الحارث بن كَلَدة ، حتى إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالصَّفراء ، قُتِل النضرُ بن الحارث بن كَلَدة ، قتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال محمد بن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعد[1] بن زُرارة قال :

قُدِم بالأسارى حين قُدِم بهم ، وسَوْدة بنت زَمعة (زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلم) عند آل عَفراء في مَناحَتهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يُضرَب عليهنّ الحجاب ؛ قال : تقول سَوْدة : والله إني لعندهم إذ أُتينا ، فقيل هؤلاء الأسارى قد أُتي بهم ، فرُحتُ إلى بيتي ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ، وإذا أبو يَزيدَ سُهَيلُ بنُ عمرو في ناحية الحُجرة مجموعة يداه إلى عُنُقه بحبل ؛ قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألا مُتم كِراماً ! فوالله ما أنبهني إلا قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم من البيت : « يا سَوْدة أعلى اللهِ وعلى رسوله » ! قالت فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحقّ ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ان قلتُ ما قلت .

قال محمد بن إسحاق : وكان أوّلُ من قدِم مكةَ بمصاب قريش ، الحَيْسُمان[2]

---

(١) ورد في الاصول : « أسعد » وهو خطأ، والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ١٣٨ من القسم الثاني طبع أوربا) . قال ابن سعد ما نصه : « وكان لأسعد بن زرارة من الولد حبيبة مبايعة، وكبشة مبايعة، والفريعة مبايعة؛ وأمهم عميرة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن يزيد بن ثعلبة بن غنم ابن مالك بن النجار، ولم يكن لاسعد بن زرارة ذكر وليس له عقب إلا ولادات بناته هؤلاء، والعقب لأخيه سعد بن زرارة » .

(٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٣٣٨ من القسم الاول طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٦٠) وشرح القاموس مادة « حسم » . وفي الاصول : « الحيثمان » بالثاء المثلثة وهو تحريف. ثم ذكر الطبري خلافاً في نسب الحيسمان هذا فقال : « وقال الواقديّ : الحيسمان بن حابس الخزاعي». وفي الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٨٠) : « الحيسمان بن عمرو » . وفي أسد الغابة : « الحيسمان بن إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن » . وذكر في الإصابة في نسبه أقوالا كثيرة فراجعها .

أبنَ عبد الله بن إياس بن ضُبَيْعة بن رُومان بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ؛ قالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُتبة بن رَبيعة، وشَيبة بن رَبيعة، وأبو الحكم بن هِشام، وأمية بن خَلف، وزَمعَة بن الأسود، وأبو البَختريّ بنُ هِشام، ونُبَيه ومُنبِّه ابنا الحجّاج؛ قال: فلما جعل يُعدِّد أشرافَ قريش قال صَفوانُ بن أمية وهو قاعدٌ في الحِجر: والله إن يَعقِل هذا فسَلُوه عنّي؛ قالوا: ما فعل صَفوان بن أمية؟ قال: هو ذلك جالس في الحِجر، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

قال محمد بن إسحاق حدّثني حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس عن عِكرِمة مولى أبن عباس قال:

قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دَخلَنا أهلَ البيت، فأسلم العباس[١] وأسلمتْ أمّ الفضل، وأسلمتُ، وكان العباسُ يَهاب قومَه، ويكره خِلافَهم، وكان يكتُم إسلامَه، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لَهب عدوّ الله قد تخلّف عن بدر، وبعث مكانَه العاصيَ بن هشام بن المُغيرة، وكذلك صنعوا، لم يتخلّف رجل إلّا بعث مكانَه رجلاً؛ فلما جاء الخبر عن مُصاب أهل بدر من قريش، كَبَته الله وأخزاه، ووَجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً؛ وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القِداح أنحتها في حُجرة زَمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحتُ القِداح، وعندي أمّ الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه يسير[٢] حتى جلس على طُنُب الحُجرة، فكان ظهرُه الى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيانَ بنُ الحارث بنِ عبد المطلب قد قدِم؛ فقال أبو لَهب: هلمّ إليّ يأبنَ أخي، فعندك لَعَمْري الخبرُ؛ فجلس إليه والناس قيامٌ عليه؛ فقال يأبنَ أخي أخبِرْني كيف كان أمرُ الناس؟ قال: لا شيء والله، إن كان إلّا أن

(١) الزيادة عن السيرة.

(٢) في السيرة: «بشرّ».

لَقيناهم فأَبجناهم أكتافَنا يقتُلون ويأسِرون كيف شاءوا، وأيمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناس، لقينا رجالًا بِيضًا على خَيل بُلْقٍ بين السماء والارض ما تُليق[1] شيئًا ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طُنُبَ الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لَهَب يدَه فضرب وجهي ضربةً شديدة؛ قال: فساورتُه فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلًا ضعيفًا؛ فقامت أمّ الفضل الى عمود من عُمُد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة، فشجّت في رأسه شجّة منكرة وقالت: أتستضعفه أنْ غاب عنه سيّده! فقام مُوليًا ذليلًا، فوالله ما عاش فيها إلا سبعَ ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة[2] فقتلته، فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثًا لا يدفِنانه حتى أنتَن في بيته – وكانت قريش تتّقي العَدَسة كما يُتّقَى الطاعون – حتى قال لهما رجل من قريش: وَيحكما! لا تستحييان أنّ أباكما قد أنتن في بيته لا تُغيِّبانه! فقالا: نخشى هذه القَرحةَ! قال: فانطلِقا فأنا معكما، فما غسّلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد ما يَمَسّونه؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكةَ على جدار، وقذَفوا عليه الحجارة حتى واروه.

قال محمد بن إسحاق وحدّثني العباس بن عبد الله بن مَعبد عن بعض أهله عن الحَكَم بن عيينة عن ابن عباس قال:

لما أمسى القومُ من يوم بدر، والأسارَى محبوسون في الوَثاق، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرًا أوّلَ ليلته؛ فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ فقال: «سمعت تضوّر العباس في وَثاقه»؛ فقاموا الى العباس فأطلقوه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق وحدّثني الحسن بن عُمارة عن الحَكَم بن عيينة عن ابن عباس قال:

---

(١) ما تليق شيئًا: ما تبقي على شيء، يقال: هذا سيف لا يليق شيئًا أي لا يمرّ بشيء إلا قطعه.

(٢) العدسة: بثرة قاتلة تخرج بالبدن.

كان الذي أسر العباسَ أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بني سَلِمة، وكان رجلًا مجموعاً، وكان العباس رجلًا جسيماً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليَسَر: «كيف أسرتَ العباسَ يا أبا اليَسَر»؟ فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أعانك عليه مَلَك كريم».

قال ابن إسحاق عن الكَلْبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس:

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطَّلب حين انتُهي به الى المدينة: «يا عباس أفْدِ نفسَك وابنَ أخيك عَقيلَ بن أبي طالب ونَوْفلَ ابن الحارث وحليفَك عُتبةَ بنَ عمرو بن جَحدَم أخا بني الحارث بن فِهْر فإنك ذو مال»؛ فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني؛ فقال: «الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يَجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فأفْدِ نفسَك». وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقيَّةً من ذهب؛ فقال العباس: يا رسولَ الله، احسُبْها لي في فِدائي؛ قال: «لا، ذلك شيء أعطاناه الله منك»؛ قال: فإنه ليس لي مال؛ قال: «فأين المال الذي وَضعتَه بمكة حين خرجتَ من عند أمِّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ثم قلتَ لها إن أُصبتُ في سَفْرتي هذه فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقُثَمَ كذا ولعُبَيد الله كذا»؟ قال: والذي بعثك بالحقّ ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرُها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففَدى العباسُ نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عن عائشة قالت:

لما بعَث أهلُ مكة في فِداء أسراهم، بعثتْ زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاصي بن الرَّبيع بمال، وبعثتْ فيه بقِلادة لها كانت خديجةُ أدخلتها بها على أبي العاصي حين بَنى عليها؛ فلما رآها رسول الله صلى الله

عليه وسلم رَقّ لها[١] رِقّةً شديدة وقال: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرَها وتَرُدّوا عليها الذي لها فافعلوا»؛ فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها.

رثاء الأسود بن المطلب لاولاده:

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عَبّاد عن أبيه قال:

ناحت قريشٌ على قَتلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمداً وأصحابَه، فيَشمَتوا بكم، ولا تبعَثوا في فِداء أسراكم حتى تيأسوا[٢] منهم، لا يتأرّبُ[٣] عليكم محمد وأصحابُه في الفِداء. قال: وكان الأسودُ بن المُطّلِب[٤] قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده، زَمْعَة وعَقِيلٌ والحارث، بنو الأسود، وكان يُحِبّ أن يبكي على بَنيه؛ فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في الليل، فقال لغلامه وقد ذهب بصره: انظُر هل أُحِلّ النَّحيبُ وهل بكت قريشٌ على قَتلاها؟ لعلّي أبكي على أبي حَكيمة (يعني زَمْعة) فإن جوفي قد احترق؛ فلما رَجع اليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بعيرٍ لها أضلّته؛ فذلك حين يقول الأسود:

أتبكي أن أضلّ لها بعيرٌ ... ويمنَعُها البكاءَ من الهجودِ[٥]

---

(١) كذا في السيرة لابن هشام (ص ٤٦٥ طبع أوربا). وفي الأصول: «فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة الخ».

(٢) وفي الطبري (قسم ١ ص ١٣٤٢) والسيرة (ص ٤٦١): «حتى تستأنوا بهم». واستأنى: تربص وانتظر.

(٣) كذا في الطبري. ويتأرب: يتأبّى ويتشدّد. وفي السيرة واللسان مادة أرب: «لا يأرب» وأرب: تشدّد.

(٤) كذا في السيرة وهو الموافق لما في حماسة أبي تمام (ص ٣٩٧ — شرح التبريزي طبع أوربا) والاشتقاق لابن دريد. وفي الاصول والطبري: «ابن عبد يغوث» وهو خطأ.

(٥) هذا البيت في حماسة أبي تمام والسيرة ص ٤٦٢ والطبري هكذا:

أتبكي أن يضلّ لها بعيرٌ ... ويمنعها من النوم السهودُ

وذُكر في الحماسة مع هذا البيتِ البيتُ الثاني والاخير من هذه الابيات، وهما البيتان المتفقان معه في حركة الرويّ.

ولا تَبْكي على بَكرٍ ولكنْ على بدرٍ تقاصرتِ الجُدودُ[١،٢]
على بدرٍ سراةِ[٣] بني هُصَيصٍ ومخزومٍ ورهطِ أبي الوليدِ
وبكِّي[٤] إن بكيْتِ على عَقيلٍ وبكِّي حارثاً أسدَ الأُسودِ
وبكِّيهم ولا تُسمي جميعاً فما لأبي حَكيمةَ من نَديدِ
ألا قد ساد بعدهمُ رجالٌ ولولا يومُ بدرٍ لم يسودوا

ومما قيل في بدر من الشعر وغنيَ به قول هند بنت عُتبة ترثي أباها :

صوت

مَن حَسّ[٥] لي الأخوينِ كالـ ـغُصنين أو مَنْ راهُما[٦]
قَرْمـانِ[٧] لا يتظالما نِ ولا يُرامُ حِماهُما

---

(١) في الحماسة والطبري والسيرة : « فلا ... ... الخ » .

(٢) البكر : الفتيّ من الإبل . وتقاصرت الجدود أي تواضعت الحظوظ، يريد أنه يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس . وتقاصرت : تفاعلت من القصور والعجز، كأنها تبارت في القصور . ويحتمل أن تكون من القصر الذي هو ضد الطول، وتكون كلمة « على » من « على بدر » موضوعة موضع الباء، كما يقال : هم على ماء كذا وهم بماء كذا . وقال أبو هلال : تقاصرت الجدود : عثرت، والعاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر . والعثار في الجدّ مثل، وكذلك التقاصر . ويجوز أن يقال : إنه أراد بالجدود الأعمار أي أنه قتل من قتل من المشركين فذهب بهم عز قريش، أي لا تبكي على بكر وابكي على من تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا .

(٣) سراة : جمع سري وهو السيد الكريم .

(٤) بكّاه بالتضعيف كبكاه المخفف .

(٥) حسّ من باب نصر كأحسّ .

(٦) أصل راهما : رآهما، فخففت فيه الهمزة على حدّ : لا هناك المرتع ، فاجتمعت ألفان، فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين .

(٧) القرم : السيد العظيم .

وَيلي على أبوَيَّ والـــقبرِ الذي واراهُما
لا مثـلُ كهلي في الكهو لِ ولا فتًى كفتاهما

— ذكر الهشامي أن الغناء لابن سُريج رَمَــل، وفي الكتاب الكبير المنسوب الى إسحاق أنه للغريض — وتمام هذه الأبيات :

أسدانِ لا يتذلّلا ن ولا يُرامُ حِماهما
رُمحينِ خَطّيـينِ في كَبِـد السماء تراهما
مــا خلّفـا إذ ودّعـا في سُودَدٍ شَرْواهما [1]
سادًا بغـيرِ تكلّفٍ عفـواً يَفيض نَداهما

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحارث بن أبي أسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقِديّ، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال :

لما كانت وقعةُ بدر، قُتل فيها عُتبة بن رَبيعة، وشَيبةُ بن رَبيعة، والوَليدُ بن عُتبة؛ فأقبلتْ هند بنت عتبة ترْثيهم، وبلغها تسويمُ [2] الخنساء هودَجها في الموْسم ومعاظمتُها العربَ بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشّريد وأخويها صَخرٍ ومُعاوية، وأنها جعلتْ تَشهَد الموسِم وتَبكيهم، وقد سوّمت هودَجها براية، وأنهـا تقول : أنا أعظمُ العرب مصيبةً، وأن العرب قد عرفت لها بعضَ ذلك؛ فلما أُصيبت هند بما أُصيبت به وبلغها ذلك، قالت : أنا أعظمُ من الخنساء مصيبةً وأمرتْ بهودجها فسُوّم براية، وشهدتِ الموسمَ بعُكاظ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب، فقالت : أقرِنوا جملي بجمل الخنساء، ففعلوا؛ فلما أن دنَتْ منها، قالت الخنساء : من أنت يا أُخيّةُ ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغني أنكِ تُعاظمين العربَ بمصيبتك، فبِمَ تُعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : بعمرو بن الشّريد، وصخر

---

(١) شرواهما : مثلهما .

(٢) سوّم الشيء : جعل له سومة وعلامة ليعرف بها ويتميز .

ومعاوية أبني عمرو ، وبمَ تُعاظمينهم أنتِ ؟ قالت : بأبي عُتبةَ بنِ رَبيعة ، وعمي شَيبةَ بنِ ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء : أوَ سَواءٌ هم عندكِ ؟ ثم أنشدتْ تقول :

أُبَكّي أبي عمراً بعينٍ غزيرةٍ ... قليلٍ إذا نام الخليُّ هُجودُها
وصِنوَيَّ لا أنسى مُعاويةَ الذي ... له من سَراةِ الحرَّتين[1] وُفودُها
وصَخراً،ومن ذا مثلُ صخرٍ إذا غدا ... بساهمةِ[2] الآطال قُبّاً يقودُها
فذلك يا هندُ الرَّزِيَّةُ فاعلمي ... ونيرانُ حربٍ حين شبَّ وَقودُها

فقالت هند تجيبها :

أُبكّي عَميدَ الأبطحَين[3] كليهما ... وحاميهما من كل باغٍ يُريدُها
أبي عُتبةُ الخيراتِ وَيحكِ فاعلمي ... وشيبةُ والحامي الذِّمارِ وليدُها
أولئك آلُ المجدِ من آل غالبٍ ... وفي العزِّ منها حين ينمى عَديدُها[4]

وقالت لها أيضاً يومئذٍ :

مَنْ حسَّ لي الأخوين كالـغُصنين أو مَنْ راهما

---

(١) الحرّة : الارض ذات الحجارة السود النخرة . والمراد بالحرّتين : حرة بني سليم وحرة بني هلال بالحجاز . أي هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيا يلم بها .

(٢) كذا في ديوان الخنساء (طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٥) . والساهمة : الدقيقة . والآطال : جمع إطل (بالكسر وبكسرتين) وهو الخاصرة . ويروى : «بسلهبة الآطال» والسلهبة : من الخيل الطويلة على وجه الارض . وفي سائر الاصول : «الابطال» وهو تحريف . وفي نسخة مخطوطة من الديوان محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٧٠ أدب ص ٨٦) : «بساهمة الأبصار قب» . والقب : جمع أقب أو قباء، وهي الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن .

(٣) عميد القوم : سندهم وسيدهم . وتريد بالأبطحين : بطحاء مكة وسهل تهامة . وأصل الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى .

(٤) عديدها : جموعها .

اريحية الغناء :

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض القرشيّين قال :

قدِم عبد الله بن جعفر على معاوية وافداً ، فدخل عليه إنسان ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ابن جعفر يشرب النّبيذَ ، ويسمع الغناء ، ويحرّك رأسه عليه ؛ فجاء معاويةُ متغيّراً حتى دخل على ابن جعفر ، وعَزّةُ المَيْلاء بين يديه كالشمس الطالعة في كِواء[1] البيت يُضيء بها البيتُ ، تُغنّيه على عودها :

تَبلتْ فؤادك في الظلام خَريدةٌ تَشفي الضَّجيعَ ببارد بَسّامِ

وبين يديه عُس[2] ؛ فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال : أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لتشربنّ منه ، فإذا عَسَلٌ مَجدوحٌ[3] بمسك وكافور ! فقال : هذا طيّب ؛ فما هذا الغناء ؟ قال : هذا شعر حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام ؛ قال : فهل تُغنّي بغير هذا ؟ قال : نعم ، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ الجافي[4] الأدفر ، القبيحُ المنظر ، فيُشافهك به ، فتُعطيه عليه ؛ وآخذه أنا ، فأختار محاسنه ورقيقَ كلامه ، فأعطيه هذه الحَسَنةَ الوجه ، الليّنة اللمس ، الطيّبةَ الريح ، فتُرتّله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكُك رأسك ؟ قال : أرْيَحيّةٌ أجدُها إذا سمعتُ الغناء ؛ لو سُئلت عندها لأعطيتُ ، ولو لقيتُ لأبليتُ ؛ فقال معاوية : قبّح الله قوماً عرّضوني لك ، ثم خرج وبعث اليه بصلة .

---

(١) كواء البيت : منافذه وثقوبه ، واحده كوة .

(٢) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٣) مجدوح : مخلوط .

(٤) الجافي : الغليظ في المعاشرة . والأدفر بالدال المهملة : النتن .

صوت

من المائة المختارة

أَيُّهـا القلبُ لا أراكَ تُفيقُ   طالَما قـد تَعلَّقَتْكَ العَلوقُ[١]
مَن يكن مِن هَوى حبيبٍ قريباً   فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيقُ
قُضيَ الحبُّ بيننـا فالتقينا   وكِلانا إلى اللقـاء مَشوقُ

الشعر في البيت الأوّل والثالث لعمر بن أبي ربيعة ، والبيت الثاني ليس له ولكن هكذا غُنِّيَ ؛ وليس هو أيضاً مُشاكِلاً لحكاية ما في البيت الثالث . والغناء لبابَوَيهِ الكوفيّ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش ، يقال لها نُعْم ، كان كثيرَ الذِّكر لها في شعره . أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزُبان عن أبي عبد الله التَّميميّ عن القَحْذَميّ والمدائنيّ ، قال : وهي التي يقول فيها :

أمِن آلِ نُعمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ

ابن ابي ربيعة ونعم :

قال : وكانت تُكنى أمَّ بَكر ، وهي من بني جُمَح . وتمام هذه الأبيات على ما حكاه ابن المرزُبان عمّن ذكرت :

فالتَقَيْنا ولم نَخفْ ما لَقِينـا   ليلةَ الخَيفِ ، والمُنى قد تَشوقُ[٢]
وجَرى بيننا فجدَّدَ وصـلا   قُلَّبٌ[٣] حـوَّلٌ أريبٌ رفيقُ

---

(١) يريد به ما علقه من كلف الحب وجهده .

(٢) وفي ديوانه : « تسوق » .

(٣) القلب الحوّل : المحتال البصير بتقليب الأمور .

لا تَظنّي أنّ التراسلَ والبَـذْ لَ لكلّ النساء عندي يَليقُ
هل لكَ اليومَ إن نأتْ أُمُّ بكرٍ وتولّتْ إلى عزاء طريـقُ

أخبرني محمد بن خَلف بن المَرزُبان قال حُدّثت عن محمد بن حُميد عن عبد الله ابن سَوّار القاضي عن بِشر بن المُفضَّل قال :

بلغَ عمرَ بن أبي ربيعة أن نُعْماً اغتسلت في غَديرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرب منه حتى جفّ .

أخبرني محمد بن خَلف قال قال محمد بن حبيبَ الراويةُ :

بلغني أن نُعماً استقبلت عمرَ بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خَلوق[1] من خَلوق المسجد، فمسحتْ به ثوبَه، ومضتْ وهي تضحك؛ فقال عمر :

أدخل اللهُ ربُّ موسى وعيسى جنّةَ الخُلدِ مَن مَلاني خَلوقاَ
مَسحتْه من كفِّهـا في قميصي حين طافتْ بالبيت مسحاً رفيقاَ
غَضِبَتْ أن نظرتُ نحوَ نساء ليس يَعرفنني سَلَكنَ طريقاَ
وأرى بينها وبـين نساء كنتُ أهذي بهنّ بَوْناً سَحيقاَ

وهذا البيت الأوّل مما عِيب على عمر .

ومما غُنّيَ فيه من تَشبيب عمرَ بنُعم هذه :

صوت

دِينَ[2] هذا القلبُ من نُعمٍ بسَقـامٍ[3] ليس كالسُّقْمِ

---

(١) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران .
(٢) دين : جوزي وكوفئ .
(٣) في ديوان عمر بن أبي ربيعة :
قد أصاب القلب من نعم سقم داء ليس كالسقم

إنّ نُعماً أقصدَتْ[١] رجلاً آمناً بالخيفِ إذ ترمي
بشتيتٍ[٢] نبتُه رَتِلٍ طيّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
وبوَحْفٍ[٣] مائلٍ رَجِلٍ كعناقيدَ مِنَ الكَرْمِ

ومنها :

صوت

خليليّ اَرْبَعا[٤] وَسلا بمَغنى الحيّ قد مثَلا
بأعلى الوادِ[٥] عند البئـــر هيَّجَ عَبرةً سَبَلا[٦]
وقد تَغنى بـه نُعمٌ وكنتُ بوصلها جَذِلا
لياليَ لا نُحِبُّ لنا بعَيشٍ قد مضى بَدَلا
وتَهْـوانا ونَهواهـا ونَعصي قولَ من عَذَلا
وتُرْسِلُ في مُلاطفةٍ ونُعمِلُ نحوَها الرُّسُلا

غنّاه الهُذَليّ ، ولحنُه من القَدر الأوسط من الثَّقيلِ الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج لحنان : رَمَلٌ بالبنصر في مجراها عن

---

(١) أقصده : أصابه فقتله .

(٢) الثغر الشتيت : المفلج، وهو أن يكون بين أسنانه تباعد . ورتل : مستوٍ حسن التنضيد .

(٣) الوحف : الشعر الكثيف المسودّ . والرجل من الشعر : ما كان بين السبوطة والجعودة .

(٤) اربعا : أقيما . ومغنى الحيّ : محل إقامتهم . ومثل : قام وانتصب .

(٥) الوادي : كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً . وربما اكتفي فيه بالكسرة عن الياء، كما قال أبو الرّبَيس التغلبيّ :

لا صلح بيني فاعلموه ولا بينكم ما حملتْ عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما قرقرقُمْرُ الوادِ بالشاهقِ

(٦) سبل : اسم المصدر من أسبل المطر والدمع اذا هطلا، ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع اذا وصف به .

إسحاق ، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها عن إسحاق ثاني ثقيل ، ولسُلَيم خفيفُ رملٍ ، جميعاً عن الهشاميّ ، قال : ويقال : إن اللحنَ المنسوب إلى سُلَيم لحكَم الوادي .

ومنها من قصيدة أوّلها :

لقد أرسلتْ نُعْمٌ الينا أنِ ٱئتِنا فأحبِبْ بها من مُرسلٍ مُتغضّبِ

يُغنّي منها في قوله :

صوت

فقلتُ لجنّادٍ خذِ السيفَ وٱشتمِلْ عليه برفقٍ وٱرقُبِ الشمسَ تَغرُبِ
وأَسرِجْ ليَ الدّهماءَ وٱعجَلْ بمِمْطَري[1] ولا تُعلمَنْ حيّاً من الناس مَذهبي[2]
فلما ٱلتقينا سلّمتْ وتبسّمتْ وقالت مَقالَ المُعرِضِ المُتجنِّبِ
أمِن أجلِ واشٍ كاشحٍ[3] بنَميمةٍ مشى بيننا صدّقتَه لم تُكذِّبِ
وقطّعتَ حبلَ الوصل منّا ومن يُطِعْ بذي وُدّه قولَ المُحرِّشِ[4] يُعتَبِ

صوت

ما بالُ أهلِكِ يا رَبابُ خُزْراً[5] كأنّهمُ غِضابُ

(١) المطر والمطرة : ثوب من صوف يلبس في المطر يتوقى به منه .

(٢) هذه رواية الديوان، في هذا الشطر وفي الأصول :

ولا يعلمن حيّ من الناس مذهبي

وفي هذه الابيات اختلاف يسير عما في الديوان .

(٣) الكاشح : العدوّ المضمر للعداوة، لأنه يطوي كشحه على العداوة أو لانه يتباعد عنك ويوليك كشحه .

(٤) المحرّش : الذي يغري بعض القوم ببعض . ويروى : « المؤرش » . وهو من أرّش بين القوم اذا أفسد .

(٥) خزراً : جمع أخزر، والأخزر : الذي ينظر بلحظ عينه .

إنْ زُرْتُ أهلكِ أوعَدُوا وتَهِرّ دونهمُ الكلابُ

عروضه من الكامل[١] . الشعر لعَلَس ذي جدَن الحميَريّ ؛ أخبرنا بذلك محمد ابن الُحسين بن دُرَيد عن عمه عن العبَّاس بن هشام عن أبيه . والغناء لطُوَيس ؛ ولحنه المختار خفيفُ رملٍ بالبنصر .

(١) هو من مجزوء الكامل المرفل .

نسب علس ذى جدن واخباره

هو عَلَس بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عَوف بن عَدي ابن مالك بن زيد الجمهور بن سهل بن عمرو بن قَيس بن مُعاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَريب بن زُهير بن أعز بن الهمّ بن الهَميَسَع بن حِمْيَر بن سَبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان. وهو ملك من ملوك حِمْيَر، ولُقِّب ذا جَدَنٍ لحسن صوته، والجَدَن: الصوت بلغتهم؛ ويقال: إنه أوّل من تغنّى باليمن.

أخبرني الحسن بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ وأبي مِسكين قالا: إنما سُمي ذا جدن لحسن صوته.

قبره واثاره:

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبّاح عن ابن الكلبيّ عن إسماعيلَ بن إبراهيم بن ذي الشّعار الهَمْدانيّ عن حَيّان بن هانئ الأرحبيّ عن أبيه قال:

أخبرني رجل من أهل صَنعاء: أنهم حفروا حفيراً في زمن مَرْوان، فوقفوا على أزَجٍ[1] له باب فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتمٌ من ذهب وعصابةٌ من ذهب، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه: «أنا عَلَس ذو جَدَن القَيل، لخليلي منّي النَّيل، ولعدوّي منّي الوَيل، طلبتُ

(١) عبارة القاموس وشرحه مادّة أزج: «الأزج محركة: ضرب من الأبنية». وفي الصحاح والمصباح واللسان: الأزج: بيت يبنى طولا ويقال له بالفارسية أوستان.

فأدركتُ وأنا ابن مائة سنة من عمري ، وكانت الوحش تأذَنُ[١] لصوتي ، وهذا سيفي ذو الكفّ عنـدي ، ودرعي ذاتُ الفُروج ورُمحي الهزبريّ ، وقوسي الفَجْواء[٢] ، وقَرَني[٣] ذات الشرّ ، فيها ثلثمائة حشر ، من صنعة ذي نمر[٤] ، أعددتُ ذلك لدفع الموت عني فخانني » . قال : فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده . ووجدتُ هذا الخبرَ عن ابن الكلبي في بعض الكتب من غير رواية ابن عمّار ، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً ، وعليه مكتوب تحت شاربه[٥] بالمُسْنَدِ[٦] : « بأستِ امرئٍ كنتَ في يده فلم ينتصر » .

إنقضت أخباره .

---

(١) تأذن كتفرح : تسمع ، يشير بذلك الى جمال صوته .

(٢) القوس الفجواء : هي التي يبين وترها عن كبدها ، ومثل الفجواء الفجّاء والمُنفجّة .

(٣) القرن : الجعبة . والحشر : الدقيق من الأسنة .

(٤) ذو نمر : واد بنجد في ديار بني كلاب (انظر معجم ياقوت في اسم نمر وكتاب ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف اليه في اسم « ذي نمر ») .

(٥) للسيف شاربان وهما ، كما قال ابن شيل ، أنفان طويلان أسفل القائم أحدهما من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب وتحتها الغاشية ، والشارب والغاشية يكونان من حديد وفضة وأدم .

(٦) المسند : خط حمير .

اخبار طويس ونسبه

طُوَيس لَقَبٌ واسمه طاوُس[١]، مولى بني مَخزوم، وهو أوّل من غنى الغناء المُتقَن من المخنَّثين. وهو أوّل من صنع الهَزَج والرَّمل في الإسلام. وكان يقال: أحسنُ الناس غناء في الثقيل ابن مُحرز، وفي الرَّمل ابن سُرَيج، وفي الهَزَج طُوَيس. وكان الناس يضربون به المثلَ، فيقال: أهزجُ من طُوَيس.

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيي قالا: حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مِسكين، قال إسحاق: وحدّثني المدائنيّ والهيثم بن عديّ عن صالح بن كَيسان:

أن أبانَ بنَ عثمان وَفد على عبد الملك بن مروان، فأمّره على الحجاز؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلُها، وخرج اليه أشرافُها، فخرج معهم طُوَيس، فلما رآه سلّم عليه، ثم قال له: أيّها الأمير، إني كنتُ أعطيتُ اللهَ عهداً لئن رأيتُك أميراً لأخضِبنّ يديّ إلى المِرفقين، ثم أزْدُو[٢] بالدُّفِ بين يديك، ثم أبدَى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذي جَدَن الحِميَريّ:

ما بالُ أهلِكِ يا رَبابُ   خُزْراً كأنّهمُ غِضابُ

قال: فطرِب أبان حتى كاد أن يطير؛ ثم جعل يقول له: حَسبُك يا طاوس — ولا يقول له: يا طُوَيس لنُبله في عينه — ثم قال له: اجلس فجلس؛ فقال له أبان: قد زعموا أنك كافر؛ فقال: جُعِلتُ فِداءك! والله إني لأشهد أن لا إله إلّا الله

---

(١) تقدّمت ترجمته.

(٢) أزدو: أضرب.

وأن محمداً رسول الله، وأصلّي الخمسَ، وأصوم شهرَ رمضان، وأحجّ البيت؛ فقال: أفأنتَ أكبر أم عمرو بن عثمان؟ — وكان عمرو أخا أبان لأبيه وأمّه — فقال له طُوَيس: أنا والله، جُعلتُ فِداءك، مع جلائل نساء قومي، أمسِك بذيولهنّ يوم زُفّتْ أمّك المباركة إلى أبيك الطيِّب[1]؛ قال: فاستحيا أبان ورمى بطَرْفه إلى الأرض.

وأخبرني بهذه القصّة إسماعيلُ بن يونُس الشيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا العُتْبيّ عن أبيه بمثل هذه القصّة عن أبان وطُوَيس. وزاد فيها أن طُويساً قال له: نَذري أيها الأمير! قال: وما نَذرك؟ قال: نَذرتُ إن رأيتك أميراً في هذه الدار أن أُغنّيَ لك وأزدُوَ بدُفّي بين يديك؛ فقال له: أوْفِ بنذرك فإن الله عزّ وجلّ يقول: (يُوفُونَ بالنّذرِ)؛ قال: فأخرج يدَيه مخضوبتَين، وأخرج دُفّه وتغنّى:

ما بالُ أهلِكِ يا رَبابُ

وزاد فيه: فقال له أبان: يقولون: إنك مشؤوم، قال: وفوق ذلك! قال: وما بلغ من شؤمك؟ قال: وُلِدتُ ليلةَ قُبض النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفُطمتُ ليلةَ مات أبو بكر رضي الله عنه، واحتلمتُ ليلةَ قُتل عمرُ رضوان الله عليه، وزُفّتْ إليّ أهلي ليلةَ قُتل عثمان رضي الله عنه؛ فأخرج عني عليك الدَّبار[2].

اهدر دمه:

أخبرني إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثني مُصعَب بن عثمان عن نَوْفل بن عُمارة قال:

---

(١) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٢) بعد أن ساق هذه القصة: «انظر الى حذقه ورقة أدبه كيف لم يقل أمك الطيبة الى أبيك المبارك». وفسر ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان ج ٤ ص ١٩ فقال: «ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك لم يحسن ذلك، لان قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام، وقد قال الشاعر: والطيبون معاقد الأزر وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول وجدتها طيبة، يريد طيبة الكوم لذيذة نفس الوطء.

(٢) ويروى: «الدمار» ومعناهما: الهلاك

خرج يحيى[١] بنُ الحكَم وهو أمير على المدينة، فبصُر بشخص بالسَّبَخة مما يلي مسجدَ الأحزاب، فلما نظر الى يحيى بن الحكَم جلس، فٱستراب به، فوجّه أعوانَه في طلبه، فأُتِيَ بـه كأنه ٱمرأة في ثياب مُصبَّغة مصقولة وهو مُمتشِط مُختضِب. فقال له أعوانُه: هذا ٱبن نُغاش المخنث. فقال له: ما أحسَبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئاً، إقرأ أمّ القرآن؛ فقال: يا أبانا لو عرفتُ أمَّهن عرفتُ البنات؛ فقال له: أتتهزأ بالقرآن لا أمّ لك! وأمَر به فضُربتْ عنقُه. وصاح في المخنثين: من جاء بواحد منهم فله ثلثمائة درهم. قال زَرَجون المخنث: فخرجتُ بعد ذلك أريد العالِيَةَ، فإذا بصوت دُفّ أعجبني، فدنوت من الباب حتى فهمتُ نغماتِ قوم آنَسُ بهم، ففتحتُه ودخلت، فإذا بطُوَيس قائم في يده الدّفّ يتغنّى؛ فلما رآني قال لي: إيه يا زَرَجون! قَتل يحيى بنُ الحكم ابنَ نُغاش؟ قلت نعم؛ قال: أوَ جعل في المخنثين ثلثمائة درهم؟ قلت نعم؛ فٱندفع يُغنّي:

ما بالُ أهلِك يا ربابُ خُزْراً كأنهمُ غِضابُ
إن زرتُ أهلك أوعدُوا وتَهِرُّ دونهمُ كلابُ

ثم قال لي: وَيحك! أفما جعلَ فيَّ زيادةً ولا فضَّلني عليهم في الجُعْل بفضلي شيئاً!

أخبرني محمد بن عمرو العباسيّ القرشيّ قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان — ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف — قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكُوفيّ قال حدّثني حُسين بن دَحمان الأشقر قال:

كنتُ بالمدينة فخَلا لي الطريقُ وَسطَ النهار، فجعلتُ أتغنّى:

ما بالُ أهلِك يا رَبابُ خُزْراً كأنّهمُ غِضابُ

قال: فإذا خَوْخةٌ[٢] قد فُتحت، وإذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحيــةٌ حمراء، فقال:

(١) سبق له ذكر هذا الخبر منسوباً لأخيه مروان، وكلاهما ولي المدينة مع اختلاف يسير.
(٢) الخوخة: البويب، أو الباب الصغير في الباب الكبير.

يا فاسقُ أسأتَ التأديةَ، ومنعتَ القائلةَ، وأذعتَ الفاحشةَ؛ ثم اندفع يُغنّيه، فظننتُ أن طُوَيساً قد نُشِر بعينه، فقلت له: أصلحكَ الله، من أين لك هذا الغِناء؟ فقال: نشأتُ وأنا غلامٌ حدَثٌ أتبعُ المغنّين وآخُذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بُنيَّ إنّ المغنّي إذا كان قبيح الوجه لم يُلتفَت الى غنائه، فدع الغِناء واطلب الفقه فإنه لا يضرّ معه قبح الوجه؛ فتركتُ المغنّين واتّبعتُ الفقهاء، فبلغ الله بي عزّ وجلّ ما ترى. فقلتُ له: فأعِدْ جُعِلتُ فداءك! قال: لا! ولا كرامةَ، أتريد أن تقول: أخذتُه عن مالك بن أنس! وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم.

صوت

من المائة المختارة

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيش أمسى دارساً خَلَقَا
وقفتُ به أسائله ومرّت عِيسُهم حِزَقَا[1]
عَلَوْا بك ظاهرَ البَيْدا ء والمحزونُ قد قَلِقَا

— ذاتُ الجيش: موضعٌ، ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ جيشاً يغزو الكعبةَ، فيُخسَفُ بهم إلّا رجلاً واحداً يُقلَب وجهُه الى قفاه، فيرجعُ الى قومه كذلك، فيخبرُهم الخبر. حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجَعْديّ قال حدّثنا محمد ابن بَكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريا عن محمد بن سُوقَةَ قال سمعتُ نافعَ بن جُبَير بن مُطعِم يقول حدّثتني عائشةُ قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَغزُو جيشٌ الكعبةَ حتى إذا كانوا ببَيْداءَ من الارض خُسِف بأوّلهم وآخرهم». قالت عائشة فقلتُ: يا رسولَ الله، كيف يُخسَف بأوّلهم وآخرهم وفيهم سِواهم ومَن ليس منهم؟ قال: «يُخسف

---

(١) حزقا: جماعات، واحده حِزْقة.

بأولهم وآخِرِهم ثم يُبعثون على قَدْرِ نيّاتهم » — الشعر للأحوص، والغِناء في هذا اللحن المختار للدّلال المخنّث وهو أحد من خَصاه ابنُ حَزْم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المخنّثين، والخبرُ في ذلك يُذكَرُ بعدُ، ولحنه المختارُ من الثقيل الاول بإطلاق الوَتَر في مَجرى البِنصر في الاول والثالث . ولإسحاق فيه ثقيلٌ أولُ آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرَّمَل عن يونسَ والهشاميّ وغيرِهما . وفيه رَمَلٌ ينسب الى ابن سُرَيج، وهو مما يُشَكّ في نسبته اليه . وقيل : إنّ خَفيفَ الرَّمَل لابن سريج، والرَّمَل لمالك . وذكر حَبَشٌ أن فيه للدلال خَفيفَ ثقيل بالبِنصر أيضاً .

ذكر الاحوص وأخباره ونسبه

هو الأحوص، وقيل: إن اسمه عبدُ الله، وإنه لُقِب الأحوصَ لحوَص[١] كان في عينيه، وهو ابن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح – واسم أبي الأقلح قيس – بن عُصيمة بن النعمان بن أمية بن ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عَوف بن عَمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس. وكان يقال لبني ضُبيعة بن زيد في الجاهلية: بنو كِسَرِ الذَهب. وقال الأحوص حين نُفِي الى اليمن:

بَدَّل الدَّهرُ من ضُبَيعة عَكّاً[٢] جيرةً وهو يُعقِبُ الأبدالا

وكان جدّه عاصم يقال له حَمِيُّ الدَّبر؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثَه بعثاً، فقتله المشركون، وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدَّبر، وهي النَّحل، فلم يَقدِروا عليه، حتى بَعَث الله عزّ وجلّ الوادي[٣] في الليل فاحتمله فذهب به. وفي ذلك يقول الأحوصُ مفتخراً:

وأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحمَه الدَّبـــرُ قتيلِ اللَّحيانِ[٤] يومَ الرَّجيعِ

قصة وفد عضل والقارة:

حدّثنا بالخبر في ذلك محمدُ بن جَرير الطَّبَريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة بن الفَضل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمَر بن قَتادة قال:

(١) الحوص: ضيق في مؤخر العينين أو في إحداهما.
(٢) عك: قبيلة من قحطان باليمن.
(٣) الوادي: كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام، والمراد: السيل الذي يجري فيه.
(٤) لحيان: حيّ من هذيل.

قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعد أُحدٍ رَهطٌ من عَضَل[١] والقارَة، فقالوا: يا رسولَ الله، إن فينا إسلاماً وخيراً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يُفَقِّهونا في الدين، ويقرئونا القرآن، ويُعَلِّمونا شرائع الإسلام؛ فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم نَفراً ستة[٢] من أصحابه: مَرثَد بن أبي مَرثَد الغَنَويّ حليفَ حمزة بن عبد المطّلب، وخالد بن البُكَير حليفَ بني عديّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عَمرو بن عَوف، وخُبَيبَ بن عديّ أخا بني جَحْجَبي بن كُلفة بن عَمرو بن عَوف، وزيدَ بنَ الدَّثِنَة[٣] أخا بني بَياضة ابن عامر، وعبدَ الله بن طارق حَليفاً[٤] لبني ظَفَر من بَليّ، وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم مَرثَد بن أبي مَرثَد، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرَّجيع، ماء لهُذَيل[٥] بناحية من الحجاز من صَدر[٦] الهدأة، غدرُوا بهم،

---

(١) عضل: بطن من الهون بن خزيمة بن مدركة بن إليـاس بن مضر ينسبون الى عضل بن الديش. والقارة: بطن من الهون ينسبون الى الديش المذكور، أو القـارة: «أكمة سوداء كأنهم نزلوا عندها فسموا بها». وقد ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ١١٠): أن الهون وعضل والقارة إخوة لهذيل وفسّر أسماءهم. وسأل الأخفش المبرد عنهما فقال: «هذان حيان كانا في نهـاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم».

(٢) الأسماء المذكورة موافقة لما في الطبري (قسم اول ص ١٤٣٢ طبع أوربا) والسيرة لابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوربا). وقد ذكرت هذه الاسماء في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٧٥ طبعة أولى) وشرح القاموس (مادة رجع) كما هنا بزيادة سابع هو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لأمه. إلا أنه ذكر بدلَ معتب بن عبيد هذا في شرح القاموس «مغيث بن عبيدة» وهو تحريف.

(٣) الدثنة: بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة والنون المفتوحة المشدّدة ثم تاء تأنيث، قـال ابن دريد: من قولهم: دَثَّن الطائر اذا طاف حول وكره ولم يسقط عليـه. (انظر الاشتقاق ص ٢٧٢ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٢ ص ٨٠ طبع بولاق).

(٤) موافق لما في الطبري والسيرة.

(٥) في معجم ما استعجم للبكري: «ماء لهذيل لبني لحيان منهم بـين مكة وعسفان بناحية الحجاز ... الخ».

(٦) كذا في معجم ما استعجم للبكري نقـلا عن ابن إسحاق. وضبط البكري «الهدأة» بالعبارة فقال: «بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة بعدها همزة مفتوحة». وفي جميـع الاصول: «الهدّة» بدون همز. وفي السيرة وتاريخ الطبري: «صدور الهدأة». والهدأة: موضع بـين عُسفان ومكة.

واستصرخوا عليهم هُذيلا ، فلم يُرَع القوم وهم في رحالهم إلا بالرّجال في أيديهم السيوفُ قد غَشوهم ، فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا : إنا والله ما نريد قتلَكم ، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقه ألّا نَقتلكم ؛ فأمّا مَرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البُكير ، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح ، فقالوا : إنّا والله لا نقبل من مُشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً ! فقاتَلوهم حتى قتلوهم جميعاً . وأما زيد بن الدَّثِنَّة ، وخُبَيب بن عديّ ، وعبد الله ابن طارق فَلانوا ورَقّوا ورَغِبوا في الحياة وأعطَوا بأيديهم[١] ، فأسَروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليَبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظّهران[٢] انتزع عبد الله بن طارق يدَه من القِران[٣] ، ثم أخذ سيفَه واستأخر عن القوم ، فرَمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظّهران . وأما خُبَيب بن عديّ وزيد بن الدَّثِنَّة ، فقَدموا بهما مكة فباعوهما ، فابتاع خُبيباً حُجَيرُ بن أبي إهاب التَّميميّ حليفُ بني نَوفل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل — وكان حُجَيرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأُمّه — ليقتله بأبيه[٤] . وأما زيد بن الدثنّة فابتاعه صَفوانُ بن أميّة ليقتلَه بأمية ابن خَلف أبيه . وقد كانت هُذَيل حين قُتل عاصمُ بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافةَ بنت سعد بن شُهَيد[٥] ، وكانت قد نذَرت حين قَتل عاصمٌ ابنَها[٦] يومَ أُحدٍ لئن قَدَرتْ على رأس عاصم لتشرَبنّ في قِحْفه[٧] الخمرَ ، فمنعَتْه الدَّبْرُ ؛

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا .

(٢) الظهران : اسم واد بين مكة وعسفان .

(٣) القران : الحبل .

(٤) موافق لما في السيرة والطبري . وفي بعض النسخ : « بابنه » وهو تحريف ، لان الذي قتله خبيب يوم بدر هو الحارث بن عامر بن نوفل والد عقبة .

(٥) كذا في طبقات ابن سعد (ج ٣ ق ٢ ص ٣٣ طبع أوربا) وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكري . وفي الاصول : « سهيل » وهو خطأ .

(٦) في معجم ما استعجم : « ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد أم مسافع والجلاس ابن طلحة وكان عاصم قتلها يوم أحد فنذرت ... الخ » . وفي طبقات ابن سعد أنها جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة .

(٧) القحف : العظم الذي فوق الدماغ .

فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمسيَ ، فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله عزّ وجلّ الواديَ فاحتمل عاصماً فذهب به ، وكان عاصم قد أعطى الله عزّ وجلّ عهداً لا يمسّه مشركٌ أبداً ولا يمسُّ مشركاً أبداً تنجّساً[1] منه . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدَّبر منعته : « عجباً لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن ! كان عاصم نذر ألا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته ! » .

قال محمد بن جرير : وأمّا غير ابن إسحاق ، فإنه قصّ من خبر هذه السَّرية غير الذي قصّه غيرُه .

من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيب قال حدّثنا جعفر بن عَوْن العَمريّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمر[2] أو عمرو بن أسِيد عن أبي هُرَيرة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عشرةَ رَهطٍ ، وأمّر عليهم عاصمَ بنَ ثابت بن أبي الأقلح ، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهَدأة ذُكِروا لحيٍّ من هُذَيل يُقال لهم بنو لَحيان ، فبعثوا اليهم مائةَ رجلٍ رامياً ، فوجدوا مأكلَهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : نَوَى يَثرِب ! ثم اتبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصمٌ وأصحابُه التجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم ؛ وأعطوهم العهدَ ؛ فقال عاصم : والله لا أنزِل على عهد كافر ، اللهمّ أخبِر نبيَّك عنّا ؛ ونزل اليهم ابنُ الدَّثِنَة البَياضيّ ، وخُبَيب ، ورجلٌ آخر ؛ فأطلق القومُ أوتارَ قِسِيِّهم ، ثم أوثقوهم ، فجرحوا رجلًا من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّلُ الغدر ، والله لا أتبعكم ، فضربوه وقتلوه ؛ وانطلقوا بخُبَيب وابن الدَّثِنَة إلى مكة ، فدفعوا خُبيباً إلى بني الحارث ابن عامر بن نَوْفل بن عبد مَناف ، وكان خُبَيب هو الذي قتل الحارث بأُحد .

---

(١) يقال : فلان يتنجس اذا فعل فعلًا يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج ويتحنث اذا فعل فعلًا يخرج به عن الإثم والحرج والحنث .

(٢) كذا في تاريخ الطبري (قسم اول ص ١٤٣٤ طبع أوربا) .

فبينا خُبيب عند بنات الحارث استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليَستَحِدّ[١] بها للقتل، فما راع المرأةَ ولها صبيّ يَدرُجُ إلا خُبيبٌ قد أجلس الصبيّ على فخذه والموسى بيده، فصاحتِ المرأة؛ فقال خُبيب أتحسبين أني أقتله! إن الغدر ليس من شأننا؛ قال: فقالت المرأة بعدُ ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خُبيب، لقد رأيته وما بمكة من ثمرةٍ وإنّ في يده لقِطفاً من عِنب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزَقه الله خُبيباً. وبعَث حيّ من قيس إلى عاصم ليُؤتَوا من لحمه بشيء، وقد كان لعاصم فيهم آثارٌ[٢] بأُحد، فبعث الله عليه دَبراً فحمَتْ لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً. فلما خرجوا بخُبيب من الحَرَم ليقتلوه، قال: ذَرُوني أصلِّ ركعتين؛ فتركوه فصلّى ركعتين، فجرت سُنّةً لمن قُتل صَبراً أن يصلّي ركعتين، ثم قال: لولا أن يُقال جزع لزِدتُ، وما أبالي.

على أيّ شِقٍّ كان لله مَصرَعي[٣]

ثم قال:

وذلك في ذاتِ[٤] الإله وإن يشأ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلوٍ ممزَّعِ

---

(١) يستحدّ: يحلق شعر عانته، قال في اللسان مادة حدد: «وفي حديث خبيب أنه استعار موسى استحدّ بها لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله فاستحدّ لئلا يظهر شعر عانته عند قتله». ومنه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرقوا النساء ليلاً فقال: «أمهلوا كي تمتشط الشعثة وتستحدّ المغيبة». قال أبو عبيد: «وهو استفعال من الحديدة يعني الاستحلاق بها استعمله على طريق الكناية والتورية».

(٢) آثار: جمع ثأر على القلب. ويروى: «أوتار» جمع وتر وهو الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي.

(٣) هذا الشطر من قصيدة نسبها ابن هشام في السيرة (ص ٦٤٣ طبع أوروبا) لخبيب هذا، ومطلعها:

لقد جمع الأحزابُ حولي وألّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمع

(٤) في ذات الإله: أي طاعته وطلب رضاه وثوابه. والأوصال: جمع وصل وهو العضو. والشلو (بكسر الشين المعجمة وسكون اللام): الجسد. وممزع: مقطع.

اللهم احصِهم عدداً[١] وخذهم بِدَداً . ثم خرج به أبو سَروَعة[٢] بنُ الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مَناف ، فضربه فقتله .

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيب قال حدّثنا جعفر بن عَون عن إبراهيم بن إسماعيل قال وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جدّه :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحدَه عيناً إلى قُريش ، قال : فجئتُ إلى خَشَبة خُبيب وأنا أتخوّف العيونَ ، فرقيتُ فيها ، فحللتُ خُبيباً فوقع الى الأرض ، فانتبذتُ[٣] غيرَ بعيد ثم التفتُّ فلم أرَ لخُبيب أثراً ، فكأنما الأرضُ ابتلعته ، فلم تظهر لخُبيب رِمّة حتى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأما زيد بن الدَّثِنَّة ، فإن صَفوان بن أمية بعث به — فيما حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلمة عن ابن إسحاق — مع مولىً له يقال له نِسطاس إلى التَّنعيم ، فأخرجه من الحَرَم ليقتله ، واجتمع اليه رهطٌ من قُرَيش فيهم أبو سُفيان بن حَرْب ؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتَل : أنشُدك الله يا زيد ، أتحبّ أن محمداً عندنا الآن مكانَك فنضربَ عنقه وأنك في أهلك ؟ فقال : والله ما أحبّ أن محمداً الآنَ في مكانه الذي هو فيه تُصيبُه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحُبّ أصحاب محمدٍ محمداً ! ثم قتله نِسطاس .

---

(١) أحصهم : أهلكهم بحيث لا تبقي من عددهم أحداً . وخذهم بدداً : قال ابن الاثير : يروى بكسر الباء، جمع بدّة وهي الحصة والنصيب، أي اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه، ويروى بالفتح من التبديد أي متفرّقين في القتل واحداً بعد واحد .

(٢) كنية عقبة بن الحارث النوفلي القرشي الصحابي وهو الذي قتل خبيب بن عدي . وقال في القاموس مادّة سرع : « وأبو سروعة ولا يكسر وقد تضم الراء عقبة بن الحارث الصحابي » ؛ قال شارحه : « وفي التكملة : وأصحاب الحديث يقولون : أبو سروعة بكسر السين وقد ضبطه النووي بالوجهين، ثم قال : وبعضهم يقول : أبو سروعة مثال فروقة وركوبة، والصواب ما عليه أهل اللغة » .

(٣) انتبذ : تنحى .

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسيَّبي قال حدّثنا محمد ابن فُلَيح عن موسى بن عُقبة عن ابن شهاب[١] قال :

شعر لعاصم بن ثابت :

نزل عبد الله[٢] وأبو أحمد ابنا جَحش ، حين قَدِما مُهاجِرَين ، على عاصم بن ثابت ، وكنيته أبو سليمان :

وقال عاصم :

أبو سليمان[٣] وريشُ المُقعَدِ ومُجنأ من جلد ثَوْرٍ أجْرَدِ

وذكر لنا الحِرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير أن عاصماً ، فيما قيل ، كان يُكْنى أبا سفيان . قال : وقال في يوم الرَّجيع :

أنا أبو سفيان[٤] مثلي راما أضرِبُ كبشَ العارض[٥] القدّاما

---

(١) في تهذيب التهذيب أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهري وهو الذي روى عنه موسى بن عقبة .

(٢) هو عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر أبو محمد الأسدي، وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو وأخوه أبو أحمد صحابيان، وأختهما زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) موافق لما في سيرة ابن هشام ويروي :

أبو سليمان وصنع المقعد ومجنأ من جلد ثور أجلد

المقعد : فرخ النسر ، وريشه أجود الريش، وقيل : المقعد : النسر الذي قشب له (خلط له السم في اللحم) حتى صيد فأخذ ريشه، وقيل : المقعد : اسم رجل كان يريش السهام . والمجنأ : الترس الذي لا حديد به . يريد : أنا أبو سليمان ومعي سهام راشها المقعد، وترس من جلد قويّ، فما عذري اذا لم أقاتل .

(٤) في السيرة :

أبو سليمان ومثلي راما وكان قومي معشراً كراما

ولم يذكر في السيرة أن عاصماً تكنى بأبي سفيان .

(٥) الكبش : الرئيس . والعارض : الجيش تشبيهاً له بالسرب العظيم من الجراد في انتشاره أو بالسحاب . والقدّام (بفتح القاف وضمها مع تشديد الدال) والقدّيم (بكسر القاف) : السيد ومن يتقدّم الناس بالشرف .

كنية الاحوص :

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل ابن إبراهيم بن عُقبة عن عمه قال :

كنية الأحوص أبو محمد ، وأمه أُثيلة بنت عُمير بن مَخشيّ ؛ وكان أحمرَ أحوصَ العينين .

رأي الفرزدق في شعره :

قال الزُّبير فحدّثني محمد بن يحيى قال :

قدِم الفرزدقُ المدينةَ ، ثم خرج منها ، فسُئل عن شعرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرَين وعَجِبتُ لهما : أحدهما أخضر يسكن خارجاً من بُطحان[1] (يريد ابن هَرْمَة) ؛ والآخر أحمر كأنه وَحَرَةٌ على بُرودة في شعره (يريد الأحوصَ) . والوحرة : يَعسوب أحمر يلزم الأنبار[2] .

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حَوَصه :

أَقبِح[3] به من ولدٍ وأشقِحِ   مثلِ جُرَيِّ الكلب لم يُفَقِّحِ[4]

---

(١) بطحان : واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة : العقيق وبطحان وقناة .

(٢) الأنبار ، كما في ياقوت : حدّ بابل ، سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن ، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها ، وكان يقال لها الأهراء ، فلما دخلتها العرب عرّبتها فقالت الأنبار . هذا التفسير الذي ذكره المؤلف للوحرة غريب ، اذ أجمعت كتب اللغة التي بين أيدينا على أن الوحرة : دويبة تشبه سامّ أبرص ، وقال الجوهري : الوحرة بالتحريك : دويبة حمراء تلزق بالارض . وفي بعض النسخ : «يلزم البثار» . والبثار : جمع بثر .

(٣) هذه رواية الجاحظ في كتابه الحيوان (ج ١ ص ١٢١ طبع مصر) وقد قال : إنه هجا بهما ابنه . واما في بعض اصول الاغاني فوردا هكذا :

أسمج بــه من ولد وأقبح   مثل جريّ الكلب لم يفقح
يثر سوءاً لم يقم فينبــح   بالباب عند حاجة المستفتح

(٤) يقال : فقّح الجرو وفقّح وذلك أول ما يفتح عينيه وهو صغير .

إن يَرَ سوءاً لم يقُم فينْتَحِ بالباب عند حَلْقه المستفتَحِ

قال الزُّبير: ولم يبق للأحوص من ولده غير رجلين.

طبقته في الشعراء:

قال الزُّبير: وجعل محمدُ بن سَلَّام الأحوصَ، وابنَ قيس الرُّقيّات، ونُصيباً، وجميل بن مَعْمَر طبقةً سادسة من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قيس[١]، وبعد نُصَيب. قال أبو الفرج: والأحوصُ، لولا ما وضع به نفسه من دنيء الأخلاق والأفعال، أشدُّ تقدّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثرِ الرُّواة؛ وهو أسمحُ طبعاً، وأسهلُ كلاماً، وأصحُّ معنًى منهم، ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية، وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ ليستْ لواحد منهم؛ وكان قليل المروءة والدِّين، هَجَّاء للناس، مَأبوناً فيما يُروى عنه.

جلده:

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال حدَّثني أبو عُبيدة أنَّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه:

أنَّ السبب في جَلد سليمانَ بنِ عبد الملك، أو الوليد بن عبد الملك إياه ونفيه له أنَّ شهوداً شهدوا عليه عنده أنه قال: إذا أخذتُ جَريري[٢] لم أُبالِ أيَّ الثلاثة لقيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً! قالوا: وانضاف إلى ذلك أنَّ سُكَيْنَةَ بنت الحسين رضي الله عنهما فخرَتْ يوماً برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها:

---

(١) ورد في طبقات الشعراء لمحمد بن سلام المذكور أن شعراء الطبقة السادسة هم: عبيد الله بن قيس الرقيات، والأحوص، وجميل، ونصيب.

(٢) الجرير: الزمام، وهذا كناية عن إطلاق سراحه. وفي الحديث أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلوا بين جرير والجرير» أي دعوا له زمامه.

ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ

فزاده ذلك حنقاً عليه وغيظاً حتى نفاه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة:

أن الأحوص كان يوماً عند سُكَينة، فأذّن المؤذّن، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، أشهد أنّ محمداً رسول الله، فخرَتْ سُكينة بما سمعت؛ فقال الأحوَص:

فخرتْ وانتمتْ فقلتُ ذَريني ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ
فأنا ابنُ الذي حمتْ لحمه الدّبـرُ قتيل اللّحيان يومَ الرّجيعِ
غسّلتْ خاليَ الملائكةُ الأبـرارُ ميتاً طوبى له مِن صَريعِ

قال أبو زيد: وقد لعَمْري فخرَ بفخر لو على غير سُكَينة فخرَبه! وبأبي سُكَينة صلى الله عليه وسلم حمتْ أباه الدبرُ وغسّلت خاله الملائكةُ.

هجاؤه لابن حزم:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد ابن يحيى عن أيّوب بن عُمر عن أبيه قال:

لما جاء ابنُ حزم عَمله من قِبَل سليمانَ بنِ عبد الملك على المدينة والحجّ، جاءه ابنُ أبي جَهم بن[١] حذيفةَ وحُميدُ بن عبد الرحمن بن عوف وسُراقة، فدخلوا عليه، فقالوا له: إيهِ يابنَ حزْم، ما الذي جاء بك؟ قال: استعملني والله يا أمير المؤمنين على المدينة على رَغْم أنفِ من رَغَمَ أنفُه. فقال له ابنُ أبي جَهم: يابنَ

---

(١) موافق لما في تاريخ الطبري، وهو أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي كما في تهذيب التهذيب.

حزم ، فإني أوّل من يَرْغَم من ذلك أنفُه ؛ قال فقال له ابنُ حزم : صادقٌ ، والله يُحِبّ الصادقين . فقال الأحوصُ :

سليانُ إذ ولّاك ربُّك حكمنا   وسلطاننا فأحكم إذا قلتَ وأعدلِ
يَوْمٌ حجيجَ المسلمين ابنُ فرتنى   فهبْ ذاك حجاً ليس بالمتقبل

فقال ابن أبي عتيق[1] للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذ لم أُحجّ ذلك العام بنعمة ربي وشكره ؛ قال : الحمد لله الذي صرف ذلك عنك يابنَ أبي بكر الصِدّيق ، فلم يُضِلّ دِينَك ، ولم تَعْنِ[2] نفسك ، وتَرَ ما يُغيظك ويَغيظُ المسلمين معك .

تعرضه للخبازين :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه موسى بن عبد العزيز قال :

وَفد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه ، فأنزله منزلاً ، وأمرَ بطبّخه أن يُمال عليه ؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعيبُ بن عبد الله بن عمرو ابن العاصي ، فكان الأحوصُ يُراوِد وُصفاء للوليد خبّازين عن أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به ؛ وكان شُعيب قد غضب على مولىً له ونحّاه ، فلما خاف الأحوص أن يفتَضِح بمراودته الغلمانَ ، اندسّ لمولى شُعيب ذلك ، فقال : ادخل على أمير المؤمنين فأذكر له أن شُعيباً أرادك عن نفسك ، ففعل المولى ؛ فألتفت الوليدُ إلى شعيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غَوْرٌ[3] يا أمير المؤمنين ، فاشدُدْ به يدكَ يَصدُقْكَ ؛ فشدّد عليه ، فقال : أمرني بذلك الأحوصُ . فقال قيّم الخبّازين : أصلحك الله ، إن الأحوص يُراوِد الخبّازين عن أنفسهم ؛ فأرسل به الوليدُ إلى

(١) أبو عتيق : لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .
(٢) أعنى نفسه وعنّاها : أنصبها وكلّفها ما يشقّ عليها .
(٣) أي في كلامه معنى خفيّ غير واضح .

ابن حزم بالمدينة، وأمره أن يجلده مائة، ويصبّ على رأسه زيتاً، ويُقيمه على البُلس[١] ففعل ذلك به. فقال وهو على البُلس أبياته التي يقول فيها:

ما مِن مُصيبةِ[٢] نكبةٍ أُمنى بها إلّا تُشرّفني وتَرفع[٣] شاني

شعره الذي انشده حين شهر به:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أيّوبُ بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عِمران بن أبي فَرْوَة قال:

رأيتُ الأحوصَ حين وقفه ابنُ حزم على البُلس في سوق المدينة وأنه ليَصيح ويقول:

ما مِن مُصيبةِ نكبةٍ أُمنى بها إلّا تُعظّمني وترفعُ شاني
وتزول حين تزول عن مُتخمِّط[٤] تُخشى بوادِرُه على الأقرانِ
إني إذا خَفِيَ[٥] اللئامُ رأيتني كالشمس لا تَخفى بكلّ مكان

قال: وهجا الأحوصُ ابنَ حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ، منه:

أقول وأبصرتُ ابنَ حزم ابنَ فرتنى وُقوفاً له بالمأزِمين[٦] القبائلُ

---

(١) البلس: جمع بلاس كسحاب، وهي غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادي عليه. ومن دعائهم: «أرانيك الله على البلس».

(٢) رواية أشعار الحماسة:

ما تعتريني من خطوب ملمة إلا تشرّفني وتعظم شاني

وأوّل الأبيات كما في ديوان الحماسة:

إني على ما قد علمت محسّد أغمى على البغضاء والشنآن

(٣) ويروى: «وتعظم».

(٤) المتخمط: المتكبر.

(٥) في طبقات ابن سلام الجمحيّ: «إني إذا جُهِلَ ... الخ».

(٦) المأزمان كما في ياقوت: جبلا مكة. قال أهل اللغة: هما مضيقا جبلين؛ وقيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وفيه أقوال غير هذا.

تُرى فَرْتَنى كانتْ بما بَلَغ ابنُها مُصدِّقةً لو قال ذلك قائـلُ

– أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير عن أبي عُبيدة قال: كلّ أَمَة يُقال لهـا فَرْتَنى. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال: فَرْتَنى[1]: الأَمَةُ بنتُ الأمة – قال الزُّبير: فقال ابنُ حزم حين سمع قولَ الأحوص فيه «ابن فَرْتَنى» لرجل من قومه له علمٌ: أنحن من ولد فَرْتَنى؟ أوَ تعرِفها؟ فقال: لا والله! قال: ولا أنا أعلم والله ذلك! ولقد عضهني[2] به، ولو كانت ولدَتني لم أجهلْ ذلك.

قال الزُّبير وحدّثني عمي مصعب عن عبد الله بن محمد بن عُمارة قال:

فَرْتَنى: أمٌّ لهم في الجاهلية من بَلْقَيْن[3]، كانوا يسبُّون بهـا، لا أدري ما أمرُها، قد طرحوها من كتاب النسب، وهي أمّ خالد بنت خالد بن سِنان بن وهب بن لَوذانَ السّاعديّة أم بني حَزْم.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسفَ بن الماجشون[4]: أنّ الأحوص قال لابن حزم:

---

(١) وفرتنى: المرأة الفاجرة والأمة. ذهب ابن جنى الى أن نونه زائدة، وجعله سيبويه رباعياً.

(٢) عضهني: بهتني أي رماني بالزور والبهتان وقال فيّ مـا لم يكن. ويروى: «عضبني» والعضب: الشتم والتناول.

(٣) بلقين: حيّ من بني أسد كما قالوا: بلحارث وبلهجيم، وأصلها بنو القين. قال ابن الجوّاني: «العرب تعتمد ذلك فيما ظهر في واحده النطق باللام، مثل الحارث والخزرج والعجلان، ولا يقولون ذلك فيما لم تظهر لامه، فلا يقولون بلنجار في بني النجار لأن اللام لا تظهر في النطق بالنجار فـلا تجوّزه العربية ولم يقل في الأنساب».

(٤) الماجشون ذكره القاموس (في مادّة مجش) بضم الجيم. وقال شارحـه: «ويكسر الجيم ويفتح فهو إذا مثلث»: ثم نقل عن حاشية المواهب اللدنية أنه «بكسر الجيم وضم الشين». وقال: «وعلى كسر الجيم وضم الشين اقتصر النووي رحمه الله في شرح مسلم والحافظ بن حجر في التقريب». واقتصر السمعاني في الأنساب أيضاً على كسر الجيم. وهو معرّب ماه كون، ومعناه الورد، او الابيض المشرب بحمرة، أو لون القمر.

لَعَمْري لقد أجرى ابنُ حزم ابنُ فَرْتَنى إلى غايةٍ فيهـا السِّمام المُثَمَّلُ[١]
وقد قلتُ مهلًا آلَ حزم ابن فَرْتَنى في ظُلمنا صابٌ[٢] مُمِرٌ وحنظلُ

وهي طويلة. وقال أيضاً:

أهوى أميَّةَ إنْ شطَّت وإن قَرُبتْ يوماً وأُهدي لها نُصحي وأشعاري
ولو وردتُ عليها الفَيْضَ[٣] ما حَفَلَتْ ولا شَفَتْ عطشي من مائه الجاري
لا تَرْثِيَنَّ لحَزميٍ رأيتَ بـه ضُرًّا ولو أُلقِيَ الحزميُّ في النارِ
الناخِسينَ[٤] بمروانٍ بذي خُشُبٍ والمُقحِمينَ على عثمانَ في الدارِ

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار:

أن ابن حَزْمٍ لمّا جلَد الأحوصَ ووَقفه على البُلْس يضربه، جاءه بنو زُرَيق[٥] فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البُلْس؛ فقال في ذلك – قال ابن الزُّبير: أنشدنيه عبد الملك بن الماجِشونَ عن يوسف بن أبي سَلَمة الماجشون –:

إمّا تُصِبني المنايا وهي لاحقةٌ وكلُّ جنب له قد حُمَّ مُضطجعُ
فقد جَزَيتُ بني حَزْمٍ بظلمهمُ وقد جزيتُ زُرَيقاً بالذي صنعوا
قومٌ أبى طَبَعٌ[٦] الأخلاق أوّلَهم فهم على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا

---

(١) المثمل: السم المقوّى بالسَّلَع وهو شجر مرّ. وقال ابن سيده: وسم مثمل: طال إنقاعه وبقي. وقال الأزهري: ونرى أنه الذي أنقع فبقي وثبت.

(٢) الصاب: عصارة شجر مرّ، وقيل: هو شجر اذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزت منه نزية (قطرة) فتقع في العين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر. وممرّ من أمرّ الشيء فهو ممرّ اذا كان مرًّا.

(٣) الفيض: نهر بالبصرة.

(٤) الناخسين بمروان: يريد الطاردين لمروان والمزعجين له، يقال: نخسوا بفلان اذا نخسوا دابته من خلفه وطردوه حتى سيروه في البلاد.

(٥) بنو زريق: خلق من الأنصار وهم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجي، اليه يرجع كل زرقي ما خلا زريق بن ثعلبة طيء.

(٦) الطبع: الدنس والعيب وكل شين في دين أو دنيا فهو طبـع، وأصله من الوسخ والدنس يغشيان السيف، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح.

وإن أناسٌ وَنَوْا عن كلِّ مَكرُمةٍ   وضاق باعُهمُ عن وُسعهم وَسِعوا
إني رأيتُ غداةَ السُّوق مَحضَرَهم   إذ نحن ننظر ما يُتلى ونَستمِعُ

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني غيرُ واحد من أهل العلم:

أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوص في الخُنث[1]، وطاف به وغرّبه إلى دَهلَكَ[2] في مَحمِلٍ عُرياناً. فقال الأحوص وهو يُطافُ به:

ما من مصيبةِ نكبةٍ أُبلَى بها

الأبيات. وزاد فيها:

إني على ما قد تَرَوْنَ مُحسَّدٌ   أَنمِي على البَغضاء والشَّنآنِ
أصبحتُ للأنصار فيما نابهم   خَلَفاً وللشعراء من حَسَّانِ

قال الزُّبير: ومما ضُرب فيه أيضاً قولُه:

شَرُّ الحَزامِيِّينَ ذو السِّنِّ منهمُ   وخيرُ الحَزامين يَعدِلُهُ الكلبُ
فإن جئتَ شيخاً من حِزامٍ وجدتَه   من النُّوكِ والتقصيرِ ليس له قلبُ
فلو سبَّني عونٌ إذاً لسببتُه   بشعرِيَ أو بعضُ الأُولى جَدُّهم كَعبُ

— عَونٌ يعني عونَ بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله. وكعب يعني كعبَ بن لُؤَيّ —:

(١) الخنث: اسم من التخنث.

(٢) دهلك: اسم أعجميّ معرب، وهي جزيرة في بحر القلزم، في طريق المسافرين في بحر عيذاب الى اليمن، بينها وبين بر اليمن نحو ثلاثين ميلاً، وهي ضيقة حرجة حارّة، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها.

أولئك أكفاء لبيتي بيوتُهمْ ولا تستوي الأعلاثُ[١] والأقدُحُ القُضُبُ

مع عائن :

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن ثابت الأنصاريّ عن محمد بن فَضالة قال :

كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسع قومَه هِجاء فملأهم شرّاً، فلم يبق له فيهم صديقٌ، إلا فتًى من بني جَحجَبى[٢]. فلما أراد الأحوصُ الخروجَ الى يزيدَ بن عبد الملك، نَهض الفتى في جَهازه وقام بحوائجه وشيَّعه؛ فلما كان بِسقاية سليمانَ وركِب الأحوصُ مَحمِلَه، أقبل على الفتى فقال: لا أخاف الله عليك بخير! فقال: مَهْ! غفر الله لك! قال الأحوصُ: لا والله! أو أعلِقها حرباً! يعني قُباء وبني عمرو بن عَوْف.

هجاآته :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غَسّان بن عبد الحميد :

أقبل الأحوصُ حتى وَقف على مَعْن بن حُمَيد الأنصاريّ، أحد بني عمرو ابن عَوْف بن جَحجَبى، فقال :

رأيتُــك مَزْهواً كأنّ أباكُمُ صُهَيبةَ أمسى خيرَ عَوْفٍ مُرَكّبا

---

(١) الأعلاث من الشجر : القطع المختلطة مما يقدح به من المــرخ واليبيس ، واحدها عِلث بالكسر . والأقدح : جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش وينصل . والقضب : كل شجر سبطت أغصانه وطالت، وما قطع من الاغصان للسهام أو القسيّ .

(٢) جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وهو جــدّ أحيحة بن الجلاح اليثربي : حي من الأنصار ثم من الأوس .

تُقِرُّ بكم كُوثَى(١) إذا ما نُسِبتُمُ وتُنكرُكم عمرُو بنُ عوفِ بنِ جحجبى

عليكَ بأدنى الخطبِ إن أنتَ نلتَه وأَقصِرْ فلا يَذهبْ بكَ التيهُ مَذهبا

فقام اليه بنوه ومَواليه؛ فقال: دعوا الكلبَ، خَلُّوا عنه، لا يمسّه أحدٌ منكم، فانصرف. حتى إذا كان عند أحجار المِراء بقُباء لَقِيه ابنُ أبي جَرير أحدُ بني العَجْلان، وكان شديداً ضابطاً؛ فقال له الأحوص:

إنّ بقومٍ سَوّدوك لحاجةً إلى سيِّدٍ لو يظفَرون بسيِّدِ

فألقى ثيابَه وأخذ بحلْق الأحوص، ومع الأحوص راويتُه، وجاء الناس ليخلّصوه، فحلف لئن خَلّصه أحدٌ من يديه ليأخذنّه وليدَعَنّ الأحوصَ؛ فخنقه حتى استرخى، وتركه حتى أفاق؛ ثم قال له: كلّ مملوكٍ لي حرٌّ، لئن سُمِعَ أو سَمِعتُ هذا البيتَ من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفي أريد بها نفسَك ولو كنت تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته، فقال: إن هذا مجنون، ولم يسمع هذا البيتَ غيرُك، فإياك أن يسمعه منك خلق.

أخبرني الحرميّ والطوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني بعض أصحابنا:

أن الأحوص مرّ بعبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ومحمد بن مُصعَب بن الزُّبير بخيمتَيْ(٢) أمِّ معبَد، وهما يريدان الحجّ مَرجعَه من عند يزيدَ بن عبد الملك، وهو على نجيبٍ له فارهٍ ورَحلٍ فاخرٍ وبِزّةٍ مرتفعة، فحدّثهما أنه قدم على يزيد

---

(١) كوثى: محلة بمكة لبني عبد الدار.

(٢) خيمة أم معبد ويقال بئر أم معبد: موضع بين مكة والمدينة نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وقصته مشهورة، قالوا: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل مساحلا حتى انتهى الى قديد فانتهى الى خيمة منتبذة، وذكروا الحديث، وسمع هاتف ينشد:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتي أم معبد

ابن عبد الملك، فأجازه وكساه وأخدمه[١]، فلم يرهما يَهَشَّان لذلك، فجعل يقول: خيمتَيْ أمّ معبد، عبّاد ومحمد، كأنه يَرُوضُ القوافيَ للشعر يريد قولَه. فقال له محمد بن مصعب: إني أراك في تهيئة شعر وقوافٍ وأراكَ تريد أن تهجوَنا! وكل مملوك له حرّ لئن هجوتَنا بشيء إن لم أضربْك بالسيف مجتهداً[٢] على نفسك. فقال الاحوص: جعلني الله فداك! إني أخاف أن تُسمع هذا فيَّ عدواً فيقول شعراً يَهجُوكما بـه فيَنحَلنيه[٣]، وأنا أبرئكما الساعةَ، كل مملوك لي حرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمي مُصعَب قال حدّثنا الزُّبير بن خُبَيب[٤] عن أبيه خُبَيب بن ثابت قال:

خرجنا مع محمد بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير الى العُمرة، فإنا لَبِقُرْب قُدَيد[٥] إذ لحِقَنا الأحوصُ الشاعرُ على جمل برَحْل؛ فقال: الحمد لله الذي وَفَّقكم[٦] لي، ما أحِبّ أنكم غيرُكم، وما زِلتُ أُحرِّكُ في آثاركم مذ رُفِعتم[٧] لي، فقد ازددتُ بكم غِبطةً. فأقبل عليه محمد، وكان صاحبَ جدّ يكره الباطلَ وأهلَه، فقال: لكنّا والله ما اغتبطْنا بك ولا نحبّ مُسايرَتك، فتقدَّمْ عنا أو تأخّر؛ فقال: والله ما

---

(١) أخدمه: وهبه خادماً.

(٢) الاجتهاد: بذل الوسع والمجهود في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد بمعنى الطاقة. فلعل معنى قوله: «مجتهداً على نفسك»: باذلا ما في وسعي وطاقتي في القضاء على نفسك.

(٣) نحله القول: نسبه اليه وهو لم يقله.

(٤) كذا في المشتبه للذهبي (ص ١٤٧) وفهرس الطبري.

(٥) قال ياقوت في معجمه: «قديد بالتصغير: اسم موضع قرب مكة. قال ابن الكلبي: لما رجع تبع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً فهبت ريح قدّت خيم أصحابه فسمي قديداً». وقال في اللسان مادّة قدد: «قديد: ماء بالحجاز وهو مصغر، ورد ذكره في الحديث، قال ابن سيده: وقديد موضع وبعضهم لا يصرفه ويجعله اسماً للبقعة».

(٦) وفقكم لي: جعلكم تصادفونني وتلاقونني. وفي اللسان (مادة وفق): «ويقال وفِقت له ووُفِّقتُ له ووَفِقتُه ووفِقني وذلك اذا صادفني ولقيني».

(٧) رفع لي الشيء: أبصرته من بعد.

رأيتُ كاليوم جواباً! قال: هو ذاك. قال: وكان محمد صاحب جدّ يكره الباطل وأهله، فأشفقنا مما صنع، ومعه عِدّةٌ من آل الزُّبير، فلم يقدِر أحد منهم أن يَرُدّ عليه. قال: وتقدّم الأحوص، ولم يكن لي شأن غيرَ أن أعتذرَ إليه. فلما هبَطْنا من المُشَلَّل[1] على خيمتَيْ أمّ مَعبد سمعتُ الأحوص يُهَمْهِم[2] بشيء، فتفهَّمْتُه فإذا هو يقول: خيمتي أم معبد، محمد، كأنه يهجَى القوافيَ؛ فأمسكتُ راحلتي حتى جاءني محمد، فقلت: إني سمعتُ هذا يُهَيِّئُ لك القوافي، فإما أذِنتَ لنا أن نعتذرَ اليه ونُرضيه، وإما خلَّيتَ بيننا وبينه فنضربه، فإنَّا لا نصادفه في أخلى من هذا المكان؛ قال: كلا! إن سعد بن مُصعَب قد أخذ عليه ألّا يهجوَ زُبيرياً أبداً، فإن فعل رجوتُ أن يُخزيه الله، دَعْه.

قال الزبير: وأما خبره مع سعد بن مُصعب، فحدّثني به عمي مُصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عَبّاد أو مُصعب بن عثمان — شكّ: أيهما حدّثه — قال:

كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير، تحت سعد بن مصعب ابن الزبير، وكان فيهم مأتمٌ، فاتهمته بامرأة، فغارت عليه وفضحته. فقال الأحوص يمازحه:

وليس بسعد النارِ مَن تزعمونه ... ولكنّ سعدَ النار سعد بن مُصعَبِ
ألم ترَ أنّ القومَ ليلةَ نَوْحِهم ... بَغَوْهُ فألفَوْهُ على شرِّ مَركَبِ
فما يَبتغي بالغَيّ لا دَرَّ دَرُّه ... وفي بيته مثلُ الغزال المربَّبِ

— قال: وسعد النار رجلٌ يقال له سعد حضنة، وهو الذي جدّد لزياد بن عُبيد الله الحارثيّ الكتابَ الذي في جدار المسجد، وهو آيات من القرآن أحسَب أن منها

(١) المشلل: جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر.

(٢) الهمهمة: الكلام الخفيّ، وقيل: الهمهمة: تردّد الزئير في الصدر من الهمّ والحزن، يقال: همهم الأسد وهمهم الرجل اذا لم يبين كلامه.

﴿إنَّ اللهَ يَأمُرُ بالعَدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذِي القُربى ويَنهى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ والبَغيِ﴾؛ فلما فرَغ منه قال لزياد: أعطِني أجري؛ فقال له زياد: انتظِر، فإذا رأيتَنا نعمَل بما كتبتَ، فتعالَ فخُذ أجرك –.

قال: فعمِل سعد بن مصعَب سُفرة، وقال للأحوص: إذهب بنا الى سدّ عُبيد الله بن عمر نتغدَّ عليه، ونشرب من مائه، ونستنقع فيه؛ فذهب معه؛ فلما صارا الى الماء، أمر غِلمانَه أن يَربِطُوه وأراد ضربَه، وقال: ما جزِعتُ من هجائك إياي، ولكن ما ذِكرُكَ زوْجتي! فقال له: يا سعدُ إنك لتعلم أنك إن ضربتَني لم أكفُف عن الهجاء، ولكن خيرٌ لك من ذلك أحلفُ لكَ بما يُرضيك ألّا أهجوكَ ولا أحداً من آل الزُّبير أبداً؛ فأحلفه وتركه.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مصعب عمّي عن مصعب بن عثمان قال:

قال الأحوص لمجمِّع[1] بنِ زيدَ بنِ جارية:

وجُمعتَ من أشياء شتى خبيثةٍ   فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجمِّعا

فقال له مجمِّع: إني لا أحسن الشعر، ثم أخذ كُرنافة[2] فغمسها في ماء فغاصت، ثم رفع يدَه عنها فطفتْ، فقال: هكذا والله كانت تصنعُ خالاتُكَ السَّواحِرُ.

مع ام ليث:

أخبرني الحَرَميّ قال وحدّثنا الزُّبير قال:

---

(١) مجمع بضم أوّله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة. وجارية بالجيم والراء والياء المثناة من تحت كما في تهذيب التهذيب في اسم مجمع.

(٢) الكرنافة: واحدة الكرناف وهو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف.

كانت أمرأة يقال لها أمُّ لَيْث أمرأةَ صِدق[١]، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خَوْخةً، وكانت الأنصاريّةُ من أجمل أنصاريّةٍ خُلقتْ، فكلّم الأحوصُ أمَّ ليثٍ أن تُدخله في بيتها يكلّمُ الأنصاريّةَ من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبَتْ؛ فقال: أما لأُكافئنّكِ، ثم قال:

هيهاتَ منك بنو عمرو ومسكنُهم اذا تشتَّيتَ قِنَّسرينَ[٢] أو حَلبَا
قامت تَراءى وقد جدّ الرحيلُ بنا بين السَّقيفةِ والبابِ الذي نُقِبَا
إني لمانحها ودّي ومتخذٌ بأمّ ليثٍ إلى معروفها سببَا

فلما بلغت الأبياتُ زوجَ المرأة، سدّ الخوخةَ؛ فأعتذرتْ اليه أمّ ليث، فأبى أن يقبَل ويصدّقها؛ فكانت أمُّ لَيْث تدعو على الأحوص.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني أبي قال:

ركِب الأحوصُ إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضَرْب أبن حزمٍ إياه، فلقِيَه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عُتبة، فوعده أن يُعينه؛ فلما دخل على الوليد قال: وَيْحكَ! ما هذا الذي رُمِيتَ به يا أحوص؟! قال: والله يا أمير المؤمنين، لو كان الذي رماني به أبنُ حزم من أمرِ الدين لأجتنبتُه، فكيف وهو من أكبر معاصي الله!. فقال أبنُ عُتبة: يا أمير المؤمنين، إنّ من فضل أبن حزم وعَدْله كذا وكذا، وأثنى عليه؛ فقال الأحوص: هذا والله كما قال الشاعر[٣]:

وكنت كذئب السَّوْء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحالَ[٤] على الدمِ

---

(١) اذا قلت: رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت الصاد، وإن نعتّ به فتحتها.

(٢) قنسرين: كورة بالشام بالقرب من حلب وهي أحد أجناد الشام. فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه في سنة سبع عشرة.

(٣) هو الفرزدق.

(٤) أحال على الدم: أقبل عليه. ومثله قول الشاعر:

فتى ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

فأمّا خبره في بقيّة أيام سليمانَ بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، فأخبرني به أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب الجُمحيّ قال حدّثنا عَونُ بن محمد بن سَلّام قال حدّثني أبي عمّن حدّثه عن الزُّهريّ، وأخبرني به الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العَلاء قالا: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن مصعب بن عثمان قال:

نفيه :

كان الأحوص يَنسِبُ بنساء ذواتِ أخطار من أهل المدينة، ويتغنّى في شعره معبدٌ ومالك، ويَشيع ذلك في الناس، فنُهي فلم يَنتهِ؛ فشُكي إلى عامل سليمانَ بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتابَ فيه اليه؛ ففعل ذلك؛ فكتب سليمانُ إلى عامله يأمره أن يضربَه مائة سَوط ويُقيمه على البُلُس للناس، ثم يُصيّرَه إلى دَهلك[1]، ففعل ذلك به؛ فثوى هناكَ سلطانَ[2] سليمانَ بنِ عبد الملك؛ ثم وَليَ عمرُ بن عبد العزيز، فكتب اليه يستأذنه في القدوم ويمدحه، فأبى أن يأذنَ له: وكتب فيما كتب اليه به:

أيا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلّغنْ هُديتَ أميرَ المؤمنين رسائلي

وقل لأبي حَفصٍ إذا ما لَقيتَه لقد كنتَ نفّاعاً قليلَ الغوائلِ

وكيف ترى للعيش طِيباً ولذّةً وخالُكَ أمسى مُوثَقاً في الحبائلِ!

— هذه الأبيات من رواية الزُّبير وحده، ولم يذكرها ابنُ سلّام — قال: فأتى رجالٌ من الأنصار عمرَ بن عبد العزيز، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقدِمَه، وقالوا له: قد عرفتَ نسبه وموضعه وقديمه، وقد أُخرجَ إلى أرض الشِّرك، فنطلب

(١) دهلك: جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها .

(٢) يريد: مدة سلطانه .

اليك أن تردَّه إلى حَرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودارِ قومه . فقال لهم عمر : فمن الذي يقول :

فما هو إلّا أن أراها فُجاءةً ... فأُبهت حتى ما أكادُ أجيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

أدورُ[1] ولولا أن أرى أمَّ جعفرٍ ... بأبياتكم ما دُرتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى ... إذا لم يزرْ لا بدّ أن سيزورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

كأنّ لُبنى صَبيرُ[2] غاديةٍ ... أو دُميةٌ زُيّنتْ بها البِيَعُ
اللهُ بيني وبين قيِّمها ... يفرّ منّي بها وأتّبِعُ

قالوا : الأحوص . قال : بل الله بين قيّمها وبينه . قال : فمن الذي يقول :

ستُبلى لكمْ[3] في مُضمَرِ القلب والحشا ... سريرةُ حُبٍّ يوم تُبلى السرائرُ

قالوا : الأحوص ؛ قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول ، والله لا أردُّه ما كان لي سلطان . قال : فمكث هناك بقيّةَ ولاية عمر وصَدْراً من ولاية يزيد بن عبد الملك . قال : فبينا يزيدُ وجاريته حبابةُ ذاتَ ليلة على سطح تغنّيه بشعر الأحوص، قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعينيك ما أدري ! — قال : وقد كان ذهب من الليل شطرُه — فقال : ابعثوا إلى ابن شهاب الزُّهريّ فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك ؛ فأُتِيَ الزُّهريُّ فقُرع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعاً إلى يزيد ؛

(١) هذا البيت لعروة بن حزام العذري كما ذكره المؤلف في ترجمته ضمن شعر له وكما ذكره ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، وليس للأحوص .

(٢) الصبير : السحاب الأبيض الذي يَصْبِر بعضه فوق بعض درجاً . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

(٣) كذا في الشعر والشعراء (ص ٣٣٠ طبع أوربا) . وفي الأصول والخزانة (ج ١ ص ٢٣٣) : « ستبقى لها » .

فلما صعِد اليه قال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم نَدْعُك إلا لخير ، أجلس ، من يقول هذا الشعرَ ؟ قال : الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما فعل ؟ قال : قد طال حبسه بدَهْلَك ؛ قال : قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفلَه . ثم أمر بتَخْلِيَة سبيله ووهب له أربَعمائة دينار ؛ فأقبل الزُّهريّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشَّرهم بذلك .

عتابه الخليفة :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الإنصاريّ قالا :

لما وَلِي عمر بن عبد العزيز الخلافةَ أدنى زيدَ بن أَسْلَم ، وجفا الأَحوصَ . فقال له الأحوص :

ألستَ أبا حفص هُدِيتَ مُخبِّري ... أفي الحقِّ أن أُقصى ويُدنى ابنُ أسلما

فقال عمر : ذلك هو الحقّ .

قال الزُّبير : وأنشدنيها عبد الملك بن الماجشون عن يوسفَ بن الماجشون :

ألا صِلَةُ الأرحام أدنى إلى التُّقى ... وأظهرُ في أكفائه لو تكرّما
فما ترك الصُّنْعُ الذي قد صنعتَه ... ولا الغيظُ منّي ليس جلداً وأعظما
وكنّا ذوي قُرْبى لديكَ فأصبحتْ ... قرابتنا ثَدْياً أجدّ[1] مُصرَّما
وكنتَ وما أمّلتُ منك كبارقٍ ... لَوى قَطْرَه من بعد ما كان غَيّما
وقد كنتَ أرجى الناسِ عندي مودّةً ... ليالِيَ كان الظّنُّ غيباً مُرجّما
أُعِدُّك حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً ... ومالا ثَرِيّاً حين أحملُ مَغرَما
تَدارَكْ بعُتْبى عاتباً ذا قرابةٍ ... طوى الغيظَ لم يَفتح بسُخطٍ له فما

(١) ثدي أجدّ : يابس لا لبن به ، ومصرّم : منقطع اللبن .

أخبرني الحرَميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: كتب إليّ إسحاق بنُ إبراهيم أنّ أبا عُبيدة حدّثه:

أنّ الأحوص لم يزل مقيماً بدَهْلَك حتى مات عمرُ بن عبد العزيز، فدَسّ إلى حَبابة فغنّت يزيدَ بأبيات له — قال أبو عُبَيدة: أظنّها قولَه:

صوت

أيُّهذا المُخبِّري عن يزيدٍ بصلاحٍ فِداك أهلي ومالي
ما أبالي إذا يزيدُ بَقي لي مَنْ توَلّت به صُروفُ الليالي

لم يُجنِّسه. كذا جاء في الخبر أنها غنّته به، ولم يذكر طريقته. قال أبو عُبيدة: أراه عَرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدِر أن يصرّح مع بني مروان — فقال: من يقول هذا؟ قالت: الأحوص، وهوّنتْ أمرَه، وكلّمتْه في أمانه فأمّنه؛ فلما أصبح حضر فاستأذنتْ له، ثم أعطاه مائةَ ألفِ درهم.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح ابن حسّان:

أنّ الأحوص دسّ إلى حَبابةَ، فغنّتْ يزيدَ قولَه:

كريمُ قريشٍ حين يُنسَب والذي أقرّتْ له بالملك كهلاً وأمردا
وليس وإن أعطاك في اليوم مانِعاً إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافه غدا
أهان تِلادَ المال في الحمد إنه إمامُ هُدًى يجري على ما تعوّدا
تشرّفَ مجداً من أبيه وجدّه وقد ورِثا بُنيانَ مجدٍ تشيّدا

فقال يزيد: ويلكِ يا حَبابةُ! من هذا من قريش؟ قالت: ومن يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين؛ فقال: ومَن قال هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يمدح به

أميرَ المؤمنين ؛ فأمر به أميرُ المؤمنين أن يُقدَم عليه من دَهلَك ، وأمر له بمالٍ وكُسْوة .

الخليفة يعجب بشعره :

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بعضُ أهل العلم قال :

دخل الأحوصُ على يزيد بن عبد الملك وهو خليفةٌ ، فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتّ الينا بحُرْمة ، ولا توسّلتَ[1] بدالّة ، ولا جدّدتَ لنا مَدْحاً ، غير أنك مُقتَصِر على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنتَ مستوجباً لجزيل الصلة منّي حيث يقول :

وإني لأستحييكم أن يقودَني ... إلى غيركم من سائر الناس مَطمَعُ
وأن أجتَدي للنفع غيرَك منهمُ ... وأنت إمامٌ للرعيّة مَقْنَعُ[2]

قال : وهذه قصيدةٌ مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري قال حدّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال :

لما وليَ يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص ، فأُقدِم عليه ، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم ؛ فلما قدِم قُباء صبّ المالَ على نِطع ودعا جماعةً من قومه ، وقال : إني قد عملتُ لكم طعاماً ؛ فلما دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال ، وقال : ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ .

قال الزُّبير : وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذٍ بهذه القصيدة :

---

(١) كذا في الأمالي لأبي عليّ القالي (ج ١ ص ٦٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصول : « ولم تقربنا بدالة ولم تجدد لنا مديحة ... الخ » .

(٢) رجل مقنع : يُقنع به ويرضى برأيه وقضائه .

صَرَمَتْ حبلَكَ الغَداةَ نَوارُ إن صَرْماً لكلّ حبل قُصارُ[١]

وهي طويلة، يقول فيها:

من يكن سائلاً فإنّ يزيداً مِلكُ مِن عطائه الإكثارُ
عمَّ معروفُه فعَزّ به الدّيـ ـنُ وذَلّتْ لمُلكه الكُفّارُ
وأقام الصِّراطَ فابتهجَ[٢] الحقُّ منيراً كما أنار النّهارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغنّى فيهما، وهما:

صوت

بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه كان فيه من مَشْيِه آثارُ
إنّ أرْوَى إذا تذكّر أروى قلبُه كاد قلبُه يُستطارُ

غنّت فيه عَريبُ لحناً من الثقيل الاول بالبنصر، وذكر ابنُ المكيّ أنه لجدّه يحيى.

كيده لابن حزم:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمي مصعب بن عثمان قال:

حجّ يزيدُ بن عبد الملك فتزوّج بنتَ عَوْن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأصدَقَها مالاً كثيراً؛ فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم: إنه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيد بن عبد الملك قد تزوّج

(١) القصار: الغاية.

(٢) ويروى: «فانتهج» بالنون بدل الباء، وعلى هذه الرواية يكون الفعل مبنياً للمفعول.

بنتَ عَونِ بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وأصدَقها مالاً كثيراً ، ولا أراه فعل ذلك إلّا وهو يراها خيراً منه ، قبّح اللهُ رأيَه ! فإذا جاءك كتابي هذا فادعُ عَوناً فاقبِض المالَ منه ؛ فإن لم يدفعه اليك فاضربه بالسِّياط حتى تستوفيه منه ثم افسَخْ نِكاحَه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَون بن محمد وطالبه بالمال؛ فقال له : ليس عندي شيء وقد فرّقتُه ؛ فقال له أبو بكر : إن أميرَ المؤمنين أمرني إن لم تَدفعه إليَّ كلَّه أن أضربك بالسِّياط ثم لا أرفَعها عنك حتى أستوفيَه منك ؛ فصاح به يزيد : تعالَ إليَّ ، فجاءه ، فقال له فيما بينه وبينه : كأنك خشيتَ أن أُسلِمك اليه ، أدفع اليه المالَ ولا تعرّض له نفسك ، فإنه إن دفعه إليّ رددتُه عليك وإن لم يردَّه عليّ أخلفتُه عليك ، ففَعَل : فلما ولي يزيدُ بن عبد الملك ، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفي الأحوص ، فحُمِلا اليه ، لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضرب الأحوصَ وغرّبه إلى دَهلَك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز ، وعمرُ إذ ذاك على المدينة . فلما صارا بباب يزيد أُذِن للأحوص ، فرفع أبو بكر يديه يدعو ، فلم يخفضها حتى خرج الغِلمان بالأحوص مُلبَّباً[1] مكسورَ الأنف ، وإذا هو لمّا دخل على يزيد قال له : أصلحك الله ، هذا ابنُ حَزم الذي سفَّه رأيَك وردّ نِكاحَك ؛ فقال يزيد : كذَبتَ ! عليك لعنةُ الله وعلى من يقول ذلك ! اكسِروا أنفَه ، وأمر به فأُخرِجَ مُلبَّباً .

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمحيّ قال :

بهو ادبي :

كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجُمحيّ قد اتّخذ بيتاً فجعل

(١) ملبباً : مأخوذاً بتلابيبه وهو أن تُجمع ثيابه عند صدره ونحره ثم يجرّ منها .

فيه شِطْرَنجاتٍ ونَرْداتٍ وقِرْقاتٍ(١) ودفاترَ فيها من كلّ علم، وجعل في الجدار أوتاداً، فمن جاء علّق ثيابَه على وتدٍ منها، ثم جرّ دفتراً فقرأه، أو بعضَ ما يُلعب به فلعب به مع بعضهم. قال: فإنّ عبد الحكم يوماً لفي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنّاطين، باب بني جُمَحَ، عليه ثوبان مُعَصْفَران مَدلوكان وعلى أذُنه ضِغْثُ(٢) رَيحان وعليه رَدْعُ(٣) الخَلوق، فأقبل يشقّ الناسَ حتى جلس إلى عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله، فجعل مَنْ رآه يقول: ماذا صُبّ عليه من هذا! ألم يجد أحداً يجلس اليه غيرَه! ويقول بعضهم: فأيّ شيء يقوله له عبد الحكم، هو أكرمُ من أن يَجْبَهَ مَن يقعُد اليه. فتحدّث اليه ساعةً ثم أهوى فشبّك يدَه في يد عبد الحكم وقام يَشُقّ المسجدَ حتى خرج من باب الحنّاطين — قال عبد الحكم: فقلتُ في نفسي: ماذا سلّط الله عليّ منك، رآني معك نصفُ الناس في المسجد ونصفُهم في الحنّاطين — حتى دخل مع عبد الحكم بيتَه، فعلّق رداءَه على وتدٍ وحلّ أزراره واجترّ الشِّطْرَنج وقال: مَن يلعب؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأبجرُ المُغنّي؛ فقال له: أيْ زِنديقُ ما جاء بك إلى ها هنا! وجعل يشتمه ويُمازحه؛ فقال له عبد الحكم: أتشتُم رجلًا في منزلي! فقال: أتعرفه؟ هذا الأحوص؛ فاعتنقه عبدُ الحكم وحيّاه، وقال له: أمّا إذ كنتَ الأحوصَ فقد هان عليّ ما فعلتَ.

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَميّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حُميد بن عبد العزيز عن أبيه قال:

لمّا قدِم عبد الملك بن مروان حاجّاً سنةَ خمس وسبعين، وذلك بعد ما اجتمع

---

(١) النردات: جمع نرد وهو ما يعرف اليوم «بالطاولة». والقرقات: جمع قرق وهي لعبة للصبيان يخطون بها أربعة وعشرين خطا مربعات كل مربع منها داخل الآخر ويصفون بين تلك المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة.

(٢) الضغث: كل ما ملأ الكف من النبات.

(٣) الردع: اللطخ بالزعفران. والخلوق: ضرب من الطيب، وقيل: الزعفران.

الناس عليه بعامين، جلس على المنبر فشتم أهلَ المدينة؟ ووبّخهم، ثم قال: إني والله يأهلَ المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفَسون القليلَ وتحسُدون على الكثير، وما وجدتُ لكم مثلًا إلا ما قال مُخنَّثكم وأخوكم الأحوص:

وكم نزلتْ بي من خُطوب مهمّةٍ خذلتم عليها ثم لم أتخشّعِ
فأدبر عني شرُّها لم أُبلْ[1] بها ولم أدعُكم في كربها المتطلَّعِ

فقام إليه نَوفَلُ بن مُساحِق فقال: يا أميرَ المؤمنين، أقررْنا بالذنب وطلبْنا المعذرةَ، فعُدْ بحلمك، فذلك ما يُشبِهُنا منك ويُشبِهُك منا. فقد قال من ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين:

وإنّي لمُستأنٍ ومُنتظِرٌ بكم وإن لم تقولوا في الملمَّات دَعْ دَعِ[2]
أؤمِلُ منكم أن تروا غيرَ رأيكم وشيكًا وكيما تنزِعوا خيرَ منزَعِ

أخبرني الحَرَميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن المُنذِر بن عبد الله الحِزاميّ:

أن عِراكَ[3] بن مالك كان من أشدّ أصحابِ عمرَ بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفيْء والمظالم من أيديهم؛ فلما وَلِي يزيدُ بن عبد الملك ولّى عبدَ الواحد بن عبد الله النَّصري[4] المدينةَ، فقرّب عِراكَ بن مالك وقال: صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطع أمراً دونه، وكان يجلس معه على سريره.

---

(١) أبل: أصله أبالي، فحذف آخره للجازم ثم حذفت حركة اللام تخفيفاً كما تحذف نون يكون بعد الجازم، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين.

(٢) هذه كلمة تقال للعاثر، ومعناها: دع العثار وقم وانتعش واسلم، وقد تجعل اسما كالكلمة وتعرب؛ قال الشاعر:

لحى الله قوماً لم يقولوا لعاثر ولا لابن عم ناله العثرُ دَعدعا

(٣) هو عراك بن مالك الغفاري التابعي، مات في ولاية يزيد بن عبد الملك.

(٤) موافق لما في الخلاصة (ص ٢٤٧) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ٤٣٦) والأنساب للسمعاني.

فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك: أن ابعثْ مع عِراكِ بن مالك حَرَسيّاً حتى يُنزِلَه أرضَ دَهْلَكَ وخُذْ من عِراكٍ حَمولتَه. فقال لحَرسيٍّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير: خُذْ بيد عِراك فابْتَعْ من ماله راحلةً ثم توجه به نحوَ دَهْلَكَ حتى تُقرَّه فيها؛ ففعل ذلك الحَرَسيّ. قال: وأقدمَ الأحوصَ؛ فمدحه الأحوصُ؛ فأكرمه وأعطاه. قال: فأهلُ دَهْلَكَ يأثُرون الشعرَ عن الأحوص، والفقهَ عن عِراكِ بن مالك.

أخبرني أبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب عن محمد بن سَلّام عن أبي الغَرّاف[1] عمن يَثِق به قال:

بعث يزيدُ بنُ عبد الملك حين قُتل يزيدُ بن المُهلَّب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيدَ بنِ المهلَّب، منهم الفرزدق وكُثيِّر والأحوص؛ فقال الفرزدق: لقد امتدحتُ بني المهلَّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن يكذِّب نفسه على كبر السنّ، فليُعفِني أميرُ المؤمنين؛ قال: فأعفاه. وقال كُثيِّر: إني أكره أن أعرِّض نفسي لشعراء أهلِ العراق إن هجوتُ بني المهلَّب. وأما الأحوصُ فإنه هجاهم. ثم بعث به يزيدُ بن عبد الملك الى الجَرّاح بن عبد الله الحَكَميّ وهو بأذرَبيجان، وقد كان بلغ الجرّاحَ هجاء الأحوص بَني المهلَّب، فبعث اليه بزِقٍّ من خمر فأُدخل منزلَ الأحوص، ثم بعث اليه خيلاً فدخلت منزله فصبّوا الخمرَ على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجرّاحَ، فأمر بحلق رأسه ولحيته، وضربه الحدَّ بين أوجه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تُضرَب الحدود؛ فجعل الجرّاح يقول: أجلْ! ولكن لمّا تعلم؛ ثم كتب الى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها.

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغضّ منه في شعره، ولكنا ذكرنا من كل ما يُؤثَر عنه ما تُعرَف به حاله من تقدمٍ

---

(١) أبو الغراف هذا من شيوخ ابن سلام.

وتأخرٍ، وفضيلةٍ ونقصٍ؛ فأما تفضيله وتقدّمه في الشعر فمتعالَم مشهورٌ، وشعره يُنبئ عن نفسه ويدلّ على فضله فيه وتقدّمه وحسنِ رَوْنقه وتهذّبه وصفائه.

آراء الشعراء فيه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز[١] قال حدّثني عبد الله بن مُسلِم بن جُندَب الهُذَليّ قال حدّثنا شيخ لنا من هُذَيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال:

سمعت بالفرزدق وجرير على باب الحجّاج، فقلت: لو تعرّضتُ ابنَ أختنا! فامتطيتُ إليه بعيراً، حتى وجدتُهما قبل أن يَخلُصا[٢]، ولكلّ واحدٍ منهما شيعةٌ، فكنتُ في شيعة الفرزدق؛ فقام الآذنُ يوماً فقال: أين جرير؟ فقال جرير: هذا أبو فِراس؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمه وأسرّته؛ فقال الآذِن: أين الفرزدقُ؟ فقام فدخل؛ فقالوا لجرير: أتناوِله وتهاجيه وتُشاخِصُه، ثم تَبدّى عليه فتأبى وتُبدّيه؟! قضيتَ له على نفسك! فقال لهم: إنه نَزْرُ القول، ولم يَنشَبْ[٣] أن يَنفَد ما عنده وما قال فيه فيُفاخِرَه ويرفعَ نفسَه عليه، فما جئتُ به بعدُ حُمِدتُ عليه واستُحسِن؛ فقال قائلهم: لقد نظرتَ نظراً بعيداً. قال: فما نَشِبوا أن خرج الآذن فصاح: أين جرير؟ فقام جريرٌ فدخل؛ قال: فدخلتُ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد وإذا هو يقول:

أين الذين بهم تُسامي دارِماً[٤] ... أم مَن الى سَلَفَي[٥] طُهَيَّة تَجعلُ

---

(١) وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون.

(٢) يخلصا: يصلا، يقال: خلص فلان الى كذا اذا وصل اليه.

(٣) لم ينشب: لم يلبث، وهذا اللفظ عند العرب عبارة عن السرعة وأصله من نشب العظم في الحلق والصيد في الحبالة أي لم يعلق به شيء يمنعه عن ذلك.

(٤) دارم: اسم قبيلة.

(٥) موافق لما في النقائض (ص ١٨٣). وطهية: بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد، فولدت له أبا سود وعوفا وجشيشا، فغلبت على بنيها فنسبوا اليها.

قال : وعمامتُه على رأسه مثل المِنسَف¹، فصحتُ من ورائه :

هذا ابنُ يوسفَ فاعلموا وتفهَّموا برِح الخفاءُ فليس حين تناجي
مَن سدّ مُطَّلَع² النفاق عليكم أم من يَصول كصولة الحجّاجِ
أم من يَغار على النساء حفيظةً إذ لا يَثِقن بغَيْرة الأزواجِ
قل للجبان اذا تأخر سرجُه هل أنت من شَرَك المنيّة ناجي

قال : وما تشبيبها ؟ وطرِب؛ فقال جرير :

لجّ الهوى بفؤادك المِلجاج³ فاحبِسْ بتُوضحَ باكِرَ الأحداج

وأمرّها، أو قال : أمضاها ؛ فقال : أعطُوه كذا وكذا، فاستقللتُ ذلك . فقال الهُذَليّ : وكان جرير عربيّاً قَرَوِيّاً، فقال للحجّاج : قد أمر لي الأمير بما لم يُفهم عنه، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمر به الأميرُ ! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعفه، وأعطى الفرزدق أيضاً . قال الهُذَليّ : فجئتُ الفرزدقَ فأمر لي بستين ديناراً وعبدٍ، ودخلتُ على رُواته فوجدتُهم يُعدِّلون ما انحرف من شعره، فأخذتُ من شعره ما أردتُ، ثم قلتُ له : يا أبا فراس، مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَراغة . قلت : فمَنْ أنسبُ الناس ؟ قال الذي يقول :

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجمِ الأسعُدِ
ومريحةٌ⁴ همّي عليّ كأنني حتى الصباحِ مُعلَّقٌ بالفَرقَدِ

---

(١) المنسف : الغربال الكبير .

(٢) المطلع : المأتى : تقول : من أين مطلع هذا الأمر أي من أين مأتاه .

(٣) الملجاج : اللجوج ، وقد ورد هذا البيت في الأمالي (ج ٣ ص ٤٣ طبع دار الكتب المصرية) وديوانه هكذا :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج فانظر بتوضح باكر الأحداج

وتوضح : موضع معروف في بلاد بني يربوع . والأحداج : جمع حِدْج وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . يريد، على هذه الرواية، هاج باكرُ الأحداج الهوى لفؤادك فارم بطرفك نحو توضح .

(٤) مريحة : من أراح الإبل اذا ردّها الى المراح من العشيّ ، والمراد أنها تسوق اليه همه .

قلت: ذاك الأحوص؛ قال: ذاك هو. قال الهذليّ: ثم أتيت جريراً فجعلتُ أستقل عنده ما أعطاني صاحبي أستخرج به منه؛ فقال: كم أعطاك ابنُ أختِك؟ فأخبرتُه؛ فقال: ولك مثله، فأعطاني ستين ديناراً وعبداً. قال: وجئت رُواتَه وهم يقوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد[1]، فأخذت منه ما أردتُ، ثم قلت: يا أبا حَزرَة، مَن أنسبُ الناس؟ قال الذي يقول:

يا ليت شعري عمن كلفتُ به من خَثْعَمٍ إذ نأيتُ ما صَنَعُوا
قومٌ يَحُلّون بالسَّدير[2] وبالحِيرة منهم مَرأًى ومُستَمَعُ
أن شَطَّتِ الدارُ عن ديارهم أأمسكوا بالوصال أم قَطَعوا
بل هم على خيرِ ما عَهِدتُ وما ذلك إلّا التأميلُ والطَّمعُ

قلت: ومن هو؟ قال: الأحوص؛ فأجتمعا على أن الأحوصَ أنسبُ الناس.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص:

لي ليلتان فليلة معسولة

وأول ما يُغَنّى به فيها:

صوت

يا لَلرِّجالِ لِوَجْـدِكَ المتجدِّدِ ولِما تُؤَمِّل من عَقيلةَ في غدِ
تَرجو مواعِدَ بعثُ آدمَ دونَها كانت خَبالًا للفؤاد المُقْصَدِ
هل تَذكُرَنَّ عَقيلُ أو أنساكِهِ بَعدي تقلُّبُ ذا الزمانِ المُفسِدِ

(١) السناد: كل عيب يوجد في القافية قبل الرويّ، وفسره ابن سيده بأنه المخالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الرويّ.

(٢) السدير: نهر بالحيرة، وقيل: السدير: قصر في الحيرة من منازل آل المنذر.

يومي ويومكِ بالعقيق إذِ الهوى منّاً جميعُ الشَّمل لم يَتبدَّدِ
لي ليلتان فليلةٌ مَعسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجم الأسعُدِ
ومريحةٌ همي عليّ كأنني حتى الصباحِ معلّق بالفَرقدِ

— عَروضُه من الكامل. يقال: يا لِلرجال ويا لَلرجال بالكسر والفتح[1]. وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه صاح لما طُعِن: يا لَله يا لِلمسلمين. وقوله في غد: يريد فيما بعدُ وفي باقي الدهر، قال الله سبحانه: (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ ٱلْكَذَّابُ الأَشِرُ). والخَبَل والخَبال: النقصان من الشيء. والمُخبَّل: أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل. والمعسولة: الحُلوة المُشتهاة —.

الشعر للأحوص. والغناء في البيت الأول والثاني لمالك خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن الهشاميّ وحَبش. وفي الثالث والرابع لسليمانَ أخي بابَوَيه ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو. وفيهما وفي الخامس والسادس لحنٌ لابن سُرَيج ذكره يونسُ ولم يجنِّسه. وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أن لمعبدٍ في الأبيات كلِّها لحناً وأنه من صحيح غنائه، ولم يجنِّسه.

العناية بشعره:

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيوب بن عَباية قال:

بلغني أن ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفة، وأخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسة بن سَعيد بن العاصي قال أخبرني أشعَبُ بن جُبَير قال:

حضَرت امرأةٌ شريفة ودخل عليها ابنُ الأحوص بن محمد الشاعر، فقالت له: أتروي قول أبيك:

(١) لام الاستغاثة تفتح مع المستغاث وتكسر مع المستغاث لأجله، فإذا دخلت على ضمير، مثل يا لك، فتحت دائماً، وكسرت مع ياء المتكلم، واحتمل الكلام حينئذ الأمرين.

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجم الأسْعُدِ
ومريحةٌ همي عليَّ كأنني حتى الصباحِ معلَّقٌ بالفرقدِ

قال: نعم؛ قالت: أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلَّقاً بالفرقد؟ قال: لا والله؛ قالت: هي ليلة أُمك التي يبيت معها فيها. قال إبراهيم في خبره: فقلت لأشعب: يا أبا العلاء، فأيّ ليلتيه المعسولة؟ فقال:

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ

هي ليلة الإسراف، ولا تسأل عما بعدها.

أخبرني عبد العزيز بن بنت الماجشون قال:

أنشد ابنُ جُندَبٍ قولَ الأحوص:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجم الأسْعُدِ
ومريحةٌ همي عليَّ كأنني حتى الصباحِ معلَّقٌ بالفَرقَدِ

فقال: أما إن اللهَ يعلم أن الليلةَ المُريحةَ همي لألذّ الليلتين عندي. قال الحرَميّ ابن أبي العلاء: وذلك لتكلفه بالغزل والشوق والحنين وتمنّي اللقاء.

معشوقة الأحوص:

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذُكرت في مواضع أُخر. وعقيلة امرأةٌ من ولد عَقيل بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ذكر الزُّبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيلةَ هذه هي سُكَينة بنت الحُسين عليهما السلام، كَنَى عنها بعقيلة.

أخبرني الحرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي:

أن إنساناً أنشد عند إبراهيمَ بنِ هشام وهو والي المدينة قولَ الأحوص:

إذ أنتِ فينا لمن يَنهاكِ[1] عاصِيةٌ   وإذ أُجرّ اليكم سادراً رَسَني

فوثب أبو عُبيدة بن عَمّار بن ياسر قائماً ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجرّه حتى بلغ العِرْضَ[2] ثم رجع. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنُك؟ فقال: أيها الأمير، إني سمعتُ هذا البيتَ مرّة فأعجبني، فحلفت لا أسمعه إلا جَرَرْتُ رَسَني.

نسبة هذا البيت وما غُني فيه من الشعر

صوت

سَقياً لربعكِ من رَبع بذي سَلَمٍ   وللزمان به إذ ذاك من زَمَنِ
إذ أنتِ فينا لمن يَنهاكِ عاصيةٌ   وإذ أُجرّ اليكم سادراً رَسَني

عروضُه من البسيط. غنّى ابن سُرَيج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأوّل بالوُسطى عن عمرو. وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسطى ولم ينسُبْه إلى أحد، وذكر حَبشٌ أنه للغريض.

تفضيل حماد له:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلّام عن سالم بن أبي السَّحاء وكان صاحب حمّادِ الراوية:

أن حمّاداً كان يُقدِم الأحوص في النَّسيب.

(١) ويروى: «يهواك».

(٢) العرض: الوادي فيه زروع ونخل، يقال: أخصبت أعراض المدينة وهي قراها التي في أوديتها، ويراد به هنا مكان بعينه.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عمرُ بن أبي سليمان عن يوسفَ ابن أبي سُليمان بن عُنيزة قال:

هجا الأحوص رجلًا من الأنصار من بني حَرام يقال له ابن بَشير، وكان كثيرَ المال، فغضب من ذلك، فخرج حتى قدِم على الفرزدق بالبصرة وأهدى اليه وألطَفه[١]، فقبل منه؛ ثم جلسا يتحدّثان، فقال الفرزدق: مِمن أنت؟ قال: من الأنصار؛ قال: ما أقدَمك؟ قال: جئتُ مُستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني؛ قال: قد أجاركَ اللهُ منه وكفاكَ مُؤنتَه؛ فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني؛ فأطرق ساعة ثم قال: أليس هو الذي يقول:

ألا قِفْ برَسْم الدار فاَستَنطِقِ الرّسما ... فقد هاج أحزاني وذكّرني نُعما[٢]

قال بلى؛ قال: فلا والله لا أهجو رجلًا هذا شعرُه. فخرج ابنُ بشير فاشترى أفضلَ من الشراء الأوّل من الهدايا، فقدِم بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أقدَمك؟ قال: جئتُ مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني؛ فقال: قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاك، أين أنتَ عن ابن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني؛ قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تمشّى بشتمي في أكاريسِ[٣] مالكٍ ... تُشيدُ به كالكلب إذ يَنبح النّجما
فما أنا بالمخسوسِ في جِذمِ[٤] مالكٍ ... ولا بالمُسمّى ثم يلتزم الاسما
ولكنّ بيتي إن سألتَ وجدتَه ... توسّط منها العِزّ والحسَبَ الضّخما

قال: بلى والله؛ قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقدِم على الأحوص فأهداها اليه وصالحه.

---

(١) ألطفه: أكرمه وبرّه بطُرفِ التحف، الاسم «اللطَف» بالتحريك.

(٢) ورد في بعض الأصول «نعمي» بالياء في آخره، «بنعُم» «ونُعمي».

(٣) أكاريس: جمع الجمع لِكِرس وهو الجماعة من الناس.

(٤) الجذم: الأصل.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا قِفْ برَسْم الدّار فاستنطِق الرّسما فقد هاج أحزاني وذكّرني نُعْمَى
فبتُّ كأني شاربٌ من مُدامةٍ إذا أذهبتْ همّاً أتاحت له همّاً

غنّاه إبراهيمُ الموصليّ خفيفَ رَمَلٍ بالوُسطى عن الهشاميّ. وذكر عبد الله ابن العبّاس الرَّبيعي أنه له.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

قال لي أبو السائب المخزوميّ: أنشدني للأحوص، فأنشدتُه قولَه:

قالت وقلتُ تحرّجي وصِلي حبلَ أمرئٍ بوصالكم صَبِّ
واصِلْ إذاً بَعْلي فقلت لها الغدر شيءٌ ليس من ضَربي

صوت

ثنتان لا أدنو لوصلهما عِرسُ الخليل وجارةُ الجنبِ(١)
أما الخليلُ فلستُ فاجِعَه والجارُ أوصاني به ربّي
عُوجوا كذا نذكُرْ لغانيةٍ بعضَ الحديث مَطِيَّكم صَحبي
ونَقُلْ لها فيمَ الصدودُ ولم نُذنبْ بلَ انتِ بدأتِ بالذّنبِ
إن تُقبلي نُقبلْ وننزلْكم منّا بدار السَّهل والرُّحْبِ
أو تُدبري تَكْدُرْ معيشتنا وتُصدّعي متلائمَ الشَّعبِ

---

(١) جار الجنب: اللازق بك الى جنبك.

– غنّى في « ثِنتان لا أدنو » والذي بعدَه ابنُ جامع ثقيلاً أوّل بالوُسطى. وغنّى في « عوجوا كذا نذكرْ لغانيةٍ » والأبياتِ التي بعده ابنُ مُحرزٍ لحناً من القَدر الأوسطِ من الثقيل الأوّل مطلقاً في مجرى البنصر – قال: فأقبل عليَّ أبو السائب، فقال: يابنَ أخي، هذا والله المحبُّ عيناً لا الذي يقول:

وكنت إذا خليلٌ رام صَرْمي وجدتُ وراي مُنفَسَحاً عريضاً

اذهب فلا صَحِبَك الله ولا وسّعَ عليك (يعني قائلَ هذا البيت).

انسب الشعراء:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا خالد بن وَضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صَفوان الجُمحيّ قال:

حملت دَينا بعسكر المهدي، فركب المهديُّ بين أبي عُبيد الله وعمر بن بَزيع، وأنا وراءه في موكبه على بِرْذَوْنٍ قَطوف[1]؛ فقال: ما أنسبُ بيتٍ قالته العربُ؟ فقال له أبو عُبيد الله: قولُ امرئِ القيس:

وما ذَرَفتْ عيناكِ إلا لتضربي بسهمَيْكِ في أعشارِ قَلبٍ مُقتّلِ

فقال: هذا أعرابيٌّ قحّ. فقال عمر بن بَزيع: قولُ كُثيِّر يا أمير المؤمنين:

أريد لأنسى ذِكرَها فكأنما تَمثّلُ لي ليلى بكل سبيلِ

فقال: ما هذا بشيء، وما له يريد أن ينسى ذِكرها حتى تمثّل له. فقلت: عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك؛ قال: الحقْ بي؛ قلت: لا لَحاقَ بي، ليس ذلك في دابّتي؛ قال: احملوه على دابة. قلت: هذا أوّل الفتح؛ فحملت على دابّة، فلحِقتُ؛ فقال: ما عندك؟ فقلت: قولُ الأحوص:

(١) القطوف: الدابة التي تبطىء في سيرها.

إذا قلتُ إني مُشتفٍ بلقائها فحُمّ التلاقي بيننا زادني سُقْما

فقال : أحسن والله ، اقضوا عنه دَينَه ، فقُضِيَ عني دَيني .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو :

أريد لِأنسى ذكرها فكأنما تَمَثَّلُ لي ليلى بكلّ سبيلِ

صوت

ألا حَيِّيا لَيلى أجدّ رَحيلي وآذنَ أصحابي غَـداً بقُفُولِ
ولم أرَ من ليلى نَوالاً أعُدّه ألا ربّما طالبتُ غيرَ مُنيلِ
أريد لأنسى ذكرها فكأنما تَمَثَّلُ لي ليلى بكلّ سبيلِ
وليس خليلي بالملول ولا الذي إذا غِبتُ عنـه باعني بخليلِ
ولكن خليلي من يدوم وِصالُه ويحفظ سِرّي عند كل دخيلِ

عرُوضُه من الطويل . الشعر لـكُثَيّر . والغناء في الثلاثة الأبيات الأوَل لإبراهيمَ ، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتر في مجرى البنصر . ولابنه إسحاق في :

وليس خليلي بالملول ولا الذي

ثقيلٌ آخرُ بالوسطى .

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام ، وأخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير عن محمد بن سلّام قال :

كان لـكثيّر في النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مُقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً، ولـكثيّر من فنون الشعر ما ليس لجَميل، وكان كثيّر راويةَ جميل، وكان جميل

صادقَ الصَّبابة والعشق، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق، وكان يتقوّل. قال: وكان الناس يستحسنون بيت كُثَيِّر في النَّسيب:

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما تَمَثَّلُ لي لَيلى بكلّ سبيلِ

قال: وقد رأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل:

خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتما قتيلاً بكى من حُبّ قاتله قَبلي

قرأت في كتابٍ منسوب الى أحمد بن يحيى البَلاذُري: وذكَر إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ أن عبد الله بن مُصعَب الزُّبيريّ كان يوماً يذكر شعر كُثَيِّر ويصف تفضيلَ أهل الحجاز إياه، الى أن انتهى الى هذا البيت؛ قال إسحاقُ: فقلت له: إن الناس يَعيبون عليه هذا المعنى ويقولون: ما له يريد أن ينساها؛ فتبسَّم ابنُ مصعب ثم قال: إنكم ياأهلَ العراق لتقولون ذلك.

أخبرني أحمد بن عبدِ العزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني أبو يحيى الزُّهريّ قال حدثني الهزْبريّ قال:

قيل لكُثَيِّر؛ ما أنسبُ بيتٍ قلتَه؟ قال: الناس يقولون:

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما تَمَثَّلُ لي ليلى بكلّ سبيلِ

وأنسبُ عندي منه قولي:

وقُلْ أمُّ عَمرو داؤه وشفاؤه لديها وريّاها اليه طَبيبُ[1]

وقد قيل: إن بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيثي.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عثمان — قال الحَرَميّ: أحسَبه ابن عبد الرحمن المَخزوميّ — قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال:

(١) ويروى: لديها ورياها الشفاء من الخبل

قيل لمحرز بن جعفر : أنت صاحب شعر، ونزاك تلزم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إن هناك للشعر عن الشعر، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول :

يقولون لو ماتت لقد غاض حبّه وذلك حين الفاجعات وحيني
لعمرك إني إن تحمّ وفاتها بصحبة من يبقى الغير ضنين

وهو الذي يقول :

وإني لمكرام لسادات مالك وإني لنوكي مالك لسبوب
وإني على الحلم الذي من سجيتي لحمّال أضغان لهنّ طلوب

مرض موته :

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثني يحيى ابن الزبير بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح :

أن الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه، وقال عامر بن صالح : حين هرب من عبد الواحد النصري الى البصرة :

يا بشر يا ربّ محزون بمصرعنا وشامت جذل ما مسّه الحزن
وما شمات امرئ إن مات صاحبه وقد يرى أنه بالموت مرتهن
يا بشر هبي فإن النوم أرّقه نأي مشت وأرض غيرها الوطن

ذكر الدلال وقصته حين خصي ومن خصي معه

والسبب في ذلك وسائر أخباره

الدَّلال اسمُه ناقِد[١]، وكنيته أبو زيد[٢]، وهو مدنيّ مولى بني فَهْم.

وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبه قال:

قال إسحاق: لم يكن في المخنَّثين أحسنُ وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدَّلال. قال: وهو أحد مَن خصاه ابنُ حزم، فلما فُعِل ذلك به قال: الآن تمّ الخنث.

وأخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعَب الزُّبيري قال:

الدَّلال مولى عائشةَ بنت سعيد بن العاص.

ظرفه ونوادره:

وأخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعَب الزُّبيري قال:

كان الدَّلال من أهل المدينة، ولم يكن أهلها يَعُدّون في الظرفاء وأصحابِ

(١) كذا في شرح القاموس (مادة دلل) ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٣١٥). وفي بعض النسخ: «نافد». وفي سائرها: «نافذ».

(٢) كذا في شرح القاموس ونهاية الأرب. وفي جميع الأصول: «أبو يزيد».

النوادر من المخنثين بها إلا ثلاثة : طُوَيسٌ، والدلالُ، وهِنبٌ(١)؛ فكان هِنبٌ أقدَمَهم، والدلال أصغرَهم. ولم يكن بعد طُوَيس أظرفُ من الدلال ولا أكثرُ مُلَحاً.

قال إسحاق : وحدثني هِشام بن المُريّة عن جَرير، وكانا نديمين مدنيّين، قال: ما ذكرتُ الدلالَ قطُّ إلا ضحكتُ لكثرة نوادره. قال : وكان نَزْرَ الحديث، فإذا تكلم أضحك الثَّكلى، وكان ضاحكَ السن، وصنعتُه نَزْرةٌ جيدة، ولم يكن يغني إلا غناء مُضعَفاً، يعني كثيرَ العمل.

قال إسحاق : وحدثني أيوبُ بن عَبايةَ قال:

شهدت أهلَ المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثَه، طوّلوا رقابَهم وفخروا به، فعلمت أن ذلك لفضيلةٍ كانت فيه.

قال وحدثني ابنُ جامِع عن يونسَ قال :

كان الدلال مُبتلى بالنساء، والكَون معهن، وكان يُطلَب فلا يُقدَر عليه، وكان بديعَ الغناء صحيحَه حَسَن الجرْم(٢).

لقبه :

قال إسحاق وحدثني الزُبيري قال :

إنما لُقِب بالدلال لشكله وحُسن دَلّه وظَرفه وحلاوة منطقه وحسن وجهه

---

(١) في شرح القاموس (مادة هنب) أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى مخنثين أحدهما «هيت» والآخر «ماتع»، قال إنما هو «هنب» فصحفه أصحاب الحديث. وقال الأزهري : رواه الشافعي وغيره «هيت» وأظنه صواباً. وقد ورد في المشتبه «هيت».

(٢) الجرم. الصوت أو جهارته. وفي نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢١٦) : «الجزم». والجزم : وضع الحروف مواضعها في بيان ومهل.

وإشارته . وكان مشغوفاً[١] بمخالطة النساء ووصفهن للرجال . وكان من أراد خِطْبة امرأة سأله عنها وغيرها، فلا يزال يَصِفُ له النساء واحدةً فواحدة حتى ينتهيَ الى وصف ما يُعجبه ؛ ثم يتوسط بينه وبين من يُعجبه منهن حتى يتزوّجها ؛ فكان يُشاغِل كلَّ مَن جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء .

سبب الخصاء :

قال إسحاق وحدّثني مصعَب الزُّبيري قال :

أنا أعلم خلقِ الله بالسبب الذي من أجله خُصِيَ الدّلال، وذلك أنه كان القادمُ يَقدَم المدينةَ، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيُدَلّ على الدّلال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لي مَن تعرف من النساء للتزويج، فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتى ينتهيَ الى ما يوافق هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مهرُها كذا وكذا ؛ فإذا رضِيَ بذلك أتاها الدّلال ، فقال لها : إني قد أصبتُ لكِ رجلاً من حالِه وقصّته وهيئته ويَساره ولا عهدَ له بالنساء، وإنما قَدِم بلدَنا آنفاً ؛ فلا يزال بذلك يشوّقها ويحرّكها حتى تُطِيعَه ؛ فيأتي الرجلَ فيُعلمه أنه قد أحكم له ما أراد . فإذا سُوِّيَ الأمرُ وتزوّجته المرأة، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك، والليلةَ موعده، وأنتِ مغتلمة شَبِقة جامّة[٢]، فساعةَ يدخل عليك قد دَفَقْتِ عليه مثلَ سَيل العَرِم، فيَقْذَرُكِ ولا يعاودُكِ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك ؛ فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنتِ أعلم بدواء حِرِكِ ودائه وما يسكِّن غُلْمتكِ ؛ فتقول : أنت أعرف ؛ فيقول : ما أجد له شيئاً أشفى من النيك، فيقول لها : إن لم تخافي الفضيحةَ فأبعثي الى بعض الزنوج حتى يقضيَ بعضَ وَطَرِك ويكفَّ عادية حِرِك ؛ فتقول له : وَيلَك ! ولا كلَّ هذا ! فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها :

---

(١) في بعض النسخ : «مشعوفاً» بالعين المهملة، وكلاهما بمعنى واحد . وقد قرئ بهما في قوله تعالى (قد شغفها حبّاً) .

(٢) يقال : جم الفرس وغيره اذا ترك الضراب فتجمع ماؤه .

فكما جاء عليّ أقوم، فأخفّفك وأنا والله الى التخفيف أحوج؛ فتفرح المرأة فتقول: هذا أمر مستور، فينيكها؛ حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أمّا أنت فقد استرحتِ وأمِنتِ العيب وبَقِيتُ أنا؛ ثم يجيء الى الزوج، فيقول له: قد واعدتُها أن تدخلَ عليكَ الليلةَ، وأنت رجل عَزَب، ونساء المدينة خاصّةً يُرِدْنَ المطاولةَ في الجماع، وكأني بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم، فتُبغضك وتمقتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتَها الدنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها؛ فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوتُه، فيقول له: كيف أعمل؟ قال: تطلب زَنجيّة فتنيكها مرتين أو ثلاثاً حتى تسكُن غُلمتك، فإذا دخلتَ الليلةَ الى أهلكَ لم تجد أمرَكَ إلّا جميلاً؛ فيقول له ذاك: أعوذ بالله من هذه الحال، أزناً وزَنجيّةً! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورتَه قال له: فكما جاء عليّ ثَمّ فنكني أنا حتى تسكن غُلمتُك وشَبَقُك؛ فيفرح فينيكه مرّة أو مرتين؛ فيقول له: قد استوى أمرُكَ الآنَ وطابت نفسُك، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولذّةً؛ فينيك المرأةَ قبل زوجها، وينيكه الرجلُ قبل امرأته؛ فكان ذلك دأبَه، الى أن بلغ خبرُه سليمانَ بن عبد الملك، وكان غَيوراً شديد الغَيرة، فكتب بأن يُخصى هو وسائرُ المخنّثين بالمدينة ومكة، وقال: إن هؤلاء يدخلون على نساء قُرَيش ويُفسدونهن؛ فورد الكتابُ على أبن حَزْم فخصاهم. هذه رواية إسحاقَ عن الزُّبيري. والسبب في هذا أيضاً مختلَف فيه، وليس كلُّ الرُّواة يروون ذلك كما رواه مصعَب.

فمما رُوِيَ من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ — وهذا الخبر أصحُّ ما روي في ذلك إسناداً — قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبَّة عن مَعْن ابن عيسى، هكذا رواه الجَوْهريّ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر ابن شَبَّة قال حدثني أبو غسّان قال: قال أبن جَناح حدثني مَعْن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه وعن محمد بن مَعْن الغِفاريّ قالا:

كان سبب ما خُصي له المخنّثون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان في نادية[1]

(١) النادية: مؤنث النادي وهو مجلس القوم ومتحدثهم.

له يَسمُر ليلةً على ظهر سَطح، فتفرّق عنه جلساؤه، فدعا بوَضُوء فجاءت به جاريةٌ له، فبينا هي تَصُبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثاً، فلم تَصُبّ عليه، فأنكر ذلك فرفع رأسه، فإذا هي مُصغية بسمعها الى ناحية العَسكر، وإذا صوتُ رجل يغنّي، فأنصت له حتى سمع جميعَ ما تغنّى به؛ فلمّا أصبح أذِن للناس، ثم أجرى ذِكرَ الغِناء فليّن فيه حتى ظنّ القومُ أنه يَشتهيه ويريده، فأفاضوا فيه بالتّسهيل وذكرِ من كان يسمعه؛ فقال سليمان: فهل بقي أحد يُسمَع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندي يا أمير المؤمنين رجلان من أهل أَيلة مُجيدان مُحكِمان؛ قال: وأين منزلُك؟ فأومأ الى الناحية التي كان الغناء منها؛ قال: فابعث اليهما، ففعل؛ فوجد الرسولُ أحدَهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسمُك؟ قال: سُمَير، فسأله عن الغِناء، فاعترف به؛ فقال: متى عهدُك به؟ قال: الليلةَ الماضية؛ قال: وأين كنتَ؟ فأشار الى الناحية التي سَمِع سليمانُ منها الغناء؛ قال: فما غنّيت به؟ فأخبره الشعرَ الذي سمعه سليمانُ؛ فأقبل على القوم فقال: هَدَر الجملُ فضَبِعت[1] الناقةُ، ونَبّ التّيسُ فشَكِرت الشاةُ، وهدَر[2] الحمامُ فزافت[3] الحمامةُ، وغنّى الرجلُ فطَرِبتِ المرأةُ، ثم أمر به فخُصِي. وسأل عن الغناء أين أصلُه؟ فقيل: بالمدينة في المخنّثين، وهم أئمّته والحُذّاقُ فيه. فكتب الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم الأنصاريّ، وكان عامِلَه عليها، أن أَخصِ[4] مَنْ قِبلَك من المخنّثين المغنّين — فزعَم موسى بن جعفر بن أبي كَثير قال أخبرني بعض الكتّاب قال: قرأتُ كتاب سليمان في الديوان، فرأيتُ على الخاء نقطة كتمرة العَجوة؛ قال: ومن لا يعلم يقول: إنه صحّف القارئ[4]، وكانت أَحصِ — قال: فتتبّعهم ابنُ حزم فَخَصى منهم تسعةً؛

---

(١) ضبعت الناقة: اشتهت الفحل. ونبّ التيس: صاح عند الهياج. وشكرت الشاة: امتلأ ضرعها ويكنى بذلك عن حنينها.

(٢) ويروى: «هدل»، والهديل: كالهدير، وقيل صوت الذكر خاصة.

(٣) زافت الحمامة: تبخترت في مشيتها بين يديه وأقبلت عليه ناشرة جناحيها وذنابها.

(٤) ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان (ج ١ ص ٥٥ طبع مصر): أن الذي أمر بخصاء المخنثين هو هشام بن عبد الملك وأن الذي تولى ذلك هو عثمان بن حيّان والي المدينة، ثم ساق بعد ذلك طرفاً من القصة.

فنهم الدَّلال، وطَريف، وحَبيبٌ نَوْمةُ الضُّحى. وقال بعضهم حين خُصِيَ: سَلِم الخاتنُ والمختون. وهذا كلام يقوله الصبيّ إذا خُتِن.

قال: فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حمّاد بن نَشيط الحَسَنيّ قال: أقبلنا من مكة ومعنا بَدَراقس وهو الذي خَتَنهم، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم، فنزلنا على حبيب نَوْمةِ الضُّحى، فاحتفل لنا وأكرمنا؛ فقال له ثابتٌ[1]: مَن أنت؟ قال: يابن أخي أتجهلني وأنت وَليت خِتاني! أو قال: وأنت ختنتني؛ قال: واسوءتاه! وأيّهم أنت؟ قال: أنا حبيب؛ فاجتنبت طعامه وخفتُ أن يَسُمَّني. قال: وجعلتْ لِحيةُ الدَّلال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأما ابن الكلبيّ فإنه ذكر عن أبي مِسكين ولَقِيطٍ أن أيمن كتب بإحصاء من في المدينة من المخنثين ليعرفَهم، فيوفد عليه من يختاره للوِفادة؛ فظنّ أنه يريد الخِصاء فخصاهم.

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سَلّام قال حدّثني ابن جُعدُبة، ونسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدينيّ عن ابن جُعدُبة واللفظ له:

أن الذي هاج سليمانَ بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنّثين، أنه كان مستلقياً على فراشه في الليل، وجاريةٌ له الى جنبه، وعليها غِلالةٌ ورداء مُعَصْفَران، وعليها وِشاحان من ذهب، وفي عُنُقها فصلان من لؤلؤ وزَبَرْجد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَيرٌ الأيليّ يُغنّي، فلم يفكّر سليمانُ في غنائه شُغلاً بها وإقبالاً عليها، وهي لاهيةٌ عنه لا تجيبه مُصغيةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحوّل وجهه عنها مُغضباً، ثم عاد الى ما كان مشغولاً عن فهمه بها، فسمع سُمَيرا يُغنّي بأحسن صوت وأطيب نغمة:

---

(١) لم يتقدّم لثابت هذا ذكر في الكلام ولعله غلام الختان.

صوت

مَحجوبة سَمِعتْ صَوْتي فأرّقها ... من آخرِ الليل حتى شَفَّها السَّهَرُ[1]
تُدني على جِيدِها ثِنْيَيْ مُعصفَرةٍ ... والحَليُ منها على لَبّاتها خَصِرُ
في ليلة النصف ما يَدري مُضاجِعُها ... أوجهُها عنده أبهى أمِ القَمَرُ

ويروى :

أوجهُها ما يَرى أم وجهُها القَمَرُ

لو خُلِّيَتْ لَمَشَتْ نَحْوي على قَدَمٍ ... تكاد من رِقّةٍ للمشي تَنفَطِرُ

— الغناء لسُميرٍ الأيليّ رَمَلٌ مطلَقٌ بالبنصر عن حَبَش. وأخبرني ذُكاء وَجهُ الرُّزّة أنه سمع فيه لحناً للدّلال من الثّقيل الاول — فلم يشكُكْ سليمانُ أن الذي بها مما سمعت، وأنها تهوى سُميراً؛ فوجّه مِن وقته مَن أحضره وحبَسه، ودعا لها بسيف ونِطع، وقال: والله لَتَصْدُقِنّي أو لأضرِبَنّ عنقكِ! قالت: سَلْني عما تريد؛ قال: أخبريني عما بينك وبين هذا الرجل؛ قالت: والله ما أعرفه ولا رأيته قطّ، وأنا جارية مَنشئي الحجاز، ومن هناك حُمِلتُ إليك، ووالله ما أعرف بهذه البلادِ أحداً سواك؛ فرقّ لها وأحضر الرجلَ فسأله، وتلطّف له في المسئلة، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً، ولم تَطِبْ نفسُه بتخليته سَوِيّاً[2] فخصاه؛ وكتب في المخنّثين بمثل ذلك. هذه الرواية الصحيحة .

الأسف العام للخصاء :

وقد أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمي قال :

(١) ويروى : « حتى طلها السحر » . وفي المحاسن والأضداد ص ٢٩٣ : « لما بلها السحر » .
(٢) سوياً : كاملاً .

قيل للوليد بن عبد الملك: إن نساء قريش يدخل عليهن المخنثون بالمدينة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخلْ عليكن هؤلاء»؛ فكتب الى أبن حَزم الأنصاريّ أن أخصِهم، فخصاهم. فمرّ أبنُ أبي عَتِيق فقال: أخصَيتم الدّلال؟ أما والله لقد كان يُحسِن:

لِمَن رَبْع بذات الجيـش أمسى دارساً خَلَقَا
تأبّد[١] بعـد ساكنه فأصبح أهلـه فِرَقَا
وقفتُ بـه أسائله ومرّتْ عِيسُهم حِزَقا[٢]

ثم ذهب ثم رجع، فقال: إنما أعني خَفيفَه لستُ أعني ثَقيلَه.

أخبرني الحُسين بن يحيي عن حَمّاد عن أبيه عن الواقِديّ عن أبن الماجِشون:

أن خليفة صاحبَ الشُّرْطة لما خُصِيَ المخنّثون مرّ بأبيـه[٣] الماجشون وهو في حَلْقته، فصاح به: تعالَ، فجاءه، فقال: أخصَيتم الدلال؟ قال: نعم؛ قال: أما إنه كان يُجِيد:

لمن رَبْعٌ بذات الجيـش أمسى دارساً خَلَقَا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه، ثم قال: أستغفر الله إنما أعني هَزَجه لا ثقيلَه.

أخبرني الحُسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حَمزة النّوفَليّ قال:

صلّى الدّلالُ المخنّث إلى جانبي في المسجد، فضرَط ضَرْطة هائلة سمعها مَن في المسجد، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صَوته:

(١) تأبد: توحش.

(٢) حزقا: جماعات.

(٣) في الأصول: «مرّ بابن الماجشون» وهو تحريف، اذ الذي كان يعجبه الدلال ويستحسن غناءه ويدنيه ويقربه هو الماجشون لا أبنه، وأبن الماجشون هذا لم ير الدلال، وإنمـا تحدث اليه عنه أبوه.

سبَّح لك أعلايَ وأسفلي ؛ فلم يبق في المسجد أحدٌ إلا فُتن وقطع صلاته بالضَّحك

أخبرني الحُسين عن حمَّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه :

أن عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غنَّتك جاريتي فلانة .

لمن رَبعٌ بذات الجيـــش أمسى دارساً خَلَقا

لما أدركتَ ذكاتك[1] ؛ فقال : جُعِلتُ فِداك ، قد وَجَبتْ جنوبُها فكُلُوا منها وأطعِموا البائسَ الفقيرَ ؛ فقال عبد الله : يا غلام ، مُرْ فلانةَ أن تخرُج ، فخرجت معها عودُها ؛ فقال عبد الله : إن هذا الشيخَ يكره السَّماع ؛ فقالت : وَيْحه ! لو كره الطعامَ والشرابَ كان أقربَ إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ! فقالت : إنهما ربّما قتلا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله غنّي :

لمن رَبـعٌ بذات الجيـــش أمسى دارساً خَلَقا

فغنّت ، فجعل الشيخ يصفِّق ويرقُص ويقول :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زِيَمْ

ويحرِّك رأسه ويدور حتى وقع مغشياً عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني أبو غسَّان قال : مرّ الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك حاجّاً ، فغنّاه الدَّلال :

(١) كل مذبوح ذكاة؛ قال الله تعالى : ﴿ وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ﴾ أي إلا ما أدركتم ذكاته، والتذكية : أن تدرك الشاة وغيرها وفيها بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح؛ والمعنى أنها تلهيه بغنائها عن ذبح ذكاته فتموت ولا ينتفع بها .

بانت سُعادُ وأمسى حبلها انصرما وَاحتلّتِ الغَمْرَ(١) فالأجراعَ(٢) من إضَما(٣)

فقال له الغمر: أحسنتَ والله، وغلبتَ فيه ابنَ سُرَيج؛ فقال له الدّلال: نعمةُ الله عليّ فيه أعظمُ من ذلك؛ قال: وما هي؟ قال: السُّمْعة، لا يسمعه أحد إلا علِم أنه غناء مخنَّثٍ حقاً.

نسبة هذا الصوت:

صوت

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انصرما واحتلّت الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَما
إحدى بَليٍّ(٤) وما هام الفؤادُ بها إلا السَّفاهَ وإلا ذُكْرةً حُلُما
هلّا سألتِ بني ذُبيانَ ما حَسَبي إذا الدُّخان تَغشّى(٥) الأشمطَ البَرَما

الشعر للنابغة الذُّبيانيّ. والغناء للدّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسطى عن

(١) «الغور». والغمر: الماء الكثير أو بئر قديمة بمكة أو موضع بينه وبينها يومان.

(٢) الأجراع: جمع جرع وهو مفرد أو جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها.

(٣) إضم: واد بجبل تهامة هو الوادي الذي فيه المدينة. وقد ورد هذا البيت في ديوان النابغة الذبياني هكذا:

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما واحتلت الشرع فالأجزاع من إضما

وشرع: قرية على شرقيّ ذرةَ فيها مزارع ونخيل على عيون، وواديها يقال له رخيم. والأجزاع: جمع جزع بالكسر — وقال أبو عبيدة: اللائق به أن يكون مفتوحاً —: منعطف الوادي. وفي التاج (مادة أضم):

واحتلت الشرع فالحبتين من إضما

والحبت: المتسع من بطون الأرض.

(٤) بليّ كغنيّ: قبيلة من قضاعة. والسفاه: الطيش وخفة الحلم. والذكرة (بالكسر والضم): نقيض النسيان.

(٥) تغشى: تلبس. والأشمط: الذي خالطه الشيب. وخص الأشمط لانه أجزع للبرد من الشاب فهو يتغشى النار قبله. والبرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

الهشامي . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر لَمعبد عن عمرو بن بانة . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن حَبش . وفيه لنشيط ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه . وذكر الهشاميّ أن لحن مَعبد ثقيلٌ أوّل ، وذكر حمّاد أنه للغريض . وفيه لجميلة ودَحمان لحنان ، ويقال : إنهما جميعاً من الثقيل الأوّل .

احتكم اليه شيعي ومرجىء :

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاقَ إجازة عن أبيه عن المدائنيّ قال :

إختصم شيعيٌّ ومُرْجىءٌ[1] ، فجعلا بينهما أوّلَ من يطلع ، فطلع الدلال ؛ فقال له : أبا زيد ، أيّهما خيرٌ : الشيعيّ أم المرجىْ ؟ فقال : لا أدري إلا أن أعلاي شيعيّ وأسفلي مُرْجىْ !

هربه الى مكة :

قال إسحاق قال المدائنيّ وأخبرني أبو مِسكين عن فلَيح بن سُليمان قال :

كان الدّلال ملازماً لأمِّ سَعيد الاسلميَّة وبنتٍ ليحيى بن الحكم بن أبي العاصي ، وكانتا من أمجَنِ النساء ، كانتا تخرُجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلاخيلُهما ؛ فقال مُعاوية لمرْوانَ بنِ الحكم : إكفني بنتَ أخيك ؛ فقال : أفعل ؛ فأستزارها ، وأمر ببئرٍ فحفرتْ في طريقها ، وغُطِّيت بحصير ، فلما مشتْ عليه سقطتْ في البئر فكانتْ قبرَها . وطُلب الدّلال فهرَب إلى مكة ؛ فقال له نساء أهلِ مكة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا ! فقال : والله

(١) المرجئة : جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وكانوا يقولون : لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهم فرق أربع : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة .

ما قتلهنّ الا الحكاك؛ فقلن: اعزب أخزاك الله، ولا أدنى بك دارا، ولا آذانا بك؛ قال: فمن لكنّ بعدي يدلّ على دائكنّ ويعلم موضع شفائكنّ؟ والله ما زنيت قطّ ولا زُنيَ بي، وإني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم.

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن ابن الماجشون قال:

كان أبي يُعجبه الدّلال ويستحسن غناءه ويُدنيه ويقرّبه، ولم أره أنا، فسمعتُ أبي يقول: غنّاني الدّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر، فلقد خفتُ الفتنةَ على نفسي؛ فقلت: يا أبتِ، وأيّ شعر تغنّى؟ قال قوله:

صوت

عسى الله أن يُجري المودّةَ بيننا ... ويُوصلَ حبلاً منكمُ بحباليا
فكم من خليلَي جفوةٍ قد تقاطعا ... على الدهرِ لمّا أن أطالا التّلاقيا
وإني لفي كربٍ وأنتِ خليّةٌ ... لقد فارقتْ في الوصف حالُك حاليا
عتبتُ فما أعتبتِني بمودّة ... ورُمتُ فما أسعفتِني بسؤاليا

الغناء في هذا الشعر للغَريض ثقيلٌ أوّل بالوُسطى، ولا أعرف فيه لحناً غيرَه. وذكر حمّاد في أخبار الدّلال أنه للدّلال، ولم يجنّسه.

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ قال:

قدِم مخنّث من مكة يقال له مُخّة، فجاء الى الدّلال فقال: يا أبا زيد، دُلّني على بعض مخنّثي أهلِ المدينة أكايدْه وأمازِحه ثم أجاذبه؛ قال: قد وجدتُه لك — وكان خُثيم[1] بن عِراك بن مالك صاحبُ شُرْطة زِياد بن عبيد الله[2] الحارثيّ

(١) يوافق ما جاء في تهذيب التهذيب وطبقات ابن سعد (ج ٥ ص ١٨٧) وتقريب التهذيب وشرح القاموس.

(٢) موافق لما في الطبري (قسم ٢ ص ١٤٦٨ طبع أوروبا) وابن الأثير (ج ٥ ص ٣٤٥ طبع أوروبا).

جارَه، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلّي في المسجد - فأومأ إلى خُثَيم فقال: الحقه في المسجد فإنه يقوم فيه فيصلي ليرائي الناس، فإنك ستظفر بما تريد منه؛ فدخل[1] المسجدَ وجلس إلى جنب ابن عِراك، فقال: عجّلي بصلاتك لا صلى الله عليكِ؛ فقال خُثَيم: سبحانَ الله؛ فقال المخنث: سَبّحتِ في جامعةٍ[2] قَراصةٍ، انصرفي حتى أتحدّث معكِ؛ فانصرف خُثَيم من صلاته، ودعا بالشُّرَط والسِّياطِ فقال: خذوه، فأخذوه فضربه مائةً وحبسه.

اضحك الناس في الصلاة:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال:

صلّى الدّلالُ يوماً خلفَ الإمام بمكة فقرأ: ﴿وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ فقال الدّلال: لا أدري والله! فضحك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة؛ فلما قضى الوالي صلاتَه دعا به، وقال له: وَيلك! ألا تدعُ هذا المجونَ السفه! فقال له: قد كان عندي أنك تعبد الله، فلما سمعتُك تستفهم، ظننتُ أنك قد تشكّكتَ في ربك فثبّتُّك؛ فقال له: أنا شككتُ في ربي وأنت ثبّتني! إذهب لعنك الله! ولا تُعاودْ فأبالغَ والله في عقوبتك!.

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم قال:

سأل رجل الدّلال أن يزوّجه امرأة فزوّجه، فلما أعطاها صداقَها وجاء بها اليه فدخلت عليه، قام اليها فواقعها، فضرطتْ قبل أن يطأها، فكسل عنها الرجل ومقتها وأمر بها فأُخرجتْ وبعث إلى الدّلال، فعرّفه ما جرى عليه؛ فقال له الدّلال: فديتُك هذا كلّه من عزّة نفسها؛ قال: دَعني منك، فإني قد أبغضتُها، فارْدُد عليّ دراهمي، فردّ بعضَها؛ فقال له: لم رددتَ بعضها وقد خرجتْ كما دخلت؟

(١) ولعلها «فجاس في المسجد».

(٢) الجامعة: الغلّ لانها تجمع اليدين الى العنق.

قال : للروعة التي أدخلتها على أستها ، فضحك وقال له : اذهب فأنت أفقه الناس وأفقهم .

سكر مع فتية :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن أبيه ، قال وأخبرني به الحسين بن يحيي عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه :

أن الدلال خرج يوماً مع فتية من قريش في نزهة لهم ، وكان معهم غلام جميل الوجه ، فأعجبه ؛ وعلم القوم بذلك ، فقالوا : قد ظفرنا به بقية يومنا ، وكان لا يصبر في مجلس حتى ينقضي ، وينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النساء ؛ فغمزوا الغلام عليه ؛ وفطن لذلك فغضب ، وقام لينصرف ؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس ؛ وكان معهم شراب فشربوا ، وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ، ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم :

صوت

زبيرية بالعرج منها منازل ... وبالخيف من أدنى منازلها رسم (١)
أسائل عنها كل ركب لقيته ... وما لي بها من بعد مكتنا علم
أيا صاحب الخيات من بطن أرثد (٢) ... إلى النخل من ودان ما فعلت نعم
فإن تك حرب بين قومي وقومها ... فإني لها في كل نائرة (٣) سلم

(١) ويروى : « وبالخيف من أعلى منازلها رسم » .

(٢) أرثد : اسم واد بين مكة والمدينة في وادي الأبواء . وودان : قرية جامعة من نواحي الفرع ، بينها وبين هرشى ستة أميال ؛ وبينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال . ويروى « أربد » وهي : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب .

(٣) النائرة : العداوة والشحناء ، مشتقة من النار .

ذكر يحيى المكيّ وعمرو بن بانة أنّ الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوُسطى، وذكر غيرهما أنه للدّلال. وفيه لمخارق رَمَلٌ. وذكر إسحاق هذا اللحنَ في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد - قال: فاستُطير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نعيرُهم؛ فنذر[1] بهم السلطان، وتعادَت[2] الأشراط، فأحسُّوا بالطلب فهربوا؛ وبقيَ الغلام والدّلال ما يُطيقان بَراحاً من السكر؛ فأُخذا فأُتيَ بهما أمير المدينة؛ فقال للدّلال: يا فاسق؛ فقال له: من فمك إلى السماء؛ قال: جَئُوا[3] فَكّه؛ قال: وعنقه أيضاً. قال: يا عدوّ الله، أما وسعك بيتك حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به! فقال: لو علمتُ أنك تَغار علينا وتشتهي أن نفسق سرّاً ما خرجتُ من بيتي؛ قال: جردوه واضربوه حدّاً؛ قال: وما ينفعك من ذلك! وأنا والله أُضرَب في كل يوم حدوداً؛ قال: ومن يتولّى ذلك منك؟ قال: أُيورُ المسلمين؛ قال: ابطحوه على وجهه واجلسوا على ظهره؛ قال: أحسَب أن الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أناك. قال: أقيموه لعنه الله واشهروه في المدينة مع الغلام؛ فأُخرِجا يُدار بهما في السِّكَك. فقيل له: ما هذا يا دَلال؟ قال: اشتهى الأمير أن يَجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنك قوّاد غضب!. فبلغ قوله الواليَ فقال: خَلُّوا سبيلهما، لعنة الله عليهما.

شهادة معبد فيه:

قال إسحاق في خبره خاصّةً - ولم يذكره أيّوب - فحدّثني أبي عن ابن جامع عن سياط قال:

---

(١) نذر: علم.

(٢) تعادت: من العدو وهو سرعة الجري.

(٣) جئوا: اضربوا، يقال: وجأ عنقه يوجئه وربما قيل: يجأ (وزان يضع) والأمر هنا جاء على هذا التصريف.

سمعت يونسَ يقول قال لي مَعبد : ما ذكرتُ غِناء الدّلال في هذا الشعر :

زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْج منها مَنازِلُ

إلّا جدّد لي سروراً، ولَوَدِدتُ أني كنت سبقتُه اليه لحسنه عندي . قال يونس : فقلت له : ما بلغَ من حسنه عندك ؟ قال : يكفيك أني لم أسمع أحسنَ منه قطّ .

المخنثون :

أخبرني الحُسين عن حمّاد عن أبيه عن الهَيثم بن عديّ عن صالح بن حسان قال :

كان بالمدينة عُرس ، فاتّفق فيه الدّلال وطُوَيس والوَليد المخنّث ، فدخل عبد الرحمن بن حسّان، فلما رآهم قال : ما كنتُ لأجلسَ في مجلس فيه هؤلاء ؛ فقال له طويس : قد علمتَ يا عبدَ الرحمن نكايتي فيك وأن جَرحي إياك لم يندمل — يعني خبرَه معه بحضرة عبد الله بن جعفر ، وذكره لعمّته الفارِعة — فارْبَح نفسك وأقبِلْ على شأنك ؛ فإنه لا قيامَ لكَ بمن يَفهمك فهمي . وقال له الدّلال : يا أخا الأنصار إن أبا عبد النّعيم أعلمُ بكَ منّي ، وسأعلمك بعضَ ما أعلم به . ثم اندفع ونقر بالدُّفّ ، وكلُّهم ينقُر بدُفّه معه ، فتغنّى :

صوت

أتهجُر يا إنسانُ من أنتَ عاشقُهْ ومن أنتَ مشتاقٌ اليه وشائقُه (١)
وريمٍ أحمّ المقلتين موشّح زرابيُّه (٢) مبثُوثةٌ ونَمارقُه
ترى الرَّقمَ (٣) والدِّيباجَ في بيته معاً كما زيّنَ الروضَ الأنيقَ (٤) حدائقُه

---

(١) ويروى : « وو امقه » .

(٢) الزرابيّ : البسط . وقيل : كل ما بسط واتّكئ عليه . والنمارق : الوسائد .

(٣) الرقم : ضرب مخطّط من الوشي أو الخز أو البرود .

(٤) ويروى : « الروض الأثيث » والاثيث : الكثير ، العظيم .

وسرب ظباء ترتعي جانب الحمى   الى الجو[1] فالخبتين بيض عقائقه[2]
وما من حمى في الناس إلا لنا حمى   وإلا لنا غربيه ومشارقه

فاستضحك عبدُ الرحمن وقال: اللهم غفراً، وجلس.

لحنُ الدلال في هذه الأبيات هزجٌ بالبنصر عن يحيى المكي وحماد.

استدعاء الخليفة له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الجمحي عن محمد ابن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعتُ عمي عتبة يقول حدثني مولى للوليد بن عبد الملك قال:

كان الدلال ظريفاً جميلاً حسنَ البيان، من أحضرِ الناس جواباً وأحجّهم؛ وكان سليمانُ بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصِيَ غلطاً، فوجّه اليه مولى له وقال له: جئني به سِراً، وكانت تبلغه نوادرُه وطيبُه، وحذّر رسولَه أن يعلم بذلك أحدٌ؛ فنفذ المولى اليه وأعلمه ما أمره به، وأمره بالكتمان وحذّره أن يقف على مقصده أحدٌ، ففعل، وخرج به الى الشام؛ فلما قدم أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمانَ بمكانه؛ فدعا به ليلاً؛ فقال: ويلك ما خبرُك؟ فقال: جُبِبتُ من القُبُل مرّة أخرى يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تجُبّني المرّة من الدُّبُر؟! فضحك وقال: اعزُبْ أخزاك الله. ثم قال له: غنِّ؛ فقال: لا أحسن إلا بالدفّ؛ فأمر فأُتي له بدُفّ، فغنّى في شعر العَرْجي:

أفي رسم دارٍ دمعُك المتحدّرُ   سفاها وما استنطاقُ ما ليس يُخبِرُ
تغيّر ذاك الربعُ من بعد جِدّةٍ   وكلُّ جديدٍ مرّةً متغيّرُ

---

(١) الجو والخبتان: كلاهما موضع.

(٢) الاقرب ان يكون «بيض عقائقه» مرتبطاً بالموضع الذي قبله، وأن يكون المراد بالعقائق: النهاء (جمع نهي بالكسر) والغدران في الاخاديد المنعقّة (العميقة).

لأسماء إذ قلبي بأسماء مُغرَمٌ وما ذكرُ أسماء الجميلةِ مُهجِرُ
ويَمشي ثلاثٍ بعد هَدْءٍ(١) كواعبٍ كمثل الدُّمى بل هُنّ من ذاك أنضَرُ
فسلَّمن تسليماً خفياً وسقَّطت مَصاعِبةٌ(٢) ظُلعٌ من السيرِ حُسَّرُ
لها أرَجٌ من زاهر البَقْل والثرى وبُرْدٌ إذا ما باشر الجلدَ يَخصَرُ(٣)
فقالت لِترْبيها الغداةَ تبقَّيا(٤) بعينٍ ولا تَستبعِدا حين أبصِرُ
ولا تُظهرا بُرْدَيكما وعليكما كساءان من خزٍّ بنَقْشٍ(٥) وأخضرُ
فعدّى فما هذا العتابُ بنافع هواي ولا مُرجي الهوى حين يُقصِرُ

فقال له سليمان : حقَّ لك يا دَلال أن يقال لك الدّلال ! أحسنتَ وأجملتَ. فوالله ما أدري أيّ أمرَيك أعجب: أسرعةُ جوابك وجودةُ فهمك أم حُسنُ غنائك، بل جميعاً عَجَب! وأمر له بصلة سَنِيَّة ؛ فأقام عنده شهراً يشرب على غِنائه، ثم سرّحه الى الحجاز مُكرماً .

قصته مع قائد :

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال :

حجّ هِشام بن عبد الملك، فلما قدم المدينةَ نزل رجلٌ من أشراف أهل الشام وقوّادهم بجنب دار الدّلال، فكان الشاميّ يسمع غِناء الدّلال ويُصغي اليه ويصعَد فوق السطح ليقرُبَ من الصوت ؛ ثم بعث الى الدلال : إمّا أن تزورنا وإما

---

(١) الهدء : الهزيع من الليل، وقيل : من أوّله الى ثلثه وذلك ابتداء سكونه .

(٢) مصاعبة : جمع مصعب وهو الفحل الذي تركته فلم تركبه ولم يمسه حبل حتى صار صعباً .

(٣) يخصر : يبرد .

(٤) تبقيا بعين أي انتظرا بمرأى مني، يقال: بقاه وبقّاه وأبقاه وتبقّاه كله بمعنى انتظره . ويروى :« فقالت لتربيها فديت تنقبا بعين ... » . وأيضاً : « فقالت لتربيها الغداة تنقبا لعين ... » .

(٥) ويروى : « بنفس » .

أن تزورك؛ فبعث اليه الدّلال: بـل تزورنا، فتهيأ الشاميّ ومضى اليه، وكان للشاميّ غلمان رُوقة[١]، فمضى معه بغلامين منهم كأنهما دُرّتان؛ فغنّاه الدلال:

قد كنتُ آملُ فيكمُ أمـلًا والمرء ليس بمُدركٍ أملَهْ
حتى بـدا لي منكمُ خُلفٌ فزجرتُ قلبي عن هوىً جَهلَهْ[٢]
ليس الفتى بمخلّـدٍ أبـداً حقًّا وليس بفائتٍ أجلَـهْ
حيِّ العَمُودَ ومن بعَقْـوته[٣] وقِفَا العمودِ وإن جـلا أهلَهْ[٤]

قال: فأستحسن الشامي غناءه، وقال له: زدني؛ فقال: أو ما يكفيك ما سمعت؟ قال: لا والله ما يَكفيني؛ قال: فإن لي اليك حاجةً؛ قال: وما هي؟ قـال: تبيعني أحدَ هذين الغلامين أو كليهما؛ قال: أختر أيّهما شئتَ؛ فأختار أحدَهما؛ فقال الشاميّ: هو لك، فقبِله الدّلال، ثم غنّاه:

دَعَتني دَواعٍ من أُرَيًا فهيَّجتْ هوًى كان قِدْماً من فؤادٍ طَرُوبِ
لعلَّ زماناً قد مضى أن يعود لي فتَغفِرَ أرْوى عند ذاك ذنوبي
سبَتني أُرَيًا يوم نَعفِ مُحَسِّرٍ[٥] بوجهٍ جميـلٍ للقلوبِ سَلُوبِ

فقال له الشاميّ: أحسنتَ! ثم قال له: أيها الرجل الجميل، إن لي اليك حاجةً؛ قال: وما هي؟ قال: أريد وصيفةً وُلدت في حِجْرٍ صالحٍ، ونشأت في خـير، جميلةَ الوجه مجدولةً، وَضِيئةً، جَعْدةً[٦]، في بياض مُشرَبةً حُمرةً، حسنةَ القامة،

(١) الروقة: الحسان، يقال: غلمان روقة وجارية روقة.

(٢) ويروى: فزجرت قلبي فارعوى جهله.

(٣) العقوة: الساحة.

(٤) كذا في جميع الأصول، ولا يخفى ما فيه من عيوب الشعر.

(٥) النعف: المرتفع من الارض في اعتراض. وقيل: ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيـه صعود وهبوط. ومحسر: موضع بين مكة وعرفة، وقيل: بين منى وعرفة، وقيل: بـين منى والمزدلفة.

(٦) الجعدة: التي في شعرها جعودة.

سَبْطَةً(١)، أَسِيلةَ الخدِّ، عَذْبَةَ اللسان، لها شِكْلٌ ودَلٌّ، تملأ العينَ والنفسَ . فقال له الدلال : قد أصبتُها لك، فما لي عليك إن دَلَلْتُك ؟ قال : غلامي هذا ؛ قال : إذا رأيتَها وقَبِلتَها فالغلام لي ؟ قال : نعم؛ فأتى أمرأةً كَنَّى عن أسمها، فقال لها : جُعِلْتُ فداكِ ! إنه نَزَل بقُرْبي رجلٌ من أهل الشام من قوّاد هشام له ظَرْفٌ وسخاء، وجاءني زائراً فأكرمتُه، ورأيتُ معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزّاهرة؛ ما وقعتْ عيني على مثلهما ولا يَنطلق لساني بوصفهما، فوهب لي أحدَهما والآخرُ عنده؛ وإن لم يَصِل إليّ فنَفْسي خارجةٌ . قالت : فتريد ماذا ؟ قال : طلب منّي وصيفةً يشتريها على صِفَةٍ لا أعلمها في أحدٍ إلا في فلانةَ بِنتِك، فهل لك أن تُرِيَها له ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفع الغلامَ اليك اذا رآها ؟ قال : فإني قد شرَطْتُ عليه ذلك عند النَّظر لا عند البَيْع، قالت : فشأنَك ولا يعلمْ أحدٌ بذلك . فمضى الدّلال فجاء الشاميُّ معه؛ فلما صار الى المرأة أدخلَتْه، فإذا هو بحَجَلةٍ(٢) وفيها أمرأةٌ على سريرٍ مُشرِفٍ بَرْزَةٌ جميلةٌ، فوُضع له كرسيٌّ فجلس؛ فقالت له : أمِنَ العرب أنت ؟ قال : نعم؛ قالت : من أيّهم ؟ قال : من خُزاعة؛ قالت : مرحباً بك وأهلاً، أيَّ شيء طلبتَ ؟ فوَصف الصِّفةَ؛ فقالت : أصبتَها، وأصغَتْ(٣) الى جاريةٍ لها فدخلت فمكثتْ هُنَيهةً ثم خرَجتْ، فنظرَتْ اليها المرأةُ فقالت لها : أي حبيبتي، اخرجي؛ فخرجت وصيفةٌ ما رأى الرّاؤون مثلَها؛ فقالت لها : أقبِلي فأقبلتْ، ثم قالت لها : أدبِري، فأدبرَتْ تملأ العينَ والنفسَ؛ فما بقي منها شيءٌ إلا وَضع يدَه عليه . فقالت : أتحِبّ أن نُؤزِّرَها لك ؟ قال : نعم؛ قالت : أي حبيبتي ائتزِري، فضمّها الإزارُ وظهرَت محاسنُها الخفيّة وضرب بيده على عجيزتها وصَدْرِها، ثم قالت : أتحِبّ أن نُجرِّدها لك ؟ قال : نعم؛ قالت : أيْ حبيبتي وضِّحي؛ فألقت إزارَها فإذا أحسنُ خَلْق الله

(١) يقال : غلام سبط الجسم اي حسن القدّ لطيفه . وفي بعض النسخ : « شاطّة » اي حسنة القوام في اعتدال .

(٢) الحجلة : بيت يزين بالثياب والاسرّة والستور .

(٣) أي مالت اليها برأسها .

كأنها سبيكة. فقالت: يا أخا أهل الشام كيف رأيتَ؟ قال: مُنية المتمنّي؛ قال: بكم تقولين؟ قالت: ليس يومُ النظر يومَ البَيع، ولكن تعود غداً حتى نُبايعَك ولا تنصرف إلا على الرّضا. فانصرف من عندها؛ فقال له الدّلال: أرَضيتَ؟ قال: نعم، ما كنت أحسَب أن مثل هذه في الدنيا، فإن الصفة لتَقصُر دونها؛ ثم دفع اليه الغلامَ الثاني. فلما كان من الغدِ قال له الشاميّ: امضِ بنا، فمضيا حتى قرعا البابَ؛ فأُذِن لهما، فدخلا وسلّما، ورحّبت المرأةُ بهما ثم قالت للشاميّ: أعطِنا ما تبذُل؛ قال: ما لها عندي ثمنٌ إلا وهي أكبرُ منه، فقولي يا أَمَةَ الله؛ فقالت: بل قُل، فإنا لم نُوطِئْكَ أعقابَنا ونحن نريد خِلافَك وأنت لها رِضاً؛ قال: ثلاثة آلاف دينار؛ فقالت: والله لَقُبلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار؛ قال: بأربعة آلاف دينار؛ قالت: غفَر اللهُ لك! أعطنا أيّها الرجل؛ قال: والله ما معي غيرُها - ولو كان لزِدتُكِ - إلا رَقيقٌ ودوابٌّ وخُرْثِيٌّ[1] أحمله اليك؛ قالت: ما أراكَ إلا صادقاً، أتدري مَن هذه؟ قال: تُخبرينني، قالت: هذه ابنتي فلانةُ بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنت أردتُ أن أعرِضَ عليك وصيفةً عندي، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غِلَظ أهلِ الشام وجفاءهم ذكرتَ ابنتي فعلمتَ أنكم في غير شيء، قُمْ راشداً. فقال للدّلال: خدعتَني! قال: أوَ لا تَرضى أن تَرى ما رأيتَ من مثلها وتَهب مائةَ غلام مثلَ غلامك؟! قال: أمّا هذا فنعم، وخرجا من عندها.

نسبة ما عُرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

قد كنتُ آمُلُ فيكمُ أمَلاً ... والمرءُ ليس بمُدرِكٍ أمَلَه
حتى بدا لي منكم خُلُفٌ ... فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَه

---

(١) الخرثي: متاع البيت وأثاثه، وهو أيضاً أردأ المتاع.

الشعر للمُغيرة بن عمرو بن عثمان . والغناء للدّلال ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثّقيل الاول بالبِنصر في مَجراها ؛ وجدتُه في بعض كتب إسحاقَ بخط يده هكذا . وذكر عليّ بن يحيى المنجّم أن هذا اللحن في هذه الطريقة لأبن سُرَيج ، وأن لحن الدّلال خفيفُ ثقيلٍ نَشِيد . وذكر أحمد بن المكّي أن لحن الدّلال ثاني ثقيلٍ بالوُسطى ، ولحن ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لمتيَّمَ وعَريبَ خفيفاً ثقيلٍ ، المُطلَقُ المُسجحُ منهما لعَريبَ .

ومنها :

صوت

دَعتْني دواعٍ من أُرَيًا فهيَّجتْ هوًى كان قِدْماً من فؤادٍ طروبِ
سبَتْني أُرَيًا يوم نَعْفِ مُحسِّرٍ بوجهٍ صَبيحٍ للقلوبِ سَلوبِ
لعلّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي وتغفِر أرْوى عند ذاكَ ذنوبي

الغناء للدّلالِ خفيفُ ثَقيل أول بالوُسطى في مَجراها من رواية حمّاد عن أبيه ؛ وذكر يحيي المكّي أنه لأبن سُرَيج .

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن أبي قَبيصة قال :

جاء الدّلال يوماً الى منزل نائلةَ بنت عمّار الكلبي ، وكانت عند معاوية فطلّقها ، فقرَع البابَ فلم يُفتح له ، فغنى في شعر مجنون بني عامرٍ ونقَر بدُفّه :

خليليّ لا والله ما أملِكُ البُكا إذا عَلَمٌ من أرض لَيلى بَدا ليا
خليليّ إن بانوا بلَيلى فهيِّئا ليَ النّعشَ والأكفانَ واستغفِرا ليا

فخرج حشَمُها فزجَروه وقالوا : تَنحّ عن الباب . وسمِعتِ الجَلَبة ، فقالت : ما هذه الضّجّة بالباب ؟ فقالوا : الدّلال ؛ فقالت : ائذنوا له . فلما دخل عليها شقّ ثيابه

وطرَح الترابَ على رأسه وصاح بوَيله وحَرَبه؛ فقالت له : الوَيلُ ويلك ! ما دهاك ؟ وما أمرُك ؟ قال : ضرَبني حَشَمُك ؛ قالت : ولِمَ ؟ قال : غنّيتُ صوتاً أريد أن أُسمِعَكِ إيّاه لأدخلَ اليك ؛ فقالت : أفٍّ لهم وتُفٍّ ! نحن نبلّغ لك ما تحبّ وتُحسن تأديبَهم ؛ يا جارية هاتي ثياباً مقطوعةً ؛ فلما طُرِحت عليه جلس ؛ فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألكِ حاجةً حتى أغنّيَك ؛ قالت : فذاك اليك ؛ فاندفع يغنّي شعرَ جميل :

إرحميني فقد بَليتُ فحَسْبي بعضُ ذا الداء يا بُثَينَةُ حَسْبي
لامني فيكِ يا بُثَينةُ صَحْبي لا تلوموا قد أقرح الحبُّ قلبي
زعَم الناسُ أن دائيَ طِبّي أنتِ واللهِ يا بثينة طِبّي [1]

ثم جلس، فقال: هل من طعام ؟ قالت : عليّ بالمائدة؛ فأُتِيَ بها كأنها كانت مُهيأةً عليها أنواعُ الأطعمة، فأكل . ثم قال : هل من شرابٍ ؟ قالت : أمّا نبيذٌ فلا، ولكن غيرُه . فأُتِيَ بأنواع الأشربة فشرِب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأُتِيَ بأنواع الفواكه فتفكّه . ثم قال : حاجتي خمسةُ آلاف درهمٍ ، وخمسُ حُلَل من حلل معاويةَ، وخمس حلل من حلل حبيب بن مَسلَمة، وخمس حلل من حلل النُّعمان بن بَشير؛ فقالت : وما أردتَ بهذا ؟ قال : هو ذاك والله ما أرضى ببعض دون بعضٍ، فإمّا الحاجة وإما الردّ؛ فدعتْ له بما سأل؛ فقبَضه وقام . فلما توسّط الدارَ غنّى ونقَر بدُفّه :

ليت شعري أجفوةٌ أم دلالٌ أم عدوٌّ أتى بُثينة بعدي
فمُريني أُطِعْكِ في كل أمرٍ أنتِ واللهِ أوجهُ الناس عندي

وكانت نائلةُ عنـد معاويةَ، فقال لفاخِتَةَ بنتِ قَرَظَة [2] : اذهبي فانظري اليها،

(١) ويروى : أنت والله يا حبيبتك طبي

(٢) يوافق ما في الطبري (قسم اول ص ١٨٨٩ طبع أوربا) .

فذهبتْ فنظرتْ اليها؛ فقالت له : ما رأيتُ مثلَها؛ ولكنّي رأيت تحت سُرّتها خالًا ليُوضَعَنّ منه رأسُ زوجها في حجرها؛ فطلقها معاوية؛ فتزوّجها بعده رجلان: أحدهما حبيبُ بن مَسلَمة، والآخر النُّعمان بن بَشِير؛ فقُتل أحدُهما فوُضع رأسُه في حجرها.

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

صوت

خليليَّ لا واللهِ ما أملِكُ البكا إذا علَمٌ من أرض ليلى بَدا ليا
خليليَّ إن بانوا بليلى فَهيِّئا ليَ النعشَ والأكفان واستغفِرا ليا
أمضروبةٌ ليلى على أن أزورها ومُتَّخَذٌ ذنباً لها أن تَرانيا
خليليَّ لا واللهِ ما أملِكُ الذي قضى اللهُ في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبّها فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

الشعر للمجنون. والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشاميّ أن فيه لحناً لمَعبَد ثقيلًا اول لا يشك فيه؛ قال: وقد قال قوم: إنه منحول ليحيى المكيّ. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ أيضاً. وفيه ليحيى المكيّ رَمَلٌ من رواية ابنه أحمدَ. وفيه خفيفُ رَمَلٍ عن أحمد بن عُبَيد لا يُعرف صانعه.

ومنها:

صوت

ليت شعري أجفوةٌ أم دَلالٌ أم عَدُوٌّ أتى بثينةَ بَعدي

فمُريني أُطِعْـكَ في كل أمرٍ   أنت والله أوجهُ الناسِ عندي

الشعر لَجميل . والغناء لابن مُحرز خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابـة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لعَلُّوَيْهِ خفيفُ ثقيلٍ آخر . وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيف ثقيلٍ بالوُسطى لَمعبد . وذكر إسحاق أن فيه رملًا بالبنصر في مجراها ولم ينسبه الى أحد ، وذكر الهشاميّ أنه لمالك . وفيه لُمتيَّمَ خفيفُ رَمَـل . وفيه لعريبَ ثقيلٌ أوّل . وذكر حَبشُ أن فيه للغريض ثقيلًا أوّل بالبنصر . ولمعبد فيه ثقيلٌ أوّل بالوُسطى . وذكر ابنُ المكيّ أن فيه خفيفَ ثقيلٍ لمالك وعَلُّوَيْهِ .

غنى في زفاف :

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن عَوانـة بن الحكم قال :

لما أراد عبد الله بن جعفر إهداءَ[1] بنته إلى الحجّاج ، كان ابنُ أبي عَتيق عنده ، فجاءه الدّلال مُتعرّضاً فاستأذن ، فقال له ابنُ جعفر : لقد جئتنا يا دَلالُ في وقت حاجتنا اليك ؛ قال : ذلك قصدتُ ؛ فقال له ابنُ أبي عَتيق : غَنِّنا ؛ فقال ابن جعفر : ليس وقت ذلك ، نحن في شغل عن هذا ؛ فقال ابنُ أبي عَتيق : وربِّ الكعبة ليُغنّيَنّ ؛ فقال له ابنُ جعفر : هاتِ ، فغنّى ونقر بالدُّفّ — والهوادجُ والرّواحل قد هُيئت ، وصُيّرت بنت ابنِ جعفر فيها مع جواريها والمشيّعين لها — :

يا صاح لو كنتَ عالمًا خبِراً   بما يـلاقي المحبُّ لم تَلُمْه[2]

(١) الإهداء : الزفاف .

(٢) لم تلمه ، أصل ميمه الإسكان فنقلت اليه ضمة الهاء كقوله :

عجبت والدهر كثير عجبه   من عنزيّ سبني لم أضربه

نقل ضمة الهاء الى الباء .

لا ذنبَ لي في مُقَرَّطٍ[1] حسنٍ أعجبني دَلُّه ومُبتَسَمُهْ
شيمتُه البخلُ والبِعادُ لنا يا حبّذا هُوْ وحبّذا شِيَمُهْ
مُضَمَّخٌ بالعَبير عارِضُه طُوبى لمن شمه ومَن لَثَمُهْ[2]

– قال: ولابن مُحرز في هذا الشعر لحنٌ أجود من لحن الدّلال – فطرِب ابن جعفر وابنُ أبي عَتيق؛ وقال له ابن جعفر: زِدْني وطرِب؛ فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنّى:

بكر العواذِلُ في الصبا ح يَلُمْنَني وألومُهُنَّهْ
ويَقُلن شيبٌ قد علا ك وقد كَبِرتَ فقلتُ إنّهْ

ومضتْ بنت ابن جعفر فأتبعها يُغنّيها بهذا الشعر. ولعبد آل الهُذليّ فيه لحنٌ وهو أحسنُها:

إن الخليط أجدّ فاحتملا وأراد غيظَك بالذي فعَلَا
فوقفتُ أنظر بعض شأنهمُ والنفسُ مما تأمل الأمَلَا
وإذا البِغال تُشَدُّ صافِنةً[3] وإذا الحُداةُ قد أزمعوا الرِّحَلَا
فهناك كاد الشوقُ يقتلني لو أنّ شوقاً قبله قَتَلَا

فدمِعَتْ عينا عبد الله بن جعفر، وقال للدلال: حسبك فقد أوجعتَ قلبي، وقال لهم: امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نَقيبة.

---

(١) المقرط: المتحلي بالقرط. ويروى: «مقرطق». والمقرطق: لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد.

(٢) لثمه، أصل ميمه الفتح فنقلت اليه ضمة الهاء بعده على لغة لخم، لأنهم يجيزون في الوقف نقل حركة الحرف الأخير الى المتحرك قبله كقوله: «من يأتمر بالخير فيما قصدُه».

(٣) تشدّ: تهيأ عليها الرحال، والصافن من الخيل ونحوه: القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بكرَ العواذلُ في الصَّبا ح يَلُمْنَني وألومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شيبٌ قد علا ك وقد كبِرتَ فقلتُ إنّهْ
لا بدَّ من شيبٍ فـدَعْـــنَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ
يَمشِينَ كالبقرِ الثِّقا ل عمدن نحو مُراحِهِنَّهْ[1]
يَخفَيْنَ في المَمْشى القريـــبِ إذا يُرِدن صديقَهُنَّهْ

الشعر لابن قيس الرُّقَيّات . والغناء لابن مِسجج خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثقيلٌ أوّل للغريض عن الهِشاميّ . وفيه خفيف ثقيلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هَبّار عن الهِشاميّ ودَنانيرَ ، وذكر حَبشٌ أنه ليعقوب .

ومنها :

صوت

إن الخليط أجدّ فاحتملا وأراد غيظك بالذي فعلا

الأبيات الأربعة .

الشعر لعمرَ بن أبي ربيعة . والغناء للغريض ثقيــلٌ أوّل بالسبابة عن يحيي المكيّ . وفيه ليحيي أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوُسطى من رواية أحمدَ ابنه ، وذكر حبشٌ أن هذا اللحن لِبَسباسة بنتِ مَعبد .

---

(١) المراح : مأوى الإبل والبقر والغنم .

الحانه :

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقفيّ قال :

كان للدّلال صوت يُغنّي به ويُجيده ، وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائةَ دينار ففعل ، وهو قول عمر :

صوت

ألم تسألِ الأطلالَ والمُتَرَبَّعَا ... ببطن حُلَيَّاتٍ دوارسَ بَلْقَعَا
إلى السَّرحِ من وادي المُغَمَّس بُدِّلَتْ ... مَعالمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعَا
وقرَّبْنَ أسبابَ الهوى لمُتَيَّم ... يَقِيس ذراعاً كلَّما قِسنَ إصبَعَا
فقلتُ لمُطْرِيهِنَّ في الحسن إنَّما ... ضَرَرْتَ فهل تَسطيع نفعاً فتَنْفَعَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، والآخرُ في الثالث والرابع ثاني ثقيلٍ بالبنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفي الأوّل والثاني للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رَمَلٌ بالوسطى عنه أيضاً . وقال يونس : لمالك فيه لحنانِ ولمعبد لحنٌ واحد .

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني هِشام بن المُرِّيّة قال :

كنّا نعرف للدّلال صوتين عجيبيْن ، وكان جرير يغنّي بهما فأعجبُ من حسنهما ، فأخذتُهما عنه وأنا أغنّي بهما ؛ فأمّا أحدهما فإنّه يُفرح القلبَ ، والآخر يُرقص كلٌّ من سمعه ؛ فأمّا الذي يفرح القلبَ فلابن سُرَيج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو :

ولقد جرى لك يوم سَرْحَةِ[1] مالكٍ   بما تَعيَفُ سانحٌ وبَريحُ
أحوى القوادِمِ بالبياض مُلَمَّعٌ   قَلِقُ المواقِعِ بالفراق يَصيحُ
الحبُّ أبغضُه إليَّ أقلُّه   صَرِّحْ بذاك فراحتي التَّصريحُ
بانت عُوَيْمَةُ[2] فالفؤاد قَريحُ   ودموعُ عينك في الرِّداء سُفوحُ

والآخر :

كلما أبصرتُ وجهاً   حسناً قلتُ خَليلي
فإذا ما لم يَكُنْهُ   صِحتُ وَيْلي وعَويلي
فصلي حبلَ مُحبٍّ   لكُمُ جِدِّ وَصُولِ
وأنظري لا تخذُليه   إنه غيرُ خَذولِ

نسبة هذين الصوتين

للدَّلال في الشعر الأوّل الذي أوّله :

ولقد جرى لك يوم سَرْحَةِ مالكٍ

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ . وقال حَبشٌ : إن للدَّلال فيه لحنين خفيفَ ثقيلٍ أوّل وخفيفَ رَمَلٍ . وأوّلُ خفيف الرَّمَل :

بانت عُوَيْمَةُ فالفؤادُ قَريحُ

وذكر أن لحن ابن سُرَيج ثاني ثقيل ، وأن لابن مِسجح فيه أيضاً خفيفَ ثقيل .

والصوت الثاني الذي أوّله :

كلّما أبصرتُ وجهاً   حسناً قلتُ خليلي

---

(١) ويروى : « سرحة رائع » .

(٢) ويروى : « عوينة » .

الغناء فيه لعَطَرّد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبش، ويقال إنه للدّلال. وفيه ليونس خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لإبراهيمَ الموصليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو.

شراب وعربدة:

أخبرني الحُسين عن حمّاد عن أبيه عن مُصعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال:

كان الدّلال لا يشرب النبيذَ، فخرج مع قوم إلى متنزّه لهم ومعهم نَبيذٌ، فشربوا ولم يشرب منه، وسَقَوْه عسلاً مجدوحاً[1]، وكان كلّما تغافل صيّروا في شَرابه النبيذَ فلا يُنكره، وكثُر ذلك حتى سكر وطَرب، وقال: اسقُوني من شَرابكم، فسقَوْه حتى ثَمِل، وغنّاهم في شعر الأحوص:

طاف الخيالُ وطاف الهمُّ فاعتكرا ... عند الفراشِ فبات الهمُّ مُحتضِرا[2]
أراقب النَّجمَ كالحيران مُرتقِباً ... وقَلّص النومُ عن عينيّ فانشمرا
من لوعةٍ أورثتْ قرحاً على كبدي ... يوماً فأصبح منها القلب مُنفطِرا
ومن يَبِتْ مُضمِراً همّاً كما ضَمِنتْ ... منّي الضُّلوعُ يَبِتْ مُستبطِناً غِيَرا

فاستحسنه القومُ وطربوا وشربوا. ثم غنّاهم:

طربتَ وهاجك من تذكُرْ ... ومن لستَ من حبّه تعتذِرْ
فإن نلتُ منها الذي أرتجي ... فذاك لعمري الذي أنتظِرْ
وإلا صبرتُ فلا مُفحِشاً ... عليها بِسوءٍ ولا مُبتهِرْ[3]

---

(١) المجدوح: المخلوط.

(٢) ويروى:

طاف الخيال وطال الليل فاعتكرا ... عند الفراش فآب الهم محتفرا

واعتكر الليل: اشتدّ سواده، واعتكر أيضاً: اختلط. ومحتفرا: حاضرا، يقال: حفر الهمّ واحتفر.

(٣) الابتهار: قول الكذب والحلف عليه. ويروى: «منتهر» بالنون.

– لحن الدّلال في هذا الشعر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حَبش . قال : وذكر قومٌ أنه للغريض –

قال : وسكِر حتى خَلَع ثيابَه ونام عُرياناً ، فغطّاه القومُ بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلًا فنوّموه وانصرفوا عنه ، فأصبح وقد تقيّأ ولوّث ثيابَه بقَيْئه ، فأنكر نفسَه وحلف ألّا يُغنّيَ أبداً ولا يُعاشرَ من يَشرب النبيذ ، فوفّى بذلك إلى أن مات . وكان يجالس المَشْيَخةَ والأشراف فيُفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه .

إنقضت أخبار الدلال .

ومما في شعر الاحوص من المائة المختارة

صوت

من المائة المختارة

يا دِينَ[1] قلبِكَ منها لستَ ذاكرَها ... إلّا تَرَقرقَ ماءُ العينِ أو دَمَعَا
أدعو إلى هجرها قلبي فيَتبَعُني ... حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعَا
لا أستطيعُ نُزوعاً عن مَحبّتها ... أو يَصنعَ الحبُّ بي فوق الذي صنَعَا
كم من دنيٍّ[2] لها قد صِرتُ أتبعُه ... ولو سَلَا القلبُ عنها صار لي تَبَعَا
وزادني كَلَفاً في الحبِّ أن منعت[3] ... وَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا[4]

(١) المراد بالدين هنا الداء ، قال الشاعر :

يا دين قلبك من سلمى وقد دينا

قال المفضل : معناه يا داء قلبك القديم . وقال اللحياني : المعنى يا عادة قلبك .

(٢) الدني : الخسيس الحقير .

(٣) يحتمل أن يكون «منعت» مبنياً للفاعل او للمفعول .

(٤) أورد النحويون هذا البيت شاهداً على أن «حبّ» أفعل تفضيل حذفت همزته مثل خير وشرّ ، إلا أن الحذف فيهما هو الكثير والحذف في أحب قليل . وفي اللسان (مادة حبب) : «وأنشد الفراء :

وزاده كلفا في الحبّ أن منعت ... وحبّ شيئاً الى الإنسان ما منعا

قال : وموضع «ما» رفع ، أراد حَبُب فأدغم» .

الشعر للأحوص. والغناء ليحيى بن واصل المكيّ، وهو رجلٌ قليلُ الصَّنعة غير مشهور ولا وجدتُ له خبراً فأذكره. ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه.

محبوبة الأحوص:

أخبرني الحرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا مطرّف ابن عبد الله المدنيّ قال حدّثني أبي عن جدّي قال:

بينا أطوف في البيت ومعي أبي، إذ أنا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر، فقال لي أبي: أتعرف هذه؟ قلت: لا، ومن هي؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص:

يا سَلْمُ ليت لساناً تنطقين به　　قبلَ الذي نالني من حُبّكم قُطِعا
يَلومُني فيكِ أقوامٌ أجالسهم　　فما أبالي أطارَ اللّومُ أم وَقَعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني　　حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعا

قال: فقلت له: يا أبتِ، ما أرى أنه كان في هذه خيرٌ قطّ؛ فضحك ثم قال: يا بُنيّ، هكذا يصنع الدهرُ بأهله.

حدّثنا به وكيع قال حدّثنا ابن أبي سَعد قال حدّثنا إبراهيم بن المُنذر قال حدّثنا أبو خُوَيلد مطرّف بن عبد الله المدنيّ عن أبيه، ولم يقل عن جدّه، وذكر الخبر مثلَ الذي قبله.

صوت

من المائة المختارة

كالبَيْض بالأدحيّ يلمعُ في الضُّحى　　فالحسنُ حسنٌ والنعيمُ نعيمُ

حلَّينَ من[1] دُرِّ البحورِ كأنـــه فوق النحورِ إذا يَـلوحُ نجومُ

الأُدْحيّ: المواضع التي يبيض فيها النَّعام، واحدتها أُدْحِيَّـةٌ[2] وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ أن الأُدحيّ البَيْضُ نفسه. ويقال فيه أُدحيٌّ وأداحٍ أيضاً.

الشعر لطُرَيح بن إسماعيلَ الثَّقفيّ. والغناء لأبي سَعيد مولى فائد، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر في مجرى الوسطى عن إسحاقَ. وفيه للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ من رواية الهِشاميّ. وقد سمعنا من يغنّي فيه لحناً من خفيف الرَّمَل، ولست أعرف لمن هو.

(١) ويروى: «حلين مرجان البحور».

(٢) ظاهر كلام المؤلف في تفسير الأدحيّ أنه جمع، والذي في لسان العرب والقاموس وشرحه: أن الأدحيّ والأدحية (بضم الهمزة فيها وكسرها) والأدحوّة: مبيض النعام في الرمل، وجمع الكل: الأداحيّ، ومثلها مدحى (وزان مسعى).

ذكر طريح وأخباره ونسبه

هو – فيا أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن عمه عن ابن الكلبيّ في كتاب النسبِ إجازةً ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيوب المدينيّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلَام ومُصعب الزُّبيريّ قال : – طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أَسيد بن عِلاج بن أبي سَلمة بن عبد العُزّى بن غِيَرة بن عوف بن قَسيّ – وهو ثَقيف – بن مُنبِّه بن هَوازِن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة ابن قيس بن عيلان بن مُضَر .

الخلاف في نسبه :

قال ابن الكلبيّ : ومن النسَّابين من يذكر أن ثَقيفاً هو قَسيّ بن مُنبِّه بن النَّبيت بن منصور بن يَقدُم بن أفصى بن دُعميّ بن إياد بن نِزار . ويقال : إن ثَقيفاً كان عبداً لأبي رِغال ، وكان أصلُه من قوم نجوْا من ثمودَ ، فانتمى بعد ذلك إلى قيس . ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه : أنه مرّ بثقيف ، فتغامزوا به ؛ فرَجع اليهم فقال لهم : يا عبيد أبي رِغال ، إنما كان أبوكم عبداً له فهرَب منه ، فثَقِفَه[1] بعد ذلك ، ثم انتمى إلى قَيس .

وقال الحجّاج في خطبة خطبها بالكوفة : بلغني أنكم تقولون إن ثقيفاً من بقيَّة ثمود ، وَيلكم ! وهل نجا من ثمودَ إلا خِيارُهم ومن آمن بصالح فبَقيَ معه عليه السلام ! . ثم قال : قال الله تعالى : (وثمودَ فما أبقى) . فبلغ ذلك الحسنَ

(١) ثقفه : أدركه وظفر به .

البصريّ، فتضاحك ثم قال: حَكَمَ لُكَعُ لنفسه، إنما قال عزّ وجلّ: (فَمَا أُبقي) أي لم يُبقهم بل أهلكهم. فرُفع ذلك إلى الحجّاج فطلبه، فتوارى عنه حتى هلك الحجّاج. وهذا كان سببَ تواريه منه. ذكر ابن الكلبيّ أنه بلغه عن الحسن.

وكان حمّاد الراويةُ يذكر أن أبا رِغال أبو ثقيف كلّها، وأنه من بقيّة ثمود، وأنه كان ملكاً بالطائف، فكان يظلِم رعيّتَه، فمرّ بامرأة تُرضع صبياً يتيماً بلبَنِ عنز لها، فأخذها منها، وكانت سنة مُجدِبة؛ فبقي الصبيّ بلا مُرضعة[1] فمات، فرماه الله بقارِعة فأهلكه، فرجمت العربُ قبرَه، وهو بين مكة والطائف. وقيل: بل كان قائد الفيل ودليلَ الحبشة لما غزَوُا الكعبةَ، فهلك فيمن هلك منهم، فدُفِن بين مكة والطائف، فمرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بقبره، فأمر برجمه فرُجم، فكان ذلك سُنّة.

قال ابن الكلبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح[2] عن ابن عباس قال:

كان ثقيف والنَّخَع من إياد، فثقيف قَسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبيت بن يَقدُم بن أفصى بن دُعميّ بن إياد. والنَّخَع[3] ابن عمرو بن الطمْنان بن عبد مَناة بن يَقدُم ابن أفصى، خرجا ومعهما عنزٌ لهما لَبُون يشربان لبنَها، فعرَض لهما مُصَدِّق[4] للملك

---

(١) المرضع: المرأة لها ولد ترضعه ولا تلحقها التاء اكتفاء بتأنيثها في المعنى لانها خاصة بالإناث كما في طالق. فاذا ألقمت الصبيّ ثديها فهي مرضعة (بالهاء). قال أبو زيد في قوله تعالى: (تَذهَلُ كُلُّ مُرضِعَةٍ عَمَّا أرضَعَتْ) هي التي ترضع وثديها في في ولدها.

(٢) هو أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب ويقال له باذان او باذام، وهو الذي يروي عنه ابن الكلبي ويروي عن ابن عباس. (راجع تهذيب التهذيب).

(٣) في صبح الاعشى (ج ١ ص ٣٢٧) وأنساب السمعاني في الكلام على النخع: «النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج». وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد: «فمن بني علة النخع قبيلة وأخوه جسر». وفي كتاب المعارف لابن قتيبة: «فولد علة عمرا فولد عمرو جسرا وكعبا. فأما جسر فهو أبو النخع بن جسر بن عمرو».

(٤) المصدّق: عامل الزكاة الذي يأخذها من أربابها.

اليمن فأراد أخذها؛ فقالا له : إنما نعيش بدرّها، فأبى أن يدعها، فرماه أحدهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنه لا يحملني وإيّاك أرض . فأما النَّخَع فمضى الى بِيشة[١] فأقام بها ونزل القسيّ موضعاً قريباً من الطائف؛ فرأى جارية ترعى غنماً لعامر بن الظَّرِب العدوانيّ، فطمع فيها، وقال : أقتل الجارية ثم أحوي الغنم؛ فأنكرت الجارية منظره، فقالت له : إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم، وهذا شيء إن فعلته قُتلتَ وأخذتِ الغنمُ منك، وأظنك غريباً جائعاً، فدلّته على مولاها؛ فأتاه واستجار به فزوّجه بنته، وأقام بالطائف، فقيل : لله درّه ما أثقفه حين ثَقِف عامراً فأجاره. وكان قد مرّ بيهوديّة بوادي القرى[٢] حين قتل المُصدِّق، فأعطته قُضبانَ كَرْم، فغرسها بالطائف فأطعمته ونفعته .

قال ابن الكلبي في خبر طويل ذكره : كان قسيّ[٤] مقيماً باليمن، فضاق عليه موضعه ونبا به، فأتى الطائفَ — وهو يومئذ منازلُ فَهْمٍ وعَدْوان ابني عمرو بن قَيس بن عَيلان — فانتهى الى الظَّرِب العَدْوانيّ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب، فوجده نائماً تحت شجرة، فأيقظه، وقال : من أنت ؟ قال : أنا الظَّرِب؛ قال : عليّ أَلِيّة إن لم أقتلك أو تحالفني وتزوّجني ابنتك ففعل؛ وانصرف الظَّرِبُ وقسيّ معه، فلقيه ابنه عامر بن الظَّرِب، فقال : من هذا معك يا أبتِ ؟ فقصّ قِصّته؛ قال عامر : لله أبوه ! لقد ثَقِفَ أمرَه؛ فسُمّي يومئذ ثَقيفاً . قال : وعيّر الظرب تزويجه[٣] قسيّاً، وقيل : زوّجتَ عبداً؛ فسار الى الكهّان يسألهم، فانتهى الى شِقّ ابن صَعب[٤] البَجَليّ وكان أقربهم منه، فلما انتهى اليه قال : إنا قد جئناك في أمر

---

(١) بيشة : قرية باليمن .

(٢) وادي القرى : واد بين المدينة والشام كثير القرى، فتحه النبيّ صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع من الهجرة، ثم صالح أهله على الجزية .

(٣) قال في المصباح : «وعيرته كذا وعيرته به : قبحته عليه ونسبته اليه، يتعدى بنفسه وبالباء؛ قال المرزوقي في شرح الحماسة : والمختار ان يتعدى بنفسه؛ قال الشاعر :

أعيّرتنا ألبانَها ولحومها وذلك عار يابن رَيطة ظاهر »

(٤) يوافق ما في الطبري (قسم ١ ص ٩١١ — ٩١٤) .

فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيٍّ، وقَسِيٌّ عبدُ إياد، أبقَ ليلةَ الواد، في وجٍّ[١] ذاتِ الأنداد، فوالى سَعْداً ليُفاد[٢]، ثم لَوى بغيرِ مَعاد، (يعني سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر). قال: ثم توجّه الى سَطِيح الذئبي (حيّ من غسّان، ويقال: إنهم حي من قُضاعة نُزولٌ في غَسّان)، فقال: إنا جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيٍّ، وقَسِيٌّ من ولد ثمودَ القديم، ولدته أُمّه بصحراء بَريم[٣]، فالتقطه إياد وهو عديم، فاستعبده وهو مُليم[٤]. فرجع الظَّرِب وهو لا يدري ما يصنَع في أمره، وقد وَكّد عليه في الحِلف والتزويج، وكانوا على كفرهم يُوفون بالقول. فلهذا يقول من قال: إن ثقيفاً من ثمود، لأن إياداً من ثمود.

قال: وقد قيل: إن حرباً كانت بين إياد وبين قيس، وكان رئيسهم عامرَ ابن الظَّرِب، فظفِرتْ بهم قيسٌ، فنفتهم الى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزار.

قال: وقال عامر بن الظَّرِب في ذلك:

قالت إيادُ قد رأينا نَسَبا ... في ابْنَيْ نِزارٍ ورأينا غَلَبا
سِيرِي إيادُ قد رأينا عَجَبا ... لا أصلُكم منّا فسامِي الطلبا
دارَ ثمود إذ رأيتِ السَّبَبا

قال: وقد رُوِيَ عن الأعمش أن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفا: لقد هممتُ أن أضعَ على ثقيفٍ الجزيةَ؛ لأن ثقيفا كان عبداً لصالح نبيّ الله عليه السلام وإنه سرّحه الى عامل له على

(١) وجّ: اسم واد بالطائف.

(٢) ليفاد: ليطلق، وأصله: ليفادي من المفاداة، حذف منه الحرف الاخير لالتزام السجع.

(٣) بريم: موضع بنجد وواد بالحجاز قرب مكة، وفي بعض النسخ: «تريم» بالتاء المثناة من فوق. وتريم: إحدى مدينتي حضرموت والمدينة الأخرى شبام.

(٤) ألام الرجل: فعل ما يلام عليه.

الصَّدَقة، فبعث العامل معه بها، فهرَب وأستوطن الحرَم، وإنّ أولى الناس بصالح محمد صلى الله عليهما وسلم، وإني أشهدكم أني قد رددتهم الى الرِّق.

قال: وبلغنا أنّ ابن عباس قال، وذُكِر عنده ثقيف، فقال: هو قَسِيّ بن مُنبِّه، وكان عبداً لامرأة صالح نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، وهي الهَيْجمانة بنت سَعْد، فوهبتْه لصالح، وإنه سرّحه الى عاملٍ له على الصَّدَقة؛ ثم ذكر باقي خبره مثلَ ما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وقال فيه: إنه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أمّه فهو يَرضَع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرُها، فأخذ الشاةَ، فناشده اللهَ، وأعطاه عشراً فأبى، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى؛ فلما رأى ذلك تَنَحّى، ثم نَثَل[1] كنانته فرماه ففلَق قلبَه؛ فقيل له: قتلتَ رسول رسولِ الله صالح. فأتى صالحاً فقصّ عليه قصّتَه؛ فقال: أبعده الله! فقد كنتُ أنتظر هذا منه؛ فرُجم قبرُه، فإلى اليوم والليلة يرجم، وهو أبو رِغال.

قال وبلغنا عن عبد الله بن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف مرّ بقبر أبي رِغال، فقال: «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثقيف كان في الحرَم فمنعه الله عزّ وجلّ فلما خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب»؛ فأبتدره المسلمون فأخرجوه.

قال: ورَوى عمرو بن عُبَيد عن الحسن أنه سُئل عن جُرْهُم: هل بَقِي منهم أحدٌ؟ قال: ما أدري، غيرَ أنهم لم يبقَ من ثمود إلا ثَقِيف في قيس عَيلان، وبنو لَجَأ في طَيِّئ، والطُّفاوة في بني أعْصُر.

قال عمرو بن عُبَيد وقال الحسن: ذُكِرت القبائلُ عند النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «قبائلُ تَنتمي الى العرب وليسوا من العرب حِمْيَرُ من تُبَّع وجُرْهُم من عاد وثقيفٌ من ثمود».

---

(١) نثل الكنانة: استخرج ما فيها من النبل.

قال: ورُوِيَ عن قَتادة أنّ رجلين جاءا الى عِمرانَ بن حُصَين، فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثَقيف؛ فقال لهما: أتزعُمان أنّ ثقيفاً من إياد؟ قالا: نعم؛ قال: فإن إيادا من ثمود؛ فشقّ ذلك عليهما؛ فقال لهم: أساءكما قولي؟ قالا: نعم والله؛ قال: فإن الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه، فأنتم إن شاء الله من ذُرِّيّة مَن آمن وإن كان أبو رِغال قد أتى ما بلغكما. قالا له: فما اسم أبي رِغال، فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قَسِيّ بن مُنَبِّه.

قال وروى الزُّهري أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحِبّ ثَقيفا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبغِض الأنصار».

قال: وبَلَغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «بنو هاشمٍ والأنصارُ حِلفانِ وبنو أميّة وثَقِيفُ حِلفان».

قال: وفي ثَقيف يقول حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إذا الثَّقَفِيّ فاخركم فقولوا   هَلُمّ نَعُدّ شأنَ أبي رِغالِ
أبوكم أخبثُ الآباء قِدْماً   وأنتم مُشبِهوه على مثالِ (١)
عبيد الفِزْرِ أورثهم (٢) بنيه   وولّى عنهم أخرى اللّيالي

(١) ورد هذا الشطر في ديوان حسان (ص ٣٦ طبع ليدن): وأولاد الخبيث على مثال

(٢) كذا في ديوان حسان. وفي جميع الأصول: «أورثه». وورد البيت في ديوان حسان ضمن بيتين هما:

عبيد الفزر أورثهم بنيه   وآلى لا يبيعهم بمال
وما لكرامة حبسوا ولكن   أراد هوانهم أخرى الليالي

والفزر: أبو قبيلة من تميم وهو سعد بن زيد مناة بن تميم.

ام طريح ونسبها :

وأم طُرَيح بنتُ عبد الله بن سِباع بن عبد العُزَّى بن نَضْلة بن غُبْشان[١] من خُزاعة، وهم حُلَفاء بني زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ. وسِباع ابن عبد العُزَّى هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يومَ أُحد؛ ولما برز اليه سِباع قال له حمزة: هَلُمَّ إليَّ يابنَ مُقَطِّعة البُظُور – وكانت أُمه تفعل ذلك وتَقْبَل[٢] نساء قُرَيش بمكة – فَحَمِي وَحْشيّ[٣] لقوله وغضب لِسباع، فرمى حمزةَ بحَرْبته فقتله – رحمة الله عليه – وقد كُتب ذلك في خبر غَزاة أُحد في بعض هذا الكتاب.

كنيته :

ويُكْنى طُرَيح أبا الصَّلْت، كُني بذلك لأبن كان له اسمه صَلْت. وله يقول:

يا صَلْتُ إنّ أباك رَهْنُ منيّة ... مكتوبةٍ لا بُدّ أن يَلْقاها
سَلَفتْ سوالِفُها[٤] بأنفسِ مَن مَضى ... وكذاك يَتْبع باقياً أُخْراها
والدَّهرُ يُوشِكُ أن يُفرِّق رَيْبُه ... بالموت أو رَحلٍ تَشِتُّ نَواها
لا بدّ بينكما فتسمع دَعْوةً ... أو تستجيب لدعوةٍ تُدْعاها

(١) موافق لما في السيرة (ص ٦١١ طبع أوربا). وفي سائر الأصول: «غبشان بن خزاعة» وهو تحريف، لان غبشان هو ابن سليم بن ملكان بن أفصى بن خزاعة كما في السيرة.

(٢) تقبل نساء قريش: تتلقى أولادهن عند الولادة، وهي القابلة.

(٣) يدل ما في صحيح البخاري على أن قتل وحشيّ حمزة إنما كان بتحريض مولاه جبير بن مطعم، وذلك أن حمزة كان قتل ببدر طُعَيْمة بن عديّ بن الخيار عم جبير، فقال جبير لوحشيّ: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حرّ؛ فلما بارز حمزة سباعا وقتله كان وحشي متربصاً له تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فأرداه.

(٤) ويروى: «سوابقها».

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أنّ أمّ الصّلت بن طُرَيح ماتت وهو صغير، فطرحه طُرَيح إلى أخواله بعد موت أُمّه. وفيه يقول:

بات الخيالُ منَ الصُّلَيت مُؤرِّقي يَفري السَّراةَ مع الرِّبابِ المُلثِقِ[١]
ما راعَني إلا بيــاضُ وُجَيْهِهِ تحتَ الدُّجُنَّة[٢] كالسِّراجِ المُشرِقِ

مع الوليد الاموي:

ونشأ طُرَيح في دولة بني أميَّة، واستفرغ شعرَه في الوليد بن يزيد، وأدرك دولةَ بني العباس، ومات في أيام المهديّ[٣]؛ وكان الوليد له مُكرماً مُقدِّماً، لانقطاعه اليه وخُؤولته في ثقيف.

فأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيّات قال حدّثني أحمد بن حمّاد بن الجميل عن العُتْبيّ عن سَهم بن عبد الحميد قال أخبرني طُرَيح بن إسماعيل الثّقفيّ قال:

خُصِصْتُ بالوليد بن يزيــد حتى صِرتُ أخلو معه؛ فقلت له ذات يومٍ وأنا معه في مَشربة[٤]: يا أمير المؤمنين، خالك يُحبّ أن تعلم شيئاً من خُلُقه؛ قال: وما هو؟ قلت: لم أشرَب شراباً قطُّ ممزوجاً إلا من لبن او عسل؛ قال: قد عَرَفتُ ذاك ولم يُباعِدك من قلبي. قال: ودخلتُ يوماً اليه وعنده الأمويّون فقال لي: إليّ يا خالي، وأقعدني الى جانبه، ثم أُتيَ بشراب فشرِب، ثم ناولني

(١) الملثق: البالّ، يقال: لثق الطائر اذا ابتلّ ريشه، وألثقه غيره اذا بلّه.

(٢) الدجنة: الظلام.

(٣) ويروى: «في أيام الهادي».

(٤) المشربة (بضم الراء وفتحها): الغرفة. ويروى: «ونحن في مشرقة» والمشرقة (مثلثة الراء): موضع القعود في الشمس بالشتاء.

القَدَح ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتُك رأيي في الشراب ؛ قال : ليس لذلك أعطيتُك ، إنما دفعته اليك لتناوله الغلام ، وغضب ؛ فرفع القوم أيديَهم كأنَّ صاعقةً نزلتْ على الخوان ؛ فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُدْ ! فلما خلا البيتُ أقترى عليَّ ؛ ثم قال : يا عاضَّ كذا وكذا ! أردتَ أن تفضحني ، ولولا أنـك خالي لضربتُك ألفَ سوْط ! ثم نهى الحاجب عن إدخالي ، وقطع عنّي أرزاقي ؛ فمكثت ما شاء الله ، ثم دخلتُ عليه يوماً متنكراً ، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقولُ :

يابنَ الخلائف ما لي بعد تقربةٍ ... إليك أُقصى وفي حالَيك لي عَجَبُ
ما لي أُذادُ[1] وأُقصى[2] حين أقصِدُكم ... كما تُوُقِّيَ من ذي العُرّة[3] الجَرَبُ
كأنني لم يكن بيني وبينكُمُ ... إلٌّ[4] ولا خُلّة تُرعى ولا نَسَبُ
لو كان بالوُدّ يُدنى منك أزلفَني ... بقربك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
وكنتُ دونَ رجالٍ قد جعلتَهمُ ... دوني إذا ما رأوْني مُقبِلاً قَطبوا[5]
إن يسمعوا الخيرَ يُخفوه وإن سمعوا ... شرّاً أذاعوا وإن لم يسمعوا كَذَبوا
رأوْا صدودَك عنّي في اللقاء فقد ... تحدّثوا أن حبلي منكَ مُنقضِبُ
فذو الشّماتةِ مسرورٌ بهيْضتنا ... وذو النصيحةِ والإشفاقِ مكتئِبُ

قال : فتبسّم وأمرني بالجلوس فجلست ، ورجع إليّ وقال : إياك أن تُعاوِد . وتمام هذه القصيدة :

أين الذِّمامةُ والحق الذي نزلتْ ... بحفظه وبتعظيمٍ له الكتبُ
وحَوْكيَ الشِعرَ أُصفيه وأنظِمُه ... نظمَ القلائدِ فيها الدُّرُّ والذّهبُ

---

(١) أذاد : أمنع وأدفع .

(٢) في رواية : « وأرمى » . وفي أخرى : « وأنهى » .

(٣) العرّة : الجرب .

(٤) إلّ : عهد . وخلة : صداقة .

(٥) قطب الرجل (من باب نصر) : زوّى ما بين عينيه وكلح .

وإن سُخطَك شيءٌ لم أُناجِ بـه   نفسي ولم يَكُ مما كنتُ أكتسِبُ
لكن أتاك بقولٍ كاذبٍ أثِمٍ   قومٌ بغَوْني فنالوا فيّ ما طلبوا
وما عهدتُك فيما زَلّ تقطعُ ذا   قُربى ولا تدفعُ الحقّ الذي يجبُ
ولا تَوجّعُ من حقٍّ تحمّلُهُ   ولا تَتبّع بالتكديرِ ما تهَبُ
فقد تقرّبتُ جهداً من رضاك بما   كانت تُنالُ به من مثلك القُرَبُ
فغيرَ دَفعِك حقّي وارتفاضَكَ لي   وطيِّكَ الكشحَ عنّي كنتُ أحتسِبُ
أَشْمتَّ بِيَ أقواماً صدورُهُمُ   عليّ فيك إلى الأذقانِ تَلتهِبُ
قد كنتُ أحسَبُ أني قد لجأتُ إلى   حِرزٍ وألّا يَضرّوني وإن ألَبُوا[1]
إنّ التي صُنتُها عن معشرٍ طلبوا   منّي إليّ الذي لم يُنجِح الطلبُ
أخلصتُها لك إخلاصَ امرئٍ عَلِم الأقوامُ أن ليس إلا فيك يَرتغِبُ
أصبحتَ تدفعُها منّي[2] وأعطِفُها   عليك وهي لمن يُحبى بها رَغَبُ
فإن وصلتَ فأهلُ العُرفِ أنت وإن   تدفَعْ يديّ فلي بُقيا ومُنقلَبُ
إنّي كريمُ كِرامٍ عشتُ في أدبٍ   نَفي العيوبَ ومَلكُ[3] الشِيمة الأدبُ
قد يعلمون بأنّ العُسرَ منقطعٌ   يوماً وأن الغنى لا بدّ منقلبُ
فما لهم حُبُسٌ[4] في الحقّ مُرتَهنٌ   مثلَ الغنائمِ تُحوى ثم تُنتهَبُ
وما على جارهم ألّا يكونَ له   إذا تَكنّفه أبياتُهم نَشَبُ
لا يفرَحون إذا ما الدهرُ طاوَعهم   يوماً بيُسرٍ ولا يشكون إن نُكِبُوا
فارقتُ قومي فلم أعتضْ بهم عِوَضاً   والدهرُ يُحدِثُ أحداثاً لها نُوَبُ

وأما المدائنيّ فقال: كان الوليد بن يزيد يُكرم طُريحاً، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانة، وكان يُدني مجلسه، وجعله أوّلَ داخل وآخِرَ خارج، ولم

(١) ألبوا: تجمعوا.

(٢) ويروى: «عنّي».

(٣) ملك الشيمة: قوامها ومعظمها.

(٤) حبس (بضمتين): محبوس.

يكن يُصدر إلا عن رأيه ؛ فٱستفرغ مديحه كلّه وعامّة شعره فيه ، فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد ؛ وقدِمَ حمّادٌ الراويةُ على التَّفِئَة[1] الشامَ ، فشكَوْا ذلك اليه ، وقالوا : والله لقد ذهب طُرَيح بالأمير ، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار ؛ فقال حمّاد : ابغُوني مَن يُنشِد الأميرِ بيتين من شعر ، فأسقطَ منزلتَــه ؛ فطلبوا إلى الخصيّ الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرةَ آلاف درهم على أن يُنشِدهما الأميرِ في خلوة ، فإذا سأله مِنْ قولِ مَنْ ذا ؟ قال : مِن قولِ طُرَيح ؛ فأجابهم الخصيّ إلى ذلك ، وعلّموه البيتين . فلما كان ذاتَ يوم دخل طُريح على الوليــد وفُتح الباب وأُذِن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا ، وبقيَ طُرَيح مع الوليد وهو وليّ عهد ، ثم دعا بغدائه فتغدّيا جميعاً ، ثم إن طُريحاً خرج وركِب إلى منزله ، وترك الوليدَ في مجلسه ليس معه أحدٌ ، فٱستلقى على فِراشه ؛ وٱغتنم الخصيّ خلوتَه فٱندفع ينشد :

سِيري رِكابي إلى مَنْ تَسعدين به ... فقد أقمتِ بدار الهُونِ ما صَلَحا

سِيري إلى سيّدٍ سَمحٍ خلائقُــه ... ضخمِ الدَّسيعةِ[2] قَرْمٍ يحمل المِدَحا

فأصغى الوليدُ إلى الخصيّ بسمعه وأعاد الخصيّ غيرَ مرّة ؛ ثم قال الوليد : وَيحك يا غلامُ ! مِن قول مَن هذا ؟ قال : من قول طُرَيح ؛ فغضب الوليد حتى ٱمتلأ غيظاً ، ثم قال : وا لهفا على أمّ لم تَلِدْني ! قد جعلتُه أوّل داخل وآخرَ خارج ، ثم يزعُم أن هشاماً يحمل المِدَح ولا أحملُها ! . ثم قال : عليّ بالحاجب ، فأتاه ؛ فقال : لا أعلم ما أذِنتُ لطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض ، فإن حاولك فٱخطفــه بالسيف . فلمّا كان العشيُّ وصُلِّيتِ العصرُ ، جاء طُرَيح للساعة التي كان يُؤذَن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ؛ فقال له الحاجب : وراءَك ! فقال : ما لك ! هل دخل على وليّ العهد أحدٌ بعدي ؟ قال : لا ! ولكن ساعةَ وَلَّيتَ من عنده دعاني فأمرني ألّا آذَن لك ، وإن حاولتني في ذلك خطِفتُك بالسيف ؛ فقال : لــك عشرةُ

---

(١) التفئة : الحين والزمان .

(٢) الدسيعة : العطية الجزيلة، وتقال الدسيعة أيضاً للجفنة الواسعة، والمائدة الكريمة .

آلاف وأذَنْ لي في الدخول عليه ؛ فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَني خَراجَ العراق ما أذنتُ لك في ذلك ، وليس لك من خير في الدخول عليه فأرْجع ؛ قال : وَيحك ! هل تعلم مَن دَهاني عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ؛ لقد دخلتُ عليه وما عنده أحد ، ولكنّ الله يُحدِث ما يشاء في الليل والنهار . قال : فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلص اليه ولا يقدِر على الدخول عليه ، وأراد الرجوعَ إلى بلده وقومه ، فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بي أن أرجع من غير أن ألقى وليَّ العهد فأعلمَ من دهاني عنده ؛ ورأى أُناساً كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدّثونه ويُصدِر عن رأيهم ؛ فلم يزلْ يَلطُفُ بالحاجب[1] ويمنّيه ، حتى قال له الحاجب : أمّا إذ أطلتَ المُقام فإني أكرهُ أن تنصرف على حالك هذه ، ولكنّ الأميرَ إذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحمّامَ ، ثم أمرَ بسريره فأبرز ، وليس عليه يومئذ حجابٌ ، فإذا كان ذلك اليومُ أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليه وظفرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذرٍ . فلما كان ذلك اليومُ ، دخل الحمّام وأمرَ بسريره فأبرز وجلس عليه ، وأذِن للناس فدخلوا عليه ، والوليدُ يَنظر إلى مَن أقبل ، وبعث الحاجبُ إلى طريح ، فأقبل وقد تَتامّ الناس ؛ فلما نظر الوليد اليه من بعيدٍ صرَف عنه وجهه ، وأستحيا أن يردّه من بين الناس ؛ فدنا فسلّم فلم يردّ عليه السلامَ . فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرّع اليه :

نام الخَليُّ من الهمومِ وبات لي ... ليلٌ أُكابِدُه وهَمٌّ مُضلِعُ
وَسهِرتُ لا أسري ولا في لذّةٍ ... أرَقي وأغفَل مـا لقِيتُ الهُجَّعُ
أبغي وجوهَ مَخارِجي من تُهمةٍ ... أزَمتْ عليّ وسُدَّ منهـا المطلَعُ
جزعاً لمَعْتَبةِ الوليدِ ولم أكنْ ... من قبلِ ذاك من الحوادث أجزَعُ
يابنَ الخلائف إنّ سخطك لامرئ ... أمسيتَ عِصمتَه بـلاءٌ مُفظِعُ

(١) في أساس البلاغة : « وأنا ألطُفُ بفلان اذا أريته مودّة ورفقاً في المعاملة » وفي اللسان : « يقال : لطَف به وله بالفتح يَلطُف لُطفاً اذا رفق به ... » .

فَلأنْزِعَنَّ عن الذي لم تَهوَه إن كان لي ورأيتُ ذلك مَنزعُ
فأعطِفْ فِداكَ أبي علي تَوسُّعاً وفضيلةً فعلى الفضيلة تتبعُ
فلقد كفاكَ وزادَ ما قد نالني إن كنتَ لي ببلاء ضُرٍّ تقنعُ
سِمَةٌ لذاك عليَّ جسمٌ شاحبٌ بادٍ تحسُّرُه ولونٌ أسفَعُ[1]
إنْ كنتَ في ذنب عَتَبتَ فإنني عما كَرِهتَ لنازعٌ متضرّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسرٍ باسطٌ كفًّا إليَّ وكل يسرٍ أقطعُ[2]
من بعد أخذي من حِبالك بالذي قد كنتُ أحسَبُ أنه لا يُقطعُ
فأربُب[3] صنيعَك بي فإنَّ بأعيُنٍ للكاشحين وسَمعِهم ما تصنعُ
أدفعتَني حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ عنّي الوجوهُ ولم يكن ليَ مَدفعُ
ورُجيتُ واتُّقيتْ يداي وقيل قد أمسى يَضُرُّ إذا أحبَّ ويَنفعُ
ودخلتُ في حَرَم الذِّمام وحاطني خَفَرٌ أخذتُ به وعهدٌ مُولعُ
أفهادمٌ ما قد بَنيتَ وخافضٌ شَرَفي وأنتَ لغير ذلك أوسعُ
أفلا خَشيتَ شَماتَ قومٍ فُتَّهم سَبقاً وأنفسُهم عليك تَقطَّعُ
وفَضَلتَ في الحسَب الأشمِّ عليهمُ وصَنَعتَ في الأقوامِ ما لم يصنعوا
فكأنَّ أنفُهمْ بكلِّ صَنيعةٍ أسديتَها وجميلِ فِعلٍ تُجدَعُ
وَدُّوا لو أنّهمُ يَنالُ أكُفَّهم شَلَلٌ وأنّك عن صَنيعك تَنزعُ
أو تَستَليمُ[4] فيجعلونك أُسوةً وأبى الملامَ لك النَّدى والمَوضِعُ

قال: فقرَّبه وأدناه، وضحك اليه، وعاد له إلى ما كان عليه.

---

(١) أسفع: شاحب متغير من مقاساة المشاقّ.

(٢) أقطع: مقطوع اليد.

(٣) اربب صنيعك: زده.

(٤) تستليم: تفعل ما تستحق عليه اللوم.

مع المنصور العباسي :

أخبرني حَبيب بن نَصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عُتبة اللَهبيّ عن أبيه :

أن طُرَيحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشُّعَراء؛ فقال له : لا حيّاك الله ولا بَيّاك ! أما آتقيتَ الله – وَيلك ! – حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـــموجُ عليـه كالهضْب يَعتلِجُ
لساخَ وارتـدّ[1] أو لكان له في سائرِ الأرض عنك مُنْعَرَجُ

فقال له طُرَيح : قد علم الله عزّ وجلّ أني قلت ذاك ويـدي ممدودة اليه عزّ وجلّ، وإياه تبارك وتعالى عنيتُ؛ فقال المنصور : يا رَبيع، أما تَرى هذا التَخلُّص ! .

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريريّ روايتَه عنه : حدّثنا المدائنيّ :

ان الوليد جلس يوماً في مجلس له عامٍّ، ودخل اليه أهلُ بيته ومَواليـه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له فقام بعضُ الشعراء فأنشد، ثم وثَب طُرَيح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهلُ بيته عن يمينـه، وأخواله عن شِماله وهو فيهم، فأنشده :

(١) ويروى : لارتد أو ساخ أو لكان له .

صوت

أنت ابن مُسلَنطِحِ البِطاحِ ولم ... تُطرِقْ[1] عليكَ الحُنيُّ والوُلُجُ

طُوبى لفَرْعيكَ[2] من هنا وهنا ... طُوبى لأعراقك التي تَشِجُ[3]

لو قلتَ للسيل دَعْ طريقكَ والـــموجُ عليه كالهضب يَعتلجُ[4]

لساخَ وارتدَّ أو لكان له ... في سائر الأرض عنك مُنعرَجُ

فطرب الوليد بن يزيد حتى رُئي الارتياحُ فيه، وأمر له بخمسين ألفَ درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليومَ بمثل ما قال خالي، فلا يُنشِدني أحد بعده شيئاً؛ وأمر لسائر الشعراء بصِلات وانصرفوا، واحتبس طُرَيحاً عنده، وأمر ابنَ عائشة فغنّى في هذا الشعر.

نسبة هذا الصوت

أنت ابنُ مُسلَنطِح البطاح ولم ... تطرق عليك الحُنيُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة. عروضه من المُنسرح. غنّاه ابنُ عائشة، ولحنه رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى الوُسطى عن إسحاق.

المسلنطح من البطاح: ما اتّسع واستوى سطحُه منها. وتُطرق عليك: تُطبِق

---

(١) في كتاب الشعر والشعراء واللسان (مادتي ولج وسلطح): «تعطف» وقال في اللسان (مادة طرق): «وأطرق جناح الطائر: لبس الريش الأعلى الريش الأسفل، وأطرق عليه الليل ركب بعضه بعضاً، وقوله: ولم تطرق عليك الحنيّ والولج، أي لم يوضع بعضه على بعض فتراكب». وتفسير صاحب اللسان هذا هو الذي يتفق مع معنى كلمات البيت. ومنه يعلم ما في تفسير أبي الفرج لهذه الكلمة من بُعد.

(٢) ويروى: «طيباً لفرعيك ... طيباً لأعراقك».

(٣) تشج: تشتبك وتلتفّ.

(٤) يعتلج: يلتطم.

عليك وتُغطّيك وتُضيّق مكانك؛ طرقت الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيّق مُعضِل. والوَشيج: أصول النبت؛ يقال: أعراقك واشجةٌ في الكرَم، أي نابتة فيه. قال الشاعر[1]:

وهل يُنبِت الخطّيَّ إلا وَشيجُه ... وتَنبُت إلّا في مَغارِسها النخلُ[2]

يعني أنه كريم الأبوين من قُرَيش وثقيف. وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى في الوليد، فقال في كلمةٍ له:

وأعتام[3] كهلك من ثقيف كُفأه ... فتنازعاك فأنت جوهرُ جوهرِ
فنمتْ فروعُ القريتين قُصيُّها ... وقَسِيُّها[4] بك في الأشمّ الأكبرِ

والخنيّ: ما انخفض من الأرض، والواحدة[5] حناً، والجمع حُنيّ مثل عصاً وعُصِيّ. والوُلجُ: كلّ متّسع في الوادي، الواحدة وَلَجة[6]، ويقال: الوَلَجاتُ بين الجبال مثل الرِحاب، أي لم تكن بين الحُنيّ ولا الوُلج فيخفى مكانُك، أي لستَ في موضع خنيّ من الحسب. وقال أبو عُبيدة: سمع عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه: أنا ابن مُسلَنطِح البِطاح، وابنُ كذا وكذا؛ فقال له عمر: إن كان لك عقل فلك أصل، وإن كان لك خُلُق فلك شرف،

(١) هو زهير بن أبي سلمى.

(٢) ويروى: وتغرس إلا في منابتها النخل.

(٣) اعتام: اختار.

(٤) قصيّ: أبو عدة بطون من قريش. وقسيّ (بفتح فكسر وتشديد آخره): هو ثقيف.

(٥) لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا (كاللسان والقاموس وشرحه والصحاح) ما يؤيد التفسير الذي ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة ولا لمفردها. وعبارة اللسان (في مادة حنا): «...والحِنو. كل شيء فيه أعوجاج أو شبه الاعوجاج من البدن كعظم الحِجاج واللّحْي والضِلَع ومن غيره كالقُفّ والحِقْف ومنعرج الوادي، والجمع أحناء وحُنيّ وحِنيّ ...».

(٦) في اللسان (مادة ولج): «... ابن الأعرابي: ولاج الوادي: معاطفه، واحدتها ولجة، والجمع الولج». ومنه يعلم ان الولج جمع الجمع لولجة.

وإن كان لك تقوى فلك كَرَم، وإلّا فذاك الحمارُ خيرٌ منك، أَحبُّكم الينا قبل أن نراكم أحسنُكم سَمتاً، فإذا تكلّمتم فأبينُكم مَنطِقاً، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فِعلاً.

وقوله: «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك» يقول: أنت مِلكُ هذا الأبطح والمُطاعُ فيه، فكل من تأمره يُطيعك فيه، حتى لو أمرتَ السيلَ بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك. وإنما ضرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً، لأنه لا شيء أشدّ تعذّراً من هذا وشبهه، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر. وقوله: «لساخ» أي لغاض في الأرض. «وارتد» أي عدل عن طريقه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً كان له مُنعَرَجٌ عنك إلى سائر الأرض.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّادٍ عن أبيه قال إسحاقُ وحدّثني به الواقِديّ عن أبي الزِّناد عن إبراهيمَ بن عطيّة:

ان الوليد بن يزيد لما وَلي الخلافةَ بعث إلى المغنّين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلا يُعرفوا، وكان إذ ذاك يتستّر في أمره ولا يظهره، فسبَقهم ابنُ عائشة فدخل نهاراً وشُهر أمرُه، فحبسه الوليد وأمر به فقُيّد، وأذن للمُغنّين وفيهم مَعبد، فدخلوا عليه دَخَلات، ثم إنه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طَرِب وطابت نفسُه. فلمّا رأى ذلك منه مَعبد قال لهم: أخوكم ابنُ عائشة فيما قد علمتم، فاطلبوا فيه؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مَجلِسنا هذا؟ قال: حسناً لذيذاً؛ قال: فكيف لو رأيتَ ابنَ عائشة وسمعتَ ما عنده! قال: فعليّ به، فطلع ابنُ عائشة يَرْسُف في قيده؛ فلمّا نظر اليه الوليد، اندفع ابنُ عائشة فغنّاه في شعر طُرَيح، والصنعةُ فيه له:

أنت ابنُ مُسلَنطِحِ البِطاح ولم تُطرَقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليدُ: اكسِروا قيدَه وفُكّوا عنه؛ فلم يزل عنده أسيراً مُكرماً.

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن أبي سَعـد عن الحِزامي عن عثمان ابن حَفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة :

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فَأْتمِرْ[1] أمرَ رشيدٍ مؤتَمَنْ

قال : والله إني لقاعدٌ مع مسلَمة بن محمد بن هِشام إذ مرّ به ابنُ جُوان بن عمر ابن أبي ربيعة ، وكان يغنّي ؛ فقال له : اجلس يابن أخي غنِّنا ، فجلس فغنّى :

أنت ابنُ مُسلَنطِحِ البِطاح ولم تُطرَقِ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فقال له : يابن أخي ، ما أنت وهذا حين تغنّاه ، ولا حظّ لك فيه ، هذا قاله طُرَيح فينا :

إذِ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمان

ومما في المائة الصوت المختارة من الأغاني

من أشعار طريح بن إسماعيل التي مدَح بها الوليدَ بن يزيد :

صوت

من المائة المختارة

وَيْحِي غداً إن غَدَا عليّ بما أحذَرُ من لَوْعةِ الفراق غَدُ

(١) ويروى : «فاستمع» .

وكيف صبري وقد تجاوب بالـــفُرقة مِنهـا الغرابُ والصُّرَدُ(١)

الشعر لطُرَيح بن إسماعيلَ . والغناء لاَبن مِشْعَب الطائفيّ ، ولحنه المختار من الرَّمَل بالوُسطى .

(١) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، جمعه صردان، ويكنى بأبي كثير، ويسمى الأخطب لخضرة ظهره، والأخيل لاختلاف لونه، وهو مما يتشاءم به من الطير قال الشاعر : فما طائري يوماً عليك بأخيلا

ذكر ابن مشعب واخباره (١)

هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف، وقيل: إنه من أنفسهم، وانتقل إلى مكة فكان بها. وإياه يعني العَرْجي بقوله:

بفِناء بيتك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ   في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازما عند الفراق صَبابةً   أَخْذَ الغريم بفضل ثوب المُعْسِرِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

ابن مِشْعَب مُغَنٍّ من أهل الطائف، وكان من أحسن الناس غناءً، وكان في زمن ابن سُرَيج والأعرج؛ وعامّةُ الغناء الذي يُنسَب إلى أهل مكة له، وقد تفرّق غناؤه، فنُسب بعضه إلى ابن سُرَيج، وبعضه إلى الهُذَلِيَّين، وبعضه الى ابن مُحرِز. قال: ومن غنائه الذي يُنسَب الى ابن مُحرِز:

يا دارَ عاتِكةَ التي بالأزهرِ

ومنه أيضاً:

أَقفرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ (٢)   فالمُنحنى (٣) فالعَقِيقُ فالجُمُدُ (٤)

---

(١) يلاحظ أن صاحب الاغاني أقحم ترجمة ابن مشعب هذا في وسط ترجمة طريح ولم يتحدّث عنه إلا قليلاً ثم عاد الى حديثه عن طريح.

(٢) في معجم ما استعجم للبكري: سند ماء بتهامة معروف. وقال أبو بكر: سند بفتحتين: ماء معروف لبني سعد.

(٣) المنحنى: موضع قرب مكة، كما في شرح القاموس.

(٤) الجمد (بضمتين): جبل لبني نصر بنجد، كما في معجم ياقوت.

أخبرني الحسين قال قال حمّاد وحدّثني أبي قال:

مرض رجلٌ من أهل المدينة بالشام، فعاده جيرانُه وقالوا له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي إنساناً يضع فمه على أذني ويُغنّيني في بيتي العَرْجيّ:

بفِناء بيتِك وآبنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازما عند الفراقِ صبابةً أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المعسِرِ

نسبة ما في هذه الاخبار من الاغاني

يا دارَ عاتكةَ التي بالأَزْهرِ أو فوقَه بقَفا الكَثيبِ الأحمرِ
بفِناء بيتِك وآبنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازما عند الفراق صبابةً أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المُعسِرِ

الشعر للعَرْجيّ. والغناء لآبن مُحرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وذكر إسحاق أنه لآبن مِشْعَب. وذكر حَبشٌ أنّ فيه لآبن المكيّ هَزَجاً خفيفاً بالبنصر.

وأمّا الصوت الآخر الذي أوّله:

أَقْفَر ممن يَحُلُّه السَّنَدُ

فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللّحن المختار؛ وهو أوّل قصيدة طُرَيح التي منها:

وَيْحي غداً إنْ غَدَا عليّ بما أَكره من لوعةِ الفراقِ غدُ

وليس يُغنّى فيه في زماننا هذا. وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طُرَيحٌ الوليدَ آبن يزيد، يقول فيها:

لم يَبقَ فيها من المعارف بعد الحيّ إلا الرَّمادُ والوَتَدُ

وعَرْصَةٌ نكّرت معالمها الــــرّيحُ بهـــا مسجدٌ ومُنْتَضَدُ[١]

اعجاب المنصور بشعره :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني محمد بن خلف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد ، وأخبرنا به وكيع – وأظنّه هو الذي كنّى عنه يحيى بن عليّ ، فقال : محمد بن خلف القارئ – قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبد الله اللّهبيّ قال حدّثنا أبي عن أبيه قال :

أنشِد المنصورُ هذه القصيدةَ ، فقال للرَّبيع : أسمعتَ أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحيّ المسجدَ غيرَ طُرَيح ! . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح يقول فيها :

لم أنسَ سَلمى ولا ليالينا بالحَزْنِ إذ عَيشُنا بهـا رَغَدُ[٢]
إذ نحن في مَيْعَة الشّباب وإذ أيّامُنا تلك غَضّـةٌ جُدُدُ
في عِيشةٍ كالفِرِنْد عازِبةِ[٣] الشِّـــقْوة خضراء غُصنُها خَضَـدُ[٤]
نُحسَد فيها على النعيم ومـا يُولَع إلا بالنّعمــة الحَسَدُ
أيّامَ سَلمى غَريرةٌ[٥] أُنُفٌ كأنّها خُوطُ بانــةٍ رُؤُدُ[٦]
وَيحي غداً إنْ غَدَا عليّ بما أكرهُ من لَوْعةِ الفراقِ غدُ

(١) منتضد : مجتمع ومقام، يقال : انتضد القوم بمكان كذا اذا أقاموا به .

(٢) يقال : عيش رغد (بفتح الغين وكسرها) : مخصب رفيه غزير، ومثلها رغد (بسكون الغين) ورغيد وراغد وأرغد .

(٣) عازبة الشقوة : بعيدتها .

(٤) خضد (بالتحريك) : رطب .

(٥) غريرة : بلهاء لصغر سنها وقلة تجاربها . وأنف : عذراء .

(٦) الخوط : الغصن . والرّؤد : الغصن أرطب ما يكون وأرخصه، وذلك الوصف يكون له في السنة التي نبت فيها، تشبه به الجارية الحسنة الشباب من النعمة .

قد كنت أبكي من الفراق وحيَّـانا جميعٌ ودارُنا صَدَدُ[١]
فكيف صبري وقد تجاوبَ بالـفُرقةِ منها الغُرابُ والصُّرَدُ
دع عنك سَلمى لغير مَقْلِيَةٍ وعُدَّ مدحاً بيُوتـه شُرُدُ
للأفضل الأفضل الخليفة عبـدِ الله مَنْ دون شأوه صُعُدُ
في وجهه النُّورُ يُستبانُ كما لاحَ سراجُ النَّهار إذ يَقِدُ
يمضي على خير ما يقول ولا يُخلف ميعادَه إذا يَعِدُ
من معشرٍ لا يَتمّ من خذَلوا عِزّاً ولا يُستذَلّ من رفَدُوا
بيضٌ عظامُ الحلوم حَدُّهمُ ماضٍ حسامٌ وخيرُهم عَتَدُ
أنتَ إمامُ الهدى الذي أصلحَ الله به الناسَ بعد ما فَسدُوا
لمَّا أتى الناسَ أنَّ مُلكَهمُ إليك قد صارَ أمرُه سجَدوا
واستبشروا بالرضا تَباشُرَهم بالخُلد لو قيل إنكم خُلُدُ
وعَجَّ بالحمد أهلُ أرضك حـتى كاد يَهتزُّ فرحةً أُحُدُ
واستقبل الناسُ عيشةً أُنُفاً إن تبقَ فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزِقتَ من وُدّهم وطاعتهم مـا لم يجده لوالدٍ وَلَدُ
أثلجهم منـك أنهم عَلِموا أنك فيما وَلِيتَ مُجتهِـدُ
وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ مِصْداقُ ما كنتَ مرّةً تَعِدُ
ألّفتَ أهـواءهم فأصبحتِ الأضغانُ سِلماً وماتتِ الحِقَـدُ
كنتُ أرى أنّ ما وجدتُ من الـفَرْحة لم يَلْقَ مثلَه أحـدُ
حتى رأيتُ العبـادَ كلَّهمُ قد وجدوا من هواك ما أجدُ

صوت

قد طلَب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربُوا وقد جَهِدُوا

---

(١) يقال : دار فلان صدد دار فلان وبصددها أي قبالتها .

يرفعك اللهُ بالتكرُّم والـتقوى فتعلو وأنت مُقتصِدُ
حسبُ امرئٍ من غنًى تقرُّبه منك وإن لم يكن له سَبَدُ[1]
فأنت أمنٌ لمن يخاف وللمخذولِ أودَى نصيرُه عَضَدُ

— غنّى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيمُ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر —

كلُّ امرئٍ ذي يد تُعَدّ عليه منك معلومة يدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ ما لم يَرَوكَ فإن داناهمُ منك منزلٌ خَمَدُوا
تعرُوهمُ رِعدةٌ لديك كما قَفْقَفَت[2] تحت الدُّجُنَّة الصَّرِدُ
لا خوفَ ظُلمٍ ولا قِلى خُلقٍ إلا جَلالًا كساكَهُ الصَّمَدُ
وأنت غَمْرُ النَّدى إذا هبطَ الـزُّوَّارُ أرضاً تحلُّها حَمِدُوا
فهم رِفاقٌ فرُفقةٌ صَدَرَتْ عنك بغُنْمٍ ورُفقةٌ تَرِدُ
إن حال دهرٌ بهم فإنك لا تنفكّ عن حالك التي عَهِدوا
قد صدّق اللهُ مادِحيك فما في قولهم فِرْيةٌ ولا فَنَدُ

أخبرني محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدّثني الُحسين بن يحيي قال :

سمعتُ إسحاقَ بن إبراهيمَ الموصليّ يحلف بالله الذي لا إله إلا هو انه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيي قطّ ، ولا أفطنَ ، ولا أعلمَ بكل شيء ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلغَ في مكاتبة . قال : ولقد كنا يوماً عند الرشيد ، فغنّى أبي لحناً في شعر طُرَيح بن إسماعيل وهو :

قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قارَبوا وقد جَهِدُوا

فاستحسن الرشيدُ اللحنَ والشعرَ واستعاده ووَصل أبي عليه . وكان اللحنُ في طريقة

(١) يقال : ما له سبد ولا لبد أي ما له شيء . ويروى : « سند » .

(٢) قفقف : ارتعد من البرد . والصرد : المقرور .

خفيفِ الثقيلِ الأوّل. فقال جعفر بن يحيي : قد والله يا سيّدي أحسنَ ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدّلال الذي غنّاه في شعر أبي زُبَيد :

مَنْ يَرَ العيرَ لأبن أروى على ظهـــر المَرَوْرَى[1] حُداتُهن عِجالُ

وأما الشعر فنقله طُرَيح من قول زهير :

سعى بعدهم قوم لكي يُدركوهمُ فلم يفعلوا ولم يُليموا[2] ولم يَألوا[3]

قال إسحاق : فعجبتُ والله من علمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشبه لحنَ الدّلال ، قال : وكذلك الشعر ، فأغتممتُ أني لم أكن فهمتُ اللحنَ ، وكان ذلك أشدّ عليّ من ذهاب أمر الشعر عليّ ، وأنا والله مع ذلك أغنّي الصوتين وأحفظ الشعرين. قال الحسين : ولحنُ الدّلال في شعر أبي زُبَيد هذا من خفيف الثّقيل أيضاً .

قصته مع اعرابي عاشق :

أخبرني يحيي بن عليّ بن يحيي إجازة قال حدّثني أبو الحسن البَلاذُري أحمد ابن يحيي وأبو أيوب المديني ، قال البَلاذُري وحدّثني الحِرْمازي ، وقال أبو أيوب وحدّثني الحِرمازي قال حدّثني أبو القَعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي وَرْقاء الحنفيّ قال :

(١) كذا في اكثر الأصول، والمرورى على وزن فعلعل : جمع مروراة وهي الفلاة البعيدة المستوية. (معجم ما استعجم ص ٥٢٠). وفي حـ والشعر والشعراء (ص ١٦٧) : «المروّى». والمروّى (بضم أوّله وفتح ثانيه بعده واو مشدّدة مفتوحة) : موضع. (معجم ما استعجم ص ٥٢٦).

(٢) لم يليموا : أي لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء لانها أعلى من أن تبلغ، فهم معذورون في التقصير عنها والتوقف دونها، وهم مع ذلك لم يألوا اي لم يقصروا في السعي بجميل الفعل .

(٣) ويروى : فلم يبلغوا ولم يلاموا ولم يألوا .

خرجتُ من الكوفة أريد بغدادَ، فلما صرت الى أول خانٍ نزلتُه، بسط غلمانُنا وهيئوا غداءهم، ولم يجئ أحدٌ بعد، إذ رمانا البابُ برجل فارهٍ[1] البِرذَون حسنِ الهيئة، فصحتُ بالغلمان، فأخذوا دابّتَه فدفعها اليهم، ودعوت بالغَداء، فبسَط يدَه غيرِ محتشم، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلا قَبِلَه؛ ثم جاء غلمانُه بعد ساعة في ثَقَلٍ[2] سَرِيٍّ وهيئة حسنة؛ فتناسبنا[3] فإذا الرجل طُرَيح بن إسماعيلَ الثَّقَفِي؛ فلما أرتحلنا أرتحلنا في قافلةٍ غنّاء لا يُدرَكُ طرفاها؛ قال: فقــال لي: ما حاجتُنا الى زِحام الناس وليستْ بنا اليهم وَحشة ولا علينا خوف! نتقدّمهم بيوم فيَخلو لنا الطريقُ ونصادفُ الخاناتِ فارغةً ونُودعِ أنفسَنا الى أن يُوافوا؛ قلت: ذلك اليك. قال: فأصبحْنا الغدَ فنزلنا الخانَ فتغدّينا وإلى جانبنا نهر ظَليل؛ فقال: هل لــك أنْ نستنقع فيه؟ فقلتُ له: شأنَك؛ فلما سَرا[4] ثيابَه إذا بين عُصعُصِه الى عُنُقه[5] ذاهبٌ، وفي جنبيه أمثالُ الجِرْذان، فوقع في نفسي منه شيء؛ فنظر إليَّ ففَطِنَ وتبسَّم، ثم قال: قد رأيتُ ذُعرَك مما رأيتَ، وحديثُ هــذا إذا سِرْنا العشيَّةَ إن شاء الله تعالى أحدّثك به. قال: فلما ركبنا قلت: الحديث! قال: نعم، قدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وكتب الى يوسفَ بن عمر مع فَرّاش فملأ يديْ أصحابي، فخرجتُ أبادر الطائفَ؛ فلما أمتدّ لي الطريقُ وليس يصحَبني فيه خَلقٌ، عَنّ[6] لي أعرابيٌّ علـى بعيرٍ له، فحدّثني، فإذا هو حسنُ الحديث، وروى لي الشعرَ فإذا هو راويةٌ، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر؛ فقلت له: من أين أقبلتَ؟ قــال: لا أدري؛ قلت: فأين تريد؟ فذكر قصةً يُخبِر فيها أنه عاشقٌ لمُرَيئةٍ قد أفسدتْ

---

(١) البرذون الفاره: النشيط السريع السير.

(٢) الثقل: متاع المسافر وحشمه.

(٣) تناسبنا: ذكر كل منا نسبه.

(٤) سرا ثيابه سروا: ألقاها عنه.

(٥) وفي بعض النسخ: «كَرْده». والكرد: العنق، وقيل أصله.

(٦) عنّ لي: عرض لي.

عليه عقلَه، وستَرها عنه[١] أهلُها وجفاه[٢] أهلُه، فإنما يستريح الى الطريق ينحدر مع مُنحدِريه ويُصعِد مع مُصعِديه؛ قلت : فأين هي؟ قال : غداً ننزل بإزائها . فلما نزلنا أراني ظَرِباً[٣] عن يَسار الطريق، فقال لي : أترى ذلك الظَّرِب؟ قلت: أراه؛ قال : فإنها في مَسقِطه . قال : فأدركَتني أريحيّةُ الشباب، فقلتُ : أنا والله آتيها برسالتك . قال : فخرجتُ وأتيت الظَّرِبَ وإذا بيت حَريدٌ[٤] وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ ؛ فذكرته لها فزفرَتْ زَفرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقط؛ ثم قالت : أوَحيٌّ هو؟ قلت : نعم، تركتُه في رَحلِي وراء هذا الظَّرِب، ونحن بائتون ومُصبِحون ؛ فقالت : يا بأبي أرى لك وجهاً يدلّ على خير، فهل لك في الأجر؟ فقلت : فقير والله اليه؛ قالت : فالبَسْ ثيابي وكن مكاني ودَعْني حتى آتيَه، وذلك مُغَيرِبانَ الشمس؛ قلتُ : أفعلُ؛ قالت : إنك اذا أظلمتَ أتاك زوجي في هَجمَةٍ[٥] من إبله، فإذا بركتْ أتاك وقال: يا فاجرة يا هَنتاه[٦]، فيُوسِعُكَ شتماً فأوسِعْه صمتاً، ثم يقول : اقمَعي[٧] سِقاءَك، فضَعِ القِمعَ في هذا السِّقاء حتى يُحقَن[٨] فيه، وإياك وهذا الآخرَ فإنه واهي الأسفلِ . قال : فجاء ففعلتُ ما أمرتْني به، ثم قال : اقمعي

(١) في بعض النسخ : «وحدّ عليها أهلها» وحدّ عليه : غضب عليه .

(٢) في بعض النسخ : «وخلعه»، يقال : خلع فلان ابنه أي تبرأ منه . وكان في الجاهلية إذا قال قائل هذا ابني قد خلعته، لا يؤخذ بعد بجريرته .

(٣) والظرب : الرابية الصغيرة .

(٤) الحريد : المعتزل المتنحى . وفي حديث صعصعة «فرفع لي بيت حريد» أي منتبذ متنح عن الناس .

(٥) الهجمة من الإبل : أولها أربعون الى ما زادت . أو ما بين السبعين الى المائة، فاذا بلغت المائة فهي هنيدة .

(٦) يا هنتاه : أي يا هذه، وقيل : يا بلهاء، وتفتح النون وتسكن وتضم الهاء الاخيرة وتسكن .

(٧) قمع الإناء: وضع القمع في فمه ليصب فيه الدهن وغيره .

(٨) حقن اللبن : جمعه .

سقاءك، فخيّبني[١] الله، فتركت الصحيحَ وقمعتُ الواهيَ، فما شعرَ إلا باللبن بين رجليْه، فعمَد الى رِشاء[٢] من قِدٍّ مَربوع، فثناه بأثنين فصار على ثمانِ قُوًى، ثم جعل لا يتقي مني رأساً ولا رِجْلاً ولا جَنْباً، فخشيتُ أن يبدوَ له وجهي، فتكونَ الأخرى، فألزمتُ وجهي الأرضَ، فعمِل بظهري ما ترى.

---

(١) خيبه الله: لم يوفقه للرشاد.

(٢) الرشاء: الحبل. والقدّ: السير المقدود من الجلد. ومربوع: ذو أربع قوى.

ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

أبو سعيد مولى فائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه. وذكر آبن خُرْداذْبَه أن آسم أبي سعيد إبراهيم . وهو يعرف في الشعراء بآبن أبي سنَّة مولى بني أمية، وفي المغنّين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مُجيداً ومُغنّياً وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبولَ الشهادة بالمدينة معدَّلا . وعُمِّر الى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المهديّ وإسحاق الموصليّ وذووهما . وله قصائد جِياد في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود أبنا عليّ بن عبد الله بن العباس، يُذكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديثُ ذكرَه .

غناؤه عند المهدي :

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبَيد الله بن عبد الله عن إسحاقَ ، وأخبرني الُحسَين بن يحيي عن آبن أبي الأزهر عن حَمَّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيي بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب عن أبي جعفر الأسَدِيّ عن إسحاقَ، قال يحيي خاصّة في خبره :

قال إسحاق : حَجَجتُ مع الرشيد، فلما قَرُبتُ من مكة استأذنتُه في التقدم فأذِن لي، فدخلتُ مكةَ، فسألتُ عن أبي سَعيد مولى فائد، فقيل لي : هو في المسجد الحرام؛ فأتيتُ المسجدَ فسألت عنه، فدُلِلْتُ عليه، فإذا هو قائمٌ يصلّي، فجئت فجلست قريباً منه؛ فلمّا فرغ قال لي : يا فتى، ألك حاجة ؟ قلتُ : نعم، تُغنّيني : « لقد طفتُ سبعاً ». هذه رواية يحيي بن عليّ . وامّا الباقون فإنهم ذكروا عن إسحاقَ أنّ المهديّ قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يُغنّيَ له :

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيتُها ألا ليتَ هذا لا عليَّ ولا ليا

ورفّق به وأدنى مجلسَه، وقد كان نَسَك؛ فقال: أوَ أغنّيك يا أمير المؤمنين أحسن منه؟ قال: أنت وذاك؛ فغنّى:

إن هذا الطويلَ منْ آلِ حفصٍ نَشَر المجدَ بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وَثيقٍ وعِمادٍ قد أُثبتتْ إثباتا
مثلَ ما قد بَنى له أوّلوه وكذا يُشبِه البُناةُ[1] البُناتا

– الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد – فأحسن؛ فقال له المهديّ: أحسنتَ يا أبا سعيد، فغنّني «لقد طفتُ سبعا»؛ قال: أوَ أغنّيك أحسنَ منه؟ قال: أنت وذاك؛ فغنّاه:

قَدِمَ الطويلُ فأشرقتْ وٱستبشرتْ أرضُ الحجاز وبانَ في الأشجارِ
إنّ الطويلَ مِنْ آل حفصٍ فاعلموا ساد الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسن فيه؛ فقال: غنّني «لقد طفتُ سبعاً»؛ قال: أوَ أغنّيك أحسنَ منه؟ قال: فغنّني؛ فغنّاه:

أيها السائلُ الذي يَخبِطُ الأرْ ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأتِ هذا الطويلَ من آل حفصٍ إن تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

فأحسنَ فيه؛ فقال له: غنّني «لقد طفتُ سبعاً»، فقد أحسنتَ فيما غنّيت، ولكنّا نُحبّ أن تُغنّي ما دعوناك اليه؛ فقال: لا سبيل الى ذلك يا أمير المؤمنين، لأني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم في منامي وفي يده شيء لا أدري ما هو، وقد رفعه ليضربَني به وهو يقول: يا أبا سَعيد، لقد طفتُ سبعاً، لقد

---

(١) وفي رواية: وكذا يشبه النبات النباتا

طفتُ سبعاً، سبعاً طفتُ! ما صنعتَ بأمّتي في هذا الصوت!؛ فقلتُ له: بأبي أنت وأمي اغفرْ لي، فوالذي بَعثك بالحق واصطفاك بالنبوّة لا غَنَّيتُ هذا الصوت أبداً؛ فردّ يدَه، ثم قال: عفا الله عنك إذاً، ثم انتبهتُ؛ وما كنتُ لأعطِيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم شيئاً في منامي فأرجعَ عنه في يَقظَتي؛ فبكى المهديُّ وقال: أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسنَ الله اليك! لا تَعُدْ في غنائه، وحباه وكساه وأمر بردّه الى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن أسمعه يا أمير المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة. وأظنّ حكايةَ مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً، لأنّ مَنَّةَ جاريةَ البرامكة لم تكن في أيام المهديّ، وإنما نشأتْ وعُرفت في أيام الرّشيد.

وقد حدّثني أحمد بن جعفر جَحظَة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيمَ بنِ المهديّ عن أبيه أنه هو الذي لقي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القصة. وذكر ذلك أيضاً حمّاد بنُ إسحاقَ عن إبراهيمَ بنِ المهديّ. وقد يجوز أن يكون إبراهيم ابن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهديّ. وأمّا خبرُ إبراهيمَ بن المهديّ خاصّةً فله معانٍ غيرُ هذه، والصوتُ الذي سأله عنه غيرُ هذا، وسيُذكر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلّا تنقطع.

وأخبرني إسماعيلُ بن يونس الشِيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة:

أن إبراهيم بنَ المهديّ لقي أبا سَعيد مولى فائد؛ وذكر الخبرَ بمثل الذي قبله؛ وزاد فيه: فقال له: أَشْخَصْ معي الى بغدادَ، فلم يفعل؛ فقال: ما كنت لآخذَك بما لا تحبّ، ولو كان غيرُك لأكرهتُه على ما أُحبّ، ولكن دُلّني على من ينوب عنك؛ فدلّه على ابن جامع، وقال له: عليك بغلام من بني سَهم قد أخذ عنّي وعن نُظرائي وتخرّج، وهو كما تحبّ؛ فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد؛ فهو الذي كان سببَ وروده إياها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

لقد طُفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... ألا ليتَ هذا لا عليّ ولا ليا
يُسائلني صَحبي فما أعقِلُ الذي ... يقولون من ذكرِ لليلى اعترانيا

عروضه من الطويل. ذكر يحيى بن عليّ أن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد، وذكر غيرُه أن الشعرَ للمجنون. ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار. وذكر حبش أنّ فيه لإبراهيمَ خفيفَ رَملٍ آخَرَ. والذي ذكر يحيى بن عليّ من أن الشعر لأبي سَعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرني عمي عن الكُرانيّ عن عيسى بن إسماعيلَ عن القَحذَميّ أنه أنشده لأبي سَعيد مولى فائد. قال عمي: وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمدُ بن أبي طاهر عن أبي دِعامةَ لأبي سعيد. وبعد هذين البيتين اللذين مضيا هذه الأبياتُ:

إذا جئتَ بابَ الشِّعبِ[1] شِعبِ ابن عامرٍ ... فأقرِئْ غزالَ الشِّعبِ مِنّي سلاميا
وقل لغزال الشِّعب هل أنت نازلٌ ... بشِعبك أم هل يُصبحُ القلبَ ثاويا
لقد زادني الحُجّاج شوقاً إليكمُ ... وقد كنتُ قبلَ اليوم للحجّ قاليا
وما نظرتْ عيني إلى وجه قادمٍ ... من الحجّ إلا بَلّ دمعي ردائيا

في البيت الأوّل من هذه الأبياتِ هو:

إذا جئتَ بابَ الشعب شعب ابن عامر

(١) شعب بني عامر: ماء أوّله الأبلّة. كما في معجم ياقوت.

لابن جامع خفيفُ رملٍ عن الهشاميّ .

ومنها :

صوت

إنّ هذا الطُّويل من آل حفصٍ نشر المجدَ بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وثيقٍ وعمادٍ قد أثبِتتْ إثباتا
مثل ما قد بنى له أوّلوه وكذا يشبهُ البُناةُ البُناتا

عروضُه من الخفيف . الشعر والغناء لأبي سَعيد مولى فائد . ولحنه رمَل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صوت

قدِم الطويلُ فأشرقتْ لقدومه أرضُ الحجاز وبانَ في الأشجارِ
إن الطويلَ مِن آل حفصٍ فاعلموا سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

الشعر والغناء لأبي سعيد .

ومنها :

صوت

أيها الطالبُ الذي يَخبِطُ الأر ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأتِ هذا الطويلَ من آلِ حفصٍ إن تخوّفتَ عَيلَةً أو هلاكا

عروضُه من الخفيف . الشعر لأبي سَعيد مولى فائد ، وقيل : إنه للدّارِميّ والغناء لأبي سعيد خفيفُ ثقيل . وفيه للدّارِمي ثاني ثقيل .

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراء في هذه الأشعار ، هو عبد الله ابن عبد الحميد بن حفص ، وقيل : ابن أبي حفص بن المغيرة المخزومي ، وكان ممدّحاً .

مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزومي :

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيوب المدينيّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه :

ان عبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ، كان يُعطي الشعراء فيُجزل، وكان مُوسِراً، وكان سبب يَساره ما صار اليه من أمّ سَلَمة المخزوميّة امرأةِ أبي العبّاس السَّفّاح، فإنه تزوّجها بعده، فصار اليه منها مالٌ عظيمٌ، فكان يتسمّح به ويتفتّى[1] ويتّسع في العطايا . وكانت أمُّ سلمة مائلةً اليه، فأعطته ما لا يدري ما هو، ثم إنها اتّهمته بجاريةٍ لها فاحتجبتْ عنه، فلم تَعُد اليه حتى مات . وكان جميلَ الوجه طويلاً . وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد :

إن هذا الطويلَ منْ آل حفصٍ   نشر المجدَ بعد ما كان ماتا

وفيه يقول الدارِميّ :

أيّها السائلُ الذي يَخبِط الأر   ضَ دعِ الناسَ أجمعين وَراكا
وأتِ هذا الطويلَ من آلِ حفصٍ   إنْ تخوّفتَ عَيلةً أو هلاكا

وفيه يقول الدارميّ أيضاً :

صوت

إنّ الطويلَ إذا حَللتَ به   يوماً كفاكَ مَؤونة الثِّقَلِ

(١) يتفتى : يتسخى .

وَيُروى :

إنَّ الطويلَ إذا حللتَ به

وحللتَ في دَعَةٍ وفي كَنَفٍ رَحْبِ الفِناء ومنزلٍ سَهْلِ

غنّاه ابن عَبَّاد الكاتب، ولحنُه من الثقيل الاول بالبنصر عن ابن المكّي .

غناؤه في المسجد :

فأمّا خبر إبراهيمَ بنِ المهديّ مع أبي سَعيد مولى فائــد الذي قلنا إنه يُذكر هاهنا، فأخبرني به الحسن بن عليّ، قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني القَطِرانيّ المغنّي قال حدّثني ابن جَبر قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن المهديّ يقول : كنتُ بمكة في المسجد الحرام، فإذا شيخ قد طلع وقد قلَب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلّي ؛ فسألت عنه فقيل لي : هذا أبو سَعيد مولى فائد؛ فقلت لبعض الغِلمان : احصِبْه حَصَبه؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنّ أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له؛ فقلت للغلام : قل له : يقول لــك مولاي : ابلغني؛ فقال ذلك له؛ فقال له أبو سعيد : مَن مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاي إبراهيم بن المهديّ. فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ؛ وقام فجلس بين يديّ، وقال : لا والله – بأبي أنت وأمي – ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك، أخبرني عن هذا الصوت :

أفاض المدامعَ قَتْلى كُدًى[1] وقَتْلى بكُثْوَة[2] لم تُرْمَسِ

قال : هو لي؛ قلت : وربِّ هذه البَنِيَّة لا تَبرَحُ حتى تُغنّيَه؛ قال : وربِّ هــذه

(١) كدى (بالضم والقصر) : موضع بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شِعب الشافعيــين، وكدى (منقوصة كفتى) : ثنية بالطائف . وكداء (كسماء) : اسم لعرفات او جبل بأعــلى مكة . والشاعر يريد موضعاً بعينه من هذه المواضع كانت به وقعة وقتلى، وكل منها يحتمله وزن الشعر .

(٢) كثوة : موضع .

البنيّة لا تبرحُ حتى تسمَعَه . قال: ثم قلَب إحدى نعليه وأخـذ بعقِب الأخرى، وجعل يقرَع بحرفها على الأخرى ويُغنّيه حتى أتى عليه، فأخذ ُته منه . قال ابن جبر: وأخذته أنا من إبراهيمَ بن المهديّ .

رد شهادته ثم قبولها :

أخبرني رِضوان بن أحمدَ الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قـال حدّثني دنية المَدَنيّ صاحب العبّاسة بنتِ المهديّ، وكان آدبَ من قدِم علينا من أهل الحجاز :

ان أبا سعيد مولى فائد حضَر مجلس محمد بن عمران التَّيميّ قاضي المدينـة لأبي جعفر، وكان مقدِماً لأبي سعيد؛ فقـال له ابن عمران التيميّ : يا أبا سعيد أنت القائل :

لقد طُفتُ سبعاً قلت لمّا قضيتُها ألا ليت هذا لا عليّ ولا ليا

فقال : إي لعَمرُ أبيك، وإني لأُدمِجه إدماجاً من لؤلؤ؛ فردّ محمد بن عمران شهادتَه في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مُغضَباً وحلَف ألّا يشهدَ عنده أبداً . فأنكر أهلُ المدينة على ابن عِمران ردّه شهادتَه، وقالوا : عرّضت حقوقنا للتّوى[1] وأموالَنا للتلف؛ لأنا كنّا نُشهد هذا الرجلَ لعلمنا بما كنتَ عليه والقُضاةُ قبلك من الثّقة به وتقديمه وتعديله؛ فندِم ابنُ عِمران بعد ذلك على ردّ شهادته، ووجّه اليه يسأله حضورَ مجلِسه والشهادةَ عنده ليقضيَ بشهادته؛ فامتنع، وذكر أنه لا يقدِر على حضور مجلسه ليمينٍ لزِمته إن حضَره حَنِثَ . قال : فكان ابنُ عمران بعد ذلك، إذا ادّعى أحد عنده شهادةَ أبي سعيد، صار اليه الى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهَد به فيُخبره . وكان محمد بن عمران كثيرَ اللحم، عظيمَ البطن، كبيرَ العَجيزة، صغيرَ القدمين، دقيقَ الساقين يشتدّ عليـه

(١) التوى (وزان الحصى، وقد يمدّ — كما في المصباح) : الهلاك .

المشيُ، فكان كثيراً ما يقول : لقد أتعبني هذا الصوت « لقد طُفتُ سبعاً » وأضرَّ بي ضرراً طويلاً شديداً ، وأنا رجل ثَقالٌ ، بتردّدي الى ابي سعيد لأسمع شهادَته .

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا النَّضر بن عمر عن الهيثم بن عَديّ قال :

كان المطَّلِب بن عبد الله بن حَنطَب قاضياً على مكة، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطلب : وَيحك ! ألستَ الذي يقول :

لقد طُفتُ سبعاً قلتُ لما قضيتُها ألا ليتَ هذا لا عليّ ولا ليَا

لا قبِلتُ لك شهادةً أبداً . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذي أقول :

كأنَّ وجوهَ الحنطِبِيِّين[1] في الدُّجى قناديلُ تَسقيها السَّلِيطَ[2] الهياكلُ

فقال الحنطَبيّ . إنك ما علمتُك إلا دَبَّاباً حول البيت في الظُّلَم، مُدْمِناً للطواف به في الليل والنهار؛ وقَبِل شهادَته .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذي في حديث إبراهيم بن المهديّ وخبره

صوت

أفاضَ المدامعَ قَتلى كُدى وقَتلى بكُثوة لم تُرمَسِ

(١) الحنطبيون : بطن من مخزوم، ينسبون الى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي الصحابي .

(٢) السليط : الزيت وكل دهن عصر من حب .

وقَتلى بِوَجٍّ[١] وباللَّابَتَيـــنِ[٢] من يثربٍ خيرُ ما أنفُسِ
وبالزَّابيَيْنِ[٣] نفــوسٌ ثَوَتْ وأخرى بنهر أبي فُطْرُسِ[٤]
أولئك قومي أناختْ بهم نوائبُ من زمنٍ مُتْعِسِ
إذا ركبوا زَيَّنوا الموكِبين وإن جلسوا الزينُ في المجلسِ
همُ أضرعوني لرَيْبِ الزمان وهم ألصَقوا الرغمَ[٥] بالمَعْطِسِ

عروضه من المتقارب . الشعر للعَبَلِيّ ، وأسمُه عبـد الله بن عمر ، ويكنى أبا عَديّ ، وله أخبارٌ تذكر مُفردةً في موضعها إن شاء الله . والغِنـاء لأبي سَعيد مولى فائد ، ولحنه من الثَّقيل الثـاني بالسبّابة في مجرى البِنصر . وقصيدة العَبَليّ أولها :

تقول أمامــةُ لما رأت نُشوزي عن المَضجَعِ الأنْفَسِ

إبكاؤه في الانشاد :

نسخت من كتاب الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبـير بن بكّار ،

---

(١) وجّ : اسم واد بالطائف .

(٢) اللابتان : تثنية لابة وهي الحرّة ، وهما حرتان تكتنفان المدينة ، وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها ، يعني المدينة . والحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

(٣) الزابيان : تثنية زاب ، وربما قيل فيه : « زابي » (بياء في آخره) فيثنى على « زابيين » . وهو اسم لروافد كثيرة . ولعل الشاعر يريد الزاب الأعلى الذي بين الموصل وإربل . وفيـه كانت وقعة بين مروان الحمار بن محمد وبني العباس ؛ والزاب الأسفل وبينه وبين الزاب الاعلى مسيرة يومين او ثلاثة وعليه كان مقتل عبيد الله بن زياد وهو من بني أمية .

(٤) نهر ابي فطرس : نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثني عشر ميــلاً من الرملة ، ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ، ويصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا ؛ وبه كانت الوقعة التي بين عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وبين بني أمية ، فقتلهم في سنة ١٣٢ هـ ، فقال أبو سعيد مولى فائد هذا الشعر .

(٥) الرغم : التراب . والمعطس (كمجلس ومقعد) : الأنف .

وأخبرني الأخفش عن المبرّد عن المُغيرة بن محمد المهلّبي عن الزُّبير عن سليمانَ بن عَيّاش السَّعْديّ قال :

جاء عبد الله بن عمر العَبليّ الى سُوَيقة[1] وهو طريد بني العبّاس ؛ وذلك بعقب أيام بني أميّة وابتداء خروج مُلكهم إلى بني العبّاس ، فقصد عبد الله وحسناً ابني الحسن بن حسن بسُوَيقة ؛ فاستنشده عبدُ الله بن حسن شيئاً من شعره فأنشده ؛ فقال له : أريد أن تُنشدني شيئاً مما رثيت به قومك ؛ فأنشده قوله :

تقولُ أمامـةُ لما رأت نُشوزي عن المَضجعِ الأنفسِ
وقلّةَ نومي عـلى مَضجعي لدى هَجعة الأعيُنِ النُّعَّسِ
أبي ما عراكَ فقلتُ الهمومُ عَرَوْنَ[2] أباكِ فـلا تُبلِسي[3]
عَرَوْنَ أباكِ فحبَّسْنَـه من الذلّ في شرّ ما مَحْبِسِ
لفقدِ الأحبّـة إذ نالها سِهامٌ من الحَدَث المُبلِسِ[4]
رمتها المنونُ بـلا نُكَّلٍ ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ
بأسهمها المُتلفات النفوس متى ما تُصِبْ مهجةً تُخلَسِ
فَصرَّعْنَهم في نواحي البلاد مُلقًى بأرضٍ ولم يُرْسَسِ[5]
تَقِيٌّ[6] أُصيب وأثوابُه من العيب والعار لم تَدْنَسِ
وآخرُ قد دُسَّ في حُفرةٍ وآخرُ قـد طار لم يُحسَسِ
إذا عنَّ ذكرُهمُ لم يَنَمْ أبوكِ وأوحشَ في المجلسِ

---

(١) سويقة : موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب .

(٢) عراه يعريه ويعروه : غشيه .

(٣) لا تبلسي : لا تحزني .

(٤) ويروى : « الحدث المونس » .

(٥) الرسّ : الدفن . ويروى : يرمس .

(٦) ويروى : « نقي » .

فذاك الذي غالني[1] فاعلمي ولا تسألي بامرئٍ متْعَسِ
أذلُّوا قَناتي لمن رامَها وقد ألصقوا الرَّغمَ بالمَعطِسِ

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسن وإنّ دموعَه لتجري على خدّه .

غناؤه الرشيد :

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رَباح قال :

عُمِّرَ أبو سعيد بن أبي سنة مولى بني أمية وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيام الرشيد ؛ فلما حجّ أحضره فقال : أنشدني قصيدَتك :

تقول أمامَةُ لما رأتْ[2]

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنشدَه الشعرَ لحنه في أبياتٍ منها ، أوّلها :

أفاض المدامعَ قتلى كُدَى

وكان الرشيد مُغضَباً فسكن غضبُه وطَرِب ، فقال : أنشدني القصيدةَ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، كان القوم مواليّ وأنعموا عليّ فرثيتُهم[1] ولم أهجُ أحداً ؛ فتركه .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الخزَنبل قال :

كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضر معنا أبو هفّان[3] ، فأنشدنا ابن الأعرابيّ عمّن أنشده قال : قال ابن أبي سبّة العَبليّ[4] :

---

(١) في رواية : « عالني » .

(٢) يلاحظ هنا أن أبا الفرج قد نسب قصيدة :

تقول أمامة لما رأت

لأبي سعيد بن أبي سنة، مع أنه في الخبر الذي تقدّمه نسبها لعبد الله بن عمر العبليّ وسينسبها اليه بعد أسطر، كما نسبها اليه أيضاً في ترجمته الخاصة به .

(٣) أبو هفان كنية عبد الله بن أحمد المهزمي، كما في معجم ياقوت في كلامه على « كتوة » .

(٤) يلاحظ أن « العبليّ » ليس نسبة لابي سبة، وإنما هو نسبة لابي عديّ عبد الله بن عمر صاحب هذا الشعر .

أفاض المدامعَ قَتلى كذا وقَتْـلى بكُبْوة لم تُرمَسِ

فغمز أَبو هفَّان رجلاً وقال له : قلْ له : ما معنى « كذا » ؟ قال : يريد كثرتهم ؛ فلما قمنا قال لي أبو هفَّان : أسمعتَ إلى هذا المعجب الرَّقيع ! صحَّف اسمَ الرجل ، هو ابن أبي سنَّة ، فقال : ابن أبي سبَّة ؛ وصحَّف في بيتٍ واحد موضعَين ، فقال : قَتلى كذا وهو كُدَى ، وقتلى بكُبوة وهو بكُثْوة ؛ وأغلظُ عليَّ من هذا أنه يفسِّر تصحيفَه بوجهٍ وقاحٍ . وهذا الشعرُ الذي غنَّاه أبو سعيد يقوله أبو عديّ عبد الله ابن عمر العَبَليّ فيمن قتله عبدُ الله بن عليّ بنهر أبي فُطرس وأبو العبَّاس السفَّاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أميَّة . وخبرهم والوقائعُ التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرها جدًّا ونذكر هاهنا ما يُستحسن منها .

ذكر من قتل ابو العباس السفاح من بني امية

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني مُسَبّح بن حاتِم العُكْلي قال حدّثني الجهم ابن السَّبّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ، قال:

لمّا استمرّت الهزيمة بمروان، أقام عبدُ الله بن عليّ بالرَّقّة، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد في طلبه فصار إلى دمشق، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيلَ عامرٌ الطويل من قوّاد خُراسان، فلحقه وقد جاز مصرَ في قرية تدعى بُوصِير[1]، فقتله، وذلك يومَ الأحد لثلاثٍ بقين من ذي الحِجّة، ووجّه برأسه إلى عبد الله بن عليّ، فأنفذه عبد الله بن عليّ إلى أبي العبّاس؛ فلما وُضع بين يديه خرّ لله ساجداً، ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يُبْقِ ثاري قِبَلك وقِبَلَ رَهطِك أعداء الدّين؛ ثم تمثّل قولَ ذي الإصبع العَدْوانيّ:

لو يَشرَبون دمي لم يُروِ شارِبَهم ولا دماؤهمُ للغَيظ تُرويني[2]

أخبرني محمد بن خَلف وكيعٌ قال حدّثني محمد بن يزيد قال:

---

(١) هي بوصير قوريدس من أعمال الفيوم التي قتل بها مروان المذكور كما في تقويم البلدان لابي الفدا اسماعيل (ص ١٠٧ طبع أوربا) ومعجم البلدان لياقوت في كلامه على «بوصير». وفي كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندي (ص ٩٦ طبع بيروت) أنه «قتل ببوصير من كورة الأشمونين يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة». وكورة الأشمونين من كور الصعيد الادنى غربي النيل كما في معجم ياقوت. وفي النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٣١٧ طبع دار الكتب المصرية) أنه قتل ببوصير بالجيزة.

(٢) ورد هذا البيت في الامالي (ج ١ ص ٢٥٦ طبع دار الكتب المصرية) في قصيدة ذي الاصبع العدوانيّ هكذا:

لو تشربون دمي لم يرو شاربكم ولا دماؤكم جمعاً ترويّني

نظر عبد الله بن عليّ الى فتى عليه أُبهةُ الشرف وهو يقاتل مُستَنتِلاً[١]، فناداه: يا فتى، لك الأمانُ ولو كنتَ مروانَ بن محمد؛ فقال: إلّا أكُنْه فلستُ بدونه؛ قال: فلك الأمان مَنْ كنتَ؛ فأطرق ثم قال:

أذُلُّ الحياة وكُرْهُ المماتِ وكُلّا أرى لك شراً وَبيلا

ويروى: وكُلّا أراه طعاماً وَبيلا

فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسَيْرًا إلى الموت سيراً جميلا

ثم قاتل حتى قتل؛ قال: فإذا هو ابن مَسلَمةَ[٢] بن عبد الملك بن مروان.

سديف يحرض السفاح:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن سَعد الكُرانيّ قال حدّثني النّضر بن عمرو عن المُعَيطِيّ، وأخبرنا محمد بن خلف وكيعُ قال قال أبو السائب سَلم بن جُنادة السُّوائيّ[٣] سمعت أبا نُعَيم الفضلَ بن دُكَين يقول:

دخل سُدَيف — وهو مولى لآل أبي لَهب — على أبي العبّاس بالحيرة. هكذا قال وكيع، وقال الكُرانيّ في خبره واللفظُ له: كان أبو العبّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونَه على الكراسيّ، وبنو أميّة على الوسائد قد ثُنِيت لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسيّ؛ فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجل حجازيّ أسود راكبٌ على نجيب متلثّمٌ يستأذن ولا يخبر باسمه، ويحلف ألّا يَحسِرَ اللِّثامَ

---

(١) المستنتل: الخارج من الصف المتقدم على أصحابه.

(٢) في النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية) بعد ذكر هذين البيتين: «فاذا هو محمد بن عبد الملك، وقيل: ابن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم».

(٣) السوائيّ (بالضم والتخفيف والهمز): نسبة الى سُواءة بن عامر بن صعصعة.

عن وجهه حتى يراكَ ؛ قال : هذا هو مولاي سُدَيف ، يدخل ، فدخل ؛ فلما نظر إلى أبي العبَّاس وبنو أُميَّة حوله ، حدَرَ اللثام عن وجهه وأنشأ يقول[١] :

أصبح المُلكُ ثابتَ الآساسِ بالبَهاليـلِ[٢] من بني العبَّاسِ
بالصدور المُقدَّمـين قديماً والرؤوس القَماقِم الرُّؤاسِ[٣]
يا أمـيرَ المُطهَّرين من الذ مّ ويا رأس منتهى كلّ راسِ
أنت مَهديُّ هاشم وهُداها كم أناس رَجَوْك بعد إياسِ[٤]
لا تُقيلنّ عبدَ شمس عِثاراً واقطعن كلَّ رَقلة[٥] وغِراسِ
أنزِلوها بحيث أنزلهـا اللهُ بدارِ الهوان والإتعاسِ
خوفُهم أظهر التودُّدَ منهم وبهم منكمُ كحَزّ المواسي
أقصِهم أيها الخليفةُ واحسِمْ عنك بالسيف شأفةَ الأرجاسِ

---

(١) اتفق الكامل للمبرد (ص ٧٠٧ طبع أوربا) والعقد الفريد (ج ٢ ص ٣٥٦ طبع مصر) في أن قائل هذا الشعر هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم ، ويؤكد هذا الشعر نفسه ، إذ يقول فيه ، على رواية :

نعم شبل الهراش مولاك شبل لو نجا من حبائل الإفـلاس

واتفقا ايضاً على أن شعر سديف هو :

لا يغرّنك ما ترى من أناس إن تحت الضـلوع داء دويّا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

واختلفا فيمن أنشد بين يديه هذا الشعر ، ففي العقد الفريد أنه أبو العباس السفاح ، وفي الكامل أنه عبد الله بن عليّ .

(٢) البهاليل : جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير ، او هو الحيّ الكريم .

(٣) الرؤاس : الولاة والحكام .

(٤) ويروى : كم أناس رجوك بعد أناس

(٥) الرقلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد .

وأذكرنْ[1] مَصرعَ الحسين وزيدٍ[2] وقتيلٍ[3] بجانب المِهراس[4]
والإمامِ[5] الذي بحرّان أمسى رَهْنَ قبرٍ في غُربةٍ وتناسي
فلقد ساءني وساء سَوائي قُربُهم من نَمارقٍ وكَراسي
نِعم كلبُ[6] الهراش مولاك لولا أوَدٌ[7] من حبائل الإفلاس

فتغيّر لونُ أبي العبّاس وأخذه زَمَعٌ[8] ورِعْدة؛ فالتفتَ بعضَ ولدِ سليمانَ بنِ عبد الملك إلى رجل منهم، وكان إلى جَنبه، فقال: قتلَنا واللهِ العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم، فقال: يا بَني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سَلفوا وأنتم أحياءٌ تَتلذّذون في الدنيا! خُذوهم! فأخذتْهم الخُراسانيّةُ بالكافر[9] كوبات، فأُهمِدوا، إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداودَ بن عليّ وقال له: إن أبي لم يكن كآبائهم وقد علمتَ صنيعتَه إليكم؛ فأجاره واستوهبَه من السفّاح، وقال له: قد علمتَ يا أميرَ المؤمنين صنيع أبيه إلينا؛ فوَهبه له وقال له: لا تُرِيَنّي وجهَه وليكن بحيثُ تأمَنُه؛ وكتب إلى عمّاله في النواحي بقتل بني أميّة.

---

(١) في الكامل: «واذكروا».

(٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل في ايام هشام بن عبد الملك.

(٣) يعني به حمزة بن عبد المطلب، قتله يوم أحد وحشيّ غلام جبير بن مطعم.

(٤) المهراس فيما ذكر المبرد: ماء بأحد؛ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه عليّ في درقة بماء من المهراس، فعافه وغسل به الدم عن وجهه. قال المبرد في الكامل: وإنما نسب شبل قتل حمزة الى بني أمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد.

(٥) الإمام الذي بحران: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية، وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية صبرا.

(٦) في الكامل والعقد الفريد:

نعم شبل الهراش مولاك شبل لو نجا من حبائل الإفلاس

(٧) الأود: الكد والتعب والجهد.

(٨) الزمع: شبه الرعدة تأخذ الانسان.

(٩) او الكفر كوبات، ولعله اسم أعجمي لآلات يضرب بها كالعمد وغيرها.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سَعيد الدِمَشقيّ قال حدّثنا الزُّبَير ابن بَكّار عن عمه :

أن سبب قتل بني أُميَّة : أن السفّاح أُنشِدَ قصيدةً مُدِح بها، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا مما مُدِحتم به ! فقال : هيهات لا يقول والله أحدٌ فيكم مثلَ قول ابن قَيس الرُّقَيَّات فينا :

ما نَقَموا من بني أُميَّـةَ إلّا أنهم يَحلُمون إن غَضِبوا
وأنهم مَعـدِنُ الملوك ولا تَصلُح إلّا عليهـمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماصّ كذا من أمّه، أوَ إنّ الخلافةَ لَفِي نفسِك بَعدُ ! خُذوهم ! فأخِذوا فقُتِلوا .

أخبرني عمي عن الكُرانيّ عن النَّضر بن عمرو عن المُعَيطيّ :

أن أبا العبّاس دعا بالغَداء حين قُتِلوا، وأمر ببِساط فبُسط عليهم، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته. فلما فرَغ من الأكل قال : ما أعلَمُني أكلتُ أكْلَةً قطُّ أهنأ ولا أطيبَ لنفسي منها . فلما فرَغ قال : جُرّوا بأرجلهم ؛ فأُلقُوا في الطريق يلعنهم الناسُ أمواتاً كما لعنوهم أحياء . قال : فرأيت الكلابَ تجرّ بأرجلهم وعليهم سَراويلاتُ الوَشْي حتى أنتنوا ؛ ثم حُفرت لهم بئر فأُلقوا فيها .

ابن هرمة يوغر على الامويين :

أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن مَعْن الغِفاريّ عن أبيه قال :

لما أقبل داود بن عليّ من مكة أقبل معه بنو حسن جميعاً وحسين بن عليّ بن حسين وعلي بن عمر بن علي بن حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عَنبَسة بن سعيد

ابن العاصي وعُروةُ وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمر بن عثمان ، فعُمل لداود مجلس بالرُّوَيثة[١] ، فجلس عليه هو والهاشميّون ، وجلس الأمويون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمة قصيدةً يقول فيها :

فلا عفا اللهُ عن مروانَ مَظلمةً ولا أميّة بئس المجلسُ النادي
كانوا كعادٍ فأمسى الله أهلكهم بمثل ما أهلك الغاوين من عادِ
فلن يكذّبني من هاشم أحدٌ فيما أقول ولو أكثرتُ تعدادي

قال : فنبذ داودُ نحوَ ابن عَنْبَسة ضَحكةً كالكِشْرة ؛ فلما قام قال عبدُ الله بن حسن لأخيه حسن : أما رأيتَ ضَحكته إلى ابن عَنْبَسة ! الحمد لله الذي صرفها عن أخي[٢] يعني العُثمانيّ . قال : فما هو إلا أن قدِم المدينة حتى قتلَ ابنَ عَنْبَسة .

قال محمد بن مَعْن حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال :

استحلف أخي عبدُ الله بن حسن داود بن عليّ ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بطلاق امرأته مُلَيكة بنتِ داود بن حسن ألّا يقتل أخوَيه محمداً والقاسمَ ابني عبد الله ؛ قال : فكنت أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أميّة، وكان يكره أن يراني أهلُ خُراسان ولا يستطيع إليّ سبيلاً ليمينه ؛ فاستدناني يوماً فدنوتُ منه ، فقال : ما أكثرَ الغَفلَةَ وأقلّ الحَزْمَةَ ! فأخبرتُ بها عبدَ الله ابن حسن ؛ فقال : يابن أمّ ، تَغَيّبْ عن الرجل ؛ فتغيّبتُ عنه حتى مات .

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بِشر مولى محمد بن عليّ قال :

أنشد سُدَيف أبا العبّاس ، وعنده رجالٌ من بني أميّة ، قولَه :

---

(١) الرويثة : موضع على ليلة من المدينة .

(٢) هو أخوه لأمه، كما ذكر ذلك في كتب التاريخ.

يابن عمّ النبيّ أنت ضياءٌ استبنّا بـك اليقينَ الجليّا

فلما بلغ قوله :

جرّدِ السيفَ وارفع العفوَ حتى لا ترى فوق ظهرهـا أمويّا
لا يغرّنّكَ ما ترى من رجالٍ إنّ تحت الضلوع داء دويّا
بَطن البغضُ في القديم فأضحى ثاوياً في قلوبهـم مطويّا

وهي طويلة ؛ قال : يا سُدَيف ، خُلِق الإنسان من عجل ؛ ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلفوا فلن تبيدَ وللآباء أبناءُ

ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا .

أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النّوفلي عن أبيه عن عمومته :

أنهم حضروا سليمانَ بن عليّ بالبَصرة ، وقد حضره جماعةٌ من بني أميّة عليهم الثيابُ المَوشيّة المرتفعة ، فكأني أنظر إلى أحدهم وقد اسودّ شيبٌ في عارضيه من الغالية[1] ، فأمر بهم فقتلوا وجُرّوا بأرجلهم ، فألقوا على الطريق ، وإنّ عليهم لَسراويلاتِ الوَشْي والكلابُ تجرّ بأرجلهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المُبارَك عن أبيه قال :

جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتبة ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولةُ وأنا حديث السنّ كثيرُ العِيال منتشرُ المال ، فما أكون في قبيلة إلا شُهِر أمري وعُرفتُ ، وقد اعتزمتُ على أن أفدِيَ حُرَمي بنفسي ؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن عليّ ، فصِرْ إليّ ؛ فوافيتُه فإذا عليه طَيْلسانٌ

(١) الغالية : ضرب من الطيب .

مُطبقٌ أبيض وسراويلُ وَشْي مَسدول، فقلت : يا سبحان الله ! ما تصنع الحداثة بأهلها ! أبهذا اللّباس تَلقى هؤلاء القومَ لِما تريـد لقاءهم فيه ! فقال : لا والله، ولكنه ليس عندي ثوبٌ إلا أشهر مما ترى ؛ فأعطيتُه طَيلَساني وأخذتُ طَيلَسانَه ولويتُ سراويله الى ركبتيه ؛ فدخل ثم خرج مسروراً ؛ فقلت له : حدّثني ما جرى بينك وبين الأمير ؛ قال : دخلتُ عليه ولم يَرَني قطُّ، فقلت : أصلح اللهُ الأميرَ، لفَظَتْني البلادُ اليك، ودلّني فضلُك عليك ؛ فإمّا قتلتَني غانماً، وإمّا رددْتني سالِماً ؛ فقال : ومَنْ أنت ؟ ما أعرفك ؛ فانتسبت له ؛ فقال : مرحباً بك، أقعد فتكلّم آمناً غانماً ؛ ثم أقبل عليّ فقال : ما حاجتُك يابن أخي ؟ فقلت : إنّ الحُرَم اللواتي أنت أقربُ الناس إليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدنا، قد خِفن لخوفنا، ومن خاف خِيف عليه ؛ فوالله ما أجابني إلا بدموعه على خدّيه ؛ ثم قال : يابن أخي، يَحقِن اللهُ دمَك، ويحفظك في حُرَمك، ويوفّر عليك مالك، ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلتُ، فكن متوارياً كظاهر، وآمناً كخائف، ولتأتِني رِقاعُكَ . قال : فكنتُ والله أكتُب اليه كما يكتب الرجلُ إلى أبيه وعمه . قال : فلما فرغ من الحديث رددتُ عليه طَيلَسانَه ؛ فقال : مَهلاً، فإن ثيابنا إذا فارقتْنا لن ترجع إلينا .

أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال :

قال سُدَيف لأبي العبّاس يحُضُّه على بني أميّة ويذكر مَنْ قَتَل مروانُ وبنو أميّة من قومه :

كيف بالعفو عنهمُ وقديماً ... قتلوكم وهتّكوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيد ... يا لَها من مُصيبةٍ وتِراتِ
والإمامُ الذي أُصيب بحرّا ... نَ إمامُ الهدى ورأسُ الثِّقاتِ
قتلوا[1] آل أحمدٍ لاعفا الذنـ ... ـبَ لمروانَ غافرُ السيئاتِ

(١) ويروى : قتلوا آل أحمد لا عفا الـلـه لمروان سافرِ السيئات

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال :

أنشدني محمد بن يزيد لرجل من شيعة بني العباس يحرّضهم على بني أميّة :

إياكم أن تلينوا لاعتذارهمُ فليس ذلك إلّا الخوفُ والطّمعُ
لو أنهم أمِنوا أبدَوْا عداوتَهم لكنّهم قُمعوا بالذلّ فانقمعوا
أليس في ألف شهرٍ قد مضتْ لهمُ سَقَوكمُ جُرَعاً من بعدها جُرَعُ
حتى إذا ما انقضتْ أيامُ مدّتهم متّوا اليكم بالأرحام التي قطعوا
هيهات لا بدّ ان يُسقَوْا بكأسهمُ رَيّاً وأن يحصُدوا الزرع الذي زرَعوا
أنا وإخواننا الأنصارَ شيعتُكم إذا تفرّقتِ الأهواء والشِّيَعُ
إياكمُ أن يقولَ الناسُ إنهمُ قد مُلِّكوا ثم ما ضرّوا ولا نفعوا

وذكر ابن المعتزّ : أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخصيب في قصّة سُدَيف بمثل ما ذكره الكُرانيّ عن النضر بن عمرو عن المُعيطي، إلا أنه قال فيها :

فلما أنشده ذلك التفت اليه أبو الغَمْر سليمان بن هشام ، فقال : يا ماصّ بظْرِ أمه ، أتجبَهُنا بهذا ونحن سَرَوات الناس ! . فغضِب أبو العبّاس ؛ وكان سليمان بن هشام صديقَه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيامهم ويَبَرّه؛ فلم يلتفت إلى ذلك ، وصاح بالخُراسانيّة : خذُوهم ؛ فقتلوا جميعاً إلا سليمانَ بن هشام ، فأقبل عليه السّفّاح فقال : يا أبا الغَمْر ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً ؛ قال : لا والله، فقال : اقتلوه ، وكان إلى جنبه ، فقُتل ؛ وصُلِبوا في بستانه ، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم ، فكلّموه في ذلك، فقال : والله لَهذا ألذّ عندي من شمّ المِسك والعنبر، غيظاً عليهم وحَنقاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أصبح الدِّينُ(١) ثابتَ الآساسِ بالبَهاليلِ من بني العبّاسِ
بالصدور المُقدَّمين قديماً والرؤوس القَماقِمِ الرُّؤّاسِ

عروضُه من الخفيف ، الشعر لسُدَيف . والغناء لعَطَرَّد رمَل بالبنصر عن حَبش. قال : وفيه لحكَم الوادي ثاني ثقيل وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول .

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قَتْلى بني أميّة وغَنّى فيه :

صوت

بكيتُ وماذا يَرُدّ البُكاء وقَلَّ البُكاء لقَتْلى كَداء(٢)
أصيبوا معاً فتولَّوا معاً كذلك كانوا معاً في رَخاء
بكت لهمُ الأرضُ من بعدهم وناحتْ عليهم نجومُ السَّماء
وكانوا الضِّياء فلما انقضى الـزمانُ بقومي تولّى الضِّياء

عَروضُه من المتقارب . الشعر والغناء لأبي سَعيد مولى فائد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاقَ وغيرهما .

ومما قاله فيهم وغنّى فيه على أنه قد نُسب إلى غيره :

صوت

أثّر الدهرُ في رجالي فقلّوا بعد جَمْع فراح عَظْمي مَهيضا

---

(١) وفي رواية : « أصبح الملك » .

(٢) وردت القافية في هذا الشعر ، في معجم ياقوت في الكلام على كدا ، بالقصر .

ما تذكّرتُهم فتملك عيني فيضَ غربٍ وحقّ لي أن تَفيضا

الشعر والغناء لأبي سَعيد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ . وروى الشِيعيّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق أن الشعر لسُدَيف والغناء للغريض ؛ ولعله وَهَمٌ .

ومنها :

صوت

أولئك قومي بعد عزٍّ ومَنعةٍ تفانَوا فإلّا تَذرِفِ العينُ أكمَدِ
كأنّهمُ لا ناسَ للموت غيرُهم وإن كان فيهم مُنصِفاً غيرَ مُعتدي

الشعر والغناء لأبي سَعيد . وفيه لحنٌ لمتيَّم .

ركوب المأمون الى جبل الثلج :

أخبرني عبد الله بن الرّبيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني عمّي طيّاب بن إبراهيم قال :

ركِب المأمون بدِمَشق يتصيّد حتى بلغ جبلَ الثلج ، فوقف في بعض الطريق على بِركة عظيمة في جوانبها أربعُ سَرَوات[1] لم يُرَ أحسنُ منها ولا أعظم ، فنزل المأمونُ وجعل ينظر إلى آثار بني أُميّةَ ويَعجَب منها ويذكُرهم ، ثم دعا بطَبَق عليه بَزْماوَرْد[2] ورطلِ نبيذ ؛ فقام عَلّوَيهِ فغنّى :

---

(١) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق واحده سروة .

(٢) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضي ، وفخذ الست ، ولقمة الخليفة ، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض. وفي شفاء الغليل : « زماورد » والعامة تقول : « بزماورد » : كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم .

أولئك قومي بعد عزٍّ ومَنعةٍ تَفانَوْا فإلّا تَذرِفِ العينُ أكمَدِ

قال: فغضِب المأمون وأمرَ برفع الطبق، وقال: يابنَ الزانية، ألم يكن لك وقتٌ تبكي فيه على قومك إلّا هذا الوقتَ! قال: نعم أبكي عليهم، مولاكم زِرْياب[1] يركب معهم في مائة غلامٍ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً!. فقام المأمون فركِب وانصرف الناس، وغضِب على عَلّوَيهِ عشرين يوماً، فكلّمه فيه عبّاس أخو بَحرٍ؛ فرضيَ عنه، ووصله بعشرين ألفَ درهم.

صوت

من المائة المختارة

مَهاةٌ لوَ انّ الذرّ يَمشي ضِعافُه على مَتْنِها بَضّتْ مَدارِجُه دماً[2]
فقُلْن لها قُومي فدَيناكِ فارْكبي فأومَتْ بلا لا غيرَ أنْ تتكلّما[3]

عَروضُه من الطويل. بضّت: سالت. يقول: لو مشى الذرّ على جلدها لجرى منه الدم من رقّته. وروى الأصمعيّ:

مُنعّمةٌ لو يُصبِح الذرّ سارياً على متنها بضّت مدارِجُه دما

الشعر لحُمَيد بن ثَور الهِلاليّ. والغناء في اللحن المختار لفُلَيح بن أبي العَوراء،

(١) زرياب: هو علي بن نافع المغني مولى المهدي ومعلم إبراهيم الموصلي، صار الى الشام ثم صار الى المغرب الى بني أمية فقدم الأندلس على عبد الرحمن الأوسط سنة ١٣٦ هـ فركب بنفسه لتلقيه كما حكاه ابن خلدون. وزرياب لقب غلب عليه ببلده لسواد لونه مع فصاحة لسانه، شبه بطائر أسود غرّاد، وكان شاعراً مطبوعاً وأستاذاً في الموسيقى (انظر شرح القاموس مادّة «زرب» وتاريخ بغداد لابن طيفور ج ٦ ص ٢٨٤ طبع أوربا).

(٢) رواية عيون الأخبار (ج ٤ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية):

على جلدها نضت مدارجه دما ونضت بالنون أيضاً: سالت.

(٣) رواية عيون الأخبار: فأومت بلا لا غير ما أن تكلما

ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن فُلَيح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، وأن الثقيل الأوّل للهُذَليّ .

ومما يُغنّى فيه من هذه القصيدة :

صوت

إذا شئتُ غنّتني بأجزاع بِيشةٍ ... أو النخلِ من تَثليثَ[1] أو من يَلَملَما[2]

مُطوَّقةٌ طوقاً وليس بِحَليةٍ ... ولا ضربِ صَوّاغٍ بكفَّيه دِرهما

تُبَكّي[3] على فرخ لها ثم تَغتدي ... مُوَلَّهةً تبغي له الدهرَ مَطعَما

تُؤمّل منه مُؤنِساً لانفرادها ... وتَبكي عليه إن زَقا أو ترنّما

غناه محمد الرفّ خفيفَ رمل بالوُسطى .

---

(١) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .

(٢) يلملم: جبل على مرحلتين من مكة، وفيه مسجد معاذ بن جبل . وفي معجم البلدان لياقوت ورد هذا البيت (ص ٤٨٧ ج ١) هكذا :

إن شئت غنتني بأجزاع بيشة ... وبالرّزن من تثليث أو من يبمبا

وقال : يبمبم بفتحتين بوزن غشمشم : موضع أو جبل ، ولم تجتمع الباء والميم في كلمة اجتماعها في هذه الكلمة ورواه بعضهم يبمم. وفي معجم ما استعجم (ص ٨٥٠) : « إذا شئت .... يبنبما » ويبنبم : واد شجير قبل تثليث . وقد ذكر هذا البيت في الكامل للمبرد (ص ٥٠٣ طبع أوربا) .

(٣) رواية الكامل للمبرد ص ٥٠٣

مطوّقة خطباء تسجع كلما ... دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلاة طوق لم يكن من تميمة ... ولا ضرب صوّاغ بكفيه درهما

وأنجم : أقلع مثل انجال .

ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره

هو حُمَيد بن ثَوْر بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهيك بن هِلال بن عامر بن صَعصَعة بن مُعاوية بن بَكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة ابن قَيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار . وهو من شعراء الإسلام ، وقَرَنه ابنُ سَلّام بِنَهشَل بن حَرّيّ وأوس[١] بن مَغراء . وقد أدركَ حُميدُ بن ثور عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الشعرَ في أيامه ؛ وقد أدرك الجاهليةَ أيضاً .

مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام :

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد وعبدُ الله بن شَبيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المُنذِر الحِزاميّ قال حدّثني محمد بن فَضالة النحويّ قال :

تقدّم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألّا يُشبِّب أحدٌ بامرأة إلا جلَده . فقال حُميد بن ثور :

أَبَى اللهُ إلّا أن سَرْحة[٢] مالكٍ ... على كلّ أفنانِ العِضاه[٣] تَروق[٤]
فقد ذهبتْ عَرْضاً وما فوق طُولها ... من السَّرْح إلا عَشّةٌ وسَحوق

(١) عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين . أما حميد بن ثور ونهشل بن حرّيّ فقد عدّهما في الطبقة الرابعة من الشعراء الاسلاميين .

(٢) السرحة : الشجرة الطويلة .

(٣) العضاهة بالكسر : أعظم الشجر أو كل ذات شوك أو ما عظم منها وطال كالعِضَه كعنب والعِضهَة كعنبة ، والجمع : عضاه وعضون وعضوات .

(٤) أي تزيد عليها بحسنها وبهائها ، من قولهم : راق فلانٌ على فلانٍ اذا زاد عليه فضلاً .

— العَشَّة : القليلة الأغصان والورق . والسَّحُوق : الطويلة المفرطة —

فلا الظلّ[١] من بَرْدِ الضُّحى تستطيعهُ[٢] ... ولا الفيءَ من بردِ العشيِّ تذوقُ
فهل أنا إن علّلتُ نفسي بسَرْحةٍ ... من السَّرْحِ موجودٌ عليَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أوّلها :

نأتْ أمّ عمرٍو فالفؤادُ مَشوقُ ... يَحِنّ اليهـا والهاً ويَتُوقُ

صوت

وفيها ما يُغنَّى فيه :

سقى السَّرْحةَ المِحلالَ[٣] والأبرقَ[٤] الذي ... به السَّرحُ غيثٌ دائمٌ وبُروقُ
وهل أنا إن علّلتُ نفسي بسرحةٍ ... من السرح موجودٌ عـليّ طريقُ

غنّاه إسحاقُ ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

وفوده على الامويين :

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمه قال :

وفَد حُميد بن ثَور على بعض خلفاء بني أميّة ؛ فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

---

(١) الظل : ما كان أوّل النهار الى الزوال . والفيء : ما كان بعد الزوال الى الليل ، فالظل غربيّ تنسخه الشمس ، والفيء شرقيّ ينسخ الشمس . والبرد : من معانيه الظل والفيء . يقال : البردان الأبردان للظل والفيء ، وأيضاً للغداة والعشيّ . وظاهر الكلام يقتضي أن يكون المراد من «البرد» في الموضعين هنا : الظل والفيء . على أن تكون « من » بيانية .

(٢) في معجم البلدان لياقوت في الكلام على سرحة : « تستظله » .

(٣) المحلال : التي يكثر الناس الحلول بها . قال ابن سيدة : وعندي أنها تحل الناس كثيراً ، لأن مفعالا إنما هي في معنى فاعل لا في معنى مفعول .

(٤) الأبرق : أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة ورمل ، والمراد به هنا موضع بعينه .

أتاكَ بيَ اللهُ الذي فوق مَنْ تَرى … وخيرٌ ومعروف عليك دليلُ
ومَطْويّةُ الأقرابِ[١] أمّا نهارُها … فَنَصٌّ[٢] وأمّا ليلُها فذَميلُ
ويَطْوي عليّ الليلُ حِضْنيهِ إنّني … لذاك إذا هاب الرجالُ فَعُولُ

فوصله وصرفه شاكراً .

(١) الأقراب : جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة ، وقيل : القرب من لدن الشاكلة الى مراقّ البطن . وفي التهذيب : فرس لاحق الأقراب، يجمعونه وإنما له قربان لسعته ، كما يقال : شاة ضخمة الخواصر ، وإنما لها خاصرتان .

(٢) النص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . ويروى : « فسبت » . والسبت : سير للابل .

اخبار فليح بن ابي العوراء

فُلَيح رجل من أهل مكة مَوْلَى لبني مخزوم، ولم يقع إلينا آسمُ أبيه. وهو أحد مغنّي الدولة العباسية، له محل كبير من صناعته، وموضع جليل. وكان إسحاق إذا عَدّ مَنْ سمع من المُحسِنين ذكره فيهم وبدأ به. وهو أحدُ الثلاثة الذين آختاروا المائة الصوتِ للرشيد.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني آبن المكيّ عن أبيه عن إسحاق قال:

ما سمعتُ أحسنَ غناء من فُليح بن أبي العَوراء وآبنِ جامع. فقلت له: فأبو إسحاق؟ (يعني أباه)؛ فقال: كان هذان لا يُحسنان غيرَ الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلَهما، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يداخلانه فيها.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يَزيد بن محمد المهلّبيّ قال:

قال لي إسحاق: أحسنُ من سمعتُ غناء عَطرّد وفُلَيح.

وكان فُليح أحدَ الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه، وهو أحدُ مَن كان يَحكي الأوائلَ فيُصِيبُ ويُحسِن.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثني محمد بن محمد العَنْبَسيّ قال حدّثني محمد بن الوَليد الزُّبيريّ قال:

سمعتُ كَثير بن المحوّل يقول: كان مغنّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُليح بن أبي العَوراء، والآخر سليمان بن سُلَيم؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفُلَيح:

غِناؤك من حَلق أبي صَدَقة[1] أحسنُ منه من حلقك ، فعلّمه إياه – قال : وكان يُغنّي صوتاً يُجيده ، وهو :

خيرُ ما نشرَبُها[2] بالبُكَر

– قال : فقال فُلَيح للرسول : قُــل له : حَسبُك . قال : فسمعنا ضَحِكه من وراء الستارة .

عند المهدي :

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدَلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قال حدّثنا الفَضل بن الرَّبيع :

أنّ المهديّ كان يسمع المغنّين جميعاً ، ويحضُرون مجلسَه ، فيُغنّونه من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلا فُلَيحَ بن أبي العَوراء ؛ فإنّ عبد الله بن مصعَب الزُّبيريّ كان يُروِّيه شعرَه ويغنّي فيه في مدائحه للمهديّ ؛ فدسّ في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمَه ، وسأل فُلَيحاً أن يُغنّيَهما في أضعاف أغانيه ، وهما :

صوت

يا أمينَ الإلٰه في الشّرق والغر ب على الخَلق وابنَ عمِ الرّسولِ
مجلساً بالعشيّ عنـدك في المَيــدانِ أبغي والإذنَ لي في الوُصولِ

فغنّاه فُليح إيّاهما ؛ فقال المهديّ : يا فضلُ ، أجِبْ عبدَ الله الى ما سأل ، وأحضِره مجلسي إذا حضَره أهلي ومواليّ وجلستُ لهم ، وزِده على ذلك أن ترفع بيني وبين راوِيتِه فُلَيح السِّتارة ؛ فكان فُلَيح أوّلَ مُغنٍّ عايَن وجهَه في مجلسهم .

(١) هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد مغني عصر الرشيد .

(٢) ويروى : «ما تشربها» .

أخبرني رِضوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قُدومي فُسطاط مصرَ زيادُ بن أبي الخطّاب كاتبُ مسرور خادمِ الرشيد، قال سمعتُ محبوب بن الهفتيّ يحدّث أبي، قال :

دعاني محمد بن سليمان بن عليّ، فقال لي : قد قَدِم فُليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغبان[1]، فصِرْ اليه، فأعلِمْه أنه إن جاءني قبل أن يدخل الى الرشيد، خلعتُ عليه خلعة سَريّةً من ثيابي ووهبتُ له خمسة آلاف درهم ؛ فمضيتُ اليه فخبّرته بذلك؛ فأجابني اليه إجابةَ مسرورٍ به نشيطٍ له؛ وخرج معي، فعدَل الى حمّام كان بقُرْبه، فدعا القيّم فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذٍ يشربه؛ فجاءه برأسٍ كأنه رأس عجل ونبيذ دُوشابيّ[2] غليظ مسحوريّ[3] رديء؛ فقلت له : لا تفعلْ، وجهدتُ به ألّا يأكلَ ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفت إليّ، وأكل ذلك الرأسَ وشرب من ذلك النبيذِ الغليظ حتى طابت نفسُه، وغنّى وغنّى القيّم معه مليًّا؛ ثم خاطب القيّمَ بما أغضبه، وتلاحيا وتواثبا؛ فأخذ القيّم شيئاً فضرَبه به على رأسه فشجّه حتى جرى دمُه؛ فلما رأى الدمَ على وجهه اضطرب وجزِع وقام يغسِل جُرحَه، ودعا بصوفة مُحرَقة وزيت، وعَصَبه وتعمّم وقام معي . فلما دخلنا دار محمد بن سليمان، ورأى الفرشَ والآلة وحضر الطعامُ فرأى سَرْوَه[4] وطيبه، وحضر النّبيذ وآلته، ومُدّت الستائر وغنى الجواري، أقبل عليّ وقال : يا مجنون! سألتك بالله أيّما أحقّ بالعَرْبدة وأولى : مجلسُ القيّم أم

---

(١) يقع مسجد ابن رغبان هذا في غربي بغداد وكان مزبلة .

(٢) الدوشابي : نسبة الى الدوشاب وهو نبيذ التمر معرّب ؛ قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب في قدح بصفاء مـاء طيب البرد

وقال ابن الرومي :

علّتني أحمد من الدوشاب شربة بغّضت قناع الشباب

(٣) مسحوري : فاسد .

(٤) السرو : الشرف والسخاء . ولعل المراد بسَرْو الطعام جودته وكثرته .

مجلِسُ الأميرِ! فقلت: وكأنه لا بدّ من عَرْبَدة! قال: لا! والله ما لي منها بدّ، فأخرجتُها من رأسي هناك؛ فقلت: أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجود. فسألني محمد عما كُنّا فيه، فأخبرته؛ فضحِك ضحكاً كثيراً، وقال: هـذا الحديث والله أظرفُ وأطيبُ من كلّ غِناء؛ وخلَع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

عند يحيى بن خالد:

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبو إسحاق القِرمِطِيّ قال حدّثنا مُدرِكةُ بن يَزيد قال:

قال لي فُلَيح بن أبي العَوْراء: بعث يحيى بنُ خـالد إليّ وإلى حَكَم الوادي وإلى ابن جامع، فأتيناه؛ فقلت لحكم: إن قعد ابنُ جامع معنا فعاوِنّي عليـه لنكسِرَه. فلما صِرْنا الى الغناء غنى حَكَم؛ فصِحتُ وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنّيتُ، ففعل لي حَكَمٌ مثلَ ذلك؛ وغنى ابنُ جامِع فـا كنّا معه في شيء. فلما كان العشيّ أرسل الى جاريته دنانير: إنّ أصحابَك عندنا، فهل لك أن تخرُجي الينا؟ فخرجتْ وخرج معها وصائفُ؛ فأقبلَ عليها يقول لهـا من حيث يظنّ أنّا لا نسمع: ليس في القوم أنزهُ نفساً من فُلَيح؛ ثم أشار الى غلام له: أنِ ائتِ كلّ إنسان بألفَيْ درهم؛ فجاء بها، فدفع الى ابن جـامع ألفَيْ درهم فأخذها فطرَحها في كُمّه، وفعَل بحكَم الوادِي مثلَ ذلك فطرَحها في كُمّه، ودفع إليّ ألفين؛ فقلتُ لدنانيرَ: قد بلغ منّي النبيذُ، فاحبِسيها لي عندك حتى تبعثي بها إليّ؛ فأخذت الدراهمَ منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد، وقد زادت عليها؛ وأرسلتْ إليّ: قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تُفرّقه على أخواتي (تعني جوارِيّ).

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال:

كنّا عند الفضل بن الرّبيع، فقال: هل لك في فُلَيح بن أبي العَوْراء؟ قلت:

نعم ؛ فأرسل اليه ، فجاء الرسول فقال : هو عليل ؛ فعاد اليه ، فقال الرسول : لا بدّ من أن تجيء ؛ فجاء به محمولاً في مِحفّة ؛ فحدّثنا ساعةً ثم غنّى ؛ فكان فيما غنّى :

تقولُ عِرْسي إذ نبا المَضجَعُ   ما بالُكَ الليلةَ لا تَهجَعُ

فأستحسنّاه منه وأستعدْناه منه مراراً ؛ ثم أنصرف ومات في علّته تلك ؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس .

تبرعه بمهر لعاشق :

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيي المَكّيّ قال حدّثني أبي عن فُليح بن أبي العوْراء قال :

كان بالمدينة فتًى يعشَق أبنةَ عمّ له ، فوعدتْه أن تزوره ؛ وشكا إليّ أنها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيتُه ديناراً للنفقة ؛ فلما زارتْه قالت له : من يُلهّينا ؟ قال : صديق لي ، ووَصفني لها ، ودعاني فأتيتُه ؛ فكان أول ما غنّيته :

مِنَ الخَفِرات لم تَفضَحْ أخاها   ولم تَرفَعْ لوالدها شَنارا[1]

فقامت الى ثوبها فلبِسته لتنصرف ؛ فعلِق بها وجهَد بها كلَّ الجهد في أن تقيم ، فلم تُقِمْ وأنصرفت . فأقبل عليّ يلومني في أن غنّيتُها ذلك الصوتَ ؛ فقلت : والله ما هو شيء أعتمدتُ به مَساءَتَك ، ولكنه شيء أتفق . قال : فلم نبرَح حتى عاد رسولُها بعدها ومعه صُرّةٌ فيها ألفُ دينار ودفعها الى الفتى ، وقال له : تقول لك ابنةُ عمك : هذا مهري أدفعه الى أبي ، وأخطُبني ؛ ففعل فتزوّجها .

---

(١) الخفرة : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار .

نسبة هذا الصوت

صوت

مِنَ الخَفِراتِ لم تفضَح أخاها ... ولم ترفَع لوالدها شَنارا
كأنَّ مَجامِعَ الأرْدافِ منها ... نَقاً[1] درجَتْ عليه الريحُ هارا
يعافُ وِصالَ ذاتِ البذلِ قلبي ... وأتبعُ المُمَنَّعةَ النَّوارا[2]

الشعرُ لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعْديّ. والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن الهرْبذ لحنٌ من رواية بَذْل، أوّله:

يعافُ وصالَ ذات البَذْل قلبي

وبعده:

غَذاها قارِصٌ[3] يَغدُو عليها ... ومَحْضٌ حين تنتظر العِشارا

عند ابراهيم بن المهدي:

أخبرني رِضوان بنُ أحمد قال حدّثنا يوسف بن ابراهيم قال حدّثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قال:

كتب إليّ جعفر بن يحيي وأنا عاملٌ للرشيد على جُند دِمَشق: قد قَدِم علينا فُلَيح بن أبي العَوْراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمعناه قبله؛ وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك، لتستمتعَ به كما استمتعْنا. فلم ألبث أن ورَد عليَّ

(١) النقا: الكثيب من الرمل. وهار: سقط وتهدّم.

(٢) النوار: المرأة النفور من الريبة والجمع نُور.

(٣) القارص: لبن يحذي اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحموضة، والمحض: اللبن الخالص. والعشار: جمع عُشَراء وهي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر.

فُليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثةِ آلافِ دينار؛ فورَد عليّ رجلٌ أذكرني لقاؤه الناسَ، وأخبرني أنه قد ناهز المائةَ، فأقام عندي ثلاثَ سنين، فأخذ عنه جواريَ كلَّ ما كان معه من الغناء، وانتشرتْ أغانيه بدمشق. قال يوسف: ثم قدِم علينا شابٌّ من المغنّين مع عليّ بن زيد الفَرَج الحرّانيّ، عند مَقْدَم عَنْبَسة بن إسحاق فُسطاطَ مصر، يقال له مُونِق، فغنّاني من غناء فُلَيح:

صوت

يا قُرّة العينِ أقبَلي عُذري ضاق بهجرانكُم صدري
لو هلكَ الهجرُ استراح الهوى ما لقيَ الوصلُ من الهجرِ

— ولحنه خفيفُ رَمَل — فلم أر بين ما غناه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً؛ فسألته من أين أخذه. فقال: أخذتُه بدمشق؛ فعلمتُ أنه مما أخذه أهلُ دمشق عن فُليح.

صوت

من المائة المختارة

أفاطمَ إنّ النأيَ يُسلِي ذوي الهوى ونأيُكِ عنّي زاد قلبي بكم وجدا
أرى حَرَجاً ما نلتُ من وُدّ غيرِكم ونافلةً ما نلتُ من ودّكم رُشْدا
وما نلتقي من بعدِ نأيٍ وفُرقة وشحطِ نوًى إلا وجدتُ له بَرْدا
على كبدٍ قد كاد يُبدي بها الهوى نُدوبا وبعض القوم يحسَبُني جَلْدا

عروضه من الطويل. النأي: البعد، ومثله الشحط. والحرج: الضيق؛ قال الله تعالى: (يجعَل صدرَه ضيقاً حَرَجاً). والنُّدُوبُ: آثارُ الجراح، واحدُها نَدَب.

الشعر لإبراهيم بن هَرْمة . والغِناء في اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونسَ الكاتب، وهو من الثقيل الاول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر يحيي بنُ عليّ بن يحيي عن أبيه مثلَ ذلك . وذكر حَبَش بن موسى أن الغناء لمزوق الصرّاف او ليحيى بنِ واصِل . وفي هذه الأبيات للهُذليّ لحنٌ من خفيفِ الثقيلِ الاول بالوسطى على مذهبِ إسحاقَ من رواية عمرو بنِ بانة، ومن الناس من يَنسُب اللحنين جميعاً اليه .

ذكر ابن هرمة واخباره ونسبه

هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن هَرْمة بن هُذَيل، هكذا ذكر يعقوبُ بن السِّكّيت. وأخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العَلاء عن الزُّبير بن بَكّار عن عمه مُصعَب، وذكر ذلك العبّاسُ بن هِشام الكَلْبيّ عن أبيه هِشام بنِ محمد بنِ السائب، قالوا جميعاً: هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذَيل بن رَبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنانة بن عَدِيّ بن قَيس بن الحارث بن فِهْر — وفهرٌ أصلُ قريش، فمن لم يكن من ولده لم يُعدّ من قريش، وقد قيل ذلك في النَّضْر بن كنانة — وفهر بنُ مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس ابن مُضَر. قال من ذكرْنا من النسّابين: قيسُ بن الحارث هو الخُلَجُ، وكانوا في عَدْوان ثم انتقلوا الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هَوازِن. فلما استُخلف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتَوْه ليَفرِض لهم، فأنكر نسبهم؛ فلما استُخلف عثمان أتَوْه فأثبتَهم في بني الحارث بن فِهْر وجعل لهم معهم ديوانا. وسُمّوا الخُلَجَ لانهم اختلجوا ممن كانوا معه من عَدْوان ومن بني نصر بن معاوية. وأهل المدينة يقولون: إنما سُمّوا الخُلَجَ لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلُج (وواحدها خليج) فسُمّوا بذلك؛ ولهم بالمدينة عَدَدٌ. قال مُصعب: كان لإبراهيم بن هَرْمة عمٌّ يقال له هَرْمة الأعور، فأرادت الخُلَج نفيَه منهم؛ فقال: أمسيتُ ألأمَ العرب دعيّاً أدعياء. ثم قال يهجوهم:

رأيتُ بني فِهْرٍ سِباطاً[1] أكفُّهمْ ... فما بالُ — أنبوني — أكُفِّكمُ[2] قُفْدا

(١) سباط: جمع سبط: وصف من السبوطة وهي الاعتدال والسهولة والطول. ويكنى بسبوطة اليدين عن الكرم، يقال: رجل سبط اليدين إذا كان سخياً سمحاً كريماً، كما يقال: رجل جعد اليدين إذا كان بخيلاً.

(٢) القَفَد: ميل في الكف، يريد أنهم بخلاء.

ولم تُدرِكوا ما أدرك القومُ قبلَكم من المجدِ إلا دَعْوةً[١] ألحقتْ كدّا
على ذي أيادي الدّهرِ أفلح جدُّهم وخِبتُم فلم يَصرَعْ لكم جدُّكم جدّا

وقال يحيي بن علي حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سلَمة الغِفاريّ قال:

نَفى بنو الحارث بن فهرٍ ابنَ هَرْمة، فقال:

أحارِ بنَ فهرٍ كيف تَطّرحونَني وجاءَ العِدا من غيرِكم تبتغي نَصري

قال: فصار من ولد فهر في ساعته.

قال يحيي بن عليّ وحدّثني أحمد بن يحيي الكاتبُ قال حدّثني العبّاس بن هِشام الكَلبيّ عن أبيه قال:

كان ابن هَرْمة يقول: أنا ألأمُ العرب، دَعِيُّ أدعياء: هَرْمةُ دَعِيٌّ في الخُلج، والخُلج أدعياء في قريش.

مع مضيف:

حدّثني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمر بن أبي بَكْر المؤمّلي قال حدّثني عبد الله بن أبي عُبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسِر قال:

زرتُ عبد الله بن حسن ببادِيَته وزاره ابنُ هرمة، فجاءه رجل من أسلَم؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: أصلحك الله، سَلِ الأسلَميّ أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبرَه؛ فقال له عبد الله بن حسن: ائذن له، فأذِن له الأسلميّ؛

(١) الدعوة (بالفتح وتكسر): الاسم من ادعى بمعنى زعم.

فقال له إبراهيم بن هرمـة : إني خرجت – أصلحك الله – أبغي ذَوْداً[١] لي ، فأَوْحشت[٢] وضِفتُ هذا الأسلميّ ، فذبح لي شاة وخبز لي خـبزاً وأكرمني ، ثم غدوت من عنده ، فأقمت ما شاء الله ؛ ثم خرجت أيضاً في بُغاء ذَوْدٍ لي ، فأَوْحشتُ فضِفْتُه فقَراني بلبن وتمر ، ثم غدوت من عنده فأقمتُ ما شاء الله ؛ ثم خرجتُ في بُغاء ذَوْدٍ لي ، فأوحشتُ فقلت : لو ضِفتُ الأسلميّ ! فاللبن والتمر خـيرٌ من الطَّوى ؛ فضِفتُه فجاءني بلبن حامض . فقال : قد أجبتُه – أصلحك الله – الى مـا سأل ، فسَله أن يأذن لي أن أُخبرك لِمَ فعلتُ ؛ فقال له : ائذن له ؛ فأذن له ؛ فقال الأسلميّ : ضافني ، فسألتُه مَنْ هو ؟ فقال : رجلٌ من قريش ، فذبحتُ لـه الشاة التي ذَكَر ، ووالله لو كان غيرُها عندي لذبحتُه له حين ذكر أنه من قريش ؛ ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحيّ ، فقالوا : من كان ضيفَك البارحة ؟ قلت : رجـل من قريش ؛ فقالوا : لا والله ما هو من قريش ، ولكنه دعيٌّ فيها ؛ ثم ضافني الثانيةَ على أنه دعيٌّ في قريش ، فجئتُه بلبن وتمر وقلت : دعيُّ قريش خيرٌ من غيره ؛ ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحيّ ، فقالوا : من كان ضَيفَـك البارحة ؟ قلت : الرجل الذي زعمتم أنه دَعِيٌّ في قريش ؛ فقـالوا : لا والله ما هو بدَعِيٍّ في قريش ، ولكنه دَعِيُّ أدعياء قريش ؛ ثم جاءني الثالثةَ ، فقَرَيْتُه لبناً حامضاً ، ووالله لو كان عنـدي شرٌّ منه لقَرَيْتُه إياه . قال : فانخذل ابنُ هَرْمة ، وضحك عبد الله وضحِكْنا معه .

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني نَوْفل بن ميمون قال :

لقي ابنُ مَيَّادةَ ابنَ هَرْمة ، فقال ابنُ ميادة : والله لقد كنتُ أُحِبّ أن ألقاك ، لا بدّ من أن نتهاجى ، وقد فعل الناسُ ذلك قبلنا ؛ فقـال ابنُ هَرْمة :

---

(١) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث الى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث الى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور .

(٢) يقال : أوحش الرجل اذا جاع ونفد زاده .

بئس والله ما دعوتَ اليه وأحببته، وهو يظنّه جاداً؛ ثم قال له ابنُ هَرْمة: أما والله إنني لَلّذي أقول:

إنّي لميمونٌ جواراً وإنّني إذا زَجر الطيرَ العدا لَمشومُ
وإنّي لملآنُ العِنانِ[1] مُناقِلٌ[2] إذا ما وَنَى يوماً ألَفٌ[3] سَئُومُ
فودّ رجالٌ أن أمّي تقنّعتْ بشيب يُغشّي الرأسَ وهي عقيمُ

فقال ابن ميّادة: وهل عندك جِراء[4]؟ ثَكِلَتْكَ أمّكَ، أنت ألأمُ من ذلك! ما قلتُ إلا مازحاً.

أخبرنا به وَكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عِمران:

اجتمع ابن هَرْمة وابن مَيّادةَ عند جُمَيع بن عمر بن الوَليد، فقال ابنُ مَيّادة لابن هَرْمة: قد كنتُ أحبّ أن ألقاك. ثم ذكر نحوَه.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمد بن سُليمان النَّوْفليّ قال حدّثني أبو سَلَمة الغِفاريّ عن أبيه قال:

وَفدتُ على المهديّ في جماعة من أهل المدينة، وكان فيمن وَفد يوسفُ بن مَوْهَب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل، وكان معنا ابن هَرْمة؛ فجلسنا يوماً على دكّان قد هُيّئ لمسجد ولم يُسقّف، في عسكر المهديّ؛ وقد كنّا نلقى الوزراء وكبراء السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ وإذا حِيالَ الدكّان رجل بين يديه

(١) يقال: ملأ فلان عنان جواده اذا أعداه وحمله على الحُضْر الشديد.

(٢) المناقل: السريع نقل القوائم.

(٣) الألفّ: الثقيل البطيء.

(٤) الجراء: الفتوّة.

ناطِف[١] يبيعه في يوم شاتٍ شديدِ البردِ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفوفاً؛ فأقبل ابن هَرْمة علينا، فقال ليوسف: يابن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمَا معك درهم نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له: متى عهِدتَني أحمل الدراهم! قال: فقلت له: لكنّي أنا معي، فأعطيتُه درهماً خفيفاً[٢]، فاشترى به ناطفاً على طَبَق الناطِفيّ فجاء بشيء كثيرٍ، فأقبل يتمضّغه وحدَه ويحدّثنا ويضحك؛ فما راعنا إلا موكِبُ أحدِ الوزيرين: أبي عبيد الله أو يعقوبَ بنِ داود. ثم أقبلتِ المُطرّقة[٣]؛ فقلنا: مالك قاتلك الله! يهجم علينا هذا وأصحابُه، فيرَوْن الناطفَ بين أيدينا فيظنّون أنّا كنّا نأكل معك؛ قال: فوالله ما أحدٌ أولى بالسَّتْر على صحابه وتَقلّد البليّة منك يابنَ عمّ رسول الله! فضَعْه بين يديك؛ قال: اعزُبْ[٤] قبّحك الله! قال: فأنت يابنَ أبي ذرّ، فزبَرتُه[٥]؛ قال: فقال: قد علمتُ أنه لا يُبتَلى بهذا إلا دعيٌّ أدعياء عاضّ كذا من أمه؛ ثم أخذ الطبقَ في يده فحمَله وتلقّى به الموكِبَ، فما مرّ به أحدٌ له نباهةٌ إلا مازَحه، حتى مضى القومُ جميعاً.

---

(١) الناطف: نوع من الحلواء، وقال الجوهري: هو القُبَّيط لانه يتنطف قبل استفرابه أي يقطر قبل خثورته. وجعل النابغة الجعدي الخمر ناطفاً فقال:

وبات فريق ينضحون كأنما سُقُوا ناطفاً من أذرعات مفلفلا

(٢) يريد بذلك الدراهم الصغار ذات الوزن الخفيف. قال المقريزي في كتابه شذور العقود في ذكر النقود (ص ١٦ طبع أوربا): «وكان الناس قبل عبد الملك يؤدّون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار، فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عمد الى درهم واف فوزنه فاذا هو ثمانية دوانيق، والى درهم من الصغار فاذا هو أربعة دوانيق، فجمعها وحمل زيادة الاكبر على نقص الاصغر وجعلها درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سواء» اهـ. ثم قال: «صنع عبد الملك في الدراهم ثلاث فضائل: الأولى أن كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم. والثانية أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق. والثالثة أنه موافق لما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في فريضة الزكاة بغير وكس ولا إشطاط فمضت بذلك السنة واجتمعت عليه الأمة ... ... الخ».

(٣) لعله يريد بهم الذين يتقدّمون الموكب يفسحون له الطريق.

(٤) أي اذهَب وابعُد.

(٥) زبره: نهره وأغلظ له في القول.

وقال هارون حدّثني أبو حُذافة السَّهمِيّ قال حدّثنا إسحاقُ بن نِسطاس قال: كان ابنُ هَرْمَة مشتهراً بالنبيذ، فأتى عبدَ الله بن حسن وهو بالسَّيالة[1]، فأنشده مديحاً له؛ فقام عبد الله الى غنم كانت له، فرمى بساجة[2] عليها فافترقت فرقتين، فقال: اخترْ أيّهما شئتَ – قال: فإما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى، قال: وكانت ثلثمائة – وكتب له الى المدينة بدنانير؛ فقال له: يابن هرمة، انقُلْ عيالك الينا يكونوا مع عيالنا؛ فقال: أفعل يابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ثم قدم ابن هرمة المدينةَ وجهّز عيالَه لينقلهم الى عبد الله بن حسن، واكترى من رجلٍ من مُزَينة؛ فبينا هو قد شدّ متاعَه وحمله والكَري[3] ينتظره أن يتحمّل، إذ أتاه صديق له، فقال: أي أبا إسحاق، عندي والله نبيذ يُسقِط لحمَ الوجه؛ فقال: وَيحك! أما ترانا على مثل هذه الحال! أعليها يمكن الشرابُ؟ فقال: إنما هي ثلاثة لا تَرِدْ عليهنّ شيئاً؛ فمضى معه وهم وقوف ينظرون؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالحٌ؛ ثم أُتي به وهو سكرانُ، فطُرح في شِقّ المَحمِل وعادلته[4] امرأتُه ومضَوا؛ فلما أسحروا رفع رأسه فقال: أين أنا؟ فأقبلتْ عليه امرأته تلومه وتعذُله؛ وقالت: قد أفسد عليك هذا النبيذُ دينَك ودنياك، فلو تعلّلتَ عنه بهذه الألبان! فرفع رأسه اليها وقال:

لا نبتغي لبَنَ البعيرِ وعندنا ماءُ الزبيبِ وناطفُ المِعصارِ

رأي الاصمعي فيه:

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خَلّاد قال:

(١) السيالة كسحابة: موضع بقرب المدينة على مرحلة.

(٢) الساجة: ضرب من الملاحف منسوجة، أو هي واحدة الساج وهو خشب يجلب من الهند.

(٣) الكريّ كغنيّ: المكاري.

(٤) عادلته أي كانت معه في الشق الآخر من المحمل.

كان الأصمعيّ يقول : خُتم الشعراء بابن هَرْمة، والحَكَم الخُضْريّ، وابن مَيَّادة، وطُفَيْلٍ الكِنانيّ، ومَكِين العُذْرِيّ .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثني أبو حُذافة السَّهميّ أحمد بن إسماعيلَ قال :

كان ابن هَرْمة مُدمِناً للشراب مُغرَماً به، فأتى أبا عمرو بنَ أبي راشد مولى عَدوان، فأكرمه وسقاه أياماً ثلاثةً؛ فدعا ابنُ هرمة بالنبيذ، فقال له غلام لأبي عمرو بن أبي راشد : قد نفِد نبيذُنا؛ فنزَع ابنُ هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام : إذهب به الى ابن حونك (نبّاذ كان بالمدينة)، فارهَنْه عنده وأْتنا بنبيذٍ ففعل . وجاء ابن أبي راشد، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ؛ فقال له : أين رداؤك يا أبا إسحاق ؟ فقال : نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك .

قال هارون حدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عَوف الزُّهريّ قال حدّثني عمي عبد العزيز بن إسماعيل قال :

مدح ابنُ هَرْمة محمدَ بن عِمران الطَّلحيّ، وبعث اليه بالمديح مع ابن رُبَيح، فاحتجب عنه؛ فمدَح محمدَ بن عبد العزيز، وكان ابنُ هرمة مريضاً، فقال قصيدتَه التي يقول فيها :

إني دعوتُكَ إذ جُفيتُ وشَفَّني ... مرضٌ تَضاعفني[1] شديدُ المُشتكى
وحُبِستُ عن طلب المعيشةِ وارتقتْ ... دوني الحوائجُ في وُعورِ المُرتقى
فأجبْ أخاك فقد أناف بصوته ... يا ذا الإخاء ويا كريمَ المُرتجى

(١) كذا في أكثر الاصول، ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة تدل على المعنى المراد هنا وهو أضعفني وأسقمني . وفي بعض النسخ : «يضاعفني» بالياء وضاعفه : جعله ضعفين، فلعل المراد على هذه الرواية : مرض يضاعف شكواي .

ولقد حُفيتَ(١) صبيبَ عُكّةِ(٢) بيتِنا ذَوْباً(٣) ومزْتُ بصفْوه عنكَ القَذى
فخُذِ الغَنيمةَ وٱغتنمني إنني غُنْمٌ لمثلك والمكارمُ تُشترَى
لا ترمِيَنّ بحاجتي وقضائها ضَرْحَ(٤) الحجاب كما رَمى بي مَنْ رَمى

فركب الى جعفر بن سليمان نصفَ النهار؛ فقال: ما نزَعَكَ(٥) يا أبا عبد الله في هذا الوقت؟ قال: حاجة لم أر فيها أحداً أكفى منّي؛ قال: وما وهي؟ قال: قد مدحني ابن هَرمة بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاقي مائة دينار؛ قال: ومن عندي مثلُها قال: ومن الأمير أيضاً. قال: فجاءت المائتا الدينار الى ابن هَرمَة، فما أنفق منها إلا ديناراً واحداً حتى مات، وورث الباقي أهله.

امتدح ابا جعفر المنصور:

وقال أحمد بن أبي خَيثمة عن أبي الحسن الدائنيّ قال:

إمتدح ابنُ هَرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم؛ فقال: لا تقع منّي هذه؛ قال: ويحك! إنها كثيرة؛ قال: إن أردت أن تهنئني فأبِحْ لي الشرابَ فإني مغرمٌ به؛ فقال: ويحك! هذا حدّ من حدود الله! قال: احتَلْ لي يا أمير المؤمنين؛ قال: نعم؛ فكتب إلى والي المدينة: مَنْ أتاك بابن هرمة سكرانَ فاضربه مائةً واضرب ابنَ هرمةَ ثمانينَ. قال: فجعل الجلواز(٦) إذا مرّ بابن هَرْمة سكرانَ، قال: مَن يشتري الثمانين بالمائة!

---

(١) حفيتَ: أعطيت، ولعل المعنى: لقد منحت خير ما غلك وهو ما في عكتنا من عسل مصفى، يكنى بذلك عن مديحه الحسن.

(٢) العكة: للسمن كالشكوة للبن، وقيل: العكة أصغر من القربة للسمن وهو زقيق صغير.

(٣) الذوب: العسل.

(٤) الضرح: أن يؤخذ شيء فيرمى به في ناحية.

(٥) ما نزعك: يريد ما حركك من مكانك وما جاء بك.

(٦) الجلواز: الشُرطي، وسُمّي بذلك لسُرعته وخفته في ذهابه ومجيئه بين يدَي الامير.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا ابن ربيح راوية ابن هرمة قال :

أصابت ابنَ هرمة أزمةٌ ؛ فقال لي في يوم حارّ : اذهب فتكارَ حمارَين الى ستةِ أميال، ولم يُسمِّ موضعاً؛ فركب واحداً وركبت واحداً؛ ثم سِرْنا حتى صِرْنا الى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابنِ أزهر، فدخلنا مسجدَه، فلما مالت الشمس خرج علينا مُشتملا على[1] قميصه؛ فقال لمولى له : أذِّنْ، فأذَّنَ ولم يكلّمنا كلمة؛ ثم قال له : أقِمْ، فأقام فصلّى بنا، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجَتَك ؟ قال : نعم، بأبي أنت وأمّي، أبياتٌ قلتُها — وقد كان عبدُ الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعَدُوه شيئاً فأخلفوه — فقال : هاتها ؛ فقال :

أمّا بنو هاشم حولي فقد قرَعوا ... نبلَ الضِّباب[2] التي جمّعتُ في قَرَنِ
فما بيثربَ منهم مَن أعاتبه ... إلا عوائدَ أرجوهنّ من حسَنِ
اللهُ أعطاك فضلاً من عطيّته ... على هَنٍ وهَنٍ فيما مضى وهَنِ[3]

قال : حاجتَكَ ! قال : لابن أبي مُضرِّس عليّ خمسون ومائةُ دينار؛ قال : فقال لمولى له : يا هَيثم، اركب هذه البغلة فأتني بابن أبي مضرّس وذِكرِ[4] حقه. قال : فما صلّينا العصر حتى جاء به؛ فقال له : مرحباً بك يابن أبي مضرّس، أمعك ذكرُ حقكَ على ابن هرمة ؟ قال : نعم؛ قال : فامحُه، فمحاه. ثم قال : يا هَيثم،

(١) هذا الفعل إنما يتعدى بالباء .

(٢) الضباب : الأحقاد . يقال : في قلبه ضب أي غلّ داخل، كالضب الممعن في حجره . والظاهر أنه يريد أن يقول : إنهم سلوا أحقادهم وأظهروا عداوتهم وأنا قد كتمتها وأخفيتها .

(٣) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الانسان . وقد كررها الشاعر ثلاثاً لانه أراد ثلاثة أشخاص معينين .

(٤) ذكر الحق : الصك الذي يكتب فيه الدين .

بِع ابنَ أبي مضرّس من تمر الخانِقَين[1] بمائة وخمسين ديناراً وزده على كلّ دينار ربعَ دينار، وكِل ابنَ هرمة بخمسين ومائة دينار تمراً، وكِل ابنَ ربيح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فلقيه محمدُ بن عبد الله بن حسن بالسَّيالة، وقد بلغه الشعرُ، فغضِب لأبيه وعُمومته، فقال: أيْ ماصّ بَظر أمِّه! أنت القائل:

على هَنٍ وهَنٍ فيما مضى وهَنِ

فقال: لا والله! ولكنّي الذي أقول لك:

لا والذي أنت منه نِعمةٌ سلفَتْ ... نرجو عواقبَها في آخر الزمنِ
لقد أُتيتُ بأمرٍ ما عمَدت له ... ولا تعمّده قولي ولا سَنَني
فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً ... وقد رَميتُ بريءَ العُود بالأُبَنِ[2]
ما غيّرتْ وجهَه أمٌّ مُهجّنةٌ ... إذا القَتامُ تغشّى أوجهَ الهُجُنِ[3]

قال: وأمّ الحسن أمّ ولد.

قال هارون: فحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوبَ بن عباية قال:

لما قال ابن هَرمة هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبد الله بن حسن: والله ما أراد الفاسقُ غيري وغيرَ أخويّ: حسن وإبراهيم. وكان عبد الله يُجري على ابن هَرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه؛ فأتاه يَعتذر، فنُحّيَ وطُرِدَ؛ فسأل رجالاً أن يكلّموه، فردّهم؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء الله، ثم

(١) الخانقان: موضع بالمدينة وهو مجمع مياه أوديتها الثلاثة: بطحان والعقيق وقناة.

(٢) الأبن: جمع أبنة وهي العقدة تكون في العود تفسده ويعاب بها. وقولهم: ليس في حسب فلان أبنة، أي عيب، مأخوذ من هذا.

(٣) الهجين: من أبوه خير من أمه أو من أبوه عربيّ وأمه غير عربية، وجمعه: هُجُن وهُجَناء وهجنان ومهاجين ومهاجنة.

مرّ عشيَّةً وعبدُ الله على زَرْبِيَّةٍ[1] في ممرّ المنبر، ولم تكن تُبسطُ لأحدٍ غيره في ذلك المكان، فلما رأى عبدَ الله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغرَ وأسرعَ المشيَ. فكأنّ عبدَ الله رقّ له، فأمر به فرُدّ عليه؛ فقال: يا فاسقُ، يا شاربَ الخمر، على هَنٍ وهَنٍ أتُفضِّلُ الحسنَ عليّ وعلى أخوي! فقال: بأبي أنت وأمّي، وربّ هذا القبر ما عَنيتُ إلا فرعونَ وهامانَ وقارونَ، أفتغضبُ لهم! فضحك وقال: والله ما أحسَبُكَ إلا كاذباً؛ قال: والله ما كَذَبْتُك. فأمر بأن تُردّ عليه جِرايتُه.

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال أخبرني أبو أيّوب المدينيّ عن مُصعَب قال:

إنما اعتذر ابنُ هَرْمة بهذا الى محمد بن عبد الله بن حسن.

قال يحيى: وأخبرني أبو أيّوب عن عليّ بن صالح قال:

أنشدني عامرُ بن صالح قصيدةً لابن هَرْمة نحواً من أربعين بيتاً، ليس فيها حرف يُعجَم؛ وذكر هذه الأبيات منها؛ ولم أجد هذه القصيدةَ في شعر ابن هَرمة، ولا كنت أظن أن أحداً تقدّم رُزَيناً العَرُوضيَّ الى هذا الباب؛ وأوّلها:

أرَسمُ سَوْدة أمسى دارسَ الطَّلَلِ ... مُعطَّلًا ردّه الأحوال كالحُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أن القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً؛ ووجدتُها في رواية الأصمعيّ ويعقوب بن السِّكّيت اثني عشر بيتاً، فنسختها هاهنا للحاجة الى ذلك؛ وليس فيها حرف يُعجَم إلا ما اصطلح عليه الكتّاب من تصييرهم مكان ألف ياء، مِثل أعلى فإنها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء، ومثل رأى ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنما اصطلح الكتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه. والقصيدة:

أرَسْمُ سَوْدةَ مَحلٌ دارسُ الطَّلَلِ ... مُعطَّلٌ ردّهُ الأحوالُ كالحُلَلِ

---

(١) الزربيّة: البساط والنمرقة، وقيل: كل ما بسط واتكئ عليه، والجمع زرابيّ.

لمـا رأى أهلَها سدّوا مَطالعَها ... رام الصدودَ وعاد الودُّ كالُمهُلِ [١]
وعاد وُدُّكَ داء لا دواء له ... ولو دعاكَ طوالَ الدّهر للرّحلِ
ما وصلُ سودةَ إلا وصلُ صارمةٍ ... أحلّها الدهرُ داراً مأكلَ الوَعِلِ [٢]
وعاد أمواهُها سُدْماً [٣] وطار لهـا ... سهمٌ دعا أهلَها للصّرم والعِلَلِ
صَدّوا وَصدّ وساء المرء صدُّهم ... وحام للوِرْد رَدْهاً حَوْمَةَ العَلَلِ

حَوْمة الماء: كثرتُه [٤] وغَمْرتُه. والعَلَلُ: الشربُ الثاني. والرَّدْهُ: مُستنقَع الماء.

وَحلَّئوهُ [٥] رِداهاً ماؤها عَسَـلٌ ... ما ماءُ رَدْهٍ لعَمْرُ الله كالعسَلِ
دعـا الحَمامُ حَماماً سَدَّ مَسمَعَه ... لما دعـاه رآه [٦] طامحَ الأملِ
طُموحَ سارحةٍ [٧] حَومٍ مُلَمَّعَـةٍ ... ومُمرعُ السرّ سهلٌ ماكِدُ السَّهلِ
وحـاولوا رَدّ أمرٍ لا مَردّ له ... والصَّرمُ داء لأهلِ اللَّوعةِ الوُصُلِ
أحلَّكَ اللهُ أعلى كلِّ مَكرُمةٍ ... واللهُ أعطاكَ أعـلى صالح العملِ
سهلٌ مَوارِدُه سَمحٌ مواعِـدُه ... مُسَوَّدٌ لكرامٍ سادةٍ حُمُـلِ [٨]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي حُذَيفة قال:

---

(١) المهل: ما ذاب من صُفْر او حديد.

(٢) الوعل: تيس الجبل يريد بذلك استعصاءها ومنعتها.

(٣) سدماً: متغيرة من طول المكث.

(٤) هذا تفسير غير واضح ولعله المرة من الحوم.

(٥) حلأ القومَ عن الماء: منعهم عنه.

(٦) ويروى: لما دعاه ودهر طامح الأمل

(٧) السارحة: الماشية. والحوم: القطيع الضخم. والملمع: الذي في جسده بقع تخالف سائر لونه. والممرع: الخصب. والسر: بطن الوادي وأكرم موضع فيه. والماكد: الدائم الذي لا ينقطع.

(٨) حمل: جمع حمول وهو كثير الاحتمال لما ينوبه لحلمه وكرمه.

كان المُسَوَّر بن عبد الملك المَخزوميّ يَعيب شعرَ ابن هَرْمة، وكان المسوَّر هذا عالمًا بالشعر والنسب؛ فقال ابنُ هَرْمة فيه:

إيّاكَ لا أُلزِمَنْ لَحيَيكَ من لُجُمي ... نِكْلًا[1] يُنَكِّل قَرّاصًا[2] من اللُّجُمِ
يَدُقّ لَحيَيكَ أو تنقادَ مُتَّبِعًا ... مَشيَ المُقيَّدِ ذي القِردان[3] والحَلَمِ
إني إذا ما امرؤٌ خَفَّتْ نَعامتُه[4] ... إليّ واستحصدتْ منه قُوى الوَذَمِ[5]
عقدتُ في مُلتقى أوداجِ لَبّتِـه ... طَوقَ الحمامة لا يَبلى على القِدَمِ
إني امرؤٌ لا أصوغ الحَليَ تَعمَلُه ... كفّايَ لكن لساني صائغُ الكَلِمِ
إنّ الأديمَ الذي أمسيتَ تَقرِظُه ... جهلًا لذو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ[6]
ولا يَئِطُّ[7] بأيدي الخالقينَ ولا ... أيدي الخوالق إلا جيِّدُ الأدَمِ

قال يحيى وحدّثني أبو أيّوب عن مُصعَب بن عبد الله عن أبيه قال:

لقيني ابنُ هرمة فقال لي: يابنَ مُصعَب، أتُفضِّل عليّ ابنَ أذَينة! أما شكرت قولي:

فما لك مختلًّا عليك خَصاصةٌ ... كأنك لم تَنبُتْ ببعض المنابتِ
كأنك لم تَصحَبْ شُعَيبَ بن جعفرٍ ... ولا مُصعَبًا ذا المكرمات ابنَ ثابتِ

---

(١) النكل: اللجام.

(٢) القرّاص: وصف من القرص ويروى «قراضا» وهو: القطاع.

(٣) القردان: جمع قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه. قيل: هو الصغير من القراد.

(٤) النعامة: القدم. ويكنّى بخفة النعامة عن السرعة، يقال: خفت نعامتهم، أو شالت نعامتهم، اذا أسرعوا.

(٥) الوذم: سيور تقدّ مستطيلة. واستحصاد قواها: إحكام فتلها، وقد يكنى بذلك عن الغضب، فيقال: استحصد حبل فلان اذا غضب.

(٦) الاديم: الجلد. ويقرظه: يدبغه بالقرظ لإصلاحه. والنغل: الفساد. والحلم: فساد في الجلد، سببه أنه يقع فيه دود فيتقب.

(٧) يئط: يصوّت. والخالقون: وصف من قولهم: خلق الجلد اذا قدّره قبل قطعه.

– يعني مصعب بن عبد الله – قال : فقلت : يا أبا إسحاق ، أقِلني ورَوّني من شعرك ما شئتَ ، فإني لم أروِ لك شيئاً ، فروّاني عَبّاسيّاته[1] تلك.

قال يحيى : وأخبرني أبو أيوب المَدينيّ عن مُصعَب بن عبد الله عن مُصعَب ابن عثمان قال :

قال ابن هَرْمة : ما رأيتُ أحداً قطُّ أسخى ولا أكرَمَ من رجلين : إبراهيمَ ابنِ عبد الله بن مُطيع ، وإبراهيمَ بنِ طَلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعمَر . أمّا إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال : أحسِنوا ضيافةَ أبي إسحاق ، فأتيتُ بكلّ شيء من الطعام ، فأردتُ أن أنشِدَه ؛ فقال : ليس هذا وقتَ الشعر . ثم أخرج الغلام إليّ رُقعةً فقال : ائتِ بها الوكيلَ ، فأتيتُه بها ؛ فقال : إن شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة ؛ قلت : وما أمرَ لي به ؟ فقال : مائتا شاة برِعائها وأربعةُ أجمالٍ وغلامٌ جَمّال ومِظلّةٌ وما تحتاج اليه ، وقوتُك وقوتُ عيالك سنةً ؛ قلت : فأعطني القيمةَ ، فأعطاني مائتي دينار . وأما إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بُمشاش[2] على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عَفّان ؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برُزمة من ثياب وصُرّةٍ من دراهم ودنانيرَ وحُليّ ؛ ثم قال : لا والله ما بَقّينا في منزلنا ثوباً إلا ثوباً نُواري به امرأةً ولا حَلياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال يمدح إبراهيم :

أرّقتني تلومُني أمُّ بكرٍ ... بعد هَدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤذيني
حذّرتني الزمانَ ثُمّتَ قالت ... ليس هذا الزمانُ بالمأمونِ
قلت لمّا هبّتْ تُحذّرني الدّهـ ... ـرَ دَعي اللّومَ عنكِ واستَبقيني
إنّ ذا الجودِ والمكارم إبرا ... هيمَ يَعنيه كلُّ ما يَعنيني
قد خبرناه في القديم فألفيـ ... ـنا مواعِيدَه كعَيْن اليقين

(١) لعله يريد قصائده التي مدح بها بني العباس .

(٢) مشاش : موضع بين ديار بني سليم وبين مكة، وبينه وبين مكة نصف مرحلة .

قلتُ ما قلتُ للذي هو حقٌّ مستبِينٌ لا لّلَّذي يُعطيني
نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـــجَدْب منها وبعد سوء الظُّنونِ
فرعَيْنا آثارَ غيثٍ هَراقَتْـــه يَدا مُحكَم القُوى مَيمونِ

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الجَحبيّ :

أن إبلًا لمحمد بن عِمران تحمل علفاً مرّت بمحمد بن عبد العزيز الزُّهريّ ومعه ابن هَرْمة ، فقال : يا أبا إسحاق ، ألا تستعلف محمدَ بن عِمران! وهو يريد أن يعرّضه لمنعه فيهجوه ؛ فأرسل ابن هَرْمة في أثر الحَمولة رسولًا حتى وقف على ابن عمران ، فأبلغه رسالته ؛ فردّ اليه الإبلَ بما عليها ، وقال : إن احتجتَ إلى غيرها زِدناك . فأقبل ابنُ هرمة على محمد بن عبد العزيز ، فقال له : اغسِلها عنّي ، فإنه إن علِم أني استعلفتُه ولا دابّة لي وقعتُ منــه في سَوْءة ؛ قال : بماذا ؟ قال : تُعطِيني حمارَك ؛ قال : هو لك بسَرجه ولجامه ؛ فقال ابنُ هرمة : مَن حفر حفرةَ سوء وقع فيها .

أخبرني الحرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهريّ عن ابن زُرَيق ، وكان منقطعاً الى أبي العبّاس[1] ابن محمد وكان من أروَى الناس ، قال :

كنت مع السَّريّ بن عبد الله باليمامة ، وكان يتشوّق الى إبراهيم بن عليّ ابن هرمة ويُحبّ أن يفِد عليه ؛ فأقول : ما يمنعــك أن تكتب اليه ؟ فيقول : أخاف أن يكلِّفني من المؤونة ما لا أطيق؛ فكنت أكتب بذلك الى ابن هرمة ، فكرِه أن يَقدمَ عليه إلا بكتاب منه ؛ ثم غُلِب فشخص اليه ، فنزل عليّ ومعه راويتُه ابن رُبَيح ؛ فقلت له : ما منَعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدومك على ما كتبتُ به اليك ؟ قال : الذي منعه من الكتاب إليّ . فدخلت

(١) أبو العباس بن محمد : هو عبد الله السفاح اول خلفاء بني العباس .

على السريّ فأخبرته بقدومه؛ فسُرّ بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً، ثم أذِن لابن هَرْمة فدخل عليه ومعه راويته ابن رُبَيح، وكان ابن هَرْمة قصيراً دميماً أُرَيْمِصَ[١]، وكان ابن رُبيح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب؛ فسلّم على السَّريّ ثم قال له: أصلحك الله إني قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك؛ فقال: أَنشِدْ؛ فقال: هذا يُنشد؛ فجلس فأنشده ابن رُبَيح قصيدته التي أوّلها:

عُوجاَ على ربعِ لَيْلى أمِّ محمودِ كيما نُسائلَه مِن دون عَبُّودِ[٢]
عن أمِّ محمودَ إذ شطّ المزارُ بها لعلّ ذلك يَشفي داءَ مَعمودِ[٣]
فعرّجا بعد تغوير[٤] وقد وقفتْ شمسُ النهار ولاذَ الظلّ بالعودِ
شيئاً فما رَجَعتْ أطلالُ منزلةٍ قَفْرٍ جواباً لمحزون الجوى مُودي[٥]

ثم قال فيها يمدح السَّريّ:

ذاك السريّ الذي لولا تدفُّقُه بالعُرْف[٦] مِتنا حليفُ المجد والجود
مَن يعتمدكَ ابنَ عبد الله مُجتدياً[٧] لسَيب عُرفك يَعمِدْ[٨] خيرَ مَعمودِ

---

(١) أُرَيمص: تصغير أرمص، وصف من الرمص في العين وهو كالغَمَص، وقيل: الرمص: ما سال مما تلفظ به العين، والغمص: ما جمد، وقيل العكس.

(٢) عبود وصغر: جبلان ما بين المدينة والسيالة ينظر أحدهما الى الآخر. وبينهما طريق المدينة.

(٣) المعمود: من هدّه العشق.

(٤) التغوير: النزول وقت القائلة. ويروى: «تعويق». والتعويق: الانصراف عن الشيء والانحباس عنه. وفي مختار الأغاني لابن منظور: «تطويل».

(٥) المودي: الهالك.

(٦) ويروى:

بالعرف مات حليف المجد والعود

(٧) وفي رواية: «مجتهداً».

(٨) معمود: مقصود. يقال: عمده يعمده اذا قصده.

يابن الأُساة الشُفاة المُستغاث بهم والمُطعِمين ذُرى الكُوم المَقاحيد[1]
والسابقين إلى الخيرات قومهم سبقَ الجياد إلى غاياتها القُود[2]
أنت ابن مُسلَنطِح البَطْحاء مَنبِتُكم بطحاء مكة لا رُوس القراديد[3]
لكُمْ سِقايتُها[4] قِدماً وندوتُها قد حازها والدٌ منكم لمولودِ
لولا رجاؤك لم تَعسِفْ بنا قُلُصٌ أجوازَ مَهمهةٍ قَفر الصُوى بِيدِ[5]
لكن دعاني وميضٌ لاح معترضاً من نحو أرضك في دُهم مَناضيدِ[6]

وأنشده أيضاً قصيدة مدحه فيها، أوّلها:

أفي طَلَلٍ قَفرٍ تحمّلَ آهلُهْ وقفتَ وماء العين ينهلُ هامِلُهْ
تُسائلُ عن سَلمى سَفاهاً وقد نأتْ بسَلمى نوًى شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ
وترجو ولم يَنطِقْ وليس بناطقٍ جواباً مُحيلٌ[7] قد تحمّلَ آهلُهْ

---

(١) كذا في أكثر الأصول. والذرى: جمع ذروة وهي أعلى الشيء. والكوم: جمع أكوم وكوماء وهي الناقة الضخمة السنام. والمقاحيد: جمع مقحاد وهي أيضاً الناقة العظيمة السنام. ويروى: «ذرى الكوم الفراقيد» والفراقيد: جمع فرقد وهو ولد البقرة، وقيل: ولد البقرة الوحشية.

(٢) القود: جمع أقود وهو من الخيل الطويل العنق.

(٣) اسلنطح الوادي: اتسع. وروس: جمع رأس، خففت همزته. والقراديد: جمع قردود وهو ما ارتفع من الارض وغلظ، وقيل: جمع قردد، وزادوا الياء كراهية التضعيف.

(٤) السقاية: ما كانت قريش تسقيه الحجاج من النبيذ المنبوذ في الماء، وكان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية والاسلام. والندوة: هي دار الندوة بمكة وهي التي بناها قصيّ، سميت بذلك لاجتماعهم فيها لأنهم كانوا اذا حزبهم أمر ندوا اليها للتشاور.

(٥) العسف: السير في المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية. والصوى: الأعلام من الحجارة تنصب في الفيافي والمفازات المجهولة يستدل بها على الطريق. ويروى:

أجواب مهمهة قفر الطوى بيد

والأجواز والأجواب بمعنى من جاز المكان وجابه اذا قطعه. والطوى: ما يطوى، من طوى البلاد أي قطعها، وطوى المكان جاوزه الى غيره.

(٦) دهم: سود. ومناضيد: متراكبة بعضها فوق بعض، يريد سحباً هذا وصفها.

(٧) المحيل: الذي أتت عليه أحوال فغيّرته. يقال: أحالت الدار وأحولت.

وَنُؤْيٌ كخطّ النونِ ما إن تَبينُهُ عَفَتْه ذيولٌ[١] من شَمالٍ تُذايِلُه[٢]

ثم قال فيها يمدح السَّريّ :

فقل للسَّريّ الواصل البرّ ذي النَّدى مديحاً إذا ما بُثّ صُدِّق قائلُه
جوادٌ على العِلّاتِ يهتزُّ للنَّدى كما اهتزّ عَضْبٌ أخلصتْه صياقِلُه
نَفَى الظلمَ عن أهل اليمامة عدلُهُ فعاشوا وزاحَ[٣] الظلمُ عنهم وباطلُه
وناموا بأمنٍ بعد خوفٍ وشدّةٍ بسيرةِ عَدلٍ ما تُخافُ غوائلُه
وقد عِلم المعروفُ أنك خِدْنُه ويعلمُ هذا الجوعُ[٤] أنك قاتِلُه
بكَ اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ وغيرَها[٥] من الأرضِ حتى عاش بالبقل آكِلُه
وأنت تُرَجَّى للذي أنت أهلُه وتنفع ذا القربى لديكَ وَسائلُه

وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله :

عُوجا نُحيِّ الطلولَ بالكُثُبِ[٦]

يقول فيها يمدحه :

دَعْ عنك سَلمى وقلْ مُحَبَّرَةً[٧] لماجدِ الجدّ طيّبِ النَّسبِ
محضٍ مُصفًّى العروقِ يَحمَدُهُ في العُسرِ واليُسرِ كلُّ مُرتَغِبِ

---

(١) ذيل الريح : ما انسحب منها على الارض ، وذيل الريح أيضاً : ما تتركه في الرمال على هيئة الرسن ، وما جرّته على الأرض من التراب والقتام . وقيل : أذيال الريح مآخيرها التي تكسح بها ما خف لها .

(٢) تذايله : لعله يريد أنها تجر عليه ذيولها وتعفيه . ويروى : « تذائله » بالهمز .

(٣) زاح مثل انزاح فعلان لازمان كلاهما بمعنى ذهب .

(٤) ويروى : « الجور » .

(٥) مدينة اليمامة وأم قراها .

(٦) الكثب : موضع بديار بني طيىء .

(٧) حبّر الشعرَ والكلام : حسّنه وأجاده .

الواهبِ الخيلَ في أعِنَّتها والوُصَفاءَ الحِسانَ كالذهبِ
مجداً وحمداً يُفيده كرماً والحمدُ في الناس خيرُ مكتسَبِ

قال: فلما فرغ ابن رُبيح، قال السَّريّ لابن هَرْمة: مرحباً بك يا أبا إسحاق، ما حاجتُك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً؛ قال: لا! بل حرّاً كريماً وابنَ عمّ، فما ذاك؟ قال: ما تركتُ لي مالاً إلا رهنتُه، ولا صديقاً إلّا كلّفتُه — قال أبو يحيى: يقول لي ابن زُرَيق: حتى كأن له ديّاناً وعليه مالاً — فقال له السَّريّ: وما دَيْنُك؟ قال: سبعمائة دينار؛ قال: قد قضاها الله عزّ وجلّ عنك. قال: فأقام أياماً، ثم قال لي: قد اشتقتُ؛ فقلت له: قل شعراً تَشوّق فيه؛ فقال قصيدتَه التي يقول فيها:

أ الحمامةُ[1] في نخلِ ابنِ هدّاجِ هاجت صبابةَ عاني القلبِ مُهتاجِ
أم المخبِرِ أنّ الغيثَ قد وَضَعَتْ منه العِشارُ تماماً غيرَ إخداجِ[2]
شَقّتْ[3] سوائفها بالفَرْشِ[4] من مَلَلٍ إلى الأعارفِ[5] من حَزْنٍ وأولاجِ[6]
حتى كأن وجوهَ الأرض مُلبَسةٌ طرائفاً من سَدَى عَصْبٍ وديباجِ

وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السَّريّ:

أمّا السَّريّ فإني سوف أمدَحُه ما المادحُ الذاكرُ الإحسانِ كالهاجي

---

(١) في مختار الأغاني لابن منظور: «إن الحمامة».

(٢) أخدجت الناقة: ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تام الخلق.

(٣) شقت: انفطرت عن النبات، يقال: شق النبات يشق شقوقاً، وذلك أول ما تنفطر عنه الأرض. والسوائف: جمع سائفة وهي أرض بين الرمل والجلد أو جانب من الرمل ألين ما يكون. ولعل المراد بالضمير المستتر في شقت الأرض التي أصابها ذلك الغيث.

(٤) الفرش، كما في معجم البلدان لياقوت، وادٍ بين غميس الحمام وملل: موضع بين الحرمين، وسمي به لأن الماشي اليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد ملل وجهد.

(٥) الأعارف كما في ياقوت: جبال باليمامة.

(٦) الحزن: ما غلظ من الأرض. والأولاج: الغامض من الأرض، واحده وَلَجة.

ذاكَ الذي هو بعد الله أنقذَني فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي
ليثٌ بمَجْزٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ هاج اليه بإلجامٍ وإسراجِ
لأحْبُوَنَّك مما أصطَفي مِدَحاً مُصاحِباتٍ لعُمّارٍ وحُجّاجِ
أسدَى الصنيعةَ من برٍّ ومن لَطَفٍ إلى قُروعٍ لِبابِ المُلكِ وَلّاجِ
كم من يدٍ لك في الأقوام قد سَلَفَتْ عند امرئٍ ذي غِنًى أو عند محتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دَينه، ومائةِ دينار يتجهّز بها، ومائةِ دينار يُعرّض بها أهلَه، ومائةِ دينار إذا قَدِم على أهله.

قوله: يعرّض بها أهلَه أي يُهدي لهم بها هديّة، والعُراضةُ: الهديّة؛ قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك:

كانت عُراضَتُك التي عرّضتَنا يوم المدينة زَكْمةً وسُعالا

تنصله من بعض شعره:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني نوفَل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هَرْمة قال:

قال ابنُ هَرْمة:

ومهما ألامُ على حبّهم فإني أُحِبُّ بَني فاطمهْ
بني بنتِ مَن جاء بالمحكما تِ والدّين والسُّنّة القائمهْ

فلقيه بعد ذلك رجلٌ، فسأله: مَن قائلها؟ فقال: مَن عَضّ بَظرَ أمّه؛ فقال له

أبنه : يا أبتِ ، ألستَ قائلَها ؟ قال : بـلى ؛ قال : فلِمَ شتمتَ نفسك ؟ قال : أليس أن يَعضَّ المرءُ بَظرَ أمه خيرٌ من أن يأخذَه ابنُ قحطبة[1] !.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن مُدرِك الجعديّ قال :

جاء ابنُ هَرْمة إلى رجل كان بسوق النَّبَط ، معه زوجةٌ له وابنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما ، بمال فدفعه اليه ، فكان يشتري لهم طعاماً وشراباً ؛ فأقام ابن هَرْمة مع ابنتيه حتى خفّ ذلك المال ؛ وجاء قوم آخرون معهم مال ؛ فأخبرهم بمكان ابن هَرْمة ؛ فاستثقلوه وكرهوا أن يعلمَ بهم ، فأمر ابنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق ، أما دَرَيتَ ما الناسُ فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زُلزِل بالرَّوْضة ، فتغافلها ؛ ثم جاء أبوهما متفازعاً ، فقال : أيْ أبا إسحاق ، ألا تفزَع لما الناسُ فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلزِل بالرَّوْضة ؛ قال : قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مالٌ ، وقد نَفِضتُ[2] ما جئتكم به وثَقُلتُ عليه ، فأردتَ إدخالَه وإخراجي ؛ أَيُزلزَل بروْضةٍ من رياض الجنّة ويُترك منزلُك وأنت تجمع فيه الرجالَ على أبنتيك ! والله لا عدتُ اليه ! وخرج من عنده .

ورَوَى هذا الخبرَ عن الزُّبير هارونُ بن محمد الزيّات فزاد فيه ، ثم خرج من

---

(١) هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائي. ولي مصر مـن قبل الخليفة أبي جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث في اوائل سنة ثلاث وأربعين ومائـة . وكان اميراً شجاعاً وقائداً مقداماً عارفاً بأمور الحروب والوقائع ، وتنقل في الأعمال الجليلة، معظماً عند بني العباس، وقد حضر مع أبيه قحطبة كثيراً من الوقائع في ابتداء دعوة بني العباس . ومات في خلافة المهدي سنة تسع وخمسين ومائة (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٤٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفي مختصر كتاب الاغاني المسمى بتجريد الاغاني من ذكر المثالث والمثاني لابن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ورد بعد ذكر هذا الخبر ما نصه : « قلت وإنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر اليـه لان المنصور كان شديد المطلب لمن يميل الى العلويين والتتبع لمن يحبهم بخروجهم عليه، وكان خرج عليه محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وأخوه ابراهيم بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائـة فهزما وقتلا وحمل رأساهما اليه » اهـ .

(٢) في اللسان : « وأنفض القوم : نفد طعامهم وزادهم مثـل أرملوا ... وأنفضوا زادهم أنفدوه ... ونفض القوم نفضاً : ذهب زادهم ... وقوم نفض اي نفضوا زادهم » .

عندهم فأتى عبدَ الله بن حسن، فقال: إني قد مدحتُك فٱستمع منّي؛ قال: لا حاجةَ لي بذلك، أنا أُعطيك ما تريد ولا أسمع؛ قال: إذاً أسقُط ويَكسُد سُوقي؛ فسَمِع منه وأمر له بمائتي دينار؛ فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتُك بما تُنفقه كيف شئت؛ ولم يزل مقيماً عنده حتى نفِدَتْ.

قال الزُّبير: وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدّثني عمّي عِمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال:

وافينا الحجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية، فأصبحتُ بالسَّيالة، فإذا إبراهيمُ بن عليّ بن هَرْمة يأتينا، فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له، فدخل عليه فقال: يا أبا عبد الله، ألا أُخبرُك ببعض ما تَستَظرِف؟ قال: بلى، وربما فعلت يا أبا إسحاق؛ قال: فإنه أصبح عندنا ها هنا منذُ أيام محمدُ بن عِمران وإسماعيلُ بن عبد الله بن جُبَير، وأصبح ٱبن عِمران بجملَين له ظالعَين[١]، فإذا رسولُه يأتيني أن أَجِب، فخرجتُ حتى أتيتُه؛ فأخبرني بظلْع جملَيْه، وقال لي: أردتُ أن أبعثَ إلى ناضحَين[٢] لي بعَمَق[٣] لعلّي أُوتَى بهما إلى ها هنا لأمضيَ عليهما، ويصيرَ هذان الظالعان الى مكانهما؛ ففَرِّغْ لنا دارَك وٱشترِ لنا عَلَفاً وٱستَلِنْه بجهدك، فإنا مقيمون ها هنا حتى تأتينا جِمالُنا؛ فقلت: في الرُّحْب والقُرب، والدّارُ فارغة، وزوجتُه طالقٌ إن ٱشتريتُ عُودَ علَف، عندي حاجتُك منه؛ فأنزلتُه ودخلتُ إلى السوق، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسلٍ[٤] ولا جِداءٍ ولا طُرفةٍ ولا غيرِ ذلك، إلا ٱبتعتُ منه فاخِرَه وبعثتُ به اليه مع دَجاج كان عندنا. قال: فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف عليّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد الله يُساوِمُني بحمل عَلَف لي، فلم أزَل

---

(١) الظالع: الذي يغمز في مشيه.

(٢) الناضح: البعير يستقى عليه ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء.

(٣) عمق: ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز.

(٤) الرسل: اللبن ما كان. والجداء: جمع جدي، وهو الذكر من أولاد المعز. والطرفة: ما يطرف به الرجل صاحبه ويتحفه به.

أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم، وذهب به فطرحه لظهره، وخرجتُ عند الرواح أتقاضى العبدَ ثمنَ جملي، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دريتُ؛ فلما رآني مولاه حيّاني ورحّب بي، وقال: هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق؟ فأعلمه العبدُ أن العلفَ لي؛ فأجلسني فتغدّيتُ عنده، ثم أمر لي مكانَ كل درهم منها بدينار، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عبّاد، فبعثتْ إليّ بخمسة دنانير. قال: وراحوا، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرمائي، وقلت: عند ابن عِمران عِوضٌ منها. قال: فأقام عندي ثلاثاً، وأتاه جمّاله، فما فعلَ بي شيئاً؛ فبينا هو يترحّل وفي نفسه منّي ما لا أدري به، إذ كلّم غلاماً له بشيء فلم يفهم؛ فأقبل عليَّ فقال: ما أقدرُ على إفهامه مع قُعودك عندي، قد والله آذيتني ومنعتني ما أردتُ؛ فقمت مُغتمّاً بالذي قال؛ حتى إذا كنت على باب الدار لقيني إنسان، فسألني: هل فعل اليك شيئاً؟ فقلت: أنا والله بخير إذ تَلِف مالي ورجحتُ بدني. قال: وطلع عليّ وأنا أقولها، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي، وزعم أن لولا إحرامُه لضربني؛ وراح وما أعطاني درهما؛ فقلت:

يا مَنْ يُعين على ضيفٍ ألمَّ بنا ليس[1] بذي كرمٍ يُرجى ولا دِينِ
أقام عندي ثلاثاً سُنّةٌ سلفتْ أغضيتُ منها على الأقذاء والهُونِ[2]
مسافةُ البيت عشرٌ غيرُ مُشكلةٍ وأنت تأتيه في شهرٍ وعشرينِ
لستَ تُبالي فواتَ الحجّ إن نَصِبتْ ذاتُ الكَلال وأسمنْتَ ابن حرقينِ
تحدّث الناس عما فيك من كرمٍ هيهاتَ ذاك لضِيفانِ المساكينِ
أصبحتَ تخزُن ما تحوي وتجمعه أبا سليمانَ من أشلاء[3] قارونِ
مثلُ ابن عِمرانَ آباؤه له سلفوا يجزُون فعلَ ذوي الإحسان بالدونِ
ألا تكون كإسماعيلَ إنّ له رأياً أصيلاً وفعلاً غيرَ ممنونِ

(١) ويروى: «فليس ذا كرم ... ...».
(٢) وفي رواية: «... ... على الأقذاء في عيني».
(٣) لعله يريد: من بقايا قارون، أو لعلها محرفة عن أسلاب.

أو مثل زوجته فيا أَلَمَّ بها هيهاتَ مَنْ أُمُّها ذات النِّطاقَيْنِ[١]

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز: نحن نُعينك يا أبا إسحاق — لقوله: «يا من يُعين» — قال: قد رفعك الله عن العَوْن الذي أريده، ما أردتُ إلّا رجلًا مثل عبد الله بن خِنزيرة وطلحة أطْباء الكلبة يُمسكونه لي وآخُذ خُوطَ سَلَم فأوجعُ به خواصرَه وجواعِرَه. قال: ولما بلغ في إنشاده إلى قوله:

مثلُ ابن عمرانَ آباؤه له سَلَفوا

أقبل عليّ، فقال: عُذراً الى الله تعالى واليكم، إني لم أَعنِ من آبائه طلحة بن عُبيد الله. قال: ونزل اليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يكلّمه حتى ضرب أنفَه، وقال له: فَعَنَيتَ من آبائه أبا سليمانَ محمد بن طلحة يا دعيّ! قال: فدخلنا بينهما. وجاء رسول محمد بن طلحة بن عُبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه الى ابن هَرْمة يدعوه فذهب اليه؛ فقال له: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان! والله لا أرضى حتى تَحلِفَ ألّا تَقولَ له أبداً إلا خيراً، وحتى تلقاه فَتَرضّاه إذا رجع، وتحتمل كلّ ما أزلّ اليك وتمدحه؛ قال: أفعل، بالحبّ والكرامة؛ قال: وإسماعيل بن جعفر لا تَعرِضْ له إلا بخير؛ قال: نعم. قال: فأخذ عليه الأيْمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها. قال: واندفع ابنُ هَرْمة يمدح محمد بن عِمران:

ألم تر أنّ القولَ يخلص صدقُه وتأبى فما تزكو لباغٍ بواطِلُهْ
ذممت امرأً لم يطبَعِ[٢] الذمُّ عِرْضَه قليلًا لدى تحصيله من يُشاكِلُهْ
فما بالحجاز من فتًى ذي إمارةٍ ولا شرفٍ إلا ابنُ عمران فاضلُهْ

(١) ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر الصديق. وقد دخل هذا الشعر السناد وهو أن يخالف الشاعر بين الحركات التي تلي الأرداف في الرويّ.

(٢) الطبع: الدنس.

فتى لا يَطور(١) الذمُّ ساحةَ بيته ... وتشقى به ليلَ التِّمام(٢) عواذِلُه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزُّهريّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المِسوَريّ قال:

مدح إبراهيمُ بن هرمَة محمدَ بن عِمران الطَّلحيّ، فألفاه راويتُه وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّةً قد جاءته من الفُرْع(٣) أو خَيْبر؛ فقال له رجل كان عنده: أعلم والله أنّ أبا ثابت عِمرانَ بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضرٌ عنده وأخبره بعيرك هذه؛ فقال: إنما أراد أبو ثابت أن يُعرّضني للسانه، قُودوا اليه القِطارَ، فقِيدَ اليه.

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيي بن محمد عن عبد الله بن عمر بن القاسم قال:

جاء أبي تمرٌ من صَدَقة عمر؛ فجاءه ابنُ هرمة فقال: أمتع الله بك! أعطِني من هذا التمر؛ قال: يا أبا إسحاق، لولا أنّي أخاف أن تعمل منه نبيذاً لأعطيتُك؛ قال: فاذا علمتَ أنّي أعمل منه نبيذاً لا تعطيني؛ قال: فخافه فأعطاه؛ فلقيه بعد ذلك، فقال له: ما في الدنيا أجودُ من نبيذٍ يجيء من صَدَقة عمر؛ فأخجله.

رأي جرير فيه:

أخبرنا الحَرَميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

---

(١) لا يطور: لا يقرب. وفي حديث علي كرم الله وجهه: «والله لا أطور به ما سمر سمير» أي لا أقرب به.

(٢) ليل التمام (بالكسر وقد يفتح): أطول ما يكون في ليالي الشتاء.

(٣) الفرع: قرية من نواحي الرَّبَذة عن يسار السُّقْيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة.

قدِم جريرٌ المدينة، فأتاه ابنُ هَرمة وابن أُذَينة فأنشداه؛ فقال جرير: القرشيّ أشعرُهما، والعربيّ أفصحهما.

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الله بن محمد:

أنّ ابنَ هَرمةَ قال يمدح أبا الحَكَم المطّلب بن عبد الله:

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كنَفنَني وأورثنني بؤسى ذكرتُ أبا الحَكَمْ
سليلُ ملوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا هم المصطفَوْن والمُصفَّوْن بالكرمْ

فلاموه وقالوا: أتمدح غلاماً حديثَ السنّ بمثل هذا! قال: نعم. وكانت له ابنةٌ يلقّبها «عُيَينة» — وقال الزُّبير: كان يلقّبها «عينة» — فقال:

كانت عُيَينة فينا وهي عاطلةٌ بين الجواري فحلّاها أبو الحكمِ
فمنْ لحانا على حُسن المقالِ له كان المُليمَ وكنّا نحن لم نُلِمِ[1]

قال يحيى وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ عن نَوفل بن ميمون قال:

أرسل ابنُ هَرمة الى عبد العزيز المطّلب بكتاب يشكو فيه بعضَ حاله؛ فبعث اليه بخمسة عشر ديناراً؛ فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخرَ بعد ذلك؛ فقال: إنّا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكمُ بن المطّلب؛ وكان عبد العزيز قد خطب الى امرأة من ولد عُمر فردّته، فخطب الى امرأة من بني عامر بن لؤيّ فزوّجوه؛ فقال ابن هرمة:

خطبتَ الى كَعْبٍ فردّوك صاغراً فحوّلت من كعب الى جِذْمِ[2] عامرِ

(١) لم نلم: لم نأت ما نلام عليه، ومنه المليم (بضم الميم) من ألام الرجل فهو مُليمٌ إذا أتى ذنباً يُلام عليه.

(٢) الجذم (بالكسر): أصل الشيء.

وفي عامِرِ عِزٌّ قديمٌ وإنما   أجازكَ فيهم هزلُ أهلِ المقابرِ

وقال فيه أيضاً :

أبالبخلِ تطلبُ ما قدَّمتْ   عرانينُ جادتْ بأموالها
فهيهاتَ! خالفتَ فعلَ الكرامِ   خِلافَ الجِمال بأبوالها

وقال هارون بن محمد حدّثني مُغيرةُ بن محمد قال حدّثني أبو محمد السَّهميّ قال حدّثني أبو كاسب قال :

تزوّج ابنُ هرمة بامرأة، فقالت له : أعطِني شيئاً ؛ فقال : والله ما معي إلا نعلاي، فدفعها اليها، ومضى معها فتورّكها مراراً؛ فقالت له : أحفَيتَني(١)؛ فقال لها : الذي أحفى صاحبَه منّا يَعضُّ بَظْرَ أمّه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني المُسَيَّبيّ محمد بن إسحاق قال حدّثني ابراهيم بن سكرة جارُ أبي ضَمرة قال :

جلس ابن هَرمة مع قومٍ على شراب، فذكر الحكمَ بن المطّلب فأطنب في مدحه؛ فقالوا له : إنك لتُكثر ذكرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعةَ في شاةٍ يقال لها « غَرّاء » تسأله إيّاها لردّك عنها ! فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إي والله، وكانوا قد عرفوا أنّ الحكم بها مُعجَبٌ، وكانت في داره سبعون شاة تُحلب؛ فخرج وفي رأسه ما فيه، فدقّ البابَ فخرج اليه غلامه؛ فقال له : أعلِم أبا مروان بمكاني — وكان قد أمرَ ألّا يُحجبَ إبراهيم بن هَرْمة عنه — فأعلمه به، فخرج اليه مُتَّشحاً، فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعلت فداكَ، وُلد لأخٍ لي مولود فلم تَدِرَّ عليه أمّه، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا له شاة عندك يقال لها « غرّاء » فسألني أن أسألكها ؛ فقال : أتجيء في هذه الساعة

(١) أحفيتني : أجهدتني .

ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقى في الدار شاةٌ إلا انصرفتَ بها، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهن، فخرج بهنّ الى القوم؛ فقالوا: وَيحك! أيّ شيء صنعت! فقصّ عليهم القصة. قال: وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثرُ من عشرة.

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيوب بن عَباية عن عمر ابن أيوب اللّيثيّ قال:

شرب ابنُ هرمة عندنا يوماً فسكِر فنام، فلما حضرتِ الصلاةُ تحرّك أو حرّكته، فقال لي وهو يتوضأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت: يزعمون أنّ الوليد قُتل؛ فرفع رأسه إليّ وقال:

وكانت أمورُ الناس مُنبَتّةَ القُوى ... فشدّ الوليدُ حين قام نِظامَها

خليفةُ حقٍّ لا خليفةُ باطلٍ ... رمى عن قَناة الدّين حتى أقامها

ثم قال لي: إياك أن تذكر من هذا شيئاً، فإني لا أدري ما يكون.

رأي ابن الأعرابي فيه:

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ: أنه كان يقول: خُتم الشعراء بابن هرمة.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البَلاذُريّ:

أنّ ابن هرمة كان مُغرَماً بالنبيذ، فمرّ على جِيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله؛ فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أمَا سمعتم قولي:

أسألُ اللهَ سَكرةً قبل موتي ... وصياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

قال: فنفضوا ثيابهم وخرجوا، وقالوا: ليس يُفلح والله هذا أبداً.

جنازته :

أَخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال :

أنشدني عمِّي لابن هَرمة :

ما أظنّ الزمانَ يا أمّ عمرٍو تاركاً إنْ هلكتُ من يَبكيني

قال : فكان والله كذلك، لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر، حتى دُفن بالبَقيع .

قال يحيى بن عليّ — أُراه عن البلاذريّ — : ولد ابنُ هَرمة سنةَ تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها :

إنّ الغوانيَ قد أعرضن مَقليَةً لما رمى هَدَفَ الخمسين ميلادي

قال : ثم عُمّر بعدها مدّة طويلة .

ذكر أخبار يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهريار، من ولد هُرمُز، وقيل: إنه مولى لعمرو بن الزُّبير. ومنشؤه ومنزله بالمدينة. وكان أبوه فقيهاً، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه. وأخذ الغناء عن مَعبد وابن سُرَيج وابن مُحرِز والغَرِيض، وكان أكثرُ روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذقُ ولا أقومُ بما أخذ عنه منه. وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعرٌ جيّد. وكتابه في الاغاني ونسبها الى من غنّى فيها هو الأصلُ الذي يُعمل عليه ويُرجع اليه؛ وهو أوّل من دوّن الغناء.

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ قال حدّثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المُورِياني[1] لنفسه في يونس:

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ   طاب لنا اليومَ بك المجلسُ
إنّ المغنّين إذا ما هُمُ   جارَوْك أخنى بهم المقبسُ
تنشر ديباجاً وأشباهَه   وهم اذا ما نشروا كَرْبَسوا[2]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال. ذكر إبراهيم بن قُدامة الجمحيّ قال:

إجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغنّي، فخرجوا الى وادٍ يقال له دُومة من بطن العقيق، في أصحاب لهم، فتغنَّوا واجتمع

(١) المورياني (بضم الميم وكسر الراء): نسبة الى موريان: قرية بخوزستان.

(٢) كربسوا: أتوا بالكرابيس وهي الثياب الخشنة من القطن.

اليهم نساء أهل الوادي – قال بعض من كان معهم: فرأيت حولنا مثلَ مُراح الضأن – وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له، فلما رأى جماعةَ النساء عندهم حسدهم، فالتفتَ إلى صاحبه فقال: أمَا والله لأفرِّقنَّ هذه الجماعة! فأتى قصراً من قصور العَقيق، فعلَا سطحه وألقى رداءه واتّكأ عليه وتغنّى:

صوت

هـذا مُقامُ مُطرَّدٍ ... هُدِمتْ منازلُه ودُورُهْ
رَقَّى[1] عليـه عُداتُه ... ظلماً فعاقبـه أميرُهْ

– الغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالوسطى. والشعر لعُبَيد بن حُنَيْن مولى آل زيد ابن الخطّاب، وقيل: إنه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم – قال: فوالله ما قضى صوته حتى ما بَقِيت امرأةٌ منهن إلا جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّةُ أصحابهم؛ فقال يونس وأصحابه: هذا عملُ ابنِ عائشة وحَسَدُه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى عن أبيه قال:

تزوّج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصعَب بن الزُّبير امرأةً من بني عَبد بن بَغيض[2] بن عامر بن لؤيّ، ففرّق مصعبٌ بينهما؛ فخرج حتى قدِم على عبد الله بن الزُّبير بمكة فقال:

هـذا مقام مُطرَّدٍ ... هُدِمتْ منازلُه ودُورُهْ
رَقَّتْ عليـه عُداتُهُ ... كذباً فعاقبـه أميرُهْ

---

(١) رقّى عليه عداته: تقوّلوا عليه ما لم يقل. قال في القاموس: ورقّى عليه كلاماً ترقية: رفع.

(٢) بغيض بن عامر كان شريفاً وهو الذي نقـل الحطيئة الى جواره من جوار الزبرقان. وأدرك بغيض الاسلام.

في أنْ شَربتُ بجمّ ما ء كان حِلاًّ لي غديرُهْ
فلقد قطعت الخَرْقَ[١] بعد الخرق مُعتسِفاً[٢] أسيرُهْ
حتى أتيتُ خليفةَ الرحمن ممهوداً سريرُهْ
حيّيته بتحيّةٍ في مجلس حضرت[٣] صُقورُهْ

فكتب عبد الله إلى مصعب: أن اردُدْ عليه امرأته، فإني لا أحرّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ، فردّها عليه. هذه رواية عمر بن شبّة.

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحَيم ابن حَفص: أن المتزوّج بهذه المرأة عُبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطّاب، وأن المفرّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُباع[٤]؛ وذكر باقيَ الخبر مثل الأول.

غناؤه للوليد:

أخبرني عمي قال حدّثني طَلحة بن عبد الله الطَّلحيّ قال حدّثني أحمد بن الهيثم قال:

خرج يونُس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه؛ فلم يشعر يونسُ إلا برُسُله قد دخلوا عليه الخانَ؛ فقالوا له: أجب الأميرَ — والوليد إذ ذاك أميرٌ — قال: فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير،

(١) الخرق: القفر.

(٢) معتسفاً: خابطاً الطريق على غير هداية ولا دراية. ويروى: «منقطعاً أسيره».

(٣) وفي رواية: «حصرت».

(٤) كان الحارث بن عبد الله أميراً على البصرة، ولقّبه أهلها القباع وذلك أنه مر بقوم يكيلون بقفيز فقال: إن قفيزكم لقباع. أي كبير واسع.

لا أدري من هو ، إلا أنه من أحسن الناس وجهاً وأنبلهم ، فسلّمتُ عليه ، فأمرني بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجواري : فكنا يومَنا وليلتَنا في أمر عجيب ؛ وغنّيتُه فأُعجب بغنائي ؛ الى أن غنّيتُه :

إن يَعِشْ مُصعَبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا مِن عيشنا ما نُرَجّي

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوت ؛ فقال : مالكَ ؟ فأخذتُ أعتذر من غِنائي بشعرٍ في مُصعَب ؛ فضحك وقال : إنّ مُصعباً قد مضى وانقطع أثرُه ولا عداوةَ بيني وبينه وإنما أريد الغناء ، فامضِ الصوتَ ؛ فعُدتُ فيه فغنّيتُه ؛ فلم يزل يَستعيدُنيه حتى أصبح ، فشرب مُصطَبِحاً وهو يستعيدني هـذا الصوتَ ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثةُ أيام . ثم قلتُ له : جعلني الله فداء الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تُجّار وأخاف أن يرتحلوا فيَضيعَ مالي ؛ فقال لي : أنت تغدو غداً ، وشرِب باقيَ ليلته ، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، فحُمِلتْ إليّ ، وغدوتُ إلى أصحابي ؛ فلما خرجتُ من عنده سألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الأمير الوليد بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام . فلما استُخلِف بعث إليّ فأتيتُه ، فلم أزل معه حتى قُتِل .

اصواته المعروفة بالزيانب :

صوت

من المائة المختارة

أقصدتْ زينبُ قلبي بعد ما ذَهب الباطـلُ عنّي والغزَلْ
وعَلا المَفرِقَ شيبٌ شامِـلٌ واضحٌ في الرأس منّي واشتَعلْ

الشعر لابن رُهيمة المَدَنيّ . والغناء في اللحن المختار لعُمر الوادي ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مَجراها عن إسحاق . وفيه ليونسَ الكاتب لحنان ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحـاقَ ، والآخر رَمَلٌ بالسبّابة في

مجرى البنصر عنه أيضاً. وفيه رملان بالوسطى والبنصر، أحدهما لابن المكيّ، والآخر لحَكَم، وقيل: إنه لإسحاق من رواية الهشاميّ. ولحنُ يونسَ في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب، والشعر فيها كلها لابن رُهيمة في زينب بنت عِكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ وهي سبعة، أحدها قد مضى، والآخر:

صوت

أقصدتْ زينبُ قلبي ... وَسَبَتْ عقلي ولُبّي
تركتْني مُستهاماً ... أستغيث الله ربّي
ليس لي ذنبٌ اليها ... فتُجازيني بذَنبي
ولها عندي ذنوبٌ ... في تنائيها وقُربي

غنّاه يونس رملاً بالبنصر. وفيه لحَكَمٍ هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

وَجَد الفؤادُ بزينبا ... وَجْداً شديداً مُتعِبا
أصبحتُ من وَجدي بها ... أُدعى سقيماً مُسهَبا (١)
وجعلتُ زينبَ سُترةً ... وأتيتُ أمراً مُعجِبا

غنّاه يونسُ ثقيلاً أولَ مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق، وهو مما يُشَكّ فيه من غناء يونس. ولعُلَيّةَ بنتِ المهديّ فيه ثقيلٌ أول آخر لا يُشكّ

(١) أسهب الرجل (مبنياً للمجهول): ذهب عقله، أو تغير لونه من حب أو غيره.

فيه أنه لها ، كَنَتْ فيه عن رَشَأ الخادم – وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه من الغناء لحنَين هما جميعاً من الثقيل الأول ليونس – ومن لا يعلم يزعُم أنّ الشعر لها .

ومنها :

صوت

إنما زينبُ المُنى وهِيَ الهمْ والهوَى
ذاتُ دَلّ تُضْني الصحيحَ[١] وتبري من الجوَى
لا يَغُرَّنْكِ أن دعو تِ فؤادي فما التوَى[٢]
واحذَري هِجرةَ الحبيبِ إذا مَلّ وانزوَى

غنّاه يونس رملًا بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صوت

إنما زينبُ همّي بأبي تلك وأمي
بأبي زينبَ لا أكْني ولكنّي أُسمّي
بأبي زينب مِنْ قا ضٍ قضى عمداً بظلمي
بأبي من ليس لي في قلبه قيراطُ رُحْمِ[٣]

غنّاه يونس رملًا بالبنصر عن عمرو ، وله فيه لحن آخر .

---

(١) ويروى : « ... تصبي الحليم » .

(٢) وفي رواية : « الى التوى »؛ والتوى : الهلاك . وفي أخرى : « الى النوى » .

(٣) الرحم : (بالضم) : مصدر رحم كالرحمة .

ومنها :

صوت

يا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ   يا أكرمَ الناس إذا تُنسَبُ
تَقيكِ نفسي حادثاتِ الرَّدَى   والأمُّ تَفديكِ معاً والأبُ
هل لكِ في وُدِّ امرئٍ صادقٍ   لا يَمذُق الوُدَّ ولا يكذِبُ
لا يبتغي في وُدِّه مُحرَماً   هيهاتَ منكِ العملُ الأرْيَبُ[1]

غنَّاه يونسُ ثانيَ ثقيل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

صوت

فليت الذي يَلحى على زينب المُنى   تَعلَّقَه مما لَقيتُ عَشيرُ[2]
يُخبِّني له بالعُشْرِ مما لقيتُه   وذلك فيما قد تَراه يسيرُ

غنَّاه يونسُ ثانيَ ثقيل بالوُسطى في مجراها عن الهشاميّ .

هذه سبعة أصوات قد مضت وهي المعروفة بالزَّيانب . ومن الناس من يجعلها ثمانية ، ويزيد فيها لحنَ يونس في :

تَصابَيتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينبُ

وليس هذا منها . وإن كان ليونس لحنُه ؛ فإن شعره لحُجَيَّةَ بن المُضَرَّب الكِنديّ ،

---

(١) المحرم : الحرام . والأريب : ذو الريب . ويروى : «العمل الأعيب» .

(٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر .

وقد كُتب في موضع آخر ، وإنما الزّيانب في شعر ابن رُهيمة . ومنهم من يعدّها تسعةً ويُضيف اليها :

قــولا لزينب لو رأيــــتِ تَشوّقي لك واشترافي[1]

وهذا اللحن لحَكَم . والشعر لمحمد بن أبي العباس السفّاح في زينبَ بنتِ سليمان ابن عليّ ، وقد كتب في موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

---

(١) الاشتراف : التطلع .

اخبار ابن رهيمة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفّان عن إسحاق قال :

شبب بزينب بنت عكرمة :

كان ابن رُهَيمة يُشبِّبُ بزينب بنتِ عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ويُغنّي يونسُ بشعره ، فافتضحتْ بذلك ؛ فاستعدى عليه أخوها هشامَ بنَ عبد الملك ، فأمر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمُه إن وُجِدَ قد عاد لذكرها ، وأن يُفعل ذلك بكل من غَنّى في شيء من شعره ؛ فهرب هو ويونس فلم يُقدَرْ عليهما . فلما وَلِيَ الوليدُ بن يزيد ظَهَرا . وقال ابن رُهَيمة :

لئن كنتَ أطردتَني[1] ظالماً لقد كشف اللهُ ما أرهبُ
ولو نِلتَ مِنّي ما تشتهي لَقَلَّ إذا رضيَت زينبُ
وما شئتَ فاصنَعْه بي بعد ذا فحُبّي لزينبَ لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبانُ بن عبد الحميد اللاحقيّ[2] :

أحبُّ[3] من الغناء خَفيفه إن فاتني الهزجُ
وأشْناً « ضوء برق » مثل ما أشنا « عفا مُزُجُ »

---

(١) أطرده : صيره طريداً ، وأطرد السلطان فلانا : أمر بطرده أو باخراجه من البلد .

(٢) وردت هذه الابيات في كتاب الاوراق للصولي ضمن قصيدة طويلة مثبتة في ترجمة أبان هذا ، ومطلعها :

أأحزنك الألى ردّوا جمال الحيّ وادّلجوا

(٣) يريد الشاعر بما وضعناه بين هذه العلامات أصواتاً في الغناء .

وأبغض « يوم تنأى » و« الزيانبُ » كلُّها سُمُجُ
ويُعجبني لإبراهيم والأوتارُ تختلجُ [١]
« أديرُ مُدامةً صِرفاً كأن صبيبها ودجُ » [٢]

يعني أبانُ لحنَ إبراهيم ؛ والشعر لأبان أيضاً ، وهو :

صوت

أديرُ [٣] مُدامةً صِرفاً كأن صبيبها ودجُ
فظلَّ تخالُه مَلِكاً يصرِّفها ويَمتزجُ

الشعر لأبان ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

ومما في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب :

صوت

من المائة المختارة

ألا يا لقومي للرُّقادِ المُسهَّدِ [٤] وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدي
وللحال بعد الحال يَركبُها الفتى وللحبِّ بعد السَّلوة المُتمرِّدِ [٥]

(١) كذا في كتاب الاوراق للصولي : وفي الأصول : « تعتلج » بالعين المهملة . وما عند الصولي هو الانسب بالمعنى ، على أن كلمة « تعتلج » قد وردت في بيت آخر من هذه القصيدة وهو :

نعم فبنات عمّ الصد ر في الأحشاء تعتلج

(٢) الودج : عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة ، والمراد تشبيه لون الخمرة بلون الدم الذي يسيل من الأخدع عند الذبح .

(٣) نسب المؤلف هذين البيتين في (ج ١٢ ص ١١٠ طبع بولاق) لمطيع بن اياس ، وهو خطأ .

(٤) في مختصر الاغاني لابن واصل الحموي : « المشرّد » .

(٥) ويروى : « المتردّد » .

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان؛ وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق: أنّها للغول بن عبد الله بن صَيفيّ الطائي؛ والصحيح أنها لإسماعيل؛ وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومَدْحه إياها بها ليُعلم صحةُ ذلك. والغناء ليونس، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر. وتمام هذه الأبيات:

وللمرء لا عَمّن(١) يُحِبّ بمرتَعٍ ... ولا لسبيل الرُّشْدِ يوماً بمهتدي
وقد قال أقوامٌ وهم يعذِلونه(٢) ... لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المُصَيّدِ

(١) ويروى: «عما».

(٢) وفي رواية: «يعذلونني ... ... الفؤاد المعبد». وفي أخرى: «لقد طاب تعذيب الفؤاد المفند».

أخبار اسماعيل بن يسار ونسبه

حدّثني عمي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيْثمة قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله الزُّبيري قال :

كان إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ مولى بني تَيم بن مُرّة : تَيم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير ؛ فلما أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان ، وفَد اليه مع عُرْوة بن الزُّبير ، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده ، وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخرَ سلطان بني أمية ، ولم يدرك الدولة العبّاسية . وكان طيّباً مليحاً مُنْدِرا[1] بَطّالا ، مليح الشعر ، وكان كالمنقطع إلى عُروة بن الزُّبير . وإنما سمي إسماعيلُ بن يَسار النِّسائيّ[2] ، لأن أباه كان يصنع طعام العُرس ويبيعه ، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجمّلين وممن لم تبلغ حاله أصطناعَ ذلك .

لقبه :

وأخبرني الأسديّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطّاح قال :

إنما سُمّي إسماعيلُ بن يسار النِّسائيّ لأنه كان يبيع النَّجدَ والفُرُشَ التي تُتَّخذ للعرائس ، فقيل له إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ .

---

(١) مندراً : يأتي بالنوادر من قول أو فعل . وبَطّال : كثير الهَزْل والمزاح، يقال بطل الرجل يَبطَل بَطالة من باب فرح اذا هزل .

(٢) النِّسائيّ : نسبة الى النساء الذي هو من أسماء جموع المرأة . وفي اللسان : أن سيبويه يقول في النسبة الى نساء : نسويّ ردّا له الى واحده .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسد عن ابن عائشة :

أن إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ إنما لُقِب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعام العُرُسات[1] مُصلَحاً أبداً ، فمن طرَقه وجده عنده مُعَدّاً .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيي ثَعلَب قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال قال مُصعَب بن عثمان :

لمّا خرج عُروة بن الزُّبير الى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيل بن يسار النِّسائيّ ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير ، فعادَله[2] ؛ فقال عروة ليلةً من الليالي لبعض غِلمانه : أنظر كيف ترى المحمِل ؟ قال : أراه معتـدلاً ؛ قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحقّ والباطل قبل الليلة قطّ ؛ فضحك عروة ، وكان يستخفّ إسماعيلَ ويستطيبُه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمي عن أيوب بن عباية المخزوميّ :

ان إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيلة[3] وكان له جلساء يتحدّثون عنده ، ففقدهم أياماً ؛ وسأل عنهم فقيل : هم عند رجل يتحدّثون اليه طيِّبِ الحديث حُلوٍ ظريف قدِم عليهم يسمى محمـداً ويُكنى أبا قيس ؛ فجاء إسماعيل فوقف عليهم ؛ فسمع الرجل القومَ يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال : نعم ؛ قال : رحم الله أبويك فإنهما سمّياك بأسمِ صادق الوعد وأنت أكذب الناس؛ فقال له إسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمـد ؛ قال : أبو من ؟ قال : أبو قيس ؛ قال : لا ! ولكن لا رحم الله

---

(١) العرسات : جمع عرس وهو طعام الوليمة .

(٢) عادله : ركب معه في المحمل مقابلاً له .

(٣) حديلة : محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان .

أبويك، فإنهما سمّياك بأسم نبيٍّ، وكنّياك بكُنيةِ قرد؛ فأُفحم الرجلُ وضحِك القومُ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم، فعادوا الى مجالسة إسماعيل.

ادعاؤه المروانية :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ عن نُمير العُذْريّ قال :

استأذن إسماعيلُ بن يَسار النِّسائيّ على الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك، يوماً فحجبه ساعةً ثم أذِن له، فدخل يبكي؛ فقال له الغَمْر : مالك يا أبا فائد تبكي؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانِيّتي ومَرْوانِيّةِ أبي أُحجَبُ عنك! فجعل الغَمْر يعتذر اليه وهو يبكي؛ فما سكت حتى وصله الغَمْر بجملة لها قَدْر. وخرج من عنده، فلحِقه رجل فقال له : أخبِرْني وَيلك يا إسماعيل : أيّ مَرْوانيّة كانت لك أو لأبيك؟! قال : بُغضنا إيّاهم، امرأته طالق إن لم يكن يلعَن مروانَ وآله كلّ يوم مكانَ التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له : قل لا إله إلا الله، فقال : لعن الله مروانَ، تقرّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالًا له من التوحيد وإقامةً له مُقامَه!

شعوبيته :

أخبرني عمي قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني مُصعَب قال :

قال إسماعيل بن يسار النِّسائيّ قصيدته التي أوّلها :

ما على رسم منزلٍ بالجَناب[1] لو أبانَ الغَداةَ رَجعَ الجوابِ

---

(١) الجناب (بالفتح) : الفناء وما قرب من محلة القوم، وقيل : هو موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام. والجناب (بالكسر) : موضع بعِراض خيبر وسَلاح ووادي القرى، وقيل : هو من منازل بني مازن. وقال نصر : الجناب : من ديار بني فزارة بين المدينة وفَيْد.

غَيَّرَتْـه الصَّبا وكلُّ مُلِثٍّ[١] دائمِ الوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السَّحابِ
دارَ هندٍ وهـل زماني بهندٍ عائدٌ بالهوى وصَفوِ الَجنابِ
كالذي كان والصفـاء مَصُونٌ لم تَشُبْهُ بهجرةٍ واجتنـابِ
ذاك منها إذ أنت كالغصن غضٌّ وهي رُؤدٌ[٢] كدُميةِ المحرابِ
غادةٌ تستبي العقولَ بعَذْبٍ طَيِّبِ الطعم باردِ الأنيابِ
وأثيثٍ[٣] من فوق لونٍ نَقِيٍّ كبياض اللُّجَين في الزَّريابِ
فأقِلَّ الَملامَ فيهـا وأَقْصِرْ لجَّ قلبي من لوعةٍ واكتئابِ[٤]
صاحِ أبصرتَ أو سمِعتَ براعٍ ردَّ في الضَّرْعِ ما قَرى في العِلابِ[٥]
إنقضتْ شِرَّتي وأقصر جهلي واستراحتْ عواذلي من عِتابي

وقال فيها يَفخَر على العرب بالعجم :

رُبَّ خالٍ مُتوَّجٍ لي وعمٍّ ماجدٍ مُجتدًى كريمِ النِّصابِ
إنمـا سُمِّيَ الفوارسُ بالفُرْ سِ مُضاهاةَ رِفعةِ الأنسابِ
فاتركي الفخرَ يا أُمامَ علينا واتركي الجَورَ وانطقي بالصَّوابِ
واسألي إن جَهِلتِ عنَّا وعنكم كيف كنَّا في سالف الأحقابِ
إذ نُرَبِّي بناتِنـا وتَدُسُّو نَ سَفاهاً بناتِكم في التُّرابِ

فقال رجل من آل كَثير بن الصَّلت : إنّ حاجتنا الى بناتنا غيرُ حاجتكم، فأفحمه .

---

(١) يقال : ألثّ المطر ولثّ اذا أقام أياماً ولم يقلع . والودق : المطر.

(٢) الرؤد : الشابة الحسنة . والدمية : الصورة .

(٣) شعر أثيث : كثير عظيم . والزرياب : الذهب، وقيـل : ماؤه، معرب زرأى ذهب، وآب أي ماء . ويروى : « والزرياب » .

(٤) في رواية : « من عولتي واكتئابي » . والعولة والعول : البكاء والصياح .

(٥) قرى الماء في الحوض : جمعه . والعلاب : جفان تحلب فيها الناقة . ويروى : « الحلاب » وهو : الاناء الذي يحلب فيه اللبن .

يريد: أنّ العجم يُربّون بناتِهم لِيَنْكِحُوهنّ، والعرب لا تفعل ذلك. وفي هذه الأبيات غِناء، نِسْبَتُه:

صوت

صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ ردّ في الضَّرع ما قَرى في العِلابِ
إنقضتْ شِرَّتي وأقصرَ جهلي واستراحتْ عَواذلي من عِتابي

الشعر لإسماعيل بن يَسار النِّسائيّ. والغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّ فيه للغَريض خفيفَ ثقيل بالبنصر، وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سُرَيج. وذكر الهشاميّ أن لحن ابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى، وأن لحن الغَريض ثقيل أول.

وحدّثني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة عن مُصْعَب قال:

إسماعيلُ بن يسار يكنى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم من سَبْي فارس، وكان إسماعيل شُعُوبيّاً[1] شديدَ التعصّب للعجم، وله شعرٌ كثير يفخر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعبُ قولَه:

إذ نُربّي بناتِنا وتَدُسُّو نَ سَفاهاً بناتِكم في التراب

فقال له أشعب: صدقتَ والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له؛ قال: وما ذاك؟ قال: دفَن القوم بناتِهم خوفاً من العار، وربّيتموهن لتنكحوهن؛ قال: فضحِك القوم حتى استغربوا[2]، وخجِل إسماعيل حتى لو قَدَر أن يَسيخ في الأرض لفعَل.

(١) الشعوبية: فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلًا على غيرهم ويرون التسوية بين الشعوب.

(٢) أي بالغوا في الضحك.

إغراقه في البركة :

أخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال :

بينا ابنُ يسار النسائي مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد الى مولًى له يقال له عبد الصمد فدفع ابنَ يسار النسائي في البركة بثيابه، فأمر به الوليد فأُخرج؛ فقال ابن يسار :

قل لوالي[1] العهدِ إن لاقيتَه ... ووليُّ العهد أولى بالرَّشَدْ
إنّه والله لولا أنتَ لم ... ينجُ منّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ
إنه قد رام منّي خطّةً ... لم يَرُمْها قبلَه منّي أحدْ
فهو ممّا رام منّي كالذي ... يَقنُصُ الدُّرّاجَ[2] من خِيس[3] الأسدْ

فبعث اليه الوليدُ بخلعةٍ سنيّةٍ وصِلَةٍ وترضّاه. وقد رُوي هذا الخبرُ لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت في قصة أخرى، وذُكر هذا الشعرُ له فيه.

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : حدّثني مُصعَب بن عبد الله قال سمعت إبراهيم بن أبي عبد الله يقول :

ركِبَ فلان من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار النسائي حتى أتى به قُباء، فاستخرج الأحوصَ، فقال له : أنشدني قولَك :

ما ضرَّ جيرانَنا إذ انتجعوا ... لو أنّهمْ قبل بَينهم رَبَعُوا

---

(١) ويروى : «قل لولي العهد ... الخ» بدون ألف بعد الواو.

(٢) الدرّاج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه ألطف. وجعله الجاحظ من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام. وهو من طير العراق كثير النتاج. وفي المثل : فلان «يطلب الدرّاج من خيس الأسد»، يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده.

(٣) خيس الأسد : غابته ومكانه.

فأنشده القصيدةَ فأُعجِب بها ثم انصرف؛ فقال له إسماعيل بن يَسار: أما جئتَ إلا لِما أرى؟ قال: لا؛ قال: فاسمعْ، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

ما ضرَّ أهلكِ لو تَطوّفَ عاشقٌ بِفِناء بيتكِ أو ألمَّ فسلّما

فقال: والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنك قلتَها لَما أتيتُه. وفي أبياتٍ من هذا الشعرِ غناءٌ نِسبتُه:

صوت

يا هندُ رُدّي الوصل أن يَتصرّما وصِلي امرأً كَلِفاً بحبك مُغرَما
لو تبذلين لنا دَلالكِ مرّةً لم نَبغِ منكِ سوى دلالكِ مَحرَما
مَنعَ الزيارةَ أنّ أهلكِ كلَّهم أبدَوْا لزَوْرِكِ غِلظةً وتجهُّما
ما ضرّ أهلكِ لو تطوّفَ عاشقٌ بفناء بيتكِ أو ألمّ فسلّما

الشعر لإسماعيل بن يَسار النِّسائيّ. والغناء لابن مِسجَح خفيفُ ثقيلٍ أول بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإبراهيم المَوصليّ رملٌ بالبنصر عن حَبَش.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال:

أنشد رجل زبّانَ السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسار:

ما ضرّ أهلكِ لو تطوّفَ عاشقٌ بفناء بيتكِ أو ألمّ فسلّما

فبكى زبّان، ثم قال: لا شيء والله إلا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكي ويمسح عينيه.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النحويّ صهر المبرّد قال حدّثني طَلحة بن

عبد الله بن إسحاق الطَّلْحيّ قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين اللهبيّ قال :

أنشدتُ زبان السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسار النَّسائيّ :

صوت

إنّ جُمْلًا[1] وإنْ تَبَيَّنْتُ منها نَكَباً عن مودّتي وازورارا

شَرَدَتْ[2] باذِّكارها النومَ عنّي وأطيرَ العزاء منّي فطارا

ما على أهلها ولم تأتِ[3] سوءا أن تُحيّا تحيَّةً أو تُزارا

يوم أبدَوْا لِيَ التَّجهُّمَ فيها وحَمَوْها لَجاجةً وضِرارَ

فقال زبّان : لا شيء وأبيهم إلا اللَّحَز[4] وقلّة المعرفة وضِيق العَطَن[5] ؛ فصاح عليه أبو المُعافَى وقال : فعلى مَنْ ذاك ويلك ! أعليك أو على أبيك أو أمك ؟ فقال له زبّان : إنما أُتيتَ يا أبا المعافى من نفسك، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وأبنــك ؛ فوثب اليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له : وَيحك يا سفيه ! تحسن الدِّياثة؛ وزبّانُ يَسعى هرباً منه .

الغناء في هذه الأبيات لابن مِسجح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ وحَمّاد . وذكر الهشاميّ وحَبَش أنه لابن مُحرز، وأن لحن ابن مسجح ثاني ثقيل .

---

(١) ويروى : « إن جملا خلى تبينت ... ... » .

(٢) وفي رواية : « شرقت باذّكارها اليوم عيني » . وشرقت العين : احمرّت .

(٣) ويروى : « ولم تأت » .

(٤) اللحز : الشح والبخل .

(٥) ضيق العطن : كناية عن الحمق وضيق الصدر .

انشاده الوليد :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق المَوْصليّ قال :

غُنّيَ الوليدُ بن يزيد في شعر لإسماعيل بن يسار وهو :

حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمِرْزَمُ [١]
خرجت والوطء خَفِيٌّ كما ينساب من مَكْمَنه الأَرْقَمُ [٢]

فقال : من يقول هذا؟ قالوا : رجل من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائيّ ؛ فكتب في أشخاصه اليه ؛ فلما دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها؛ فأنشده :

كُلْثَمُ أنتِ الهمُّ يا كلثمُ وأنتمُ دائي الذي أكتُمُ
أكاتم الناسَ هوًى شفَّني وبعضُ كتمان الهوى أحزمُ
قد لُمْتِني ظلماً بلا ظِنّةٍ وأنتِ فيما بيننا أَلْوَمُ
أبدِي الذي تُخفينه ظاهراً أرتدّ عنه فيك أو أُقدِمُ
إمّا بيأسٍ منك أو مطمعٍ يُسدَى بحسن الوُدّ أو يُلحَمُ
لا تتركيني هكذا ميّتاً لا أُمْنَح الودّ ولا أُصرَمُ
أَوْفي بما قلتِ ولا تندمي إنّ الوفيّ القول لا يندمُ
آيةُ [٣] ما جئتُ على رِقْبةٍ بعد الكرى والحيّ قد نوّموا
أخافتُ المشيَ حِذارَ العِدا [٤] والليلُ داجٍ حالكٌ مُظلمُ
ودون ما حاولتُ [٥] إذ زرتكم أخوكِ والخالُ معاً والعمّ

---

(١) المرزم : من نجوم المطر ، وأكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنى، فيقال : المرزمان .

(٢) الأرقم : أخبث الحيات والأنثى « رقشاء »، بالشين ولا يقال : « رقماء » بالميم لأنه قد جعل اسماً منسلخاً عن الوصفية .

(٣) ويروى : « إيه بما جئت ... الخ » .

(٤) في رواية : « حذار الردى » .

(٥) ويروى : « ودون ما جاوزت » .

وليس إلّا اللهُ لي صاحبٌ اليكم والصارمُ اللّهذَمُ[١]
حتى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ من شفقٍ عيناكِ لي تسجُمُ
ثم انجلى الحزنُ وروعاتُه وغُيِّبَ الكاشحُ والمُبرِمُ[٢]
فبِتُّ فيما شئتُ من نَعمةٍ[٣] يَمنَحُنيها[٤] نحرُها والفمُ
حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغارتِ[٥] الجوزاءُ والمِرزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفيٌّ كما ينساب من مكمنه الأرقَمُ

قال: فطرب الوليد حتى نزل عن فَرْشه وسريره، وأمر المغنّين فغنّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحاً، وأمر لإسماعيل بكُسوة وجائزة سَنيّة، وسرّحه الى المدينة.

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يسار النَّسائيّ. والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ.

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ قال حدّثنا محمد بن كُناسة قال:

اصطحب شيخٌ وشبابٌ في سفينة من الكوفة؛ فقال بعض الشباب للشيخ: إن معنا قَينَةً لنا، ونحن نُجلّك ونحبّ أن نسمع غناءها؛ قال: الله المستعان، فأنا أرقي على الأطلال وشأنكم؛ فغنّت:

حتى اذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزمُ
أقبلتُ والوطءُ خفيٌّ كما ينساب من مكمنه الأرقمُ

قال: فألقى الشيخ بنفسه في الفُرات، وجعل يخبط بيديه ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه وقد كاد يغرَق؛ فقالوا: ما صنعتَ بنفسك؟! فقال: إني والله أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون.

(١) اللهذم: القاطع من السيوف والأسنة.
(٢) المبرم: الجليس الثقيل.
(٣) النعمة بفتح النون: المسرة والفرح والترفّه.
(٤) ويروى: «جاد بها لي ثغرها والفم».
(٥) في رواية: «وغابت».

مدح وهجا :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويَه قال حدّثني أبو مُسلِم المُستَمْلي عن المدائنيّ قال :

مدح إسماعيلُ بن يَسار النِّسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبد الله بن أَنَس ، وكان قد اتّصل ببني مروان وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقاً له ؛ فرَحل إلى دمشق اليه ، فأنشده مديحاً له ومَتّ اليه بالجوار والصداقة ، فلم يعطه شيئاً ؛ فقال يهجوه :

لعمرُكَ ما إلى حَسَنٍ رحلْنا ... ولا زُرْنا حُسيناً يابْنَ أنسِ

(يعني الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما)

ولا[1] عبداً لعبدهما[2] فنحظَى ... بحسن الحظّ منهم غيرَ بَخْسِ
ولكن ضَبَّ جَنْدلةٍ[3] أتينا ... مُضِبّاً[4] في مكامنه يُفَتّي
فلمّا أن أتيناه وقلنا ... بحاجتنا تلوّن لونَ وَرْسِ[5]
وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لعُرْف ... وظلّ مُقَرْطِباً[6] ضِرساً بضِرسِ[7]
فقلتُ لأهله أبِه كُزازٌ[8] ... وقلت لصاحبي أتُراه يُمسي
فكان الغُنْمُ أن قمنا جميعاً ... مخافةَ أن نُزَنَّ[9] بقتل نفسِ

(١) ورد بعض هذه الابيات في كتاب عيون الاخبار منسوباً الى الحارث الكنديّ هكذا :

فلما أن أتيناه وقلنا ... بحاجتنا تلوّن لون ورس
وآض بكفه يحتك ضرساً ... يرينا أنه وَجِعٌ بضرس
فقلت لصاحبي أبه كزاز ... وقلت أسِرّه أتراه يمسي
وقمنا هاربين معاً جميعاً ... نحاذر أن نُزَنّ بقتل نفس

(٢) ويروى : «لعبدهم» .

(٣) الجندلة : واحدة الجندل وهي الحجارة .

(٤) أضب في المكان : لزمه فلم يفارقه .

(٥) الورس : نبات أصفر يكون باليمن يتخذ منه طلاء للوجه، ونباته مثل نبات السمسم .

(٦) المقرطب : الغضبان .

(٧) ويروى : «ضرسا لضرس» .

(٨) الكزاز (كغراب ورمّان) : داء يأخذ من شدة البرد وتعتري منه رعدة .

(٩) نزن : نتهم .

رثاؤه لمحمد بن عروة :

حدّثني عمي[1] قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله قال :

وفَد عُروة بن الزُّبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيلَ بن يَسار النِّسائيّ ، فمات في تلك الوِفادة محمد بن عُروة بن الزُّبير ، وكان مطّلعاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك ، فسقط من فوق السطح بينها ، فجعلت تَرمَحه[2] حتى قطّعته ، وكان جميلَ الوجه جواداً ؛ فقال إسماعيل بن يسار يرثيه :

صلّى الإلهُ على فتًى فارقتُه ... بالشام في جَدَث الطَّويّ[3] المُلحَدِ[4]
بوّأتُه بيديّ دارَ إقامة ... نائي المحَلّة عن مَزار العُوَّدِ
وغبَرتُ أُعوِلُه[5] وقد أسلمتُه ... لصَفا[6] الأماعِزِ والصَّفيح[7] المُسنَدِ
متخشّعاً للدهر ألبَسُ حلّةً ... في النائبات بجَسْرة وتجلُّدِ
أعني ابنَ عُرْوة إنه قد هدّني ... فقدُ ابنِ عُروة هدّةً لم تَقصِدِ
فإذا ذهبتُ إلى العَزاء أرُومُه ... ليَرى المُكاشِحُ بالعَزاء تجلُّدي
منَع التعزّيَ أنني لفراقه ... لبِس العدوّ عليّ جلدَ الأربَدِ[8]
ونأى الصديقُ فلا صديقَ أعدّه ... لدِفاع نائبةِ الزمان المُفسِدِ
فلئن تركتُك يا محمد ثاوياً ... لَبِما تروح مع[9] الكرام وتَغتدي

---

(١) هو الحسن بن محمد عمّ صاحب الاغاني .

(٢) ترمحه : تضربه بأرجلها .

(٣) الطويّ : المراد به القبر المرشّش بالحجارة والآجرّ .

(٤) ألحد القبر : عمل له لحداً .

(٥) أعول الرجل : رفع صوته بالبكاء .

(٦) الصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت . والأماعز : جمع أمعز وهو المكان الصلب الكثير الحصى .

(٧) الصفيح والصفيحة : واحد الصفائح وهي الحجارة العريضة . والمسند : المتراكب بعضه فوق بعض .

(٨) الأربد : الأسد .

(٩) ويروى : «على» .

كان الذي يزَع العدوَّ بدفعه ويردّ نخوة ذي المِراحِ[1] الأصيدِ
فمضى لوجهته وكل مُعمَّرٍ يوماً سيدركه حِمامُ الموعدِ

مدحه عبد الملك بن مروان :

حدّثني عمي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله عن أبيه :

ان إسماعيل بن يَسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى اليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلَّم ووقف موقفَ المُنشِد واستأذن في الإنشاد ؛ فقال له عبد الملك : الآن يابنَ يَسار ! إنما أنت امرؤ زُبَيريّ ، فبأيّ لسان تُنشِد ! فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغرُ شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثرَ غناء لأعدائك منّي ، وإنما أنا شاعر مُضحِك ؛ فتبسّم عبد الملك ؛ وأومأ اليه الوليد بأن يُنشد ؛ فابتدأ فأنشد قوله :

أَلا يا لَقَومي للرُّقاد المسهَّدِ وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِي
وللحال بعد الحال يركبها الفتى وللحبّ بعد السَّلوة المتمرِّدِ
وللمرء يُلحَى في التصابي وقبله صَبا بالغواني كلُّ قَرْمٍ ممجَّدِ
وكيف تَناسِي القلبِ سَلمى وحبُّها كجمر غضًى بين الشَّراسيفِ[2] مُوقَدِ

حتى انتهى الى قوله :

اليك إمامَ الناسِ من بطن يَثرب ونعم أخو ذي الحاجة المتعمِّدِ
رَحلنا لأنّ الجود منك خليقةٌ وأنك لم يَذمُمْ جنابَك مُجتدِ
ملكتَ فزدتَ الناسَ ما لم يزدهمُ إمامٌ من المعروف غيرِ المُصرَّدِ[3]

---

(١) المراح : الأشر والنشاط . والأصيد : الذي يرفع رأسه كبراً ، ومنه قيل للملك : أصيد، لأنه لا يلتفت يميناً ولا شمالا .

(٢) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن .

(٣) صرد عطاءه : قلله، وقيل أعطاه قليلاً قليلاً .

وقتَ[١] فلم تنقُض قضاء خليفة ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولمَّا وَليتَ الملكَ ضاربتَ دونه وأسندتَه لا تأتلي خيرَ مُسنَدِ
جعلتَ هشاماً والوليدَ ذخيرةً وليَّين للعهد الوثيق المؤكَّدِ

قال : فنظر اليها عبد الملك متبسماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر ؛ فقطَّب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظرَ مُغضَب ؛ فقال إسماعيل : يا أميرَ المؤمنين ، إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول ، وقد قلتُ بعده :

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ومن يعتصم بالله مثلُكَ يَرْشُدِ

فأمر له بألفيْ درهمٍ صلةً ، وزاد في عطائه ، وفرض له ، وقال لولده : أعطُوه فأعطَوْه ثلاثةَ آلافِ درهم .

مع هشام بن عبد الملك :

أخبرني عمي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثَمة قال ذكر ابن النطَّاح عن أبي اليَقْظان :

أن إسماعيلَ بن يَسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرُّصافة جالسٌ على بِركةٍ له في قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه يُنشِده مديحاً له ؛ فأنشده قصيدَته التي يفتخر فيها بالعجم :

يا ربعَ رامةَ[٢] بالعَلْياء من رِيَمِ[٣] هل تَرجِعَنَّ إذا حيَّيتُ تسليمي
ما بال حيٍّ غدت بُزْلُ المطيِّ بهم تَخدي لغربتهم سَيْراً بتقحيم[٤]

(١) ويروى : «وقلت» .

(٢) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة . وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : رامة : هضبة أو جبل لبني دارم .

(٣) رئم : واد لمزينة قرب المدينة ، وقيل : على ثلاثين ميلاً من المدينة ، وقيل : على أربعة برد من المدينة او ثلاثة . (والبريد فرسخان او أربعة فراسخ ، والفرسخ : ثلاثة أميال) .

(٤) بزل : جمع بزول ، والبزول : الناقة في تاسع سنها وليس بعده سن تسمّى . وخدى الفرس والبعير : أسرع وزجّ بقوائمه . والتقحيم : طيّ المنازل وعدم النزول بها ، يقال : قحم المنازل اذا طواها ، وقحمت الإبل راكبيها : جعلتهم يطوون المنازل منزلا منزلا من غير أن ينزلوا بها .

كأنني يوم ساروا شاربٌ سلبتْ   فؤادَه قهوةٌ من خمرِ داروم[١]

حتى انتهى الى قوله :

إني وجدِكَ ما عودي بذي خَوَرٍ   عند الحفاظ ولا حَوضي بمهدوم
أصلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به   ولي لسانٌ كحدِّ السيفِ مسموم[٢]
أحمي به مجدَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ   من كل قَرْمٍ بتاج الملك مَعموم
جَحاجحٍ[٣] سادةٍ بُلجٍ مَرازِبةٍ   جُردٍ عِتاقٍ مَساميحٍ مَطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنودِ معاً   والهُرمُزان[٤] لفخرٍ أو لتعظيم
أُسد الكتائب يوم الرَّوع إن زَحفوا   وهم أذلّوا ملوكَ الترك والروم
يمشون في حَلَق الماذيِّ سابغةً   مَشيَ الضَّراغمةِ الأُسْد اللّهاميم[٥]
هناك إن تسألي تُنبَيْ بأن لنا   جُرثومةً[٦] قهرتْ عِزَّ الجراثيم

قال : فغضب هشام وقال له : يا عاضَّ بَظرِ أمه، أعليَّ تفخر وإياي تُنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاجَ قومك!! غُطّوه في الماء، فغطّوه في البركة حتى كادت نفسُه تخرج، ثم أمر بإخراجه وهو بشرٍّ ونفاه من وقته، فأُخرج عن الرُّصافة منفياً الى الحجاز. قال : وكان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً.

أخبرني عمي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال قال ابن النطّاح وحدّثني أبو اليَقظان :

(١) داروم : قلعة بعد غزة للقاصد الى مصر . الواقف فيها يرى البحر الا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة ٥٨٤ ﻫ تنسب اليها الخمر .

(٢) الظاهر أن هذه الكلمة مرفوعة، وبذلك يكون في الشعر إقواء . على أنه يمكن أن يقال: إنها مجرورة إما لأنها نعت لحدّ السيف، على مذهب من يجوز نعت المعرفة بالنكرة مطلقاً، أو نعت للسان على أن يكون أصل الكلام : « الى لسان ... » بدل « ولي لسان ... » .

(٣) جحاجح : جمع جحجح، والجحجح والجحجاح : السيد الكريم . والمرازبة: جمع مرزبان وهو رئيس الفرس .

(٤) الهرمزان : الكبير من ملوك العجم .

(٥) حلق : جمع حلقة وهي الدرع . والماذي : الدروع السهلة اللينة او البيضاء . واللهاميم : جمع لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس .

(٦) جرثومة الشيء : أصله .

أن إسماعيل بن يَسار وفد الى الوَليد بن يزيد، وقد أسنَّ وضعُف، فتوسّل اليه بأخيه الغَمْر ومدَحه بقوله:

نَأتكَ سُلَيمى فالهوى متشاجرُ ... وفي نأيها للقلب داءٌ مُخامِرُ
نَأتك وهامَ القلبُ نأياً بذكرها ... ولَجَّ كما لَجَّ الخليعُ المقامِرُ
بواضحة الأقرابِ[1] خفَّاقة الحَشى ... بَرَهرَهةٍ[2] لا يجتويها[3] المُعاشِرُ

يقول فيها يمدح الغَمْرَ بن يزيد:

إذا عَدَّد الناسُ المكارمَ والعُلا ... فلا يَفخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ
فما مرَّ من يوم على الدهر واحدٍ ... على الغَمْر إلا وهو في الناس غامِرُ[4]
تراهم خُشوعاً حين يبدو مَهابةً ... كما خَشَعت يوماً لكسرى الأساورُ
أغرُّ بِطاحِيٌّ[5] كأنَّ جبينَه ... إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهرُ
وَقى عِرضَه بالمال فالمال جُنَّةٌ ... له وأهان المالَ والعِرْضُ وافرُ
وفي سَيْبِه للمُجتدين عِمارةٌ ... وفي سيفه للدّين عزٌّ وناصرُ
نماه إلى فَرعَيْ لُؤيَّ بن غالبٍ ... أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامرُ
وخمسةُ آباءٍ له قد تتابعوا ... خلائفُ عَدلٍ مُلْكُهم متواتِرُ
بَهاليلُ سبّاقون في كل غاية ... إذا استَبَقَتْ في المكرُمات المعاشِرُ
همُ خيرُ مَن بينَ الحَجُون الى الصَّفا ... الى حيث أفضَتْ بالبِطاح الحَزاوِرُ[6]
وهم جمعوا هذا الأنامَ على الهدى ... وقد فرّقت بين الأنام البصائرُ

قال: فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

---

(١) الاقراب: جمع قرب وهي الخاصرة.

(٢) البرهرهة: المرأة البيضاء الشابة الناعمة.

(٣) اجتواه: كرهه.

(٤) ويروى:

فما مر من يوم من الدهر واحد ... من الغمر إلا وهو للناس غامر

(٥) البطاحيّ: نسبة الى البطاح وهي التي كان ينزلها قريش البطاح، وهم أشرف قريش وأكرمهم.

(٦) الحزاور: جمع حزورة، وهي الرابية الصغيرة.

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مُصعَب قال:

لما مات محمد بن يَسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيل على هشام ابن عُرْوة فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يَرثيه :

عِيلَ العزاء وخانني صبري | لما نَعى الناعي أبا بكرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدهر أفردني | منه وأسلم للعِدا ظَهْري
من طَيِّب الأثواب مُقتَبل | حُلو الشمائل ماجدٍ غَمْرِ[1]
فمضى لِوُجهته وأدركه | قَدَرٌ أُتيح له من القَدْرِ
وغَبَرْتُ[2] مالي من تذكّرِه | إلا الأسى وحرارةُ الصدرِ
وجَوًى يُعاوِدُني[3] وقَلَّ له | مني الجوى ومَحاسِنُ الذكرِ
لما هوتْ أيدي الرجالِ به | في قعرِ ذات جوانبٍ غُبْرِ
وعلمتُ أني لن ألاقيَهُ | في الناس حتى مُلتَقى الحَشْرِ
كادت لفرقته وما ظَلَمتْ | نفسي تموت على شَفا القبرِ
ولَعَمرُ من حُبِس الهَدِيُ له | بالأخشَبَيْن[4] صبيحةَ النَّحْرِ
لو كان نَيْلُ الخلد يدركُه | بَشَرٌ بطِيب الخِيمْ[5] والنَّجرِ
لغَبَرْتَ لا تخشى المَنونَ ولا | أَوْدَى بنفسك حادثُ الدهرِ
ولَنِعْمَ مأوى المُرمِلين اذا | قَحطوا وأخلف صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونة وقد ذَرَفَتْ | عيني فماءُ شؤونها يجري
أنّى وأيّ فتًى يكون لنا | شَرْواكَ[6] عند تفاقم الأمرِ

(١) الغمر : الكريم الواسع الخلق .

(٢) غبر : مكث وبقي .

(٣) ويروى : «يعاورني» .

(٤) الأخشبان : جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى ، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك .

(٥) الخيم : الطبيعة والسجية ، وقيل : الأصل . والنجر : الأصل .

(٦) شرواك : مثلك .

لدفاع خَصم ذي مُشاغَبـةٍ ولعائلٍ تَرِبٍ أخي فَقْرِ
ولقد علمتُ وإن ضمنتُ جوًى مما أُجِنّ كَواهج الجمرِ
ما لامرئٍ دون المنيَّـة من نَفَق فيُحْرِزه ولا سِترِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبير، فقـال له : أحسنتَ وأسرفتَ في القول، فلو قلتَ هذا في رجل من ساداتِ قريش لكان كثيراً؛ فزجره هشام، وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليسَك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً . فلما انصرف تناول هشامُ الرجلَ الزُّبيريَّ وقال : ما أردتَ الى رجل شاعر ملك قوله فصرَف أحسنَه الى أخيه! ما زدت عـلى أن أغريتَه بعِرْضك وأعراضنا لولا أنّي تلافيتُه . وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقـة أخيه؛ وله أشعار كثيرة، ولم أجد له خبراً فأذكره، ولكن له أشعار كثيرة يُغنّى فيها . منها قوله في قصيدة طويلة :

صوت

غَشِيتُ الدارَ بالسَّنَدِ دُوَيْنَ الشِّعبِ من أُحدِ
عَفَتْ بعـدي وغيّرها تقادُم سالِف الأبَدِ

الغناء لحكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ .

ولإسماعيل بن يَسار ابنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضاً، وهو القائل :

مضى الجهل عنك إلى طِيَّتِهْ وآبك حلمُـك من غَيِّتهْ [1]
وأصبحتَ تَعجَب ممـا رأيـتَ من نَقْض دهرٍ ومن مِرّته

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهتُ الإطالة بذكرها .

انقضت أخبارُه :

(١) ويروى : «من غيِّه» والغيّة : الضلال والفساد .

صوت

كُلَيبٌ لَعَمرِي كان أكثرَ ناصراً   وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّجَ بالدمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فٱستمرَّ بطعنة   كحاشية البُرْدِ اليماني المُسَهَّمِ[١]

عَرُوضُه من الطويل. الشعر للنابغة الجَعْدِي. والغناء للهُذَليِّ في اللحن المختار، وطريقتُه من الثقيل الاول بإطلاق الوَتَر في مجرى البنصر عن إسحاق. ونذكر هاهنا سائرَ ما يُغنَّى به في هذه الأبيات وغيرِها من هذه القصيدة وننسُبه الى صانعه، ثم نأتي بعده بما يَتبَعه من أخباره. فمنها على الولاء سوى لحن الهُذليِّ:

كُلَيبٌ لَعَمرِي كان أكثرَ ناصراً   وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضرعَ نابٍ فٱستمرَّ بطعنة   كحاشية البُرْدِ اليماني المسهَّمِ[٢]
أيا دار سَلمى بالحَرُورِيَّة[٣] ٱسلَمي   الى جانب الصَّمَّان[٤] فالمتثلَّمِ[٥]
أقامت به البردين ثم تذكَّرَتْ   منازلَها بين الدَّخول فجُرثُمِ[٦]
ومسكنَها بين الغُروب[٧] الى اللِّوى   الى شُعَبٍ تَرعَى بهنّ فَعَيهَمِ[٨]
لياليَ تصطاد الرجالَ بفاحمٍ[٩]   وأبيضَ كالإغريض لم يتثلَّمِ

(١) برد منمنم: مرقوم موشى. وفي رواية: «المسهم».

(٢) البرد المسهم: المخطط.

(٣) قال ياقوت: الحرورية منسوب في قول النابغة الجعدي حيث قال، ثم ذكر البيتين: أيا دار سلمى، والذي بعده. وربما كان منسوباً الى حَرَوْراء، وهي رملة وعثة بالدهناء، او موضوع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا عليَّ بن أبي طالب، فنسبوا اليه.

(٤) الصمان: بلد لبني تميم أرضه صلبة صعبة الموطىء.

(٥) المتثلم: موضع بأول أرض الصمّان.

(٦) جرثم: ماء من مياه بني أسد تجاه الجواء.

(٧) الغروب: موضع.

(٨) عيهم: موضع على طريق اليمامة الى نجد.

(٩) الفاحم: الشعر الاسود الحسن. والإغريض: الطلع حين ينشق عنه كافوره، يريد بذلك وجهها.

في البيت الاول والثاني لابن سُرَيج ثقيلٌ أولُ آخرُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاقَ ويونسَ . وفيهما لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَريض في الثالث والرابع والاول والثاني ثقيــلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الثالث والاول ثقيــلٌ أوّلُ بالوسطى، ذكر ذلــك أبو العُبَيس والهشاميّ . وللغَريض في الرابع ثم الاول خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في رواية عمرو بن بانــة . ولمَعْبَد فيهما وفي الخامس والسادس خفيفُ ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكيّ . ولابن سُرَيج في الخامس والسادس ثقيــلٌ أوّلُ بالبنصر من رواية عليّ بن يحيي المنجّم، وذكر غيره أنه للغَريض . ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ، وذكر حَبَش أنه لمَعْبَد . ولابن مُحرِز في الاول والثاني والثالث والرابع هَزَجٌ، ذكر ذلك أبو العُبَيس، وذكر قُمْريّ أنه لأبي عيسى بن المتوكّل لا يشكّ فيــه . وللدّلال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ، وذكر أبو العُبَيس أنه للهُذَليّ . ولعبيــد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيفُ رَمَــلٍ . ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ماخُوريّ، ولمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى فيهما، وقيل : إنه لحنه الذي ذكرنا متقدماً، وإنه ليس في هذا الشعر غيرُه . وذكر حَبَش أن في هــذه الأبيات التي أوّلها : « كليب لعمري » خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى، وللهذليّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر، وللدلال رَمَلٌ ، فذلك ثمانيةَ عشرَ صوتاً .

وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أن له فيهما (أعني الاول والثاني) خفيفاً بالوسطى .

فهرس

المجلد الرابع من كتاب الاغاني

نسب علس ذي جدن واخباره

اخبار طويس ونسبه

ذكر الاحوص واخباره ونسبه

ذكر الدلال وقصته حين خصي ومن خصي معه

ذكر طريح واخباره ونسبه

ذكر ابن مشعب واخباره

ذكر اخبار ابي سعيد مولى فائد ونسبه

ذكر من قتل ابو العباس السفاح من بني امية

ذكر حميد بن ثور ونسبه واخباره

اخبار فليح بن ابي العوراء

ذكر ابن هرمة واخباره ونسبه

ذكر اخبار يونس الكاتب

اخبار ابن رهيمة

اخبار اسماعيل بن يسار ونسبه

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة** – ميدان السور – بيروت

مصر والسودان	:	**شركة توزيع الاخبار**	– ميدان التحرير	القاهرة
مصر والسودان	:	**مكتبة الخانجي**	– شارع عبد العزيز	القاهرة
العراق	:	**مكتبة المثنى**	– قاسم الرجب	بغداد
افريقيا الشمالية	:	**دار الكتب**	– الدار البيضاء	مراكش
الكويت	:	**مكتبة الطلبة**	– عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي	:	**المكتبة الوطنية**	– ابراهيم محمد	البحرين
المملكة السعودية العربية	:	**مكتبة الثقافة**	– مكة المكرمة	المملكة السعودية
فرنسا	:	**المكتبة الشرقية**	– باريس	

ولنا وكلاء في كافة البلاد العربية – وفي اوربا – وفي الاميركتين .

بدل الاشتراك

٣٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها بدل اشتراك ٢٤ جزءاً (يضاف اليها اجور البريد للخارج)

يراجع بخصوص الاشتراكات **الناشر**

دار الثقافة ص . ب ٥٤٣ – تلفون ٣٠٥٦١ – بيروت

وعموم الوكلاء

اطلب المجلدات الاولى لأنها اصبحت محدودة جداً . المجلد الاول نافد

ثمن المجلد **٥٥٠** غ . ل او ما يعادلها : غلاف عادي

« « **٧٥٠** غ . ل او ما يعادلها : تجليد لف قماش ومبصوم بالذهب